فهرس الجزء الاول من كتاب العمدة

صحيفه

صحيفه

صفحة

صحيفه

صحيفه

ترجمة المؤلف

قال صاحب الحلل السندسية في كلامه على القيروان .. ومن أبناء القيروان أبو علي الحسن بن رشيق أحد أفاضل الشعراء ولد بالمسيلة وتأدب بها قليلا ثم ارتحل الى القيروان سنة ست وأربعمائة كذا قال ابن بسام وقال غيره ولد بالمهدية سنة تسعين وثلاثمائة وأبوه مملوك رومي من موالي الأزد وتوفي سنة ثلاث وستين وأربعمائة وكانت صنعة أبيه في بلده المحمدية الصياغة فعلمه أبوه صنعته وقرأ الأدب بالمحمدية وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه وملاقاة أهل الأدب فرحل الى القيروان واشتهر بها ومدح صاحبها واتصل بخدمته ولم يزل بها الى أن هجم العرب عليها وقتلوا أهلها وأخربوها فانتقل الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات وهي قرية بجزيرة صقلية منها المازري رحمه الله واختلف في تاريخ وفاته .. قال ابن خلكان رأيت بخط بعض الفضلاء أنه توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة قال والأول أصح قال وقيل انه توفي ليلة السبت غرة ذي القعدة سنة ست وخمسين .. ومن شعره

يا رب لا أقوى على دفع الأذى ... وبك استعنت على الضعيف المؤذي

ما لي بعثت اليّ ألف بعوضة ... وبعثت واحدة الى نمرود

وكان بينه وبين عبد الله بن أبي سعيد بن احمد المعروف بابن شرف القيرواني مناقضات ومهاجاة وصنف عدة رسائل في الرد عليه منها رسالة سماها ساجور الكلب ورسالة نجح الطلب ورسالة قطع الأنفاس ورسالة نقض الرسالة الشعوذية والقصيدة الدامغة والرسالة المنقوصة ورسالة رفع الاشكال ودفع المحال وله كتاب أنموذج الشعراء شعراء القيروان ورسالة قراضة الذهب والعمدة في معرفة صناعة الشعر ونقده وعيوبه وهو كتاب جيد وغير ذلك .. قال صاحب الوافي في الجزء الثالث والعشرين منه ما نصه وقد وقفت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الأدب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد وله كتاب في شذوذ اللغة يذكر فيه كل كلمة جاءت شاذة في بابها .. ومن شعره

أحب أخي وان أعرضت عنه وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطب راض كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض وبغض كامن تحت ابتسام

•• ومنه اذا ما جمعت لعهد الصبا أبت ذلك الخمس والأربعونا
وما ثقلت كبراً وطأتي ولكن اجر ورائي السنينا

•• ومنه وقائلة ماذا الشحوب وذا الضنا فقلت لها قول المشوق المتيم
هواك أتاني وهو ضيف أعزه فأطعمته لحمي وأسقيته دمي

•• ومنه دمت لعينيك أعين الغزلان قمر أقر لحسنه القمران
ومشت فلا والله ما حقف النقا مما أرتك ولا قضيب البان
ومن الملاحة غير أن ديانتي تأبى على عادة الأوثان

ومنها في المديح

يا بن الاعزة من أكابر حمير وسلالة الأملاك من قحطان
من كل أبلج آمر بلسانه تصغ السيوف مواضع الاذعان

•• ومنه في الناس من لا يرتجى نفعه الا اذا مس باضرار
كالعود لا يطمع في طيبه الا اذا أحرق بالنار

•• ومنه أقول كالمأسور في ليلة ألقت على الآفاق كلكالها
يا ليلة الهجر التي ليلها قطع سيف الفجر أوصالها
ما أحسنت جملا ولا أجملت هذا وليس الحسن الالها

•• ومنه

ومن حسنات الدهر عندي ليلة من العمر لم تترك لايامها ذنبا
خلونا بها نسبي القدي عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكبا
وملنا لتقبيل الثغور ولثمها كمثل جنوح الطير يلتقط الحبا

قال الحريري يصف حسن من ثوب بن معتز

ومن عدو ... وهي قبل محتسات حذر مرتقب

... عصفور وهي جائعة من الوطير ... ترطب

... في ... ت ... ن معتز غير مقام ن رشيق لان بن رشيق ذكر أنه في ليلة

... هي ... من حسنات الدهر فهذا حسن تشبيه التقبيل مع الامن بالتقاط الطير

حب لا ... دفعة بعد دفعة ... ن معتز ... كان خائفاً بمجلس التقبيل وسرقه

... عصفور في ... الحب لانه يقدم جازعاً خائفاً من الناطور فلا تطمئن

... لا ... الآخر كيف قال فأحسن

قبلته ... حرجي كشرب الطائر الفزع

رأى ... ماء فواقعه وخاف عواقب الطمع

ومن شعر ابن رشيق

قد أحكمت مني التجا رب كل شيء غير جودي

... أقول ... ت لاقبض يدي شديد

حتى ... أثريت عد ت الى السماحة من حديد

... تقدم ... ل ... لا يتم مع القعود

لا ... من رحلة تدني من الامل البعيد

.. ومنه معتقة يعلو الحباب متونها فتحسبه فيها نثير جمان

رأت من لجين راحة لمديرها فطافت له من عسجد ببنان

وأخذ ابن رشيق الادب عن أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيرواني النحوي وغيره

من أهل القيروان .. رحمه الله تعالى

الجزء الاول من كتاب

العمدة
في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي على الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م

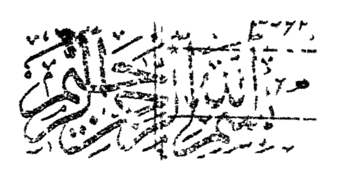
على نفقة

(السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز)

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ـ لصاحبها محمد اسماعيل »



﴿ وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ﴾

الحمد لله أهل الحمد ومستحقه ، وصلواته على صفوته من خلقه ، محمد خيرته ، وعلى آله وعترته ، وسلم تسليما . ﴿ أما بعد ﴾ فإن أحق من جنى ثمر الألباب ، واقتطف زهر الآداب ، متنزهاً في عقول الحكماء ، متمسكاً في أقاويل العلماء ، سامياً بهمته أعلى المراتب ، حتى [illegible] نفسه أسنى المطالب ، مستقراً في أرفع ذروة ، متمسكاً بأوثق عروة من عرف بعلو خلقه وفضله ، ونبت به عرقه ونسله ، وأكرم في الله مثواه ونزله ، وخص بقرب ذويه وأهله ، فسوغه من جميل الذكر ، وجزيل الأجر ، ما هو زين في الدنيا وذخر في الأخرى ، كالسيد الأمجد ، والعلم الأوحد ، حسنة الدنيا ، وعلم العصر ، وذي المكارم ، وآبي المظالم(1) ، رجل الخطاب ، وفارس الكتاب ، أبي الحسن علي بن أبي الرجال الكاتب ، زعيم الكرام ، وواحد الفهم ، الذي نال الرياسة ، وحاز السياسة ، وتفرد بالبسط والقبض ، وتحكم في الإبرام والنقض ، عن سعي مشكور ، وفضل مشهور ، وعلم بالمورد والمصدر ، ونظر في الأوائل والأواخر ، وتتبع الآثار من سلف من أهل القدر(2) والشرف ، وتقلب في مجالس الحكم ، بين ذوي الأقدار والهمم ، إلى أن صار نسيج وحده ، وقريع دهره ، غير مدافع عن ذلك ولا منازع فيه ، فالحمد لله الذي خصه بالجلالة ، واستخلصه لشرف الحالة ، وقدمه على المقدمين في الرتب ، وأقام به سوق العلم والأدب ، وجعل ذكره باقياً ، وجده سامياً ، وأيده من النصر والتوفيق ، بما فيه رضى الخالق والمخلوق ، فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم ، وأنا أطال الله بقاء السيد محروس النعمة ، مرهوب النقمة ، موفي في دنياه ودينه ، متمتعاً بحظه ونصيبه ، قليل الأنداد ، كثير الحساد ، وإن لم أعلق من العلم إلا بحاشية ، ولا

---

(1) ب وذارئ مطالب (2) ب الأخطار

أحدث منه الا في ناحية ، لسوء المكان ، وقلة الامكان ، وزمانة الزمان ، وحدوث الحدثان ، قبل أن أعاق بحمل عمايه ، وأحبط وأصير في حرم حماته فقد وجدت الشعر أكبر علوم العرب ، وأوفر حظوظ الادب ، وأحري أن تقبل شهادته ، وتمثل ارادته ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان من الشعر لحكما وروى لحكمة ، وقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، نعم ما تعلمته العرب الابيات من الشعر يقدمها الرجل أمام حاجته فيستنزل بها الكريم ، و يستعطف بها اللئيم ، مع ماللشعر من عظم المزية ، وشرف الابية ، وعز الانفة ، وسلطان القدرة ، ووجدت الناس مختلفين فيه ، متخلفين عن كثير منه ، يقدمون و يؤخرون ، و يقلون و يكثرون ، قد بوبوه أبوابا مبهمة ، ولقبوه ألقابا متهمة ، وكل واحد منهم قد ضرب في جهة وانتحل مذهبا هو فيه إمام نفسه وشاهد دعواه ، فجمعت أحسن ماقاله كل واحد منهم في كتابه ، ليكون العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، ان شاء الله تعالى ، وعولت في أكثره على قريحة نفسي ونتيجة خاطري خوف التكرار ، ورجاء الاختصار ، الا ما تعلق بالخبر وضبطته الرواية فانه لا سبيل الى تغيير شيء من لفظه ولا معناه ليؤتى بالامر على وجهه فكل مالم أسنده الى رجل معروف باسمه ، ولا أحلت فيه على كتاب بعينه فهو من ذلك الا أن يكون متداولا بين العلماء لايختص به واحد منهم دون الآخر وربما نحلته أحد العرب ، و بعض أهل الادب ، تسترا بينهم ، ووقوعا دونهم ، بعد أن قرنت كل شكل بشكله ، ورددت كل فرع الي أصله ، و بينت للناشيء المتدئ وجه الصواب فيه ، وكشفت عنه لبس الارتياب به حتي أعرّف باطله من حقه ، وأميز كذبه من صدقه ، ولم أسمْ كتابي هذا باسم السيد راده الله تعالى سموا لا كون كجالب التمر الى هجر ومهدى الوشي الى عدن لكن تزينا باسمه الشريف وذكره الطيب واستسلاما بين يدى علمه الطائل ، وادبه الكامل

إن قصّرت عن عرض رمية ٍ … أو زلّ فكرٌ أو نبا خاطرُ
لا بُــدّ فيـــه على نيّــــةٍ … يخبر عن باطنها الظاهرُ

ولما عدلت بى الحال عن حضور مجلسه الباهر ، ومنعى الاخلال من مباسمة خلقه الزاهر ، وطال اشتياقى الى تلك الطلعة الكريمة ، واشتد حرصى على تلك المشاهد

العظمة • وعلمت أن لا يد لي منه • ولا غنى لي عنه • الا ما حجز دونه آنفاً من خدمة مولانا
جعلت فداه منكم إذ عمرني من فضله وقيدني من احسانه

ومن وجد الاحسان قيداً تقيدا

فضمت جرب صدري وتفقدت كثير معرفتي • وأيقنت أن صورة الانسان • فضلة
عن البقر والسباع • وإن استحقاقه للفضل • انما هو من جهة النطق والعقل • فمثلت
له نفسي وأهديتها اليه • ومثلت مع حقيقة بين يديه • اذ كانت الانفاس منوطة بالانفس •
والمرء لولا هما صورة ممثلة لاخير فيه ولا نفع عنده وأيضاً فان النفس تموت الحس وانما
تذرك بصائرنا لا بالبصر • والسيد أدام الله عزه أعلم بمعذرتي • وأقوم بحجتي • من
أن أعرض حرفي على جوهره • أو أقيس وشلي بأبحره • بل استقبله واسترشده
واستعفيه واستنجده • ثم إني لا أظهر حرفاً من كتابي هذا الا عن أمره وبعد اذنه
لا كون به أقوى ثقة • وله أشد مقة • فان وقع منه بموقع • وحل من قبوله في موضع
نعت الارادات • ورجوت الزيادات

وأرزق الفجر يبدو قبل أبيضه وأول الغيث قطر ثم ينسكب

والا سترته ستر العورة • وطرحته طرح القلامة • لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً أسأله
حسن التوفيق والهداية • وأرغب اليه في العصمة والكفاية بمنه وقدرته ولطفه ورحمته

باب في فضل الشعر

العرب أفضل الامم • وحكمتها أشرف الحكم • كفضل اللسان على اليد والبعد عن
امتهان الجسد • اذ خروج الحكمة عن ذات • بمشاركة الآلات • إذ لا بد للانسان
من ان يكون تولى ذلك بنفسه • أو احتاج فيه الى آلة أو معين من جنسه • وكلام
العرب نوعان منظوم ومنثور ولكل منهما ثلاث طبقات جيدة ومتوسطة ورديئة فاذا
اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ولم يكن لاحداهما فضل على الاخرى كان
الحكم للشعر ظاهراً في التسمية لان كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه في معترف
العادة الا ترى ان الدر وهو أخو اللفظ ونسيبه واليه يقاس وبه يشبه اذا كان منثورا لم

يؤمن عليه ولم يدفع به في الباب الذي له كسب • ومن أجله انتحب • وإن كان أعلى قدراً وأعلى ثمناً فإذا نظم كان أصون له من الابتذال • وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال • وكذلك اللفظ إذا كان منثوراً تبدد في الأسماع • وتدحرج عن الطباع • ولم تستقر منه إلا المفرطة في اللفظ وإن كانت أجمله • والواحدة من الألف وعسى أن لا تكون أفضله • فإن كانت هي اليتيمة المعروفة • والفريدة الموصوفة • فكم في سقط الشعر من أمثالها ونظرائها لا يعبأ به ولا ينظر إليه فإذا أخذه سلك الوزن وعقد القافية تألفت أشتاته • وازدوجت فرائده وبناته • واتخذه اللابس جمالا • والمدخر مالا • فصار قرطة الآذان وقلائد الأعناق • وأماني النفوس • وأكاليل الرؤوس • يقلب بالألسن • ويخبأ في القلوب • مصوناً باللب • ممنوعاً من السرقة والغصب • وقد اجتمع الناس على أن المنثور في كلامهم أكثر وأقل جيداً محفوظاً وأن الشعر أقل وأكثر جيداً محفوظاً لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيد المنثور •• وكان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها • وطيب أعراقها • وذكر أيامها الصالحة • وأوطانها النازحة • وفرسانها الأمجاد • وسمحائها الأجواد • لتهز أنفسها إلى الكرم • وتدل أبناءها على حسن الشيم • فتوهموا أعاريض جعلوها موازين الكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعراً لأنهم شعروا به أي فطنوا •• وقيل ما تكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره •• ولعل بعض الكتاب المنتصرين للنثر الطاعنين على الشعر يحتج بأن القرآن كلام الله تعالى منثور وأن النبي صلى الله عليه وسلم غير شاعر لقول الله تعالى ﴿ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ﴾ ويرى أنه قد أبلغ في الحجة • وبلغ في الحاجة • والذي عليه في ذلك أكثر مما له لأن الله تعالى إنما بعث رسوله أمياً غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة آية للنبوة وحجة على الخلق وإعجازاً للمتعاطين وجعله منثوراً ليكون أظهر برهاناً لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام وتحدى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك كما قال الله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ فكما أن القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر كذلك

تعجز الخطباء وليس بمحفلة ومترسل وبين مترسل واعجاز الشعراء أشدبرهاناً ألا
ترى كيف نسب الله نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الشعر لما غلبوا وتبين عجزهم فقالوا هو
شاعر لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته وأنه يقع منه مالا يلحق والمنثور ليس كذلك
فمن هنا قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له أي لتقوم عليكم الحجة
والصحيح ... ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال معناه ما الذي
علمناه شعراً وما ينبغي له أن يبلغ عنا شعراً ..وقال غيره أراد وما ينبغي له أن يبلغ عنا
ما علمناه أي ليس هو ممن يفعل ذلك لأمانته ومشهور صدقه ..ولو أن كون النبي صلى
الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة وهذا أظهر
من أن يخفى على أحد .. ومن فضائله أن الشعراء أبداً يخدمون الكتاب ولانجد[1]
كاتباً يخدم شاعراً وقد عميت عليهم الأنباء وإنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه مدل
بما عنده على الكتاب ولذلك فهو يطلب مافي أيديهما ويأخذه والكاتب بأي آلة
يتصل[2] الشاعر فيرجو ما في يده وإنما صناعته فضلة عن صناعته على ان يكون كاتب بلاغة
..فأما كتب الخدمة في القانون وما شاكله فصانع مستأجر مع انه قد كان لأبي تمام
والبحتري قهرمة وكتابة . وكان من عمال الشعراء كتاب أئمة ككشاجم وأبي علي
البصير وكان ابن الرومي من أكثر كتاب الدواوين فغلب عليه الشعر لانه غلاب ..
ولم نجد من يمدح السوقة في الشعراء فكذلك نجد للسوقة كتابا وللتجار الباعة في زمننا
هذا وقبله .ولم أهجم بهذا الرد وأورد هذه الحجة لولا ان السيد أبقاه الله قد جمع النوعين وحاز
الفضيلتين فهما نقطتان من بحره ونوارتان من زهره وسيرد في أضعاف هذا الكتاب من
شعره ما يكون دليلا على صدق ماقلته ان شاء الله تعالى ..ومن فضل الشعر ان الشاعر
يخاطب الملك باسمه وينسبه الى أمه ويخاطبه بالكاف كما يخاطب أقل السوقة فلا ينكر
ذلك عليه بل يراه أوكد في المدح وأعظم اشتهاراً للممدوح كل ذلك حرص على الشعر
ورغبة فيه ولتبقيه على مر الدهور واختلاف العصور والكاتب لا يفعل ذلك الا
ان يجعله منظوما غيرمنثور وهذه مزية ظاهرة وفضل بين ..ومن فضائله ان الكذب
الذي جمع الناس على قبحه حسن فيه وحسبك ما حسن الكذب واغتفر له قبحه

---

(١) ن خدمون (٢) ن متصل

وقد أوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل الى أخيه بجير ينهاه عن الاسلام وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه فأرسل اليه أخوه ويحك ان النبي صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك وقد كان أوعد رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه فقتلهم يعني ابن خطل وابن صبابة وان من بقي من شعراء قريش كابن الزبعرى وهبيرة ابن أبي وهب قد هربوا في كل وجه فان كانت لك في نفسك حاجة فطر[1] الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يقتل من جاء تائبا والا فانج الى نجائك فانه والله قاتلك فضاقت به الارض فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكراً فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع كعب يده في يده صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله ان كعب بن زهير قد اتى مستأمنا تائبا أفتؤمنه فآتيك به قال هو آمن فحسر كعب عن وجهه وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائذ بك انا كعب بن زهير فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد كعب قصيدته التي أولها

بانت سعادُ فقلبي اليوم متبولُ ... متيَّم إثرها لم يُفْدَ مكبولُ

يقول فيها بعد تغزله وذكر شدة خوفه ووجله

أُنبئتُ أن رسولَ الله أوعدني ... والعفو عند رسول الله مأمولُ

مهلا هداكَ الذي أعطاك نافلةَ الـقرآنِ فيه مواعيظٌ وتفصيلُ

لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ فلم ... أذنب ولو كثرت فيّ الاقاويل

فلم ينكر عليه النبي صلى الله عليه وسلم قوله وما كان ليوعده على باطل بل تجاوز عنه ووهب له بردته فاشتراها منه معاوية بثلاثين ألف درهم .. وقال العتبي[2] بعشرين ألفاً وهي التي يتوارثها الخلفاء يلبسونها في الجمع والاعياد تبركا بها ..وذكر جماعة منهم عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي الشاعر أنه أعطاه مع البردة مائة من الابل قال وقال الاحوص يذكر عمرَ بن عبد العزيز عطية رسول الله صلى الله عليه وسلم كعباً وقد توقف في عطاء الشعراء

وقبلك ما أعطى هُنَيْدةَ جلةً ... على الشعر كعباً من سديس وبازلِ

رسولُ الالهِ المستضاء بنوره ... عليه السلام بالضحي والاصائل

(١) ن فطر (٢) ن العتبي

واعتذر حسان بن ثابت من قوله في الإفك بقوله لعائشة رضي الله عنها في أبيات مدحها بها

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

يقول فيها

وإن كنت قد قلت الذي قد زعمتم ... فلا رفعت سوطي إليّ أناملي

ثم يقول

وإن الذي قد قيل ليس بلائط(١) ... ولكنه قول امرئ بي ماحل

واعتذر كثيرون ممن ضعف في شيء بعد فيه حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحد وزعم أن ذلك قول امرئ ماحل أي مكايد فلم يعاقب لما يرون من استحقاق كذب الشعر وأنه لا يحتج به ولا يحتج عنه .. وسئل أحد المتقدمين عن الشعراء فقال ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود إلا منهم والكذب مذموم إلا فيهم .. وحكى أبو عبد الرحمن محمد بن حسين النيسابوري أن كعب الأحبار قال له عمر بن الخطاب وقد ذكر الشعر يا كعب هل تجد للشعراء ذكراً في التوراة فقال كعب أجد في التوراة قوماً من ولد اسماعيل أناجيلهم في صدورهم ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب .. وقيل ليس لأحد من الناس أن يطري نفسه ويمدحها في غير منافرة إلا أن يكون شاعراً فإن ذلك جائز له في الشعر غير معيب عليه .. وقال بعضهم وأظنه أبا العباس الناشئ العلم عند الفلاسفة ثلاث طبقات أعلى وهو علم ما غاب عن الحواس وأدرك بالعقل أو القياس . وأوسط وهو علم الآداب النفيسة التي أظهرها العقل من الأشياء الطبيعية كالأعداد والمساحات وصنعة التنجيم وصناعة اللحون . وأسفل وهو العلم بالأشياء الجزئية والأشخاص الجسمية فوجب إذا كانت العلوم أفضلها ما لم يشارك فيه الجسوم أن يكون أفضل الصناعات ما لم تشارك فيه الآلات . وإذا كانت اللحون عند الفلاسفة أعظم أركان العمل الذي هو أحد قسمي الفلسفة وجدنا الشعر أقدم من لحنه لا محالة فكان أعظم من الذي هو أعظم أركان الفلسفة والفلسفة عندهم علم وعمل . هذا معنى الكلام المنقول عنه مختصراً وليس نصاً .. ومن قيل في الشعر انه سبب التكسب وأخذ الأعراض وما أشبه ذلك لم يلحقه من

(١) به مقول

ذلك الا ما يلحق المنثور.. ومن فضائله أن اليونانيين انما كانت أشعارهم تقييد العلوم والاشياء النفيسة والطبيعة التي يخشي ذهابها فكيف بالعرب الذي هو فخرها العظيم وقسطاسها المستقيم.. وزعم صاحب الموسيقى أن ألذ الملاذ كلها اللحن ونحن نعلم أن الاوزان قواعد الالحان والاشعار معايير الاوتار لامحالة مع أن صنعة صاحب الالحان واضعة من قدره مستخدمة له نازلة به مسقطة لمروءته. ورتبة الشاعر لا مهانة فيها عليه بل تكسبه مهابة العلم وتكسوه جلالة الحكمة . وأما قيامه وجلوس صاحب اللحون فلان هذا متشوّف اليه يجب اسماع من بحضرته أجمعين بغير آلة ولا معين ولا يمكنه ذلك الا قائماً أو مشرفاً وليدل على نفسه و يُعلم أنه المتكلم دون غيره وكذلك الخطيب وصاحب اللحون لا يمكنه القيام لما في حجره كرامة منه على القوم على أن منهم مَن كان يقوم بالدف والمزهر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحراً وان من الشعر لحكما وقيل لحكمة فقرن البيان بالسحر فصاحة منه صلى الله عليه وسلم وجعل من الشعر حكما لان السحر يخيل للانسان مالم يكن للطافته وحيلة صاحبه وكذلك البيان يتصور فيه الحق بصورة الباطل والباطل بصورة الحق لرقة معناه ولطف موقعه وأبلغ البيانين عند العلماء الشعر بلا مدافعة وقال رؤبة

لقد خشيتُ أن تكونَ ساحراً راويةً مَراً ومَراً شاعرا

فقرن الشعر أيضاً بالسحر لتلك العلة ويروي أيضاً لقد حسبت بسين مضمومة غير معجمة ونون والتاء مفتوحة

باب في الرد على من يكره الشعر

روى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال انما الشعر كلام مؤلف فما وافق الحق منه فهو حسن وما لم يوافق الحق منه فلا خير فيه وقد قل عليه الصلاة والسلام انما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيب وقالت عائشة رضي الله عنها الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخذ الحسن واترك القبيح. ويروى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم بنى لحسان بن ثابت في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر . وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الشعر ميزان القول ورواه بعضهم الشعر ميزان القوم، ويروى عن عائشة يرفعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر كلام من كلام العرب جزل تتكلم به في نواديها وتسل به الضغائن من بينها وأنشد ابن عائشة قول أعشى بني قيس بن ثعلبة

قلدتك الشعر يا سلامة ذا التـ ... فضال والشيء حيث ما جُعلا

والشعر يستنزل الكريم كما ... ينزل رعد السحابة السبلا

ويروى عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت مر الزبير بن العوام رضي الله عنه بمجلس لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وحسان ينشدهم وهم غير آذنين لما يسمعون من شعره فقال ما لي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة فلقد كان ينشد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيحسن استماعه ويجزل عليه ثوابه ولا يشتغل عنه إذا أنشده، ويروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بحسان وهو ينشد الشعر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أرغاء كرغاء البكر، فقال حسان دعني عنك يا عمر فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغير علي ذلك فقال عمر صدقت، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري مر من قبلك بتعلم الشعر فإنه يدل على معالي الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب، وقال معاوية رحمه الله يجب على الرجل تأديب ولده والشعر أعلى مراتب الأدب، وقال اجعلوا الشعر أكبر همكم وأكثر دأبكم فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفين وقد أتيت بفرس أغر محجل بعيد البطن من الأرض وأنا أريد الهرب لشدة البلوى فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الإطنابة

أبت لي همتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح

وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح

وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي أو تستريحي

لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعد عن عرض صحيح

ويروى أن أعرابياً وقف على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال إن لي إليك

حاجة رفعتها الى الله قبل أن أرفعها اليك فان أنت قضيتها حمدت الله تعالى وشكرتك وان لم تقضها حمدت الله تعالى وعذرتك فقال له علىّ خط حاجتك في الارض فانى أرى الضر عليك فكتب الاعرابى على الأرض انى فقير فقال علىّ ياقنبر ادفع اليه حلتى الفلانية فلما أخذها مثل بين يديه فقال

كسوتني حلةً تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللاَ

ان الثناءَ ليحيي ذكرَ صاحبهِ كالغيث يُحيي نداه السهلَ والجبلا

لاتزهدِ الدهرَ في عُرفٍ بدأت به فكل عبدٍ سيُجزَى بالذى فعلا

فقال علىّ ياقنبر اعطه خمسين ديناراً أما الحلة فلمسألتك وأما الدنانير فلادبك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أنزلوا الناس منازلهم • وقيل لسعيد بن المسيب ان قوماً بالعراق يكرهون الشعر فقال نسكوا نسكا أعجمياً • وقال ابن سيرين الشعر كلام عقد بالقوافي فما حسن في الكلام حسن في الشعر وكذلك ماقبح منه • وسئل في المسجد عن رواية الشعر في شهر رمضان وقد قال قوم انها تنقض الوضوءَ فقال

نبئتُ أن فتاةً كنتُ أخطُبها عُرقُوبُها مثلُ شهرِ الصوم في الطول

ثم قام فأمّ الناسَ وقيل بل أنشد

لقد أصبحت عِرْسُ الفرزدق ناشزاً ولو رضيت رمحَ استه لاستقرت

وقال الزبير بن بكار سمعت العمرى يقول روُّوا أولادكم الشعر فانه يحل عقدة اللسان ويشجع قلب الجبان ويطلق يد البخيل ويحض على الخلق الجميل • وسئل ابن عباس هل الشعر من رفث القول فأنشد

وهنَّ يمشين بنا هميسا ان تصدق الطيرُ ننكْ لميسا

وقال انما الرفث عند النساء ثم أحرم للصلاة • وكان ابن عباس يقول اذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب فان الشعر ديوان العرب • وكان اذا سئل عن شيء من القرآن أنشد فيه شعراً • وكانت عائشة رضى الله عنها كثيرة الرواية للشعر يقال انها كانت تروى جميع شعر لبيد • وروى عن النبي صلي الله عليه وسلم أنه قال لاتدع العربُ الشعر حتي تدع الابلُ الحنينَ • وكان أبوالسائب المخزومي

على شرفه وحلاوته وفضله في الدين والعلم يقول أما والله لو كان الشعر محرماً لوردنا الرحبة كل يوم مراراً ورحبة الموضع الذي تقام فيه الحدود يريد انه لا يستطيع صبرعنه فيحد في كل يوم مراراً ولا يتركه وأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالا يفعلون) فهو غلط وسوء تأويل لأن المقصودين بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ومسوه بالأذى فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبي صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين عنه كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رَوَاحة . وقد قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم هؤلاء النفر أشد على قريش من نضح النبل . وقال لحسان بن ثابت اهجهم يعني قريشاً فوالله لهجاؤك عليهم أشد من وقع السهام في غلس الظلام اهجهم ومعك جبريل روح القدس وقال لأبي بكر رضي الله عنه علمه تلك الهنات . فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبي صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم وأما قوله عليه الصلاة والسلام لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه خير له من أن يمتلئ شعراً فهو في من غلب الشعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن والشعر وغيره مما جرى هذا المجرى من شطرنج وغيره سواء وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامةَ مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين وسنذكر من ذلك طرفا يقتدي به في هذا الباب إن شاء الله تعالى

باب في أشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء

من ذلك قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه قالوا واسمه عبدالله بن عثمان ويقال عتيق لقب له . قال في غزوة عبيدة بن الحارث رواه ابن اسحاق وغيره

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت أوأمر في العشيرة حادث

ترى من لؤي فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير ولا بعث باعث

رسول أتاهم صادق فتكذبوا ... عليه وقالوا لست فينا بماكث

اذا ما دعوناهم الى الحق أدبروا ... وهروا هرير المجحرات اللواهث

وكم قد مثلنا فيهم بقرابة ... وترك التقى شيء لهم غير كارث

فان يرجعوا عن كفرهم وعقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث

وان يركبوا طغيانهم وضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث

ونحن اناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها في الفروع الاثائث

فأولي برب الراقصات عشية ... حراجيج تحدى في السريح الرثائث

كأدم ظباء حول مكة عكف ... يردن حياض البئر ذات النبائث

لئن لم يفيقوا عاجلا من ضلالهم ... ولست اذا آليت قولا بحانث

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق ... تحرم أطهار النساء الطوامث

تغادر قتلى تعصب الطير حولهم ... ولا يرأف الكفار رأف ابن حارث

فأبلغ بني سهم لديك رسالة ... وكل كفور يبتغي الشر باحث

فان تشعثوا عرضي على سوء رأيهم ... فاني من أعراضهم غير شاعث

ومن شعر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان من أنقد أهل زمانه للشعر وأنفذهم فيه معرفة ويروى للأعور الشني

هون عليك فان الامو ... ر بكف الاله مقاديرها

فليس بآتيك منهيها ... ولا قاصر عنك مأمورها

ومن شعره أيضاً وقد لبس برداً جديداً فنظر الناس اليه وقد روي لورقة بن نوفل في أبيات

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الاله ويفنى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

ولا سبيل إذا تجرى لريح له والجن والإنس فيما بينها ترد
حوض هنالك مورود بلا كذب لا بد من ورده يوماً كما وردوا

ومن شعره أيضاً رضى الله عنه

توعدني كعب ثلاثاً يعدها ولاشك أن القول ما قال لي كعب
وما بي حذار الموت إني لميت ولكن حذار الذنب يتبعه الذنب

ومن شعر عثمان بن عفان رضى الله عنه

غنى النفس يغني النفس حتى يكفها وإن عضها حتى يضر بها الفقر
وما عسرة فاصبر لها إن لقيتها بكائنة إلا سيتبعها يسر

ومن شعر على بن أبى طالب رضى الله عنه وكان مجوداً ما قاله وما صح من ذلك قوله يذكر همدان ونصرهم إياه

ولما رأيت الخيل ترجم بالقنا نواصيها حمر النحور دوامي
وأعرض نقع في السماء كأنه عجاجة دخن ملبس بقتام
ونادى ابن هند ذا الكلاع وحميرا وكندة في لخم وحي جذام
تيممت همدان الذين هم هم إذا ناب دهر جنتي وسهامي
فجاوبني من خيل همدان عصبة فوارس من همدان غير لئام
فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها وكانوا لدى الهيجا كشرب مدام
فلو كنت بواباً على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

وهو القائل بصفين أيضاً

لمن راية حمراء[1] يخفق ظلها إذا قلت قدمها حضين تقدما
فيوردها في الصف حتى يردها حياض المنايا تقطر الموت والدما

فهؤلاء الخلفاء الأربعة رضوان الله عليهم ما منهم إلا من قال الشعر وخامسهم الحسن بن على رحمه الله وهو القائل وقد خرج على أصحابه مختضبا رواه المبرد

نسود أعلاها وتأبى أصولها فليت الذى يسود منها هو الأصل

ومن شعر معاوية بن أبى سفيان رحمة الله عليه ما رواه ابن الكلبي عن عبد الرحمن

(١) ن سوداء

المدني قال لما حضرت معاوية الوفاة جعل يقول

ان تناقش يكن نقاشك يا ر ب عذاباً لا طوق لي بالعذاب
أو تجاوز فأنت رب رؤف عن مسيء ذنوبه كالتراب

وروى في غير موضع واحد

فقدت سفاهتي وأرحت غيي وفيّ على تحملي اعتراضُ
على أني أجيب اذا دعتني الي حاجاتها الحدق المراضُ

ومن قوله أيضاً وهو لائق به دال على صحة ناقله

اذا لم أجُد بالحلم مني عليكمُ فمن ذا الذي بعدي يؤمّلُ للحلم
خذيها هنيئاً واذكري فعل ماجدٍ حباكِ على حرب العداوة بالسلمِ

وأما يزيد بن معاوية فمن بعده فكثيرٌ شعرهم مشهور ومن شعر الحسين بن علي رضي الله عنهما وقد عاتبه أخوه الحسن رحمه الله في امرأته

لعمرك إنني لأحب داراً تحُلّ بها سُكينةُ والربابُ
أحبهما وأبذل جلّ مالي وليس للائمي عندي عتابُ

وليس من بني عبد المطلب رجالا ونساءً من لم يقل الشعر حاشى النبيّ صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قول حمزة بن عبد المطلب رحمه الله يذكر لقاءه أبا جهل وأصحابه في قصيدة تركت أكثرها اختصاراً

عشيةَ ساروا حاشدين وكلنا مراجله من غيظ أصحابه تغلي
فلما تراءينا أناخوا فعقلوا مطايا وعقلنا مدى غرض النبلِ
وقلنا لهم حبلُ الالهِ نصيرنا وما لكمُ الاَّ الضلالةُ من حبلِ
فثار أبو جهل هنالك باغياً فخاب وردّ اللهُ كيدَ أبي جهل
وما نحن الاَّ في ثلاثين راكباً وهم مائتان بعد واحدةٍ فضل

وأما العباس فكان شاعراً مفلقاً حسن التهدي من ذلك قوله رحمه الله يوم حنين يفتخر بثبوته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألا هل أتى عرسي مكرّي وموقفي بوادي حنين والأسنة تشرع
وقولي إذا ما النفس جاشت لها قدي وهام تدهدى والسواعد تقطع
وكيف رددت الخيل وهي مغيرة بزوراء تعطي باليدين وتمنع
نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا

ومن شعر عبد الله بن عباس رضي الله عنه

إذا طارقات الهم ضاجعت الفتى وأعمل فكر الليل والليل عاكر
وباكرني في حاجة لم يجد بها سواي ولا من نكبة الدهر ناصر
فرجت بمالي همه من مقامه وزايله هم طروق مسامر
وكان له فضل عليّ بظنه بي الخير إني للذي ظن شاكر

ومن شعر جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين رضي الله عنه قوله يوم مؤتة وفيه قتل رحمة الله عليه

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وباردٌ شرابها
والروم رومٌ قد دنا عذابها عليّ إذ لاقيتها ضرابها

وشعر أبي سفيان بن الحارث مشهور في الجاهلية والاسلام فأما أبو طالب ومن شاكله فلم أذكر لهم شيئاً خلا بيتين لعبد الله بن عبد المطلب أنشدهما القاضي أبو الفضل وهما

وأحور مخضوب البنان محجب دعاني فلم أعرف الى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها فلست مريداً ذاك طوعاً ولا كرها

وكانت فاطمة رضي الله عنها تقول الشعر رويت لها أشياء كثيرة ثم نرجع الى الخلفاء المرضيين قال عمر بن عبد العزيز رواه الاوزاعي عن محمد بن كعب

أيقظان أنت اليوم أم أنت حالم وكيف يطيق النوم حيران هائم
فلو كنت يقظان الغداة لحرّقت جفوناً لعينيك الدموع السواجم
نهارك يا مغرور سهو وغفلة وليلك نوم والردى لك لازم

وتشغلُ فيما سوفَ تكره غِبَّهُ كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

ومما أنشده حماد الراوية من شعره

إنهَ الفؤادَ عن الصِّبا وعن انقيادهْ للهوى

فلعمر ربك إن في شيب المفارق والحلى

لك واعظاً لو كنتَ تتعظ أو تعاطَ ذوي النهى

حتى متى لا ترعوى والى متى والي متى

ولى الشباب وأنت ان عُمِّرتَ رهنٌ للبلي

وكفى بذلك زاجراً للمرء عن غيٍّ كفى

ومن شعره أيضاً أنشده ابن داود القياسي في كتابه

ولولا الذي ثم النبي خشيةَ الردا لعاصتْ في حبِّ الصِّبا كلَّ زاجرِ

صبا ما صبا فيما مضى ثم لا أرى له صبوةً أخرى الليالى الغوابر

ومن قول عبدالله بن الزبير قوله وقدولي الحرمين مدة ودعى بأمير المؤمنين ابتداء الله حتى قتل رحمة الله عليه وقد روى لعبد الله بن الزبير بفتح الزاي وكسر الباء

لاأحسبُ الشرَّ جاراً لايفارقني ولا أحزّ على ما فاتني الودجا

وما لقيتُ من المكروه منزلة إلاَّ وثقتُ بأن ألقى لها فرجا

ومن قوله المشهور عنه

وكم من عدوٍّ قد أراد مساءَتى بغيبٍ ولو لاقيتُه لتندما

كثيرِ الخنا حتى اذا ما لقيتُه أصرعلي اثم وان كان أقسما

وحسبك من القضاة شريح بنُ الحارث كان شاعراً مجوَّداً وقد استقضاه عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كتب الي مؤدب ولده وقد وجده وقت الصلاة يلعب بجرو كلب وأودع الأبياتِ رقعةً وأنفذَها مع ولده مختومةً الى المؤدب

تركَ الصلاةَ لأكلُبٍ يسعَى بها طلبَ الهراش مع الغُواةِ الرُّجسِ

وتمسّكتَ بشذوةٍ بصحيفةٍ كتبتْ له كصحيفةِ المتلمّسِ
وإذا هممتَ بضربهِ فبدرّةٍ وإذا بلغتَ به ثلاثاً فاحبسِ
واعلم بأنك ما أتيتَ فنفسهُ مع ما يجرّعني أعزّ الأنفسِ

فهذا شعر شريح وهو حرّاً إلى حين تمامه .. ومن الفقهاء عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال في امرأة من هذيل قدمت المدينة ففتن بها الناس وزهدوا فيها خاطبين

أحبّكِ حبّاً لو علمتِ ببعضهِ لجدتِ ولم يصعب عليكِ شديدُ
وحبّك يا أمّ الوليد متيّمي شهيدي أبو بكر فنعم شهيدُ
ويعلم وجدي قاسم بن محمدٍ وعروةُ ما ألقى بكم وسعيدُ
ويعلم ما ألقى سليمانُ علمه وخارجةٌ يُبدي بنا ويعيدُ
متى تسألي عمّا أقول فتُخبري فللّه عندي طارفٌ وتليدُ

هؤلاء الستة الذين ذكرهم أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وعروة بن الزبير بن العوام، وسعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وخارجة بن زيد بن ثابت، وعبيد الله صاحب هذا الشعر هو سابعهم وهم فقهاء المدينة وأصحاب الرأي الذين هم عليهم المدار .. وقد كان جماعة من أصحاب مالك بن أنس يرون الغناء غير آلة جائزاً وهو مذهب جماعة من أهل مكة والمدينة .. والغناء حلية الشعر إن لم يلابسها طُويت ومحال أن يحرّم الشعرَ من يحلّ الغناء به .. وأما محمد بن إدريس الشافعي فكان من أحسن الناس افتناناً في الشعر وهو القائل

ومتعبِ العيش مرتاحاً إلى بلدٍ والموتُ يطلبهُ في ذلك البلدِ
وضاحكٍ والمنايا فوقَ مفرقهِ لو كان يعلم غيباً مات من كمدِ
من كان لم يؤتَ علماً في بقاء غدٍ ماذا تفكّره في رزقِ بعد غدِ

ومن قوله أيضاً في غير هذا المعنى

الجدُّ يدني كلّ شيءٍ شاسعٍ والجدُّ يفتح كلّ بابٍ مغلقِ

فإذا سمعت بأن محدوداً حوى عوداً فأورق في يديه فصدق

وإذا سمعت بأن محروماً أتى ماءً ليشربه فجف فحقق

وأحق خلق الله بالهم امرؤ ذو همة يبلى برزق ضيق

ولربما عرضت لنفسي فكرة فأود منها أنني لم أخلق

وهذا باب لو تقصيته لاحتمل كتاباً مفرداً ولكني طبقت المفصل وذكرت بعض المشاهير من الناس

باب من رفعه الشعر ومن وضعه

اما قيل في الشعر إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل وأنه أسنى مروءة الدني وأدنى مروءة السري لأمر ظاهر عاب عن بعض الناس فتأوله أشد التأويل وظنه مثلبة وهو منقبة وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل اذا مدح به مثل ما يضع من قدر الشريف اذا اتخذه مكسباً كالذي يؤثر من سقوط النابغة الذبياني بامتداحه النعمان بن المنذر وتكسبه عنده بالشعر وقد كان أشرف بني ذبيان هذا وإنما امتدح قاهر العرب وصاحب البؤس والنعيم .. وكاشتهار عرابة الأوسي بشعر الشماخ بن ضرار وقد بذل له في سنة شديدة وسق بعير تمراً فقال

رأيت عرابةَ الأوسيَّ يسمو الى الخيرات منقطعَ القرين

اذا ما رايةٌ رفعت لمجد تلقاها عرابةُ باليمين

حتى صار ذلك مثلا سائراً وأثراً باقياً لا تبلى جدته ولا تتغير بهجته وقدح ذلك في مروءة الشماخ وحط في قدره لسقوط همته عن درجة مثله من أهل البيوتات وذوي الاقدار .. فأما من صنع الشعر فصاحة ولسناً وافتخاراً بنفسه وحسبه وتخليداً لمآثر قومه ولم يصنعه رغبة ولا رهبة ولا مدحاً ولا هجاءً كما قال واحد دهرنا وسيد كتاب عصرنا أبو الحسن أحسن الله اليه والينا فيه

وجدتُ طريق اليأس أسهلَ مسلكاً ... وأحري بنجح من طريقِ المطامع
فلست بمطرٍ ما حييت أخا ندى ... ولا أنا في عرض البخيل بواقع

فلا نقص عليه في ذلك بل هو زائد في أدبه وشمائله بفضله كما به دامة في ذكر الخامل ورفع قدر الساقط ومن اتصل مروءة لقيس وشرفه وهو لم يضع نطقه وعلا بسجيته عن غير ضيع ولا جزع .. حكي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال لو أن شعراء المتقدمين ضمهم زمن واحد ونصبت لهم راية فجروا معاً علمنا من السابق منهم وإذ لم يكن فالذي لم يقل لرغبة ولا رهبة فقيل ومن هو فقال الكندي قيل ولم قال لأني رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة .. وقال علي بن الجهم في مدح المتوكل

وما الشعر مما أستظل بظله ... ولا زادني قدراً ولا حطَّ من قدري

ثم قال

ولكنَّ إحسانَ الخليفة جعفرٍ ... دعاني الى ما قلتُ فيه من الشعر

فذكر أنه لا يستظل بظل الشعر أي لا يتكسب به وانه لم يرده قدراً لأنه كان نبيهاً قد ذكر قبل عمل الشعر ثم قال ـ ولا حط من قدري ـ فأحسن الاعتذار لنفسه وللشعر بقوله ليس الشعر صنعة في نفسه ولا صنعته بيمن دون الحاجة وما كفاه ذلك حتى جعل نفسه جزاء الخليفة بل مكافئاً له بشعره على احسان بدأه الخليفة به ولم يرض أن يجعل نفسه راغباً ولا مجتديا .. وقال الطائي في هذا المعنى لمحمد بن عبد الملك الزيات على ما كان فيه من الكبر والاعجاب وهو حينئذ وزير الاكبر

لقد زدت أوضحي امتداداً ولم أكن ... بهيماً ولا أرضى من الارض مجهلا
ولكن أيادٍ صادفتني جسامها ... أغرَّ فوافت بي أغرَّ محجلا

فطمح بنفسه الى حيث ترى وجعل الغرة من كرمه وهي في الوجه مشهورة والتحجيل من زيادات الممدوح وهو في القوائم .. وقد سبق الى هذا المعنى ابو نخيلة السعدي فقال يمدح مسلمة بن عبد الملك

وأحييتَ من ذكري وما كان خاملاً ... ولكنَّ بعضَ الذكر أنبه من بعض

وقد حكي أن امرأ القيس نفاه أبوه لما قال الشعر وعمل أكثر الناس عن السبب وذلك انه كان خليعاً متهتكا تشبب بنساء أبيه وبدأ بهذا الشر العظيم واشتغل بالخمر والزنا

عن الملك والرياسة فكان اليه من أبيه ما كان اسن من جهة الشعر لكن من جهة التي
والبطالة .. فهذه العلة وقد جارت كثيراً من الناس ومرت عليهم صلحاً .. وأما تفسير
القول الآخر في البيت والذي فاه اذا ملت بالذي نفسه وطمحت به همته الى أن
يصنع الشعر الذي هو أخو الأدب وتجارة العرب يكافأ به الأيادي ويحل به صدر
النادي ويرفع صوته على من فوقه ويزيده في القدر على ما استحقه فقد صار سرياً على
أنه العائل فان كان المقول له بذلك أعظم مرتبة وأشرف خطة ومنزلة واذا انحطت بالسري
همته وقصرت مروءته الى أن يصنع الشعر ليتكسب به المال ويكافأ به الأيادي دون
غيره وهو يعلم أنه أبقى من المال وأنفس ذخائر الرجال وانه ان خاطب به من فوقه فقد
رضي بالمضارعة وان خاطب به كفأه ونظيره فقد نزل عن المساواة وان خاطب به
من دونه سقط جملة ذلك على أن يكون شعره مزحا أو عتابا واما أن يكون هجاء فانعي
طربه وأصل لسعيه وسأذكر ممن رفعه أو ممن وضعه ما قال أو قيل فيه من الشعر بعض من
ذكر الناس لئلا أخلي الكتاب من ذلك وان كنت حريصا على الايجاز والاختصار

فممن رفعه ما قال من القدماء الحارث بن حلزة اليشكري وكان أبرص فأنشد
الملك عمرو بن هند قصيدته * آذنتنا ببينها أسماء *
وبينه وبينه سبعة حجب فما زال يرفعها حجابا فحجابا لحسن ما يسمع من شعره حتى لم
يبق بينهما حجاب ثم أدناه وقربه وأمر له بكثير .. ومن المخضرمين حسان بن ثابت رحمه الله
لم يكن له مأثرة ولا سابقة في الجاهلية والاسلام الا شعره وقد بلغ من رضى الله عز وجل
ورضى نبيه عليه الصلاة والسلام ما أورثه الجنة .. ومن الفحول المتأخرين الأخطل واسمه
غياث بن غوث وكان نصرانيا من تغلب بلغت به الحال في الشعر الى أن نادم عبد الملك بن
مروان وأركبه ظهر جرير بن عطية بن الخطفي وهو تقي مسلم وقيل أنه بذلك بسبب خمر
جاره فيه بين يديه وطول لسانه حتى قال مجاهراً لعنه الله بما لا يستتر في الطعن على الدين
والاستخفاف بالمسلمين

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ... ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي

ولستُ بزاجرٍ عنساً بكوراً ... الى بطحاء مكة للنجاح

وبث صدىً ما بدأ سل كمثل العبرحي على الفلاح
وبكى سأشربها شمولا وأسجد قبل مسلح الصباح

وهذه غاية عظيمة ومنزلة غريبة حمات من المسامحة في الدين على مثل ما نسمع والملوك ملوك زعمهم .. ووجد الانصار ليزيد بن معاوية لما شبب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بعمته رملة بنت أبي سفيان وقيل بل بأخته هند بنت معاوية ولولا شعره لقتل دون أقل من ذلك ..وقد رد على جرير أفحج رد وتناول من أعراض المسلمين وأشرافهم ما لا يحوم مع مثله علوي فضلا عن نصراني .. ومن المحدثين أبو نواس كان نديما للامين محمد بن زبيدة طول خلافته .. ومسلم بن الوليد صريع الغواني اتصل بذي الرياستين وولي على جرجان وكان تولاها على يديه والبحتري كان نديماً للمتوكل لا يكاد يفارقه وبحضره قتل المتوكل . وكثير ممن اكتفى بهؤلاء عن ذكره .. وقد خطب أبو الطيب هذه الرتبة الى كافور الاخشيدي فوعده بها وأجابه اليها ثم خافه لما رأي من تحامله وكبره واقتضاه أبو الطيب مراراً وعاتبه فما وجد عنده راحة .. فمن ذلك قوله يقتضيه

وهبت على مقدار كفي زماننا ونفسي على مقدار كفيك تطلب
اذا لم تنط بي ضيعةً أو ولايةً فجودك يكسوني وشغلك يسلب

.. وقوله يقتضيه أيضا ويعاتبه من قصيدة مشهورة

لنا عند هذا الدهر حق يلطه وقد قل إعتاب وطال عتاب

ثم قال بعد أبيات

أرى لي بقربي منك عينا قريرةً وان كان قربا بالبعاد يشاب
وهل نافعي أن ترفع الحجب بيننا ودون الذي أملت منك حجاب
أقل سلامي حب ما خف عنكم واسكت كيما لا يكون جواب
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغي على الحب رشوة ضعيف هوىً يبغي عليه ثواب
وما شئت الا أن أدل عواذلي على أن رأيي في هواك صواب

وأعلم قوما خالفوني فشرّقوا وغربت أني قد ظفرت وخابوا

فهؤلاء رفعهم ما قالوه من الشعر فنالوا الرتب واتصلوا بالملوك وليس ذلك ببدع للشاعر ولا عجب منه .. وقد كنت صنعت بين يدي سيدنا عز أمره العالي زاده الله علواً

الشعر شيء حسن ليس به من حرج
أقلُّ ما فيه دها بُ الهم عن نفس الشجي
يحكم في لطافةٍ حلَّ عقود الحجج
كم نظرةٍ حسنها في وجهِ عذر سمج
وحرقةٍ بردها عن قلب صب منضج
ورحمةٍ أوقعها في قلب قاس حرج
وحاجةٍ يسرها عند عزال غنج
وشاعر مطرح معلق باب الفرج
قربه لسانه من ملك متوَّج
فعلموا أولادكم عقار طب المهج

وطائفةٌ أخرى نطقوا في الشعر بألفاظ صارت لهم شهرة يلبسونها وألقابا يدعون بها فلا ينكرونها .. منهم عائذ الكلب واسمه عبد الله بن مصعب كان والياً على المدينة للرشيد لقب بذلك لقوله

مالي مرضتُ فلم يعدني عائدٌ منكم ويمرض كلبكم فأعود

.. والممزق واسمه شاس بن نهار لقب بقوله لعمرو بن هند

فان كنتُ مأكولا فكن أنت آكلي والا فأدركني ولما أمزَّق

وقد تمثل بهذا البيت عثمان بن عفان رضي الله عنه في رسالة كتب بها الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه .. ولقب مسكين الدارمي واسمه ربيعة من ولد عمرو بن عمرو ابن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بقوله

أنا مسكينٌ لمن أبصرني ولمن حاورني جد نطق

وسمت مسكين لحاجة وإني لمسكين إلى الله راغب
وت مرؤ لا أسأل الناس مالهم بشعري ولا تعمي علي المكاسب

ومن هؤلاء من يكنى بالشعر من ألقاب العرب وسرعة ولوجه في آدابهم وتعلقه بأنفسهم .. ومنهم من سمي ببعضه من شعر لسماعهم مثل النابغة الذبياني واسمه زياد بن عمرو وسمي النابغة لقوله

* فقد نبغت لنا منهم شئون *

ومن الجعدي واسمه قيس بن عبد الله دعا مع بالشعر بعد أربعين سنة فسمي النابغة .. وجران العود سمي بذلك لقوله

عمدت لعود فالتحيت جرانه وللكيس خير في الأمور وأنجح
خذا حذرا يا خلتي (١) فإنني رأيت جران العود قد كاد يصلح

يخاطب امرأتيه وقد كانتا اشترتا عليه فلزمه ذا الاسم وذهب اسمه كرهاً .. وكذلك أبو الغول لا يعرف له اسم غير هذا لقوله

رأيت بني أبي دعاني وهمراً من الذل يطرح نفسه كل مطرح
بلغ عذراً أو نصيب رغيبة ومبلغ نفس عذرها مثل منجح

وأمثالهم ممن ذكره المؤلفون لا يحصون كثرة وليسوا من هذا الباب في شيء لأن غلبة هذه الأسماء عليهم ليست شرفاً لهم ولا ضعة وإنما هي من جهة التساعة فقط ولكن الكلام شجون .. ومن ههنا عظم الشعر وتهيب أهله حرفاً من بيت سائر تحدى به لأن أو معطة شاردة تضرب بها المثل ورجاء في مثل ذلك فقد رفع كثيراً من الناس من قبل فيهم من أشعر بعد خمول والأصرح حتى افتخروا بما كانوا يعيرون به ووضع جماعة من أهل السوابق والأقدار الشريفة حتى عيروا بما كانوا يفتخرون به .. فممن رفعه ما قيل فيه من الشعر بعد الخمول المحلق وذلك أن الأعشى قدم مكة وتسامع الناس به وكانت للمحلق امرأة عاقلة وقيل بل أم فقالت له أن الأعشى قدم وهو رجل مفوه

(١) يا خليلي

محدود في الشعر ما مدح أحداً الا رفعه ولا هجا أحداً الا وضعه وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات وعندنا لقحة نعيش بها فلو سبقت الناس اليه فدعوته الى الضيافة ونحرت له واحتلت لك فيما نشتري به شراباً يتعاطاه لرجوت لك حسن العاقبة فسبق اليه المحلق فأنزله ونحر له ووجد المرأة قد خبزت خبزاً وأخرجت نحياً فيه سمن وجاءت بوطب لبن فلما أكل الأعشى وأصحابه وكان في عصابة قيسية قدم اليه الشراب واشتوى له من كبد الناقة وأطعمه من أطايبها فلما جرى فيه الشراب وأخذت منه الكأس سأله عن حاله وعياله فعرف البؤس في كلامه وذكر البنات فقال الاعشى كفيت أمرهن وأصبح بعكاظ ينشد قصيدته

أرقتُ وما هذا السهاد المؤرّق ... وما بي من سُقم وما بي مَعشَقُ

ورأى المحلق اجتماع الناس فوقف يستمع وهو لا يدري أين يريد الأعشى بقوله الى أن سمع

نفى الذم عن آل المحلق جفنةٌ ... كجابية الشيخ العراقي تفهقُ

ترى القوم فيها شاربين وبينهم ... مع القوم ولدان من النسل دَرْدَقُ

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة ... الى ضوء نارٍ باليفاعِ تحرّقُ

تشب لمقرورَين يصطليانها ... وبات على النار الندَى والمحلق

رضيعي لبان ثدى أم تحالفا ... بأسحمَ داجٍ عوضُ لا نتفرّق

ترى الجودَ يجري ظاهراً فوق وجهه ... كما زانَ متنَ الهندوانيِّ رونق

فما أتم القصيدة الا والناس ينسلون الى المحلق يهنئونه والاشراف من كل قبيلة يتسابقون اليه جرياً يخطبون بناته لمكان شعر الاعشى فلم تمس منهن واحدة الا في عصمة رجل أفضل من أبيها ألف ضعف .. وكذلك بنو أنف الناقة كانوا يفرقون من هذا الاسم حتى أن الرجل منهم يسأل ممن هو فيقول من بني قريع فيتجاوز جعفراً أنف الناقة ابن قريع بن عوف بن مالك ويلغي ذكره فراراً من هذا اللقب الى أن نقل الحطيئة واسمه جرول بن أوس أحدهم وهو بغيض بن عامر بن لؤي بن شماس بن جعفر أنف الناقة من ضيافة الزبرقان بن بدر الى ضيافته وأحسن اليه فقال

سيري أمام فإن الأكثرين حصاً والأكرمين اذا ما ينسبون أبا
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يساوي بأنف الناقة الذنبا

فصاروا يتطاولون بهذا النسب ويمدون به أصواتهم في جمارة ٠٠ وانما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قسم ناقة جزوراً ونسيه فبعثته أمه ولم يبق الا رأس الناقة فقال له أبوه شأنك بهذا فأدخل أصابعه في أنف الناقة وأقبل يجره فسمي بذلك ٠٠ ومثل هذين القصتين قصة عرابة الأوسي مع الشماخ وقد تقدم ذكرها ٠٠ وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه وسقط عن رتبته وعيب بفضيلته بنو نمير وكانوا جمرة من جمرات العرب اذا سئل أحدهم ممن الرجل فخم لفظه ومد صوته وقال من بني نمير الى أن صنع جرير قصيدته التي هجا بها عبيد بن حصين الراعي فسهر لها وطال ليله الى أن قال

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

فأطفأ سراجه ونام وقال قد والله أخزيتهم آخر الدهر فلم يرفعوا رأساً بعدها الا نكس بهذا البيت حتى أن مولى لباهلة كان يرد سوق البصرة ممتاراً فيصيح به بنو نمير يا جوذاب باهلة فقص الخبر على مواليه وقد ضجر من ذلك فقالوا له اذا نبزوك فقل لهم فغض الطرف إنك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا ٠٠ ومر بهم بعد ذلك فنبزوه وأراد البيت فنسيه فقال غمض والا جاءك ما تكره فكفوا عنه ولم يعرضوا له بعدها ٠٠ ومرت امرأة ببعض مجالس بني نمير فأداموا النظر اليها فقالت قبحكم الله يا بني نمير ما قبلتم قول الله عز وجل (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا قول الشاعر

* فغض الطرف انك من نمير * فلا كعباً بلغت ولا كلابا — وهذه القصيدة تسميها العرب الفاضحة وقيل سماها جرير الدماغة تركت بني نمير ينتسبون بالبصرة الى عامر ابن صعصعة ويتجاوزون أباهم نميراً الى أبيه هرباً من ذكر نمير وفراراً مما وسم به من الفضيحة والوصمة ٠٠ والربيع بن زياد كان من ندماء النعمان بن المنذر وكان فحاشاً عياباً بذيئاً سباباً لا يسلم منه أحد ممن يفد على النعمان فرمي بلبيد وهو غلام مراهق ينافسه وقد وضع الطعام بين يدي النعمان وتقدم الربيع وحده ليأكل معه على عادته

فقام لبيد فقال مرتجلا

يارُبَّ هيجا هي خير من دِعه   نحن بنى أمِّ البنينَ الأَربعه
ونحن خير عامر بن صعصعه   المطعمون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه   مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه

فقال النعمان ، ولمه ، فقال ـ إن أُسته من برص ملمعه

فقال النعمان وما علينا من ذلك ، فقال ـ وانه يولج فيها أصبعه

يولجها حتى يوارى أشجعه   كأَنما يطلب شيئاً أودعه

ويروى أطعمه فرفع النعمان يده عن الطعام وقال ماتقول يا ربيع فقال أبيتَ اللعن كذب الغلام فقال لبيد مره فليجب فقال النعمان أجبه يا ربيع فقال والله لما تسومنى أنت من الخسف أشدُّ عليَّ مما عضهني به الغلام فجبه بعد ذلك وسقطت منزلته وأراد الاعتذار فقال النعمان

قد قيل ما قيل إنْ حقا وان كذبا   فما اعتذارك من قول اذا قيلا

وبنو العجلان كانوا يفخرون بهذا الاسم لقصة كانت لصاحبه في تعجيل قرى الاضياف الى أن هجاهم به النجاشى فضجروا منه وسبوا به واستعدوا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال وما قال فأنشدوه

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة   فعادى بنى العجلان رهطَ ابن مقبل

فقال عمر بن الخطاب انما دعا عليكم ولعله لا يجاب فقالوا انه قال

قبيِّلةٌ لا يغدرون بذمة   ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر رضى الله عنه ليتنى من هؤلاء أوقال ليت آل الخطاب كذلك أوكلاماً يشبه هذا قالوا فانه قال

ولا يردون الماء الا عشيةً   اذا صدر الورّادُ عن كل منهلٍ

فقال عمر ذلك أقل للسكاك يعني الزحام قالوا فانه قال

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم   وتأكل من كعب بن عوفٍ ونهشل

فقال عمر كفي ضياعاً مَن تأكل الكلاب لحمه قالوا فانه قال

وما سمي العجلان إلا لقولهم   خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر كذا عد وخير القوم خادمهم فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا فقال ما أسمع ذلك فقالوا فسل حسان بن ثابت فسأله فقال ما هجاهم ولكن سلح عليهم وكان عمر رضي الله عنه أعلم الناس بما قال الحطيئة ولكن أراد أن يدرأ الحد بالشبهات فلما قال حسان ما قال سجن الحطيئة وقال له حده .. وهذه جملة كافية وبلغة مقنعة فيما قصدت به من هذا الباب

باب من قضى له بالشعر ومن قضي عليه

أنشد النابغة الجعدي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصيدة يقول فيها

علونا السماء عفة وتكرماً   وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا

فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وقال أين المظهر يا أبا ليلى فقال الجنة بك يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أجل إن شاء الله فقضت له دعوة النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة وسبب ذلك شعره .. وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث قوله

هجوت محمداً فأجبت عنه   وعند الله في ذاك الجزاء

فقال له جزاؤك عند الله الجنة يا حسان فلما قال

فإن أبي ووالده وعرضي   لعرض محمد منكم وقاء

فقال له وقاك الله حر النار فقضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره .. ولما تنافر عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة أقاما عند هرم بن قطبة بن سيار سنة لا يقضي لأحدهما على الآخر إلى أن قدم الأعشى وكانت لعامر عنده يد فقال شعره

علقم ما أنت إلى عامر   الناقض الأوتار والواتر

إن تسد الحوص فلم تعدهم   وعامر ساد بني عامر

حكمتموه فقضى بينكم   أزهر مثل القمر الباهر

لايقبـل الرشوةَ في حكمه ولا يبـالي غبنَ الخاسر

فرواه الناس وافترقوا وقد مر عامر على علقمة بحكم الأعشى في شعره وكان في رأى هرم على قول أكثر الناس خلاف ذلك .. والى هذا بأشد به أشار أبو تمام الطائي بقوله في صفة الشعر

يُرى حكمةً ما فيه وهو فكاهةُ ويُقضى بما يقضى به وهو ظالمُ

وكانت لرجل شهادة عند أبي دُلامةَ فدعاه الى تبلغها عند القاضي ابن أبي ليلى فقال له ان شهادتي لا تنفعك عنده فقال الرجل لا بد من شهادتك فشهد عند القاضي وانصرف وهو يقول

اذا الناسُ غطوني تغطيت دونهم وان بحثوا عني ففيهم مباحثُ

فقطع القاضي على الخصم بشهادة أبي دُلامة وقبض المشهودُ له المال وغرم القاضي المشهود عليه بحرجاً من طلبه .. وقال انما شهد لطبيب عالج ولده من علة به وأمره أن يدعي على من شاء بألف درهم ففعل الطبيب فشهد أبو دلامة وهذا أشبه بنحوه من الاول .

وذكر العتبي ان رجلا من أهل المدينة ادعى حقا على رجل فدعاه الى ابن حطب قاضي المدينة فقال من يشهد بما تقول فقال رنقطه فدنا ولى قال القاضي ماشهادته له إلا كشهادته عليه فلما جاء رُنقطةُ القاضي قال له فداك أبي وأمي أحسنَ والله الشاعر حيث يقول

من الخُطّ-بين الدين وجوههم دنانير مماسيحَ في أرض قيصرا

فأقبل القاضي على الكاتب فقال كبير ورب السماء ماأحسبه يشهد الا بالحق وأجز شهادته .. وخاصم جرير بن الخطفى الحماني الشاعر الى قاضي اليمامة فقال في أبيات رجز بها

أعوذُ بالله العـليِّ الجبار من ظلم حمان وتحويل الدار

فقال الحماني مجيباً له

ما لـكليبٍ من حمىً ولا دار عـيرٌ مقـام أتُنٍ وأعيار

* قُبِّحَ البطونِ داميات الأطهار *

ويروى قيس بظهور دمات لأظفار فقال جرير مقام أتى وأعيارى لا أريد غيره وقد عترف به فعل أقضى هو لجرير وقضى على الجملى بشعره الذى قال .. وكان فرزدق يجلس الى الحسن البصرى فجاءه رجل فقال يا أبا سعيد انا نكون فى هذه البعوث و سيبها فنصيب المرأة من العدو وهى ذات زوج أفتحل لنا من قبل أن يطلقها زوجها فقال الفرزدق قد قلت أنا مثل هذا فى شعرى فقال الحسن وما قلت قال قلت

وذات حليل أنكحتنا رماحنا ... حلالاً لمن يبنى بها لم تطلق

فقال الحسن صدق فحكم ظاهر قوله وما أظن الفرزدق والله أعلم أراد الجهاد فى عدو نحب الشريعة لكن أراد مذهب الجاهلية فى السبايا كأنه يشير الى العزة وشدة البأس .. وقيل ان عمر بن الخطاب كان يتعجب من قول زهير

فإن الحق مقطعه ثلاث ... أداء أو نفار أو جلاء

وسمى زهير قاضي الشعراء بهذا البيت يقول لا يقطع الحق الا الاداء أو النفار وهو الحكومة أو الجلاء وهو العذر الواضح وروى يمين أو نفار وهذه الثلاث على حقيقة هي مقاطع الحق كما قال على أنه جاهلى وقد وكدها الاسلام

باب شجاعات الشعراء وتحريضهم

قال عبد الكريم عرضت قتيلة بنت النضر بن الحارث للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف فستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وقد كان قتل أباها فأنشدته

يا راكباً ان الأثيل مظنة ... من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ به ميتاً بأن قصيدة ... ما ان تزال بها الركائب تخفق
منى اليه وعبرة مسفوحة ... جادت لمائحها وأخرى تخنق
فليسمعن النضر إن ناديته ... أم كيف يسمع ميت لا ينطق
ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه ... لله أرحام هناك تشقق
قسراً يقاد الى المنية متعباً ... رسف المقيد وهو عان موثق

أمحمدُ ها أنت نجل نجيبةٍ من قومها والفحلُ فحلٌ معرقُ

ما كان ضرك لو مننتَ وربما منَّ الفتى وهو المغيظُ المحنقُ

والنضر أقرب من قتلتَ وسيلةً وأحقهم إن كان عتقٌ يعتقُ

فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته .. ولما قتل الحارث بن أبي شمر الغساني المنذر بن ماء السماء وهو المنذر الأكبر وماء السماء أمه أسر جماعة من أصحابه وكان ممن أسر شاس بن عبدة في سبعين رجلا من بني تميم وبلغ ذلك أخاه علقمة بن عبدة الشاعر صاحب امرئ القيس وهو معروف بعلقمة الفحل فقصد الحارث ممتدحاً بقصيدته المشهورة التي أولها

طحا بك قلبٌ بالحسان طروبُ بُعيد الشباب عصرَ حان مشيب

فأنشده إياها حتى اذا بلغ الى قوله

الى الحارث الوهاب أعملت ناقتي لكلكلها والقُصْرَيين وجيبُ

اليك أبيتَ اللعن كان وجيفُها بمشتبهات هولهن مُهيبُ

هداني اليك الفرقدان ولاحبٌ له فوق أعلام المتان علوب

فلا تحرمني نائلاً عن جنابةٍ فإني امرؤ وسطَ القباب غريبُ

وفي كل حي قد خبطتَ بنعمةٍ فحُقَّ لشاسٍ من نداك ذَنوبُ

فقال الحارث نعم وأذنبة وأطلق له شاساً أخاه وجماعة أسرى بني تميم ومن سأل فيه أو عرفه من غيرهم .. وكان لامية بن حرثان ولد اسمه كلاب هاجر الى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه فقال أمية

سأستعدى على الفاروق رباً له عمدَ الحجيجُ الى ساق

إن الفاروق لم يردُدْ كلاباً على شيخين هامهما زَواقي

فكتب عمر الى أبي موسى الاشعري بإشخاص كلاب فما شعر أمية الا به يقرع الباب .. وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والامراء لاسائها وذوي قراباتها فيشفعون شفاعاتهم وينالون الرتب بهم .. ودخل العماني الشاعر وهو أبو العباس محمد

فدخل ... على الرشيد فأنشده أرجوزة يقول فيها

قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسمٌ دون مدى ابن أمه

* فقد رضيناه فقم فسمه *

فقال الرشيد قد رضيت أن أسميه وأنا قاعد حتى أقوم على رجلي فقال له يا أمير المؤمنين ما أردت قيام جسم ولكن قيام عزم فأمر الرشيد بإحضار القاسم ولده وأمر العباسي في تسميته ... فرح ... الرشيد القاسم أما جائزة هذا الشيخ فعليك وقد سألنا أن ... نعهد ... وتمم الطلب للواثق بعد أبيه المعتصم في أن يوليه العهد فقال

وشددت هارون الخلافة بابنه سكنٌ لوحشتها ودار قرارِ

بفتى بني العباس والقمر الذي حفته أنجم يعربٍ ونزارِ

كرم العمومة والخؤولة مجّه سلفا قريش فيه والأنصار

هو نور ... مسكٍ وسعادة وسراجُ ليلٍ فيكمُ ونهارِ

وفتى شباص ... يهتدي ترضى البرية هديه والبارى

يسير في الآفاق سيرة رأفةٍ ويسوسها بسكينة ووقار

ولضيعني مطوم بالدلس لى حفظان رومة فلك دمار

وقد علمت بأن ذلك معصم ما كنتَ تتركهُ بغير سوار

واستعطف مالك بن طوق لقومه بني تغلب وكانوا أفسدوا في عمله الطرقات فحاربوه واستعطفوا أبا تمام فقال في قصيدة مشهورة يخاطب بها مالكا

ورأيتْ قومك والإساءةُ منهمُ جرحى بظفرِ للزمان ونابِ

هم صيروا تلك البروقَ صواعقاً فيهم وذاك العفوَ سوطَ عذاب

وأقل أسامةَ جرمها واصفح لها عنه وهب ما كان للوهاب

رفدوك في يوم الكُلاب وشققوا فيه المزادَ بجحفلٍ كلاّب

وهم بعين أباغ راشوا للوغى سهميك عند الحارث الحرّاب

وليالى الثرثار والحشاك قد جلبوا الجيادَ لواحقَ الأقراب

قمصت كهولهم ودبر أمرهم أحداثهم تدبير غير صواب
لا رقة الحضر اللطيف غذتهم وتباعدوا عن فطنة الأعراب
فاذا كشفتهم وجدت لديهم كرم النفوس وقلة الآداب
لك في رسول الله أعظم إسوة وأحقها في سنة وكتاب
أعطى المؤلفة القلوب رضاهم كرماً ورد أخائذ الأحزاب

وذكر أصحاب الأخبار أن هذه القصيدة وقعت من مالك أحسن موقع فأجزل ثوابه عليها وقبل شفاعته ورد القوم الى رتبهم ومنزلتهم من بعد اليأس المستحكم والعداوة الشديدة .. وكان أبو قابوس الشاعر رجلا نصرانياً من أهل الحيرة منقطعاً الى البرامكة فلما أوقع الرشيد بجعفر صنع أبو قابوس أبياتاً وأنشدها الرشيد يشفع عنده للفضل بن يحيي

أمين الله هب فضل بن يحيي لنفسك أيها الملك الهمام
وما طلبي اليك العفو عنه وقد قعد الوشاة به وقاموا
أرى سبب الرضى عنه قوياً على الله الزيادة والتمام
نذرت علي فيه صيام شهر فان تم الرضي وجب الصيام
وهذا جعفر بالجسر تمحو محاسن وجهه ريح قتام
أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
وما أبصرت قبلك يا بن يحيي حساماً قده السيف الحسام
عقاب خليفة الرحمن فخر لمن بالسيف عاقبه الإمام

وقد اختلط هذا الشعر بشعرين في وزنه ورويه ومعناه أحدهما لأشجع السلمي والآخر لسلمان أخي صريع فالناس فيه مختلفون وهذه صحته .. فانظر الى مخاسرة على مثل هذا الأمر العظيم من الشفاعة والرثاء .. واستعطف أبو الطيب سيف الدولة لبني كلاب وقد أغار عليهم فغنم الاموال وسبى الحريم فأتى بعضهم أبا الطيب يسأله أن يذكرهم له في شعره ويشفع فيهم فقال في قصيدة له مشهورة يخاطبه

ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجاني عتاب

وهم عندك حيث كانوا · اذا تدعو لنائبةٍ أجابوا
وعين المخطئين هم وليسوا · بأول معشر خطئوا فتابوا
ونحن جناتهم عصبت عليهم · وهجر جناتهم لهمُ عقاب
وما جهلت أياديك البوادي · ولكن ربما خفي الصواب
وكم ذنبٍ مولده دلالٌ · وكم بعدٌ مولده اقتراب
وجرمٌ جرّه سفهاء قوم · وحلَّ بغير جارمه العذاب

وهذا من فعل الشعراء قديم مشهور ٠٠ وقد افتخر به البحتري فقال في قصيدة له طويلة

إن أبق[1] أو أهلك فقد نلت التي · ملأت صدور أقاربي وعداتي
وعنت بدمان الخلائف نابهاً · ذكري ونامعةً بهم نشواتي
وشفعت في الامر الجليل اليهم · بعد الجليل فانجحوا طلباتي
وصنعت في العرب الصنائع عندهم · من رفد طُلاّب وفكّ عُناةِ

وكان أبو عزة كثيراً ما يشعر المشركين ويحرض قريشاً على قتال النبي صلى الله عليه وسلم فأسر يوم بدر وجيء به الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكى اليه الفقر والعيال فرق له وخلى سبيله بعد أن عاهده الا يعين عليه بشعر فأمسك عنه مدة ثم عاد الى حاله الأولى فأسر يوم أحد فخاطب النبي صلى الله عليه وسلم بمثل خطابه الأول فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمسح عارضيك بمكة تقول خدعت محمداً مرتين ثم قتله صبراً وقال لا يُلسع المؤمن من جُحر مرتين ٠٠ وقال أوس بن حجر يغري النعمان بن المنذر ببني حنيفة لأن شمر بن عمرو السحيمي قتل المنذر وهو حينئذ مع الحارث بن أبي شمر الغساني وقال بن حي انما قتل ابن النعمان

نبئتُ أنَّ بني حنيفة أدخلوا · أبياتهم تامور نفس المنذر

ويروى أنَّ بني سحيم فغزاهم النعمان وقتل فيهم وسبى وأحرق نخلهم ويقال انما أغرى بهم عمرو بن هند ٠٠ ودخل سَديف بن ميمون على أبي العباس السفاح وعنده سليمان ابن هشام بن عبد الملك وابناه وفي رواية أخرى سليمان بن مروان وولدان له وفي رواية ثالثة ابراهيم بن سليمان بن عبد الملك فأنشده سديف

(١) في ان ابق

لا يغرنك ما ترى من أناس إن بين الضلوع داء دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فقال سليمان قتلتني يا شيخ قاتلك الله ونهض أبو العباس فوضع المنديل في عنق سليمان وقتل من ساعته .. ودخل شبل بن عبد الله على عبد الله بن علي وأنشده قصيدة له يقول فيها محرضاً على بني أمية وعنده منهم ثمانون رجلا

اقصهم أيها الخليفة واقطع عنك بالسيف شأفة الارجاس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحز المواسى
ولقد غاظني وغاظ سوائي قربها من نمارق وكراسى
أنزلوها بحيث أنزلها الله بدار الهوان والاتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أمسى ثاويا بين غربة وتناسى

فلما سمع بذلك تنكر وأمر بهم فقتلوا والقي عليهم البساط وجلس للغداء وان بعضهم يسمع أنينه لم يمت بعد حكى ذلك جماعة من المؤلفين واختلفوا في رواية الشعر وحده فأكثر الروايات موضع البيت الاول

لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وأواس

ويروى –وغراس– وبعضها على ما في النسخة ولا أدري كيف صحة ذلك وعبد الله لم يكن يدعى بالخلافة اللهم الا أن يكون ذلك حين أراد خلع المنصور وأكثر الناس يروي هذه الابيات لسديف بن ميمون يخاطب أبا العباس السفاح غير أن في الرواية الاولى

نعم شبل الهراش مولاك شبل لو نجا من حبائل الافلاس

وهو يشتد ما روى وحكي غيرهم قال دخل العبدي الشاعر على عبد الله بن علي بفلسطين وقد دعي به وعنده من بني أمية اثنان وثمانون رجلا والغمر بن يزيد بن عبد الملك جالس معه على مصلاه قال العبدي فاستنشدني عبد الله بن علي فأنشدته قولي

وقف المتيم في رسوم ديار

وهو مصغ مطرق حتى نهضت الى قولي

بني أمية اني الخلف فهاشم ... وبنو أمية من دعاة النار

وبنو أمية دوحة (١) ملعونة ... ولهاشم في الناس عود نضار

أبني أمية لك عرض فرار والحق ... والجن صاعرة بأرض ونار

وتبرحت امرحن دمنة ... وكذا المقام بذلة وصغار

قال فرفع المعمر رأسه لي وقال يا بن الزانية ما دعاك لي هذا وصرب عبد الله قلنسوة كانت على رأسه الارض وكانت العلامة بينه وبين أهل خراسان فوضعوا عليهم العمد حتى ماتوا وأمر بعمر فضربت عنقه صبراً .. وكان ابن حزم أميراً على المدينة فتحامل على الاحوص الشاعر تحاملا شديداً فتخلص الى الوليد بن عبد الملك فأنشده قصيدة يمتدحه فيها فلما بلغ الى قوله كالذى يشتكى ابن حزم ويظلمه

لا ترثين لحزمى ظفرت به ... يوماً ولو ألقى الحزمى في النار

الناخسين لمروان بذي خشب ... والداخلين على عثمان في الدار

فقال له الوليد صدقت والله لقد غفلنا (٢) عن حزم وآل حزم ثم كتب عهداً لعثمان بن حيان المرى على المدينة وعزل ابن حزم وأمره باستئصال أموالهم واسقاطهم جميعاً من الديوان .. ولما وثب ابراهيم بن المهدى على المأمون اقترض من التجار مالا كثيراً فكان فيه لعبد الملك الزيات عشرة آلاف دينار فلما لم يتم أمره لوى التجار أموالهم فصنع محمد بن عبد الملك قصيدة يخاطب فيها المأمون منها قوله

تذكر أمير المؤمنين قيامه ... بأيامه في الهزل منه وفي الجد

اذا هز أعواد المنابر باسته ... تغنى بليلي أو بعمة أو هند

ووالله ما من توبة نزعت به ... اليك ولا ميل اليك ولا ود

وكيف من قد بايع الناس والتقت ... ببيعته الركبان غوراً الى نجد

ومن صك تسليم الخلافة سمعه ... ينادى بها بين السماطين عن بعد

وأي امرئ سمى بها قط نفسه ... ففارقها حتى يغيب في اللحد

(١) ب دوحة (٢) ب سهلنا

وعرضها علي ابراهيم وهو حينئذ خامل الذكر لم يتعلق بعد بالخدمة تعلقا ينفع فسأله كتمانها واستحلفه علي ذلك وأدي مال أبيه دون سائر التجار ومثل ذلك كثير لو تقصى لطال به الكتاب

باب احتماء القبائل لشعرائها

كانت القبيلة من العرب اذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الاطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون فى الاعراس ويتباشر الرجال والولدان لانه حماية لاعراضهم وذب عن أحسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم .. وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد أو شاعر ينبغ فيهم أو فرس تنتج .. فمن حمي قبيلته زياد الاعجم وذلك ان الفرزدق هم بهجاء عبد القيس فبلغ ذلك زياداً وهو منهم فبعث اليه لا تعجل وأنا مهد اليك هدية فانتظر الفرزدق الهدية فجاءه من عنده

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مُصحاً أراه فى أديم الفرزدق

ولا تركوا عظما يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوا له من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتقي

فانا وما تُهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يُلق فى البحر يَغرق

فلما بلغته الابيات كف عما أراد وقال لا سبيل الي هجاء هؤلاء ما عاش هذا العبد فيهم .. وهجا عبد الله بن الزبعرى السهمي بني قصي فرفعوه برمته الى عتبة بن ربيعة خوفا من هجاء الزبير بن عبد المطلب وكان شاعراً مفلقاً شديد العارضة قذع الهجاء فلما وصل عبد الله اليهم أطلقه حمزة بن عبد المطلب وكساه فقال

لعمرك ماجاءت بنكر عشيرتي ... وان صالحتْ اخوانَها لاألومها

فودّ جُناة الشرّ أن سيوفنا ... بأيماننا مسلولةٌ لا نشيمها

فان قصيا أهلُ مجد وعزّة ... وأهلُ فَعَال لا يُرام قديمها

هُمُ منعوا يومىْ عكاظ نساءنا ... كما منع الشولَ الهجانَ قرومُها

وكى . . . . . . وص . مكه ومه حاس •• قال

بولا محى . . من رجال يأت عزة حتي يموتوا
ـــ مم . . أو ظال م اودك كدمع الحمامة
وسك حقد . حتى ا طعرت ، لمست العميت

•• ههد حال . ي . . عريدق •• . ه قومه يمودونه الى فقال الفرزدق

مـ شدة ولا ة شعري فتد . . هجد . سو كرام
هم قدو عد . . دعو قلائد مثل أطوق الحمام

وهد لاحوص . محمد لاصري رجل من لا نصار قال له ابن بشير وكان مكثراً
فشعري هدية ومقدم عي عرردق مستحيراً به فحدره ثم قال أين أنت من الاحوص
ن محمد فهو هو . شكو فطرق الفردق ساعة ثم قال أليس الذي يقول
الا قف برسم . . ر فستطق برسما فقد هاج أحزاني وذكرني نعمي
قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى ابن بشير أنفس من الهدية الاولى
وقدم بها على جرير فسحدره وحدره ثم قال له ما قال ابن عمك الاحوص بن محمد قال
هو صاحب الذي هجاني قال أليس القائل
تمشي بشتمي في أكاريس مالك تشيد به كالكلب إذ ينبح النجما
قال بلى قال والله لا أهجو شاعراً هذا شعره فاشترى أكثر من الهديتين وأهداها الى
الاحوص وصحبه •• وهذا ومثاله قال جرير لقومه يعاتبهم في قصيدة خاطب فيها أباه
وجده الخطفي ثمة عمهم بنفسه

أي حد محمل سيف بعد ما قطعت القوى من محمل كان باقيا
أي سيف تطعن القرن بعد ما نزعت سناناً من قناتك ماضيا
ألا لا تخافا نبوتي في ملمّة وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
فقد كنت ناراً يصطليها عدوكم وحرزاً لما ألجأتم من ورائيا
وبسط خير فيكم بيمينه وقابض شر عنكما بشماليا

وإني لعف الفقر مشترك الغنى   سريع اذا لم أرض داري انتقاليا
جريء الجنان لا أهاب من الردي   اذا ما جعلت السيف من عن شماليا
وليست لسعيي في العظام بقية   ولا السعي أشوى وقعة من لسانيا

وهذا الباب أكثر من أن نستقصي ورغبتي في الاختصار وانما جئت منه ومن سواه بلمحة تدل على المراد وتبلغ في ذلك حد الاجتهاد

باب في فأل الشعر وطيرته

تفاءل حسان بن ثابت للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح مكة فقال في كلمته المشهورة يخاطب بذلك مشركي أهل مكة ويتوعدهم

عدمنا خيلنا ان لم تروها   تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات   على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات   يلطمهن بالخمر النساء

ورأيت من يستحسن تلطمهن من لطمت الخمرة اذا نفضت عنها الرماد ٠٠فلما كان يوم الفتح أقبل النساء يمسحن وجوه الخيل وينفضن الغبار عنها بخمرهن فقال قائل لله در حسان اذ يقول وأنشد الابيات وروي قوم أن الناس أمروا بالمسير الى كداء تفاؤلاً بهذا البيت ليصح وكان الامر كما قال ٠٠ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفاءل ولا يتطير ويحب الاسم الحسن وقال ثلاثة لا يسلم منهن أحد الطيرة والظن والحسد قيل له فما المخرج منهن يا رسول الله قال اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ ٠٠ ومن مليح ما وقع في التفاؤل ما حكي محمد بن الجراح وذلك أن أبا الشمقمق شخص مع خالد بن يزيد بن مزيد وقد تقلد الموصل فلما مر ببعض الدروب اندق اللواء فاغتم خالد لذلك وتطير منه فقال أبو الشمقمق

ما كان مندق اللواء لطيرة   تخشى ولا سوء يكون معجلا
لكن هذا العود أضعف متنه   صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسير ى س حـ ـ وكـ صـ صحب البريد بحبر ذلك الى المأمون فزاده دينار ر سعةوأعطى حـ ـ ستمئة عشرة آلاف درهم ٠٠ و مي جماعة من الكتاب علي موسى بن عبد الملك فأمر المتوكل بحبسه قبـ ورأيت في النوم قائلا يقول

شر فقد جاءت السعودُ ... أباد أعداءك المبيدُ

ـ تصبرو بمدى أردو ... بل يفعل الله ما يريد

ووقف المتوكل منهم على أمر أوجب اقاعه بهم وأمر باطلاقي واعادني الى أشرف رتبة ولا بد من ذكر ما يتطير منه في ب غير هذا ٠٠ وقال قيس المجنون

قسمه غيري وابلاني بحبها ... فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ثم مات حتى برص ورأى في منامه قائلا يقول له هذا ما تمنيت ٠٠ ويقال ان المؤمل بن أميل ـ قال

شف المؤمل يوم حيرة النظر ... ليت المؤملَ لم يخلق له بصرُ

ـ دت بليلة صحيحاً فأصبح مكفوف البصر ٠٠ وتطير أبوالهول على جعفر بن يحيي البرمكي ٠٠ فقال

أصبحت محتاجاً الى ضرب ... في طلب العرف من الكلب

إذا شكي صب اليه الهوى ... قال له مالي وللصب

عى فتى يطعن في دينا ... يشب معه حتى ب الصلب

فكان من أمر جعفر ما كان ٠٠ وكان ابن الرومي كثير الطيرة ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه ويسمعه حتى أن بعض اخوانه من الأمراء افتقده فاعلم بحاله في الطيرة فبعث اليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به فلم أخذ أهبته للركوب قال للخادم انصرف الى مولاك فأنت ناقص ومنكوس اسمك لا بقا ٠٠ وابن الرومي القائل الفأل لسان الزمان والطيرة عنوان الحدثان وله فيه احتجاجات وشعر كثير

*

باب في منافع الشعر ومضاره

قد أكثر الناس في هذا الأمر ولا بد مع ذلك أن آتي منه بنبذة تقتضيها رسوم الكتاب وحق التأليف وليست بي مطالبة ولا قبلي حجة في ذكر مضاره بعد منافعه أو معها اذ كانت الرغبة في تحسين الحسن ليزيد منه وتقبيح القبيح لينتهي عنه .. وقد فرط في أول الكتاب من قول عائشة رضي الله عنها وقول سواها من الصحابة ومن التابعين رحمة الله عليهم ورضوانه في الشعر ما فيه كفاية من أنه كلام يحسن فيه ما يحسن في الكلام ويقبح فيه ما يقبح من الكلام وبقدر حسنه وقبحه يكون نفعه وضرره والله المتعال .. حكى أبو العباس المبرد أن المأمون سمع منشداً ينشد قول عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير

أأترك ان قلّت دراهم خالدٍ زيارتَهُ اني اذاً للئيم

فقال أو قد قلت دراهم خالد احملوا اليه مائتي ألف درهم فدعي خالد لعمارة فقال هذا مطر من سحابك ودفع اليه عشرين ألفاً . ووجد أبو جعفر المنصور على أحد الكتاب وأمر به ليضرب فقال

ونحن الكاتبونَ وقد أسأنا فهبنا للكرام الكاتبينا

فخلى سبيله اعجاباً ببديهته .. وحمل بعض العمال الى يزيد بن معاوية مالا جليلا فقطع عليه قسيم الغنوي فأخذه وأمر يزيد بطلبه فلما حصل بين يديه قال ماحملك على الخروج علينا وأخذ مال يحمل الينا قال اذنك يا أمير المؤمنين أعزك الله قال ومتى أذنت لك قال حين قلت وأنا أسمعك

إعصِ العواذلَ وارمِ الليلَ عن عرضٍ بذي سبيب يقاسي ليله خببا
كالسيدِ لم يبقِ البيطار سرّته ولم يَدِجه ولم يقطع له لببا
حتى تصادِف مالا أو يقالَ فتى لاقي التي تُشعبُ الفتيانَ فانشعبا

فعصيت عواذلي وأسهرت ليلي وأعملت جوادي فأصبت مالا قال قدسوغنا كه فلا تعد .. وكان جميل بن محفوظ وأبو دهمان من عمال يحيي بن خالد فوفد عليها مرةً أبو

الشمقمق وسمته مروان بن محمد فكرهه أبو دهمان وأساء إليه حملان ٠٠ فقال

رأيت حمير لا يرقد عقوبة   فذلك أبو دهمان أمّ حمل

وتنصر عند ذلك في مثل بين يدي يحيى بن خالد وستعلي حميل على أبي دهمان في حضرة فقال أبو دهمان حفظ الصهر الذي جمعه بيننا أبو الشمقمق فضحك يحيى بن خالد حتى فحص الأرض برجله وترك ذلك الذي تشاجرا فيه ٠٠ وأتى مصعب بن الزبير بأسرى من أصحاب المختار فأمر بقتلهم بين يديه فقام إليه أسير منهم فقال أيها الأمير ما أقبح بك أن أقوم يوم القيامة إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك المليح الذي يستضاء به فأتعلق بك وأقول يا رب سل مصعباً فيم قتلني فاستحيى مصعب وأمر بإطلاقه فقال أيها الأمير اجعل ما وهبت من حياتي في خفض ودعةٍ من العيش قال قد أمرت لك بثلاثين ألف درهم قال قد أشهدك أيها الأمير أن شطر هذا المال لعبد الله بن قيس الرقيات قال ولم ذلك قال لقوله

إنما مصعب شهابٌ من الله تجلّت عن وجهه الظلماءُ

فضحك مصعب وقال فيك ما أمرنا لك به ولابن قيس عند مثله فما شعر عبد الله بن قيس إلا وقد وافاه المال ٠٠ وحكي عن ابن شهاب الزهري قال دعاني يزيد بن عبد الملك وقد مضى شطر الليل فأتيته فزعاً وهو على سطح فقال لا بأس عليك اجلس فجلست واندفعت جاريته حبابة تغني

إذا رمتُ عنها سلوةً قال شافعٌ   من الحبّ ميعاد السلوِ المقابرُ

ستبقى لها في مضمر القلب والحشا   سريرةُ حبٍّ يوم تبلى السرائرُ

قال لمن هذا الشعر فقلت للأحوص قال ما فعل الله به قلت محبوس بدهلك فكتب من ساعته بإطلاقه وأمر له بأربعمائة دينار وقدم إليه فأحسن جائزته ٠٠ وممن ضره الشعر وكلٌّ من عند الله عز وجل وبمشيئته ومقدوره علي بن العباس بن جريج الرومي كان ملازماً لأبي الحسين القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب مخصوصاً به فاتصل ذلك بعبيد الله وسمع هجاءه فقال لولده أبي الحسين أحب أن أرى ابن روميك هذا فجمع بينهما فرأى رجلاً لسانه أطول من عقله فأشار عليه بإبعاده فقال أخافه قال لم أرد إقصاءه

ولكن بيت أبي حية النميري

فقلنا لها في السر نفديك[1] لا يرح صحيحاً وإلاّ تقتلـه فالمنى

حدث أبو القاسم ابن فراس بما كان من أمه وكان ابن فراس من أشد الناس عداوةً لابن الرومي فقال له أنا أكفيكه فسم له لوزينجة فمات وسبب ذلك كثرة هجائه و بذاءته ‥ ودِعبل بن علي الخزاعي كان هجاءً للملوك جسوراً على أمير المؤمنين متحاملا لا يبالي ما صنع حتى عرف بذلك وطار اسمه فيه فصنع على لسانه بكر بن حماد التاهرتي وقيل غيره ممن كان دِعبل يؤذيه و يهاجيه

ملوكُ بني العباسِ في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم كتبُ
كذلك أهلُ الكهف في الكهف سبعةٌ كرامٌ اذا عُدُّوا وثامنهم كلبُ

وقال قوم بل صنعها دعبل نفسه وكان المعتصم يعرف بالثامن و بالمثمن أيضاً فبلغه ذلك فأمر بطلبه ففر منه الى بلد بالسودان ناحية المغرب وهي التي تعرف الآن بزويلة بني الخطاب فمات بها وهنالك قبره والى جانبه قبرعبد الله ابن شيخنا أبي عبد الله محمد بن جعفر النحوي رحمه الله هكذا يروى أصحابنا ‥ وأما شعر البحتري فيشهد بخلاف هذا وذلك أنه رثى دعبلا وأبا تمام حبيباً الطائي فقال في أبيات هجافيها الخثعمي الشاعر

جدَثٌ على الأهواز يبعد دونَه مسرى النعيّ ورُمَّةٌ بالموصلِ

فالذي بالموصل أبو تمام حبيب لاشك لانه مات بها وهو يتولى البريد للحسن بن وهب وكان نعي به كثيراً والآخر دعبل ورأيت من يرويه

شلو باعلى عقر قوفَ تلفه هوج الرياح ورمة بالموصل

والأَول أعرف وأشبه بالصواب ‥ ووالبة بن الحباب ذكر أن الرشيد أوغيره سأل مَن القائل

ولها ولا ذنبَ لها حبٌّ كاطراف الرماح
في القلب يجرحُ دائماً فالقلبُ مكلومُ النواحْ

فقال له بعض من حضر من العلماء ذلك والبة بن الحباب ياأمير المؤمنين وأين تذهب

(١) ن سرا فدساك

عن معرفة بمقدار ما أتت أرق منه شعراً ولا أضب دِرّة ولا أكثر رواية ولا أحرل معرفة . . . تعرف منه لا تشعر قولي وهي

قفت سقيت على حسوة إذن كذا رأيت من راسا

ويم عني وجدت في ساعة في امرئ نكح حلاسيا

يحسب أن سكت لا أملك قل فعست أنوى عرق من شدة الحياء . . ويريد بن أم حكيم الثقفي عهده حجاج حتى درس ما به ودعه فقال له أنشدني وقدّر أنه تمدحه فأنشده

وفي الذي سب من كسرى رابة عده يحمق كاعقب الطائر

فسمع منه منه وقال حجاج ردّه عملك فقال له ورثت أولك مثل هذا فقال له حجاج ذلك فقال الفرزدق الحجاج

وورثت جدي مجده وفعاله وورثتَ جدّك أعنزاً بالطائف

وتمثل هذا السبب عصب سليمان بن عبد الملك على الفرزدق وذلك أنه استنشده يستشده فيه أو في أبيه فأنشده مفتخراً عليه

وركب كأنّ الريح تطلب عندهم لها تِرَةً من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الريح [1] وهي تلفهم الى شعب الاكوار ذات [2] الحقائب

اذا استوضحوا ناراً يقولون ليتها وقد خصرتْ أيديهم نار غالب

فغضب سليمان وكان نصيب حاضراً فأنشده

أقول لركبٍ قافلين رأيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قاربُ

قفوا خبروني عن سليمانَ انني لمعروفه من أهل ودّانَ طالب

فعاجوا فأثنوا بالذي أنتَ أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فقال يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار والحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق مغضباً يقول

وخير الشعرِ أكرمه [3] رجالا وشر الشعرِ ما قال العبيدُ

(١) ... (٢) ... كل ... (٣) ... أشرفه

.. وممن ضره الشعر وأهلكه سديف فانه طعن في دولة بني العباس بقوله لما خرج محمد بن الحسن بالمدينة علي أبي جعفر المنصور في أبيات له

اما لنا أملٌ أن ترتدّ إلفتنا بعد التباعد والشحناء والاحن
وتنقضي دولة أحكامُ قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثن
فانهض ببيعتكم ننهض بطاعتنا ان الخلافة فيكم يا بني الحسن

وكتب المنصور الى عبد الصمد بن علي بأن يدفنه حياً ففعل ويقال ان الابيات لعبد الله ابن مصعب نسبت الى سديف وحملت عليه فقتل بسببها وذلك أشد .. وأحمق الشعراء عندي من أدخل نفسه في هذا الباب أو تعرض له وما للشاعر والتعرض للحروب وإنما هو طالب فضل فلم يضيع رأس ماله لا سيما وإنما هو رأسه وكل شيء محتمل الا الطعن في الدول فان دعت الى ذلك ضرورة محححة فتعصب المرء لمن هو في ملكه وتحت سلطانه أصوب وأعذر له من كل جهة وعلى كل حال لا كما فعل سديف .. وأبو الطيب لما فر ورأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبداً وأنت القائل

الخيل والليل والبيداء تعرفني والطعنُ والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعاً فقتل وكان سبب ذلك هذا البيت .. وكان كافور الاخشيدي قد وعد أبا الطيب بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاظمه في شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال ياقوم من ادعي النبوة مع محمد صلى الله عليه وسلم لا يدعي المملكة مع كافور حسبكم .. وزعم أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم النهشلي أن أبا الطيب انما سمي متنبئاً لفطنته وقال غيره بل قال أنا أول من تنبأ بالشعر وادعي النبوة في بني القصيص والاخبار في هذا النوع كثيرة جداً وانما جئت بأقربها عهداً وأشهرها في كتب المؤلفين مما يليق بالموضع ذكره

باب تعرض الشعراء

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه عالماً بالشعر قليل التعرض لاهله استعداه رهط تميم

قريش ... حتى ... هجتهم وفيهم تفرقى أمرهم في حسان بن ثابت
و ... فرقهم ... حكم ... عمر حكمه على الحاشي كالمقلد من
حدة صدقه ... شعر ... عمر بن عمر رضي الله عنه وجه الحكم
... وقد ... حكمه ... وكذلك صنع في هجو الحطيئة الزبرقان
بن بدر ... ثم قضى على الحطيئة بالحبس وقيل إن سجنه لموافقته إياه وقوله
... فقال لا ... فسجنه في حفرة من الارض
..وقيل أوعدته ... قطع لسانه ... في عامة فقال أنا لا أحكم بين
شعراء لا أحسن فقيل له سبحان الله كيف هذا ... لك فقال ... لم يتبين له هذا
...وقيل ... على شعرهم و ... في العرب سخينة لحساء كانت
تجيء في ... قول

يشمة ما تشدد ... كده ... على سخينة لولا الليل والحرم

فذهب ذلك على أفواه الناس حتى كان من تسارح به ما كان بين معاوية بن أبي
سفيان وبين الأحنف بن قيس التميمي حين قال له ما الشيء الملفف في البجاد فقال له
السخينة يا أمير المؤمنين أراد معاوية قول الشاعر

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجئ بزاد
بخبز أو بلحم (1) أو بتمر ... أو الشيء الملفف في البجاد

... وأراد الأحنف قول ... بن زهير ... ماتشدد البيت.. وحتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكعب بن مالك الانصاري أترى الله نسي قولك يعني

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ... وليغلبن مغالب الغلاب

وسير الشعر على الأفواه هو الذي جعل الأشراف تحذر ممازحة الشاعر خوف لفظة يسمع
منه مزحاً فتعود جداً كما قال ... الخزاعي

لا تعرضن بمزح لامرئ ... ما رضه قلبه أجراه في الشفة
ورب قافية للمزح جارية ... في محفل (2) ...

(1) ... (2) ...

اني اذا قلت بيتاً مات قائلهُ ومن يقال له والبيتُ لم يمت

قال رجل لابن الرومي يمازحه ما أنت والشعر لقد نالت منه حظاً حسنا وأنت من العجم الك عربياً في الأصل أو مدعياً في الشعر قال بل أنت دعيّ اذا كنت تتنسب عربياً لم تحسن من ذلك شيئاً · وله يقول من أبيات

اياكَ يا بنَ نُويبِ أن تستثيرَ نويبُ

قد يحسنُ الرومُ شعراً ما أحسنتهُ العريبُ

هذا مثل قول الصيني الشاعر لبعض الاعراب وقد أنشد عبد الله بن طاهر بحضرته مراً فقال له الاعرابي ممن الرجل فقيل من العجم قال بالعجم والشعر أظن عربياً ى على أمك قال فمن لم يقل منكم الشعر معشر العرب فانا نرى على أمه أعجمي فسكت لاعرابي · وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فقال

وللشعراء ألسنةٌ حدادٌ على العورات موفيةٌ دليله

ومن عقل الكريم اذا اتقاهم وداراهم مداراةً جميله

اذا وضعوا مكاويهم عليه وان كذبوا فليس لهن حيله

الأبيات لأبي الدهقان ··ولأمر ماقال طرفة

رأيت القوافي يتّلجنَ موالجاً تضايَقُ عنها أن تولجها الابر

قال امرؤ القيس وجرح اللسان كجرح اليد ومع ذلك كله فلا ينبغي للشاعر أن يكون رساً شديداً ولا حرجاً عريضاً لما يدل به من طول لسانه وتوقف الناس عن محاشته هذا الفرزدق كان شاعر زمانه ورئيس قومه لم يكن في جملة أظرف منه نادرة ولا أعرب ذحاً ولا أسرع جواباً اجتاز بنسوة وهو على بغلة فغمزها فحققت فضاحكن وكان عربياً قال ما يضحككن وما حملتني أنثى قط الا وفعلت مثل هذا قالت احداهن فاضعت تي حملتك تسعة أشهر فانصرف خجلا ·· ومرّ به رجل فيه لين فقال له من أين نلت عمتنا فقال نفاها الأمير ابن عبد العزيز وكان الفرزدق صب عليه الماء لانه رض له نقول جرير فيه حين نفاه عمر بن عبد العزيز من المدينة

نفاكَ الأغرُّ بن عبد العزيز وحقك تنفي من المسجد

ومن غريب ما يروى ... وكانت ... لا تستحي ... فقال يا ابن أخي أسرك أني

... ذكرى ... ولكن سرقت ... وشتمه حتى عض ريقه .. وزعم

أنه ... وقعت له كثيرة .. ومر الفرزدق بالمتعبي وهو غلام حديث

السن ينشد من شعره فحسده على ما سمعه منه فقال له بعد كلام طويل فيه تعريض

وهو ... أخت ... الفرزدق ... فقال كلا ولكن أبي ورجع إلى

... الفرزدق حكى ذلك ... وعمه ... أراد الفرزدق أنها أن

... فقال الفرزدق ... وقع على أمك .. ومثل

هذا ما عرض للفرزدق مع الحطيئة في الحطيئة قال وقد سمعه ينشد شعراً أعجبه

أنجبت ... ولعل ذلك ... ودعي أنه صحيح فقال

> كان الحطيئة ... مرة ‏ ‏ ‏ والله ... ذاك الخازر
>
> من ... أشعر ... في جميع نزار
>
> لا تعجبن ... ومحمد ‏ ‏ ‏ وأفخر ... كل يوم فخر

وكان يزعم أن الحطيئة ... بنته فرقطة فأعجبته ... فوقع عليها وزوجها أخوها

... الفرزدق وقدمها ... فولدت الفرزدق على فراشه .. واحتذى هذا الحذو

... مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة فقال يهجو

... بن جهم ...

> عمرك ... بن ... الشعر ‏ ‏ ‏ وهل على ... يصنع الشعرا
>
> ولكن أبي قد كان جاراً لأمه ‏ ‏ ‏ فلما تعاطى الشعر أوهمني أمرا

والشاعر أولى من كف ... ولو ... من القدرة على الكلام

والعفو من القادر أحسن ... ومن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل

إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب

أليم ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور

باب التكسب بالشعر والانفة منه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها كم[1] عن قيل وقال وعن كثرة السؤال واضاعة المال وعقوق الامهات ووأد البنات ومنع وهات ٠٠ وكانت العرب لا تتكسب بالشعر وانما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهة أومكافأة عن يد لا يستطيع على أداء حقها الا بالشكر اعظاماً لها كما قال امرؤ القيس بن حجر يمدح بني تيم رهط المعلى

أقر حشا امرئ القيس بن حُجْر بنو تيم مصابيحُ الظلام

لأن المعلى أحسن اليه وأجاره حين طلبه المنذر بن ماء السماء لقتله بني أبيه الذين قتل بدير مرينا فقيل لبني تيم مصابيح الظلام من ذلك اليوم لبيت امرئ القيس ٠٠ وقال أيضاً لسعد بن الضباب

سأجزيك الذي دافعتَ عني وما يجزيك عني غيرُ شكري

فأخبره أن شكره هو الغاية في مجازاته كما قدمت حتى نشأ النابغة الذبياني فمدح الملوك وقبل الصلة على الشعر وخضع للنعمان بن المنذر وكان قادراً على الامتناع منه عن حوله من عشيرته أو من سار اليه من ملوك غسان فسقطت منزلته وتكسب مالا جسيما حتى كان أكله وشربه في صحاف الذهب والفضة وأوانيه[2] من عطاء الملوك وتكسب زهير ابن أبي سُلمى بالشعر يسيراً مع هرم بن سنان فلما جاء الأعشى جعل الشعر متجراً يتجر به نحو البلدان وقصد حتى ملك العجم فأثابه وأجزل عطيته علماً بقدر مايقول عند العرب واقتداءً بهم فيه على أن شعره لم يحسن عنده حين فسر له بل استهجنه واستخف به لكن احتذى فعل الملوك ملوك العرب ٠٠ وأكثر العلماء يقولون انه أول مَن سأل بشعره وقد علمنا أن النابغة أسنُّ منه وأقدم شعراً وقد ذكر عنه من التكسب بالشعر مع النعمان بن المنذر مع ما فيه قبح من مخاتلة الحاجب ودس الندماء على ذكره بين يديه وماأشبه ذلك وذكر أن أبا عمرو بن العلاء سئل لم خضع النابغة للنعمان فقال رغب في عطائه وعصافيره وأما زهير فما بلغه الطائي قط معرفة باحتذاء من يمدحه ويدلك على ذلك ماقاله عمر بن

(١) ن ان الله نهاكم (٢) ن وآوانيها

[illegible] بعثت حتى هرم بن سنان التي [illegible]
[illegible] الدهر وقال عمر رضى
[illegible] فكم زهير وأنشده فقال بعد كل
[illegible] عليه فحزن قال عمر [illegible] أعطيتموه
[illegible] الشعر ويحفظ الهمة والأخلاف
حتى مقت [illegible] وعدم المسؤل

لا [illegible] المكرمات يقتدى

[illegible] وأما أكثر من [illegible] على
[illegible] الشعر [illegible] فى أيدى [illegible] لا يزري
قدره [illegible] قال عمر رضى الله عنه [illegible]
[illegible] من شعر [illegible] ألا ترى أن لبيد بن ربيعة لما
[illegible] اليه [illegible] وقد أسن وأقل
[illegible] لأحد [illegible]
[illegible] الشعر فقالت هذه الأبيات

[illegible] دعونا عند هبها الوليدا
[illegible] أعان على مروءته لبيدا
[illegible] من بني حام قعودا
[illegible] خيراً نحرناها وأطعمنا الثريدا
فعد إن الكريم [illegible] وظنى بابن أروى أن يعودا

وعرضتها عليه فقال قد أحسنت لولا أنك استعدت كراهية فى قولها

* فعد إن الكريم [illegible] * وقالوا كان الشاعر فى مبتدأ
الأمر أرفع منزلة من الخطيب [illegible] الى الشعر فى تخليد المآثر وشدة العارضة وحماية
العشيرة [illegible] شاعر [illegible] فلا يقدم عليهم خوفاً من شاعرهم على
نفسه وقبيلته [illegible] الأعراض وتناولوها صارت الخطابة

فوقه وعلى هذا المنهاج كانوا حتى فتنت فيهم الصراحة وتطلعوا الى اموال الناس وخشعوا واطمأنت بهم دار الذلة الا من وقر نفسه ووقارها وعرف لها مقدارها حتى قص بقي العرض مصون الوجه مالم يكن به اضطرار يحل به الميتة فأما من وجد البلغة والكفاف فلا وجه لسؤاله بالشعر ٠٠ فقد حكي عن ابن ميادة أنه مدح أبا جعفر المنصور بكلمته التي يقول فيها

فوجـدت حين لقيت أيمن طائر ووليت حين وليت بالاصلاح
وعفوت عن كسر الجناح ولم يكن لطير ناهضة بغير جناح
قوم اذا جلب الثنـاء اليهـم بيع الثناء هنـاك بالارباح

وأتاه راعي الله بلبن فشرب ثم مسح على بطنه وقال عزم على الرحلة فقال سبحان الله أأفد على أمير المؤمنين وهذه الشربة تكفيني وصرف وجهه عن قصده فلم يفد عليه هذا على أنه ساقة الشعراء فأنت ترى كبر نفسه وبعد همته على أن عبد الله بن عمر على جلالته والحسن البصري وعكرمة ومالك بن أنس المدني وجلة من أهل العلم غير هؤلاء كانوا يقبلون صلات الملوك ٠٠ وقد سئل عثمان بن عفان رضي الله عنه عن مال السلطان فقال لحم ظبي ذكي ٠٠ والشعراء في قبولها مال الملوك أعذر من المتورعين وأصحاب الفتيا لما جرت به العادة قبل الاسلام وعلى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده الى أيام المنصور الذي أنف ابن ميادة أن يفد عليه وهكذا يروى عن جميل ابن عبد الله بن معمر أنه ما مدح أحداً قط الا ذويه وقراباته وأنه صحب الوليد بن عبد الملك في سفر فكلمه أن يرجز به وظن أنه يمدحه فأنشأ يقول

انا جميـل في السنام من معد في الذروة العلياء والركن الاشد

فقال له الوليد اركب لاحملت ٠٠ وزعم محمد بن سلام الجمحي أنه مدح عبد العزيز بن مروان بقوله في شعره

أبا مروان أنت فتى قريش وكهلهـم اذا عـد الكهول
توليـه العشـيرة ما عناها فلا ضيق الذراع ولا بخيـل

كلا ومنه معروف طائق   وكل بلائه حسن جميل

وعمر بن عبد الله بن أبي ربيعة مخزومي وكان تشبه به من المولدين العباس بن الاحنف و ... عن مدح شرفاً وقيل فيه مصعب ابن الزبيري العباس عمر العراق يريد أنه لاهل العراق كعمر بن أبي ربيعة لاهل الحجاز استرسالا في الكلام وأنفة عن المدح و ... وشهر بذلك فلم يكن يكتفه بيد أحد من الملوك ولا الوزراء وقد أخذ صلة الرشيد وغيره على حسن التغزل ولطف المقصد في التشبيب بالنساء .. وهذا باب قد احتذاه كثير في زمن هذا لا التمثيل وقوم من شعراء وقتنا أنا ذاكرهم في كتاب غير هذا إن شاء الله .. وعلى كل حال فمن الاحد من الملوك كافعل النابغة ومن الرؤساء الجلة كما فعل زهير بسهل وحصف .. وأما الحطيئة فقبح الله همته الساقطة على جلالة شعره وشرف بيته وقد كانت الشعراء ترى الاخذ ممن دون الملوك عارا فصلا عن العامة وأطراف الناس .. قال ذو الرمة يهجو مروان بن أبي حفصة بذلك ويفتخر عليه بأنه لا يقبل الا صلة الملك الاعظم وحده هكذا رواه عبد الكريم وأنشده ابن عبد ربه أيضاً

عطايا أمير المؤمنين ولم تكن   مقسمةً من هؤلا وأولائكا

وما نلت حتى شبت الا عطية   تقوم بها مصرورة في ردائكا

وأنشد له أو لغيره

وما كان مالي من تراث ورثته   ولا ديةٍ كانت ولا كسب مأثمِ

ولكن عطاء الله من كل رحلة   الى كل محجوب السرادق خضرم

قال صاحب الكتاب [1] والذي أعرف أن سلم بن عمرو الخاسر كتب الى مروان بن أبي حفصة

من مبلغ مروان عني رسالة   مغلغلة لا تنثني عن لمائكا

حبابي أمير المؤمنين بنفحة   ثمانين ألفاً طأطأت من حبائكا

ثمانين ألفاً نلت من صلب ماله   ولم تك قسما من أولى وأولائكا

(١) بن أبو علي

فأجابه مروان عن ذلك فقال

أسلمَ بن عمرو قد تعاطيت خطةً تقصّر عنها بعد طول عنائكا
وإنى لسباق اذا الخيل كلفت مدى مائة أو غايةً فوق ذلكا
فدع سابقاً ان عاودتك عجاجة سنابكه أو هبن منك سنابكا
رأيتَ امرأً نال السها فحسدته فلم يبق الا أن تموت بدائكا
طلبتَ من المهدى شطر حبائه فقال لك المهدىُّ لست هنالكا
فما أعولتْ أم على ابن ولا بكي على يوسف يعقوبُ مثلَ بكائكا
عصصت على كميكَ حتى كأنما رزئت الذى أعطيت من صلب مالكا
حسبتُ بأوقار البغال وانما سرابُ الضحى ماتدعى من حبائكا
وما نلتَ حتى شدتَ الاعطية تقوم بها مصرورة فى ردائكا
وما عدتَ من قسم الملوك لشاعر به حص عفواً من أولى وأولائكا
وأقسم لولا ابن الربيع ورفدُهُ لما ابتلّت الدلو التي فى رشائكا

ومن قول مروان أيضاً

ولقد حبيتُ بألف ألف لم تكن الاَّ بكف خليفة ووزير
مازلت آنف أن أؤلف مدحة الاَّ لصاحب منبر وسرير
ما ضرني حسدُ اللئام ولم يزل ذوالفضل يحسده ذوو التقصير

وقال آخر فيما يناسب هذا ويتناكله ويشد على يد من تمذهب به أو اعتقده

واذا لم يكن من الذل بدٌّ فالق بالذل ان لقيت الكبارا

وافتخر بشار بن برد .. فقال

وانى لنهّاض اليدين الى العلا قروعٌ لأبواب الهمام المتوح

ويروى ـ وانى لسوار اليدين ـ أى مرتفع

باب تنقل الشعر في القبائل

ذكر أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي في كتاب الطبقات وغيره من العلماء أن الشعر كان في الجاهلية في ربيعة فكان منهم مهلهل بن ربيعة واسمه عدي وهو خال امرئ القيس وإنما سمي مهلهلاً لهلهلة شعره أي رقته وخفته وقيل لاختلافه وقيل بل سمي بذلك لقوله

لما توغل في الكراع هجينهم هلهلت أثأر جابراً أو صنبلا

ويروى هجينهم وعنى بالكراع هجينهم . قال أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري عنى بقوله هجينهم امرأ القيس بن حمام الذي ذكره امرؤ القيس في شعره حيث يقول

عوجا على الطلل المحيل لعلنا نبكي الديار كما بكى ابن حمام

وكان مهلهل تبعه يوم كلاب ففاته ابن حمام بعد أن تناوله مهلهل بالرمح وقد كان ابن حمام أغار على بني تغلب مع زهير بن جناب فقتل جابراً وصنبلا ويروى لابن خذام وهي لغة في زعم بعض اللغويين والذي كنت أعرف أنهما اثنان وبين وكذلك أعرف ابن حذام بالذال معجمة كذا روى الجاحظ وغيره ويروى خذام بالخاء والذال معجمتين وكان مهلهل أول من قصد القصائد .. قال الفرزدق بن غالب

* ومهلهل الشعراء ذاك الأول *

وهو خال امرئ القيس بن حجر الكندي الشاعر وجد عمرو بن كلثوم الشاعر أبو أمه .. ومنهم المرقشان والأكبر منهما عم الأصغر والأصغر عم طرفة بن العبد واسم الأكبر عوف بن سعد وعمرو بن قميئة ابن أخيه ويقال انه أخوه واسم الأصغر عمرو بن حرملة وقيل ربيعة بن سفيان وهذا أعرف .. ومنهم سعد بن مالك الذي يقول

يا بؤس للحرب التي وضعت أراهط فاستراحوا

ولا أدري هل هو أبو عمرو بن قميئة الشاعر والمرقش الأكبر أم لا .. وطرفة بن العبد وعمرو بن قميئة والحارث بن حلزة والمتلمس وهو خال طرفة واسمه جرير بن عبد المسيح والأعشى واسمه ميمون بن قيس بن جندل وخاله المسيب بن علس واسم المسيب زهير

.. ثم تحول الشعر في قيس فمنهم النابغتان وزهير بن أبي سلمى وابنه كعب لأنهم ينسبون في عبد الله بن غطفان واسم أبي سلمى ربيعة .. ولبيد والحطيئة والشماخ واسمه معقل بن ضرار وأخوه مزرد واسمه جزء بن ضرار وقيل بل اسمه يزيد وجزء أخوهما وكان المزرد شريراً يهجو ضيوفه وهجى قومه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

تعلم رسولَ الله أنّا كأننا ... أفأنا بأنمار ثعالب ذي غسل

تعلم رسولَ الله لم أر مثلهم ... أجرّ على الادنى وأحرم للفضل

ومنهم خداش بن زهير .. ثم استقر الشعر في تميم ومنهم كان أوس بن حجر شاعر مضر في الجاهلية لم يتقدمه أحد منهم حتى نشأ النابغة وزهير فأخملاه وبقي شاعر تميم في الجاهلية غير مدافع .. وكان الاصمعي يقول أوس أشعر من زهير ولكن النابغة طأطأ منه وكان زهير راويه أوس وكان أوس زوج أم زهير وسئل حسان بن ثابت رضي الله عنه من اشعر الناس فقال أرجلا أم حياً قيل بل حياً قال أشعر الناس حياً هذيل قال ابن سلام الجمحي وأشعر هذيل أبو ذؤيب غير مدافع .. وحكى الجمحي قال أخبرني عمر بن معاذ المعمري قال في التوراة مكتوب أبو ذؤيب مؤلف زورا وكان اسمَ الشاعر بالسريانية فأخبرت بذلك بعض أصحاب العربية وهو كثير بن اسحق فأعجب منه وقال قد بلغني ذلك .. وقال الاصمعي قال أبو عمرو بن العلاء أفصح الشعراء لساناً وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث وهي الجبال المطلة على تهامة مما يلي اليمن فأولها هذيل وهي تلي السهل من تهامة ثم بجيلة السراة الوسطى وقد شركتهم ثقيف في ناحية منها ثم سراة الازد أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الازد .. وقال أبو عمرو أيضاً أفصح الناس عليا تميم وسفلى قيس وقال أبو زيد أفصح الناس سافلة العالية وعالية السافلة يعني عجز هوازن قال ولست أقول قالت العرب الا ما سمعت منهم والا لم أقل قالت العرب .. وأهل العالية أهل المدينة ومَن حولها ومَن يليها ودنى منها ولغتهم ليست بتلك عنده .. وقوم يرون تقدمة الشعر لليمن في الجاهلية بامرئ القيس وفي الاسلام بحسان بن ثابت وفي المولدين بالحسن بن هانيء وأصحابه مسلم بن الوليد وأبي الشيص ودعبل وكلهم من اليمن وفي الطبقة التي تليهم بالطائيين حبيب والبحتري ويحتمون

شعر أبي طالب وهو جمة شعر لا محالة وكان ينسب في كندة وهي رواية صحيفة : وبنو كندة بالكوفة فيه حكي بن حي ولا وكان بعض النسب فيقولون في شعر كندة يعنون امرأ القيس وختم بكندة يعنون أبا الطيب ‥ وزعم بعض المتأخرين أنه جعفي وقوم منهم الصاحب بن عباد يقولون بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنون امرأ القيس وأبا فراس الحارث بن سعيد بن حمدان وقال آخرون بل رجع الشعر الى ربيعة لأنهم كما بدئ بهم يريدون مهلهلا وأبا فراس ‥ وأشعر أهل المدر باجماع من الناس وتفوق حسان بن ثابت ‥ وقال أبو عمرو بن العلاء ختم الشعر بذي الرمة والرجز برؤبة بن العجاج وزعم يونس أن العجاج أشعر أهل الرجز والقصيد وقال انما هو كلام فأخذوهم كلاماً أشعرهم والعجاج ليس في شعره شيء يستطيع أحد أن يقول لو كان في مكانه غيره لكان أجود وذكر أنه صنع أرجوزته ـ قد جبر الدين الاله فجبر ـ وهيا نحو مائتي بيت وهي موقوفة مقيدة قال ولو أطلقت قوافيها وساعد فيها الوزن لكانت منصوبة كلها ‥ وقال أبو عبيدة انما كان الشاعر يقول من الرجز البيتين والثلاثة ونحو ذلك اذا حارب أو شاتم أو فخر حتى كان العجاج أول من أطاله وقصّده ونسب فيه وذكر الديار واستوقف الركاب عليها ووصف ما فيها وبكي على الشباب ووصف الراحلة كما فعلت الشعراء بالقصيد فكان في الرجّاز كامرىء القيس في الشعراء ‥ وقال غيره أول من طول الرجز الأغلب العجلي وهو قديم وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز ولا أظن ذلك صحيحاً لانه انما كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك ‥ وكان أبو عبيدة يقول افتتح الشعر بامريء القيس وختم بابن هرمة ولم أر أنقد من الذي قال أشعر الناس من أنت في شعره ‥ وأنشد مروان بن أبي حفصة يوماً جماعة من الشعراء وهو يقول في واحد بعد واحد هذا أشعر الناس فلما كثر ذلك عليه قال الناس أشعر الناس

باب في القدماء والمحدثين

كل قديم من الشعراء فهو محدث في زمانه بالاضافة الى من كان قبله وكان أبو عمرو

ابن العلاء يقول لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته يعني بذلك شعر جرير والفرزدق فجعله مولداً بالاضافة الى شعر الجاهلية والمخضرمين وكان لا يعد الشعر الا ما كان للمتقدمين .. قال الاصمعي جلست اليه ثماني[1] حجج فما سمعته يحتج ببيت اسلامي .. وسئل عن المولدين فقال ما كان من حسن فقد سبقوا اليه وما كان من قبيح فهو من عندهم ليس النمط واحدا ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع .. هذا مذهب أبي عمرو وأصحابه كالأصمعي وابن الاعرابي أعني أن كل واحد منهم يذهب في أهل عصره هذا المذهب ويقدم من قبلهم وليس ذلك الشيء الا لحاجتهم في الشعر الى الشاهد وقلة ثقتهم بما يأتي به المولدون ثم صارت لجاجة .. فأما ابن قتيبة فقال لم يقصر الله الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص قوماً دون قوم بل جعل الله ذلك مشتركا مقسوماً بين عباده في كل دهر وجعل كل قديم حديثاً في عصره .. ومما يؤيد كلام ابن قتيبة كلام علي رضي الله عنه لولا أن الكلام يعاد لنفد فليس أحدنا أحق بالكلام من أحد وانما السبق والشرف معاً في المعنى على شرائط نأتي بها فيما بعد من الكتاب ان شاء الله .. وقول عنترة ـ هل غادر الشعراء من متردم ـ يدل على انه يعد نفسه محدثاً قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئاً وقد أتى في هذه القصيدة بما لم يسبقه اليه متقدم ولا نازعه اياه متأخر .. وعلى هذا القياس يحمل قول أبي تمام وكان اماماً في هذه الصناعة غير مدافع

يقولُ مَن تقرع اسماعَه كم تركَ الأولُ للآخر

فنقض قولهم ما ترك الأول للآخر شيئاً وقال في مكان آخر فزاده بياناً وكشفاً للمراد

فلو كان يفنى الشعرُ أفناه ماقرت حياضُك منه في العصورِ الذواهبِ

ولكنه صوبُ العقول اذا انجلت سحائبُ منه أعقبتْ بسحائبِ

وانما مثل القدماء والمحدثين كمثل رجلين ابتدأ هذا بناءً فأحكمه وأتقنه ثم أتى الآخر فنقشه وزينه فالكلفة ظاهرة على هذا وان حسن والقدرة ظاهرة على ذلك وان خشن .. وسمعت القاضي أبا الفضل جعفر بن احمد النحوي وقد سئل عن ذي الرمة وأبي تمام

(١) ن عشر حجج

وأدب يجوز أن يقرب بعده من هذا الحفظ .. وقال أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع وقد ذكر شعر المولدين إنما روى عذوبة ألفاظهم ورقتها وحلاوة معانيها وقرب مأخذها [illegible] المتقدمين في غلبة الغريب على أشعارهم ووصف المهامه والقفار وذكر الوحوش والحشرات إنما رويت لأن المتقدمين أولى بهذه المعاني ولا سيما مع زهد الناس في الأدب في هذا العصر وما قاربه وإنما تكتب أشعارهم لقربها من الأفهام وأن الخواص في معرفتها كالعوام فقد صار صاحبها بمنزلة صاحب الصوت المطرب يستميل أمة من الناس إلى استماعه وإن جهل الألحان وكسر الأوزان .. وقائل الشعر الوحشي بمنزلة صاحب الحذق بالنغم غير المطرب الصوت يعرض عنه إلا من عرف فضل صنعته على أنه إذا وقف على فضل صنعته لم يصلح لمجالس اللذات وإنما يحمل معلماً للمطربات من المغنيات يقومن بحذقه ويستمع منهن دون حلقه ليسلمن من الخطأ في صناعتهن ويطرب من يحسن أصواتهن .. وهذا التمثيل الذي مثله ابن وكيع من أحسن ما وقع لأن أوله من قول أبي نواس

صفة الطلول بلاغة القدم ... فاجعل صفاتك لابنة الكرم
لا تخدعن عن التي جعلت ... سقم الصحيح وصحة السقم
تصف الطلول على السماع بها ... أفذو العيان كأنت في الحكم
وإذا وصفت الشيء متبعاً ... لم تخل من غلط ومن وهم

ولم أر في هذا النوع أحسن من فصل أتى به عبد الكريم بن إبراهيم فإنه قال قد تختلف المقامات والأزمنة والبلاد فيحسن في وقت ما لا يحسن في آخر ويستحسن عند أهل بلد ما لا يستحسن عند أهل غيره ونجد الشعراء الحذاق تقابل كل زمان بما استجد فيه وكثر استعماله عند أهله بعد أن لا تخرج من حسن الاستواء وحد الاعتدال وجودة الصنعة وربما استعملت في بلد ألفاظ لا تستعمل كثيراً في غيره كاستعمال أهل البصرة بعض كلام أهل فارس في أشعارهم ونوادر حكاياتهم قال والذي أختاره أنا التجويد والتحسين الذي يختاره علماء الناس بالشعر ويبقى غابره على الدهر ويبعد عن الوحشي المستكره ويرتفع عن المولد[1] المنتحل ويتضمن المثل السائر والتشبيه المصيب والاستعارة

(١) ب مؤنث

الحسنة •• قال صاحب الكتاب وأنا أرجو ان أكون باختيار هذا الفصل واتباعه فيها داخلا في جملة المميز ان شاء الله فليس من أبي بلفظ محصور يعرفه طائفة من الناس دون طائفة لا يخرج من بلده ولا يتصرف من مكانه كالذي لفظه سائر في كل أرض معروف بكل مكان وليس الجواد والرقة أن يكون الكلام رقيقاً سفسافاً ولا بارداً غثاً كما ليست الجزالة والفصاحة أن يكون حوشياً خشناً ولا اعرابياً جافاً ولكن حال بين حالين •• ولم يتقدم امرؤ القيس والنابغة والأعشى الا بحلاوة الكلام وطلاوته مع البعد من السخف والركاكة على أنهم لو أغربوا لكان ذلك محمولا عنهم اذ هو طبع من طباعهم فالمولد المحدث على هذا اذا صح كان لصاحبه الفضل البين بحسن الاتباع ومعرفة الصواب مع ما أنه أرق حوكاً وأحسن ديباجة

باب المشاهير من الشعراء

والشعراء أكثر من أن يحاط بهم عدداً ومنهم مشاهير قد طارت أسماؤهم وسار شعرهم وكثر ذكرهم حتى غلبوا على سائر من كان في أزمانهم ولكل أحد منهم طائفة تفضله وتتعصب له وقل ما يجتمع على واحد الا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في امرئ القيس أنه أشعر الشعراء وقائدهم الى النار يعني شعراء الجاهلية والمشركين •• قال دعبل ابن علي الخزاعي ولا يقود قوماً الا أميرهم •• وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس ابن المطلب رحمه الله وقد سأله عن الشعراء امرؤ القيس سابقهم خسف لهم عين الشعر فافتقر عن معان عور أصح بصر •• قال عبد الكريم ـ خسف لهم ـ من الخسيف وهي البئر التي حفرت في حجارة فخرج منها ماء كثير وجمعها خسف وقوله ـ افتقر ـ أي فتح وهو من الفقير وهو فم القناة وقوله ـ عن معان عور ـ يعني أن امرأ القيس من اليمن وأن اليمن ليست لهم فصاحة نزار فجعل لهم معان عوراً فتح منها امرؤ القيس أصح بصر •• قال وامرؤ القيس يماني النسب نزاري الدار والمنشأ وفضله علي رضي الله عنه بأن قال رأيته أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة وانه لم يقل لرغبة ولا لرهبة •• وقد قال العلماء بالشعر ان امرأ القيس لم

معدم شعراً لا ... يقوو ... سق ... متحسم الشعراء و ...
... لا ... قل ... من ... على الطول ووصف ... والها
و ... وشبه ... معى وفرق ... من قصيد وقرب
... لاستعرة ... وروى الجمحي أن سالا
... ... من قال ... يقول ، دأقل حين قول

وقوم ... و لاتقين ، كأن العقاب

و... دعبل فقدمه قوله في وصف عقاب

ويثمر من هو ... خوطة ... ولا ... لدى في الأرض مطلوب

وهذا ... أشعر ... العرب .. وسئل لبيد من أشعر الناس قال الملك الضليل
قيل ثم من قال ... اقتيل قيل ثم من قال الشيخ أبو عقيل يعنى نفسه .. وكان
الحذاق يقولون فحول في الجاهلية ثلاثة وفي الاسلام ثلاثة متشابهون زهير والفرزدق
والنابغة والأخطل والأعشى وجرير .. وكان خلف الأحمر يقول الاعشى أجمعهم ..
وقال أبو عمرو بن العلاء مثله مثل ... صرب كبير الطير وصغيره .. وكان أبو
الخطاب الاخفش يقدمه جداً لا يقدم عليه احداً .. وحكي الاصمعي عن ابن أبي طرفة
كفاك من الشعراء أربعة زهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وعنترة
اذا كلب وزاد قوم وجرير اذا غضب .. وقيل لكثير أو لنصيب من أشعر العرب
فقال امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا شرب
..وكان أبو بكر رضي الله عنه يقدم النابغة ويقول هو أحسنهم شعراً وأعذبهم بحراً وأبعدهم
قعراً .. وسئل الفرزدق مرة من أشعر العرب فقال بشر بن أبي خازم قيل له بماذا
قال بقوله

ثوى في ملحد لا بد منه ... كفى بالموت نأياً واغترابا

ثم سئل جرير فقال بشر بن أبي خازم قيل بماذا قال بقوله

رهين بلى وكل فتى سيبلى ... فشقي الجيب وانتحبي انتحابا

فاتفقا على بشر بن أبي خازم كما ترى ..وقال محمد بن أبي الخطاب في كتابه الموسوم

جمهرة أشعار العرب أن أبا عبيدة قال أصحاب السبع التي تسمى السمط امرؤ القيس وزهير والنابغة والاعشى ولبيد وعمرو بن كلثوم وطرفة .. قال وقال المفضل من زعم أن في السبع التي تسمى السمط لاحد غير هؤلاء فقد أبطل .. فأسقط من أصحاب المعلقات عنترة والحارث بن حلزة وأثبت الاعشى والنابغة .. وكانت المعلقات تسمى المذهبات وذلك لأنها اختيرت من سائر الشعر فكتبت في القباطي بماء الذهب وعلقت على الكعبة فلذلك يقال مذهبة فلان اذا كانت أجود شعره ذكر ذلك غير واحد من العلماء وقيل بل كان الملك اذا استجيدت قصيدة الشاعر يقول علقوا لنا هذه لتكون في خزانته .. وقال الجمحي في كتابه سأل عكرمة بن جرير أباه جريراً من أشعر الناس قال أعن الجاهلية تسألني أم الاسلام قال ما أردت الا الاسلام فاذا ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها قال زهير شاعرهم قال قلت فالاسلام قال الفرزدق نبعة الشعر في يده قلت فالأخطل قال يجيد مدح الملوك ويصيب صفة الخمر قلت فما تركت لنفسك قال دعني فاني نحرت الشعر نحراً .. وكتب الحجاج بن يوسف الى قتيبة بن مسلم يسأله عن أشعر الشعراء في الجاهلية وأشعر شعراء وقته فقال أشعر شعراء الجاهلية امرؤ القيس وأضربهم مثلا طرفة وأما شعراء الوقت فالفرزدق أفخرهم وجرير أهجاهم والأخطل أوصفهم .. وأما الحطيئة فسئل عن أشعر الناس فقال أبو دؤاد حيث يقول

لا أعدُّ الإقتارَ عُدْماً ولكن ... فقدُ مَن قد رزئته الاعدام

وهو وان كان فحلا قديماً وكان امرؤ القيس يتوكأ عليه ويروي شعره فلم يقل فيه أحد من النقاد مقالة الحطيئة .. وسأله ابن عباس مرة أخرى فقال الذي يقول

ومن يجعلِ المعروفَ من دونِ عرضه ... يفرْه ومن لا يتقِ الشتمَ يُشتمِ

وليس الذي يقول

ولستَ بمستبقٍ أخاً لا تلمه ... على شعَثٍ أيُّ الرجال المهذب

يعني النابغة ولكن الضراعة أفسدته كما أفسدت جرولا والله لولا الجشع لكنت أشعر الماضين وأما الباقون فلا شك أني أشعرهم قال ابن عباس كذلك أنت يا أبا مليكة .. وزعم ابن أبي الخطاب أن أبا عمرو كان يقول أشعر الناس أربعة امرؤ القيس والنابغة وطرفة

.. وقال ... وقال ... سئل ... فقال ... الناس أشعر الناس وقال جرير ... أشعر ... وقال الأخطل الأعشى أشعر الناس وقال ابن أحمد زهير أشعر الناس ... أشعر ... وقال الكميت عمرو بن كلثوم أشعر الناس وهذا يدلك على اختلاف الأهواء ... وكان ابن أبي إسحق وهو عالم ناقد ومتقدم مشهور يقول أشعر الجاهلية مرقش وأشعر الإسلاميين كثير وهذا غلو مفرط غير أنهم مجمعون على أنه أول من أطال المدح .. وسأل عبد الملك بن مروان الأخطل من أشعر الناس فقال العبد العجلاني يعني تميم بن مقبل قال بم ذاك قال وجدته في بطحاء الشعر والشعراء على الحرفين قال أعرف ذلك له كرهاً .. وقيل لنصيب مرة من أشعر العرب فقال أخو تميم يعني علقمة بن أبي عبدة وقيل أوس بن حجر وليس لأحد من الشعراء بعد امرىء القيس ما لزهير والنابغة والأعشى في النفوس .. والذي أتت به الرواية عن يونس بن حبيب النحوي أن علماء البصرة كانوا يقدمون امرأ القيس وإن أهل الكوفة كانوا يقدمون الأعشى وإن أهل الحجاز والبادية كانوا يقدمون زهيراً والنابغة وكان أهل البادية لا يعدلون بالنابغة أحداً كما أن أهل الحجاز لا يعدلون بزهير أحداً .. وروي ابن سلام يرفعه عن عبد الله بن عباس أنه قال قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنشدني لأشعر شعرائكم قلت من هو يا أمير المؤمنين قال زهير قلت ولم كان كذلك قال كان لا يعاظل بين الكلام ولا يتبع حوشيه ولا يمدح الرجل الا بما فيه ثم قال ابن سلام على عقب هذا الكلام قال أهل النظر كان زهير أحصفهم شعراً وأبعدهم من سخف وأجمعهم لكثير من المعاني في قليل من المنطق وأشدهم مبالغة في المدح .. قال صاحب الكتاب وإذا قولي آخر كلام عمر آخر هذا الكلام تناقض قول المؤلف أعني ابن سلام لأن عمر ... وصفه بالحذق في صناعته والصدق في منطقه لأنه لا يحسن في صنعة الشعر أن يعطى الرجل فوق حقه من المدح لئلا يخرج الأمر الى النقص والازراء كما حدث ذلك على أبي الطيب وغيره آنفاً وقد فسد الوقت ومات أرباب الصناعة فما طلبت والدين ناس والزمن زمان وسيرد عليك في مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله وقد يستحسن عمر الصدق لذاته وما فيه من مكارم الاخلاق والمبالغة بخلاف ما وصف ويشهد قول عمر رضي الله عنه في زهير أنه لا يمدح الرجل الا بما فيه استحساناً لصدقه

ما جاء به الأثر أن رجلا قال لزهير إني سمعتك تقول لهرم

ولأنت أشجعُ من أسامةَ إذ دعيت نزال ولج في الذّعر

وأنت لا تكذب في شعرك فكيف جعلته أشجع من الأسد فقال إني رأيته فتح مدينة وحده وما رأيت أسداً فتحها قط .. فقد خرج لنفسه طريقاً الى الصدق وعدل عن المبالغة .. والذي أعرف انا أن البيت المتقدم ذكره لأوس بن حجر والحكاية عنه ومثلها عن عمران بن حطان الخارجي لما سألته امرأتهُ كيف قلت

فهناك مجزأة بن ثور كان أشجعَ من أسامه

وصدر بيت زهير بن أبي سلمى

ولنعم حشوُ الدرع أنتَ إذا دعيت نزالِ ولج في الذُّعر

الا أن تكون الأخرى رواية فلا أبعدها لأن زهيراً كان يتوكأ على أوس في كثير من شعره وهي رواية الجمحي لا أظن غير ذلك وأما بيت زهير في هذا المعنى فهو

ولانتَ أشجعُ حين تتجه الـ أبطالُ من ليث أبي أجرِ

.. وأما النابغة فقال من يحتج له كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة ومدحاً وهجاءً وفخراً وصفة .. وقال بعض متقدمي العلماء الأعشى أشعر الأربعة قيل له فأين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للأعشى ما قلت وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والأعشى الأمير ..وقالت طائفة من المتعقبين الشعراء ثلاثة جاهلي واسلامي ومولد فالجاهلي امرؤ القيس والاسلامي ذو الرمة والمولد ابن المعتز .. وهذا قول من يفضل البديع بخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر .. وطائفة أخرى تقول بل الثلاثة الأعشى والأخطل وأبو نواس وهذا مذهب أصحاب الخمر وما ناسبها ومن يقول بالتصرف وقلة التكلف .. وقال قوم بل الثلاثة مهلهل وابن أبي ربيعة وعباس بن الأحنف وهذا قول من يؤثر الأنفة وسهولة الكلام والقدرة علي الصنعة والتجويد في فن واحد ولولا ذلك لكان شبيح الطبع أبو العتاهية مكان عباس لكن أبا العتاهية تصرف .. وليس في المولدين أشهر اسماً من

حـ ... بن حبيب و بحتري ويقرب منهم أخلاف ... جماعة شعراء كلهم
... لا ... ... رومي و بن معتز ... بن معتز حتى ... كالحسن
... ... في ... هؤلاء الملاءة لا يكاد ... أحد من
... ... ولا ... قسم وحدود ولولا
... ... حيص بيص ... مصر ... وكلثوم العتابي وأبي يعقوب
... ... رومي ... هؤلاء كلهم طبقة في ... شهرهم وشعرهم ...
... عصر على حسن ... حظ وغيره من ... ومن
صفة ... من ... ولا ... لاعرابي وقل ... بالماء
... وحدة ... كمة ومتحركة حكة ... وأسد الحميري ... الخاسر وأبو
... شرح ... فيهم ... ومن طبقة أبي نواس العباس بن
الأحنف ومسلم بن الوليد صريع الغواني ... وأبان اللاحقي وأبو الشيص
وحسين بن الضحاك الخليع ودعبل ... هؤلاء ... ودعبل ليس فيهم نظير أبي
نواس وطبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي طبقة متداركة قد تلاحقوا
... حتى ... معهم طبقة من أدرك أبا نواس كان المعدل وهو من
... ... وصدورهم المعدودين ... حبيب ذكراً وشهاراً وكان ... أدرك
... من ... البحتري ... وكذلك ... والحجاز يقول أبو نواس

أسقني ... من ... من سلاف الرحوان

وذلك ... وهو شاعر ... يذكر مع أبي ... لا ... وهو أقدم منه وقد كان أبو
تمام أخذ عنه ... من شعره يحتذي عليه ... ودعبل ما أصاب مع أبي تمام طريقا
إلى تقدمه في السن والشهرة ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز الا من
ذكر ... في ... وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر الا أبو فراس
وحده ولولا مكانه من السلطان لأخره وكان الصنوبري والخبزرزي مقدمين عليه للسن
ثم سقط عنه على أن الصنوبري يسمى حينا الأصغر لجودة شعره ... مرة بالمصيصة
أو غيرها فقال له ... أنت صاحب ... يريد قصدته

شر ... في بغدادين على تلك الميادين

لما فيها من المجون والخلاعة فقال له الصنوبري أنت صاحب الطرطبة يريد قصيدته

ما أنصف القومُ ضبه وأمــه الطرطبــه

لما فيها من اللين والركاكة ولكل كلام وجه وتأويل ومن النمس عداً وحده وقيل بل قال له أنت صاحب حاحا قال نعم قال أنت شاعر بذلك يريد قوله في صفة الوعل

ذاكَ أم أعْصَمٌ كأن مذْرَياهُ حينَ عاجا على القذَالِين حاجا

باب المقلين من الشعراء والمعلَّبين

ولما كان المشاهير من الشعراء كما قدمت أكثر من أن يحصوا ذكرت من المقلين وأصحاب الواحدة من وسع ذكره في هذا الموضع ونبهت على بعض المعلبين منهم لما تدعو اليه حاجة التأليف وتقتضيه عادة التصنيف غير مفرّط ولا مفرط ان شاء الله ٠٠ فمن المقلين في الشعر طرفة بن العبد وعَبيد بن الأبرص وعلقمة بن عبدة الفحل وعدي ابن زيد ٠٠ وطرفة افضل الناس واحدة عند العلماء وهي المعلقة * لخولة اطلال ببرقة ثهمد * وله سواها يسير لانه قتل صغيراً حول العشرين فيما روي وأصح ما في ذلك قول اخته ترثيه

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاها استوى سيداً ضخما

فجعنا به لمــا رجونا ايابه على خير حالٍ لاوليداً ولاقحما

انشده المبرد ــ والقحم ــ المتناهي في السن ٠٠ وعبيد بن الأبرص قليل الشعر في ايدي الناس على قدم ذكره وعظم شهرته وطول عمره ويقال انه عاش ثلاثمائة سنة وكذلك أبو دؤاد وعبيد الذي أجاب امرأ القيس عن قوله حين قتلت بنو أسد أباه حجراً

وافلتهن علباءُ جريضا ولوأدركنه صفر الوطابُ

فقال له عبيد وقرعه بقسم من شعره

ولوأدركت علباءَ بن قيس قنعت من الغنيمةِ بالايابِ

لأن امرأ القيس قد كان قال

وقد صوّتت في لآذان حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

وقال عمرو بن هند .. وعلقمة بن عبدة حاكم امرئ القيس في شعره في مرة فحكمت عليه بعلقمة فطلقها وتزوجها علقمة فسمي الفحل ثم وقيل بل كان في قومه آخر سمي علقمة الخصي من ربيعة الجوع .. ولعلقمة الفحل ثلاثة قصائد مشهورات أحدها

* ذهبت من الهجران في كل مذهب *

وروي — في غير مذهب — وفي هذه القصيدة وقع الحكم له على امرىء القيس .. والثانية قوله

* طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ *

والثالثة قوله * هل ما علمتَ وما استودعتَ مكتوم *

وأما عدي بن زيد فقرابه من ريف وسكنه الحيرة في حجر النعمان بن المنذر لأنت بعضه يحمل عليه كثير ولا هو مقل ومشهوراته أربع قوله

* أروحٌ مـــودع أم بكورُ *

وقوله * أتعرف رسمَ الدار من أم معبد *

وقوله * ليس شيء عـلى المنـون بباقي *

وقوله لم أر مثلَ الفتيان في غِيَرِ الـــأيام ينسون ما عواقبها

وقال بعض العلماء أحسبه أبا عمرو عدي في الشعراء مثل سهيل في النجوم يعارضها ولا يجري معها هؤلاء شعرهم كثيرة في ذاتها قليلة في أيدي الناس ذهبت بذهاب الرواة الذين يحملونها .. ومن المقلين المحكمين سلامة بن جندل وحصين بن الحمام المري والمتلمس والمسيب بن علس كل أشعارهم قليل في ذاته جيد الجملة .. ويروى عن أبي عبيدة أنه قال اتفقوا على أن أشعر المقلين في الجاهلية ثلاثة المتلمس والمسيب بن علس وحصين ابن الحمام المري وأما أصحاب الواحدة فطرفة أولهم عند الجمحي وهو الحكم الصواب ومنهم عنترة والحرث بن حلزة وعمرو بن كلثوم من أصحاب المعلقات المشهورات وعمرو ابن معدي كرب صاحب * أمن رَيحانة الداعي السميعُ *

والاشعر بن حمدان الجعفي صاحب المقصورة

* هل بان قلبك من سليمى فاشتفى *

وسهيل بن أبي كاهل صاحب

* بسطت رابعة الحبل لنا *

والاسود بن يعفر صاحب

* نام الخلي فما أحس رقادي *

وله شعر كثير الا أنه لا ينتهي الى قصيدته هذه •• وكان امرؤ القيس مقلا كثير المعاني والتصرف لا يصح له الا نيف وعشرون شعراً بين طويل وقطعة ولا ترى شاعراً يكاد يفلت من حبائله وهذه زيادة في فضله وتقدمه •• وأما المغلبون فمنهم نابغة بني جعدة ومعنى المغلب الذي لا يزال مغلوباً •• قال امرؤ القيس

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

يعني أنه اذا فخر لم يبق فاذا قالوا غلب فلان فهو الغالب •• وقد غلب على الجعدي أوس بن مغراء القريعي وغلبت عليه ليلى الأخيلية قال الجمحي وقد غلب عليه من لم يكن اليه في الشعر ولا قريباً منه عقال بن خويلد العقيلي وكان مفحماً عليه بكلام لا بشعر وهجاه سوار بن أوفى القشيري وهاجاه وفاخره الأخطل وله يقول عبيد بن حصين الراعي يتوعده

فاني زعيم أن أقول قصيدة مبينة كالنقب بين المخارم
خبيئة اعجاز المطي ثقيلة على قومها نزالة بالمواسم

وقد علم الكافة ما صنع جرير بالاخطل والراعي جميعاً وقيل ان موت الجعدي كان بسبب ليلى الاخيلية فر من بين يديها فمات في الطريق مسافراً والاصح انها هي التي ماتت في طلبه •• قال الجمحي كان النابغة الجعدي أقدم من الذبياني لانه أدرك المنذر ابن محرق و يشهد بذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الفتى ومن عادة المحزون أن يتذكرا
ندامای عند المنذر بن محرّق فأصبح منهم ظاهر الأرض مقفرا

والذبياني إنما أدرك النعمان •• وقال غيره ان النابغة الذبياني شفع عند الحارث بن أبي

شم ... مسلي حين قتل ... ندا في ... سرى في ... سد فتتمعه وإياه عنى علقمة بن عبدة بقوله

وفي كل حي قد خبطت بنعمة ... فحق لشاس من نداك ذنوب

قال حمحي وكان الجعدي مختلف الشعر سئل عنه الفرزدق فقال مثله مثل صاحب الخلقان يري عنده ثوب عصب وثوب خز وإلى جنبه شملة كساء وكان الأصمعي يمدحه بهذا ويسميه في قبة تشكعب فيقول عنده خمار بواف ومطرف بآلاف — يعني بدرهم وثلث .. ومن المغلبين لم يرتق عنه عمرو بن لأهتم وعلبه المخبل السعدي وعلبه الحطيئة وقد غلب لاثنين ولم يجب الحطيئة .. وقال يونس بن حبيب كان البعيث مغلباً في الشعر غلاباً في الخطب .. ومنهم تميم بن أبي مقبل هجاه النجاشي فقهره وغلب عليه حتى استعدى قومه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم يكن من اشكاله في الشعر فيقرن به وهجى النجاشي عبد الرحمن بن حسان فغلبه عبد الرحمن وأفحمه .. وحدثنا أبو عبد الله محمد بن جعفر قال هجي الأعور بن براء بني كعب ومدح قومه بني كلاب فأتت بنو كعب تميم بن أبي مقبل ينتصرون عليه به فقال لا أهجوهم ولكني أقول ... فقد جاءكم الشعر وقال

ولست وإن شاحنت بعض عشيرتي ... لاذكر ما الكهل الكلابي ذاكر

فكم لي من أم لعبت بثديها ... كلابية عادت عليها الأواصر

فأتت الأعور بن براء بنو كعب فسعوه ورجعوا عليه فقال

ولست بشاتم كعباً ولكن ... على كعب وشاعرها السلام

ولست بشاتم قوماً بقوم ... هم الأنف المقدم والسنام

وكائن في المعاشر من قبيل ... أخوهم فوقهم وهم كرام

منسلما وكان سبب ذلك اعصاء ابن مقبل واعطاؤه المقادة هرباً من الهجاء وقوم يرون ذلك منه أنفة .. ومن مغلبي المولدين على جلالته وتقدمه بشار بن برد فإن حماد عجرد وليس من رجاله ولا أكفائه هجاه فأنكاه ومثل به أشد تمثيل .. وعلي بن الجهم هاجا أبا السمط مروان بن أبي الجنوب فغلبه مروان وهاجاه البحتري فغلب عليه أيضاً على أن علياً أقذع منه لساناً وأسبق الى ما يريده من ذلك وأقدم سناً .. ومنهم حبيب هاجا السراج وعتبة

فما أبى بشيء وهجاه ابن المعذّل حين أراد وجهته فقال أماهذا فقد كفي ناحيته ولم يقدم عليه على أن حبيباً أطول منه ذكراً وأبعد صوتاً في الشعر والذي قال له

أنتَ بين اثنتين تبرز للنا ... س لكلتيهما بوجه مذال

لستَ تنفكّ طالباً لوصال ... من حبيب أو راغباً في نوال

أيّ ماء لحر وجهك يبقي ... بين ذلِّ الهوى وذلِّ السؤال

ورأيت في شعر ابن المعذل في رواية المبرد أن عبد الصمد اجتمع بحبيب عند بعض بني هاشم فكتب في رقعة هذه الابيات المذكورة وألقاها اليه وهاجى دعبلا فاستطال عليه دعبل أيضاً

باب من رغب من الشعراء عن ملاحاة غير الأكفاء

منهم الزبرقان بن بدر لما هجاه المخبل السعدي جاوبه بعتاب لانه رآه أهلا لذلك من أجل شرف بيته وجلالته في نفسه فلما هجاه الحطيئة لم يره مكاناً للجواب على أنه ابن عمه وجاره في النسب لانهما جميعاً من مضر بل استعدى عليه عمر رضي الله عنه فأنصفه .. وسُحيم بن وُثيل يقول للأحوص والابيرد ابني المعذر وهما شاعران مغلقان وقال عبدالكريم الابيرد بن ابي الاحوص

عذرتُ البزلَ إن هي خاطرتني ... فما بالي وبال ابنى لبون

فأنت ترى هذا الاحتقار .. ومثل هذا وان لم يكن من هذا الباب بحتاً قول الفرزدق لعمر بن لجأ لما أعانه الفرزدق على جرير بشعر وفطن له جرير فدهش عمر ولم يجد جواباً فقال الفرزدق حين بلغه ذلك يستضعفه ويستوهن عزمه

وما أنتَ إن قوما تميمٍ تساميا ... أخا التيم الا كالوشيظة في العظم

فلو كنت مولي العزّ أو في ظلاله ... ظلمتَ ولكن لا يدى لك بالظلم

والفرزدق قال فيه الطرماح من شعر هجا فيه بيوت بني سعد

وإن قصيدة أزريت فيها تشهدت ... تنوط الخطيئة بين الكسر والصدد
وكن في سب شعر وشتمه ... شعر به فدال الشعر من صدد
حدت به صفة من شعره صغرى ... سقت إلى شعر واد شقّ سيبه بلد

... من دق بهم وبين أمره ويستحقره

... حطّ مهجوف لارتفعه ... أمهات عيلت دونه القصب

عيلت دونه القصب — أي رفعت عنه القصب من قولهم علت الفرنصة أي ارتفعت وقصب قصبة لانها تقتصب .. وجرير هجاه بشار بن برد بأشعار كثيرة فلم يجبه وبشار ونه هجاه لاغنته ولكن ليحمي فأكون من طبقته ولو هجاني لكنت أشعر الناس .. وهجا حماد عجرد بشاراً فأجابه أنفة واحتقاراً الى أن قال فيه

يا مقاة عميان وأنت صغيرة ... الى الاير من تحت الثياب تشير
على وده أن الحمير تنيكه ... وأن جميع العالمين حمير

فعضب وهجاه .. قال الجاحظ ماكان ينبغي لبشار أن يصاد حماد عجرد من جهة الشعر لان حماداً في الحضيض وبشاراً في العيوق وليس مولد قروي يعد شعره في المحدث الا وبشار أشعر منه ولا نعلم مولداً بعد بشار أشعر من أبي نواس .. وهجا ابن الرومي البحتري وابن الرومي من علمت وأهدى اليه تحت متاع وكيس دراهم وكتب اليه يعرّفه أن الهدية ليست تقية منه ولكن رقة عليه وانه لم يحمله على ما فعل الا الفقر والحسد المفرط

شاعر لا أهابه ... حتى كلابه ... أن من لا أعزه ... لعزيز جوانبه

وأبو تمام هجاه دعبل وغيره من الأكفاء فجاوبهم وابتدأ بعضهم ولم يلتفت الى مخلد بن بكار الموصلي حين قال فيه وكانت في حبيب حبسة شديدة اذا تكلم

يا نبيّ الله في الشعر ويا عيسى بن مريم
أنت من أشعر خلق الله ما لم تتكلم

وقال فيه أشعاراً كثيرة منها

أنظر اليه والى حشوه ... كيف تطايا وهو منشور

ويحك من دلاّك في نسبة · قلبك منها الدهرَ مذعورُ
ان ذكرت طاءٌ على فرسخ · أظلم في ناظرك النور

بل رآه دون المهاجاة والجواب ولو هجاه لشرفت حاله وانتبه ذكره .. وكذلك فعل المتنبي حين بلي بحماقات ابن حجاج البغدادي سكت عنه اطراحاً واحتقاراً ولو أجابه لما كان هو بحيث هو من الانفة والكبر لانه ليس من أنداده ولا من طبقته .. ولما وصل أبو القاسم بن هانئ الى افريقية هجاه الشعراء فقال لا أجيب منهم أحداً الا ان يهجوني عليّ التونسي فاني أجيبه فلما بلغ قوله علياً قال أما اني لو كنت ألأم الناس ما هجوته بعد أن شرفني على أصحابي وجعلني من بينهم كفءاً له .. ومن الشعراء من يتربا بالكبر ويظهر الانفة في الجواب عن هجاء من هو مثله أو فوقه خوفاً من الزّراية على نفسه مما وقع فيه كجماعة أعرفهم من أهل عصرنا وهم يتسرّعون الى أعراض السوقة والساعة ويستفحلون على الصبيان ومَنْ ليس من أهل الصناعة ولو كانت لهم أنفة كما يزعمون الا عن الاكفاء لكانوا عمن لا يحسن شيئاً بالجملة ولا يعدُّ في الخاصة أشد تنزها

ومنهم من لا يهجو كفءاً ولا غيره لما في الهجو من سوء الاثر وقبح السمعة كالذي يحكي عن العجاج أنه قيل له لم لا تهجو فقال ولم أهجو ان لنا أحساباً تمنعنا من أن نُظلَمَ وأحلاماً تمنعنا من أن نَظلمَ وهل رأيتم بانياً لا يحسن أن يهدم ثم قال أتعلمون اني أحسن أن أمدح قالوا نعم قال أفلا أُحسن أن أجعل مكان أصلحك الله قبحك الله ومكان حياك الله أخزاك الله وقد رد ابن قتيبة هذا القول على العجاج بأن الهجاءَ أيضاً بناء وليس كل بان لضرب بانياً لغيره .. ورده الجاحظ أن من الشعراء من لا يجيد فناً من الشعر وان أجاد فيما غيره كما يوجد ذلك في كل صناعة .. ومعنى الجاحظ وابن قتيبة واحد وان اختلف اللفظان والصواب ما قالا الا أن يعرف من الشاعر أنه عن قدرة لا تُدفع وبعد تجربة لا تُستراب فحينئذ .. وسئل نُصيب عن مثل ذلك فقال انما الناس أحد ثلاثة رجل لم أعرض لسؤاله فما وجه ذمه ورجل سألته فأعطاني فالمدح أولى به من الهجاء ورجل سألته فحرمني فأنا بالهجاء أولى منه وهذا كلام عاقل منصف لو أخذ به الشعراءُ أنفسهم لاستراحوا واستراح الناس .. وقد كان في زماننا من انتحل هذا المذهب وهو أبو محمد عبد الكريم بن ابراهيم لم يهج أحداً قط .. ومن أناشيده في

كقوله مشهور غيره من شعره:

وبتُّ مع الركب قرى أهل منزلٍ ... على ردِّهم أبكي وأُبكي البواكيا

فمنهم كرامٌ موسرون أتيتهم ... فحسبيَ من ذو عندهم ما كفانيا

ومنهم كرامٌ معسرونَ عذرتهم ... وأما لئامٌ فادّخرتُ حيائيا

فهذا من كلام نصيب في المنثور الذي تقدم وإنما ذكرت هؤلاء لأنهم يمدحون ولا يرغبون في الهجاء ومنهم من لا يمدح وأحرى أن لا يهجو أحداً على أن منهم من لم يقل قط لا هجواً ولا تشبيهاً كيحيى بن نوفل ذكره دعبل في طبقاته ونجد له من أهل عصرنا نظراء عدة

باب في الشعراء والشعر

طبقات الشعراء أربع جاهلي قديم ومخضرم وهو الذي أدرك الجاهلية والاسلام واسلامي ومحدَث ثم صار المحدَثون طبقات أُولى وثانية على التدريج وهكذا في الهبوط الى وقتنا هذا فليعلم المتأخر مقدار ما بقي له من الشعر فيتصفح مقدار من قبله لينظر كم بين المخضرم والجاهلي وبين الاسلامي والمخضرم وان المحدث الاول فضلا عمن دونه دونهم في المنزلة على أنه أغمض مسلكا وأرَقّ حاشية فاذا رأى أنه ساقة الساقة تحفظ على نفسه وعلم من أين يؤتي ولم تغرُرْه حلاوة لفظه ولا رشاقة معناه ففي الجاهلية والاسلام من ذهب بكل حلاوة ورشاقة وسبق الى كل طلاوة ولباقة .. قال أبو الحسن الأخفش يقال ماء خِضرِمٌ اذا تناهي في الكثرة والسعة فمنه سمي الرجل الذي شهد الجاهلية والاسلام مُخضرَماً كأنه استوفى الأمرين قال ويقال أُذُنٌ مُخضرَمة اذا كانت مقطوعة فكأنه انقطع عن الجاهلية الى الاسلام .. وحكى ابن قتيبة عن عبد الرحمن عن عمه قال أسلم قوم في الجاهلية على ابل قطعوا آذانها فسمي كل من أدرك الجاهلية والاسلام مخضرَماً وزعم أنه لا يكون مخضرماً حتي يكون اسلامه بعد وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وقد أدركه كبيراً ولم يُسلمْ وهذا عندي خطأ لأن النابغة الجعدي ولبيداً قد وقع

عليهما هذا الاسم .. وأما علي بن الحسين كُرَاعٌ فقد حكى شاعر مخضرَم بخاء غير معجمة مأخوذ من الخضرمة وهي الخلط لأنه خالط الجاهلية بالاسلام .. وأنشد بعض العلماء ولم يَذْكر قائله

الشعراءُ فاعلمنَّ أربعه وشاعرٌ لايُرتجي لمنفعه

وشاعرٌ ينشدُ وَسط المجمعه وشاعر آخر لايجرى معه

وشاعرٌ يقـــالُ خمرٌ فى دعه

وهكذا رويتها عن أبى محمد عبد العزيز بن أبى سهل رحمه الله وبعض الناس يرويها على خلاف هذا وقد قيل لا يزال المرء مستوراً وفي مندوحة ما لم يصنع شعراً أو يؤلف كتاباً لأن شعره برهان علمه وتأليفه عنوان عقله .. وقال الجاحظ من صنع شعراً أو وضع كتابا فقد استهدف فان أحسن فقد استعطف وان أساء فقد استقذف .. قال حسان وما أدرك شاهو

وانَّ أشعرَ بيتٍ أنت قائله بيتٌ يقال اذا أنشدته صدقا

وانما الشعرُ لب المرء يَعرِضه على المجالس ان كَيساً وإن حمقا

.. وقال محمد بن مناذر وكان اماماً

لاتقلْ شعراً ولا تَهممْ به واذا ما قلتَ شعراً فأجد

..وقال شيطان الشعراء دعبل بن علي

سأقضي ببيت يَحمدُ الناسُ أمره ويَكثر من أهل الرّوايات حاملهْ

يموتُ رديءُ الشعر من قبل أهله وجيـــده يبقى وان مات قائله

وقالوا الشعراء أربعة شاعر خِنذيذ وهو الذى يجمع الى جودة شعره رواية الجيـد من شعر غيره وسئل رؤبة عن الفحولة قال هم الرواة .. وشاعر مفلق وهو الذي لا رواية له الاَّ أنه مجوِّد كالخنذيذ فى شعره .. وشاعر فقط وهو فوق الرديء بدرجة .. وشُعرُورٌ وهو لا شيء .. قال بعض الشعراء لآخر هجاه

يارابع الشعراء كيف هجوتنى وزعمتَ أنى مُفحَمٌ لا أنطقُ

وقيل إن هو شاعر ... وشاعر فقط وشويعر وشعرور والمفلق هو الذي يأتي في شعره بالفلق وهو العجب وقيل الفلق الداهية .. وقال الأصمعي والشويعر مثل محمد بن حمران بن أبي حمران سماه بذلك امرؤ القيس ومثل عبد العزى المعروف بالشويعر وهو الذي يقول

وتلك بناتي وأدركت بؤرتي ... فقد ... كل عصب

وهو عند بعض الناس ... رواه بعضهم معجمة وبعضهم غير معجمة .. قال الجاحظ والشويعر اسمه ... من بني سعد بن ليث وقيل اسمه ربيعة بن عثمان وهو القائل

وقد أتوني بي صعيلا ... صحيح حماري من أثر السلاح

وقال ... شاعر وشويعر وشعرور .. وقال العبدي في شاعر يدعى المفوف من بني ضبة ثم من بني حميس

ألا تنهى سراة بني حميس ... شويعرها فويلية الأفاعي

سماه شويعراً وفويلية الأفاعي دويبة فوق الخنفساء فصغرها أيضاً تحقيراً له .. وزعم الحاتمي أن النابغة سئل من أشعر الناس فقال من استجيد جيده وأضحك رديه وهذا كلام مستحيل مثله عن النابغة لأنه إذا أضحك رديه كان من سفلة الشعراء إلا أن يكون ذلك في الهجاء خاصة .. وقال الحطيئة

الشعر صعب وطويل سلمه ... والشعر لا يستطيعه من يظلمه

إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه ... زلت به إلى الحضيض قدمه

يريد أن يعربه فيعجمه

وإنما سمي الشاعر شاعراً لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه أو استظراف لفظ وابتداعه أو زيادة فيما أجحف فيه غيره من المعاني أو نقص مما أطاله سواه من الألفاظ أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن وليس بفضل عندي مع التقصير

ولقي رجل آخر فقال له إن الشعراء ثلاثة شاعر وشويعر وماصّ بظر أمه فأيهم أنت قال أما أنا فشويعر وخصمي أنت وامرؤ القيس في الباقي .. وقال بعضهم الشعراء شعران جيد

محكك ورديء مضحك ولا شيء أثقل من الشعر الوسط والغناء الوسط وقد قال ابن الرومي يهجو ابن طيفور

عدمتك يا بن أبي الطاهر ... وأطعمت ثكلك من شاعر

فما أنتَ سخنٌ ولا بارد ... وما بينَ ذين سوى الفاتر

وأنت كذاك تعني الهوى ... منَ بعثية الفـاتر الحـائر

وقد يجوز أن يكون النابغة أشار فيما حكي عنه الجاحظ من الرديء المضحك الى هذا النحو ..وقيل عمل الشعر على الحاذق به أشد من نقل الصخر ويقال ان الشعر كالبحر أهون ما يكون على الجاهل أهول ما يكون على العالم وأتعب أصحابه قلباً من عرفه حق معرفته وأهل صناعة الشعر أبصر به من العلماء بآلته من نحو وغريب ومثل وخبر وما أشبه ذلك ولو كانوا دونهم بدرجات وكيف وان قاربوهم أو كانوا منهم بسبب ..وقد كان أبو عمرو ابن العلاء وأصحابه لا يجرون مع خلف الأحمر في حلبة هذه الصناعة أعني النقد ولا يشقون له غباراً لنفاذه فيها وحذقه بها وإجادته لها وقد يميز الشعر من لا يقوله كالبزاز يميز من الثياب ما لم ينسجه والصيرفي يخبر من الدنانير ما لم يسبكه ولا ضربه حتى انه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته ..وحكى ان رجلا قال لخلف الأحمر ما أبالي اذا سمعت شعراً استحسنته ما قلتَ أنتَ وأصحابك فيه فقال له اذا أخذت درهما تستحسنه وقال لك الصيرفي انه رديء هل ينفعك استحسانك إياه.. وقيل للمفضل الضبي لم لا تقول الشعر وأنت أعلم الناس به قال علمي به هو الذي يمنعني من قوله ..وأنشد

وقد يقرض الشعرَ البكي لسانه ... وتعيي القوافي المرء وهو لبيب

والشعر مزلة العقول وذلك ان أحداً ما صنعه قط فكتمه ولو كان رديئاً وانما ذلك لسروره به وإكباره إياه وهذه زيادة في فضل الشعر وتنبيه على قدره وحسن موقعه من كل نفس .. وقال الاصمعي على تقدمه في الرواية وميزه بالشعر

أبى الشعر الا أن يفيء رديه ... عليّ ويأبى منه ما كان محكما

فياليتني اذ لم أُجد حوكَ وشيه ... ولم أكُ من فرسانه كنت مفحما

وقال عبد الكريم : الشعر أصناف فشعر هو خير كله وذلك ما كان في باب الزهد والمواعظ الحسنة والمثل العائد على من تمثل به بالخير وما أشبه ذلك . وشعر هو ظرف كله وذلك القول في الأوصاف والنعوت والتشبيه وما يفتن به من المعاني والآداب . وشعر هو شر كله وذلك الهجاء وما تسرع به الشاعر الى أعراض الناس . وشعر يتكسب به وذلك أن يحمل الى كل سوق ما ينفق فيها ويخاطب كل انسان من حيث هو ويأتي اليه من جهة فهمه . وذكر الجمحي في الشعراء المقحم واستشهد قال والمقحم الذي يقتحم سنا فوق أخرى وليس بالبازل ولا المستحكم وأنشد لأوس بن حجر

وقد رام بحري قبل ذلك طامياً ... من الشعراء كل عود ومقحم

قال وقال قوم هو الحر وأنشد لأوس بن مغراء

ترى الشعراء من صميم ومقحم ... ومدوهم بن ثنا كأس ترتمي

قال غيره الثنيان الذي يلي الرئيس بل هو دونه وأنشدوا لنابغة بني ذبيان يخاطب يزيد بن الصعق

يصد الشاعر الثنيان عني ... صدودَ البكر عن قرم هجان

قال الجمحي وللشعر صنعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات منها ما تثقفه العين ومنها ما تثقفه الأذن ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان من ذلك اللؤلؤ والياقوت لا تعرف بصفة ولا وزن دون المعاينة ممن يبصره ومن ذلك الجهبذة بالدينار والدرهم لا تعرف جودتهما بلون ولا مسّ ولا طراوة ولا دنس ولا صفة ويعرفه الناقد عند المعاينة فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يردّ كل صنف منها الى بلده الذي خرج منه وكذلك بصر الرقيق فتوصف الجارية فيقال ناصعة اللون جيدة الشطب نقية الثغر حسنة العين والأنف جيدة النهد ظريفة اللسان واردة الشعر فتكون بهذه الصفة بمائة دينار وبمائتي دينار وتكون أخرى بألف دينار وأكثر دينار ولكن لا يجد واصفها مزيداً على هذه الصفة وتوصف الدابة فيقال خفيف العنان لين الظهر جيد الحافر فتي السن نقي العيوب فيكون بخمسين ديناراً أو نحوها وتكون أخرى بمائتي

ديار وأكثر تكون هذه صفتها ويقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء انه ندي الحلق حسن الصوت طويل النفس مصيب اللحن وتوصف الأخرى والاخري بهذه الصفة وبينهما بون بعيد تعرف ذلك أهل العلم به عند المعاينة والاسماع بلا صفة ينتهي اليها ولا علم يوقف عليه وان كثرة المدارسة للشيء لتعين على العلم به وكذلك الشعر تعرفه أهل العلم به وسمعت بعض الحذاق يقول ليس للجودة في الشعر صفة انما هو شيء يقع في النفس عند المميز كالفرند في السيف والملاحة في الوجه وهذا راجع الى قول الجمحي بل هو بعينه وانما فيه فضل الاختصار

باب حد الشعر وبنيته

البنية من أربعة أشياء وهي اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا هو حد الشعر لأن من الكلام موزوناً مقفى وليس بشعر لعدم الصنعة والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما لم نطلق عليه أنه شعر والمتزن ماعرض على الوزن فقبله فكأن الفعل صار له وبهذه العلة سمي ما جرى هذا المجرى من الأفعال فعل مطاوعة هذا هو الصحيح وعند طائفة من أصحاب الجدل أن المنفعل والمفتعل لافاعل لهما نحو تشويت اللحم فهو متشو ومنشو وبنيت الحائط فهو منبن ووزنت الدينار فهو متزن وهذا محال لا يصح مثله في العقول وهو يؤدي الى مالاحاجة لنا به ومعاذ الله أن يكون مراد القوم في ذلك الا المجاز والاتساع والا فليس هذا مما تغلط فيه من رق ذهنه وصفا خاطره وانما جئت بهذا الفصل احتجاجاً على من زعم أن المتزن غير داخل في الوزن واذا لم نعرض المتزن على الوزن فيوجد موزوناً فمن أين يعلم أنه متزن وكيف يقع عليه هذا الاسم ٠٠ وقال بعض العلماء بهذا الشأن بنى الشعر على أربعة أركان وهي المدح والهجاء والنسيب والرثاء ٠ وقالوا قواعد الشعر أربع الرغبة والرهبة والطرب والغضب فمع الرغبة يكون المدح والشكر ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب

وجع .. وقال ... عن ... أكثر ما يجري عليه غرض الشعر خمسة النسيب ... والمدح والهجاء والوصف ويدخل ... ولا استعارة في ... وصف وقال ... لا يدري ... من سنهمة تقول شعر ... فقال والله ما طرب ولا غضب ولا ... ولا ... وانما يجيء الشعر عند هذه .. وقال أبو علي البصير

مدحت الامير ... غضب عرفه وهل ... قائل وهو راغب

ففي قوى الشعر وهي كثيرة وما ... آثره ولمناقب

... عليه الامير ... وقال عبد الكريم يجمع أصناف الشعر أربعة المديح ... الحكمة واللهو ... من كل صنف من ذلك فنون فيكون في المديح المراثي والافتخار والشكر ويكون من الهجاء الذم والعتب والاستبطاء ومن الحكمة الامثال والتزهيد والمواعظ ويكون من اللهو الغزل والطرب وصفة الخمر والخمور .. وقال قوم الشعر كله نوعان مدح وهجاء فالى المدح يرجع الرثاء والافتخار والتشبيب وما يتعلق بذلك من محمود الوصف كصفات الطلول والآثار والتشبيهات الحسان وكذلك تحسين الاخلاق كالامثال والحكم والمواعظ والزهد في الدنيا والقناعة والهجاء ضد ذلك كله غير ان العتاب حال بين حالين فهو طرف لكل واحد منها وكذلك الاغراء ليس بمدح ولا هجاء لانك لا تغري ... فتقول انه حقير ولا ذليل الا كان عليك وعلى المغرى ... ولا تقصد أيضاً مدحه ... فيكون ذلك على وجهه والبيت من الشعر كالبيت من الابنية قراره الطبع وسمكه الرواية ودعائمه العلم وبابه الدربة وساكنه المعنى ولا خير في بيت غير مسكون وصارت الاعاريض والقوافي كالموازين والامثلة للابنية أو كالاواخي والاوتاد للاخبية فأما ما سوى ذلك من محاسن الشعر فانما هو زينة مستأنفة ولو لم تكن لاستغني عنها .. قال القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ثم تكون الدربة مادة له وقوة لكل واحد من أسبابه فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الاحسان وقال ولست أفصل في هذه القضية بين القديم والمحدث والجاهلي والمخضرم والاعرابي والمولد الا أني أرى حاجة المحدث الى

الرواية أمس وأحده الى كثرة الحفظ أفقر فاذا استكشفت عن هذه الحال وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذي لا يمكنه تناول ألفاظ العرب الا رواية ولا طريق الى الرواية الا السمع وملاك السمع الحفظ .. قال دعبل في كتابه من أراد المديح فالرغبة ومن أراد الهجاء فالبغضاء ومن أراد التشبيب فالشوق والعشق ومن أراد المعاتبة فالاستبطاء فقسم الشعر كما ترى هذه الاقسام الأربعة وكان الرثاء عنده من باب المديح على ماقدمت الا أنه جعل العتاب بدلا منه وقال غير واحد من العلماء الشعر ما شمل على المثل السائر والاستعارة الرائعة والتشبيه الواقع وماسوى ذلك فانما لقائله فضل الوزن

وقال اسحاق بن ابراهيم الموصلي قلت لاعرابي من أشعر الناس قال الذي اذا قال أسرع واذا أسرع أبدع واذا تكلم أسمع واذا مدح رفع واذا هجا وضع ..وسئل بعض أهل الأدب من أشعر الناس فقال من أكرهك شعره على هجو ذويك ومدح أعاديك يريد الذي تستحسنه فتحفظ منه ما فيه عليك وصمة وخلاف للشهوة وهذا قول أبي الطيب أولا

واسمع من ألفاظه اللغة التي يلذ بها سمعي ولو ضمنت شتمي

أخذه من قول أبي تمام

فان أنا لم يمدحك عني صاغراً عدوك فاعلم انني غير حامد

واتبعه البحتري في ذلك فقال

ليواصلنك ركب شعري سائراً يرويه فيك لحسنه الاعداء

وقال عبد الصمد بن المعذل الشعر كله في ثلاث لفظات وليس كل انسان يحسن بألفها فاذا مدحت قلت أنت واذا هجوت قلت لست واذا رثيت قلت كنت .وقال بعض النقاد أصعب الشعر الرثاء لأنه لا يعمل رغبة ولا رهبة .. قال ابن قتيبة قال احمد بن يوسف الكاتب لابي يعقوب الخريمي أنت في مدائحك لمحمد بن منصور كاتب البرامكه أشعر منك في مراثيك له فقال كنا يومئذ نعمل على الرجاء ونحن نعمل اليوم على الوفاء .

قال صاحب الكتاب ومن هذا المنثور والله أعلم سرق النصير بيته المتقدم في الفتح بن خاقان

وقيل لبعضهم ما أحسن الشعر فقال ما أعطى القياد وبلغ المراد وقال أبو عبد الله

و ... ني جيد شعره فيفهمه العامة ورصينه الخاصة . وسمعت بعض الشيوخ يقول قال
حذاق ... وكانت البلاغة في التطويل ما سبق لها أبو نواس والبحتري . وقال بعض
الحذاق من النقاد أشعر الناس من يخلص في مدح امرأة ورثائها . وقال ابن المعتز
لو قيل لي ما أحسن الشعر قلت ما لم يحجبه عن القلب شيء

*

باب في اللفظ والمعنى

اللفظ جسم وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى
بقوته فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض
الاجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن تذهبَ الروح وكذلك
ان ضعف المعنى واختل بعضه كان للفظ من ذلك أوفرُ حظ كالذي يعرض للاجسام
من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الاّ من جهة اللفظ وجريه فيه على غير
الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد
بقي اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما أن الميت لم ينقص
من شخصه شيء في رأي العين الاّ أنه لا يُنتفع به ولا يفيد فائدة وكذلك ان اختل
اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لأنا لا نجد روحاً في غير جسم البتة ثم للناس فيما
بعد آراء ومذاهب منهم مَن يؤثر اللفظ على المعنى فيجعله غايتهُ ووكده وهم فرقٌ قومٌ
يذهبون الى فخامة الكلام وجزالته على مذهب العرب من غير تصنع كقول بشار

إذا ما غضبنا غضبةً مضريةً   هتكنا حجابَ الشمس أو قطرتْ دما
إذا ما أعرنا سيداً من قبيلةٍ   ذرى منبرٍ صلّى علينا وسلما

وهذا النوع أدل على القوة وأشبه بما وقع فيه من موضع الافتخار وكذلك ما مدح به
الملوك يجب أن يكون من هذا النحت وفرقة أصحاب جلبة وقعقعة بلا طائل
معنى الاّ القليلَ النادرَ كأبي القاسم بن هانئ ومن جرى مجراه فانه يقولُ أولَ مدحته

أصخت فقالت وقعُ أجرد شيظمٍ   وشامت فقالت لمعُ أبيضَ مخذم

وما دعرت الأَلِحَرسِ حاَّهـا ولا رمقت الأَ أُرىً فى محـدَّم

وليس تحت هدا كله الا الفسادُ وحلافُ المراد ما الدى يعدنا أن تكون هده المنسوب بها لست حلنها فتوهمته بعد الاصاحة والرمق وقع فرس أولمع سيف عير انها معروة في دارها أو حاهلة بما حملته من ريبها ولم يحف عنا مراده انها كانت تعرقه فما هـدا كله ‥ وكانت عند أبى القاسم مع طبعه صبعة فادا أحد فى الحلاوة والرقة وعمل بطبعه وعلي سحيته أشبه الناس ودحل في حملة الفصلاء وادا تكلف الفحامة وسلك طريق الصبعة أصر بنفسه وأتعب سامع شعره ويَقع له من الكلام المصنوع والمطبوع في الاحايين أشياء حيدة كقوله فى المطبوع يصف شجعاناً

لاياً كل السرحان شَلوَعقيرهم مما عليه من القنى المتكسر

ـ العقير ـ ههنا منهم أى لم يمت لشجاعته حتى تحطَّم عليه من الرماح مالا يصل معه الذئب اليه كثرة ولو كان العقير هو الدي عقروه هم لكان البيت هحواً لانه كان يصفهم بالصعف والتكاثر علي واحد ‥ وقوله فى المصنوع

وحليم ثمرَ الوقائع يانعاً بالنصرمن ورقِ الحديدالاخصر

فهدا كله حيد بديع وقد راد فيه على قول البحتري

حملت حمائله القديمة بقلةً من عهد عاد عصةلم تَدْ بل

ويروي ـ من عهد تبع ـ ومنهم من دهب الى سهولة اللفظ فعنيَ بها واُغتُفرَله فيها الركاكة واللين المفرط كأبي العتاهية وعباس بن الاحنف ومن تابعهما وهم يرون الغاية قول أبى العتاهية

يا اخوتى ان الهوي قاتلى فسيروا الأكفان من عاحل
ولا تلوموا فى اتباع الهوى فانى في شغل شاغل
عينى علي عتبةَ منهـلةٌ بدمعها المنسكبِ السائل
يامن رأى قبلى قتيلاً بكى من شدةِ الوجدعلى القاتل
بسطتُ كفي نحوكم سائلا مادا تردون على السائل

... قولا جملا ... الآمل

وكم ... في عسرة ... في قال

وقد كان أبو العتاهية وأبو نواس والحسين بن الضحاك جميعاً مجتمعين يوماً فقال أبو نواس لينشد كل واحد منكم قصيدة لنفسه في مراده من غير مدح ولا هجاء فأنشد أبو العتاهية هذه القصيدة فسلم له ومنعا من الإنشاد بعده وقالا له مع سهولة هذه الألفاظ وملاحة هذا القصد وحسن هذه الإشارات فلا ننشد شيئاً وذلك في بابه من الغزل جيد أيضاً لا يفضله غيره .. ومنهم من يؤثر المعنى علي اللفظ فيطلب صحته ولا يبالي حيث وقع من هجنة اللفظ وقبحه وخشونته كابن الرومي وأبي الطيب ومن شاكلهما هؤلاء المطبوعون فأما المصنوعون فسيرد عليك ذكرهم إن شاء الله تعالى .. وأكثر الناس علي تفضيل اللفظ علي المعنى سمعت بعض الحذاق يقول قال العلماء اللفظ أغلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوي الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل علي جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف ألا ترى لو أن رجلا أراد في المدح تشبيه رجل لما أخطأ أن يشبهه في الجود بالغيث والبحر وفي الإقدام بالأسد وفي المضاء بالسيف وفي العزم بالسيل وفي الحسن بالشمس فإن لم يحسن تركيب هذه المعاني في أحسن حلاها من اللفظ الجيد الجامع للرقة والجزالة والعذوبة والطلاوة والسهولة والحلاوة لم يكن للمعنى قدر .. وبعضهم وأظنه ابن وكيع مثل المعنى بالصورة واللفظ بالكسوة فإن لم تقابل الصورة الحسناء بما يشاكلها ويليق بها من اللباس فقد بخست حقها وتضاءلت في عين مبصرها .. وقال عبد الكريم وكان يؤثر اللفظ علي المعنى كثيراً في شعره وتآليفه الكلام الجزل أغنى عن المعاني اللطيفة من المعاني اللطيفة علي الكلام الجزل وإنما حكاه ونقله نقلا عمن روى عنه النحاس .. ومن كلام عبد الكريم قال بعض الحذاق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته .. ومنه قول العباس بن الحسن العلوي في صفة بليغ معانيه قوالب لألفاظه هكذا حكى عبد الكريم وهو الذي يقتضيه شرط كلامه ثم حكى في موضع آخر فقال ألفاظه قوالب لمعانيه وقوافيه معدة لمبانيه والسجع يشهد بهذه الرواية الأخرى وهي التي أعرف .. والقالب يكون وعاء كالذي تفرغ فيه

الأواني وتعمل به الآنية والآجر وقد يكون قدراً للوعاء كالذي يقام به الملوك وتصلح عليه الأحواض ويكون مثالاً كالذي تحذى عليه النعال وتفصل عليه القلانس فلهذا احتمل القالب أن يكون لفظاً مرة ومعنى مرة ٠٠ وللشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها ولا أن يستعمل غيرها كما ان الكتاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابية لا يتجاوزونها الى سواها الا أن يريد شاعر أن يتظرف باستعمال لفظ أعجمي فيستعمله في الندرة وعلى سبيل الخطرة كما فعل الأعشى قديماً وأبو نواس حديثاً فلا بأس بذلك والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر فان وقع فيه شيء منهما فبقدر ولا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكأً واستراحة وانما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع فهذا هو باب الشعر الذي وضع له وبني عليه لا ما سواه ٠٠ ومن ملح الكلام على اللفظ والمعنى ما حكاه أبو منصور عبد الملك بن اسماعيل الثعالبي قال المليح من محوك الكلام على حسب الأماني ويحط الالفاظ على قدود المعاني ٠٠ وقال غيره الالفاظ في الاسماع كالصور في الابصار ٠٠ وقال أبو عبادة البحتري

وكأنها والسمع معقود بها وجه الحبيب بدا لعين محبه

باب في المطبوع والمصنوع

ومن الشعر مطبوع ومصنوع فالمطبوع هو الاصل الذي وضع أولاً وعليه المدار والمصنوع وان وقع عليه هذا الاسم فليس متكلفاً تكلف أشعار المولدين لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً فاستحسنوه ومالوا اليه بعض الميل بعد أن عرفوا وجه اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التعقب بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة وربما رصد أوقات نشاطه فتباطأ عمله لذلك والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى وابرازه واتقان بنية الشعر واحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام بعضه ببعض حتى عدوا من

فصل صنعة خفيفة حسن نسقه الكلام بعضه على بعض في قوله

ولا وأبيك ما ظلمت قريع بأن يبنوا المكارم حيث شاؤوا

ولا وأبيك ما ظلمت قريع ولا برموا بذلك ولا أساؤوا

بعثرة جارهم أن ينعشوه فيغبر بعدها نعم وشاء

فيبني مجدها ويقيم فيها ويمشي إن أريد به المشاء

وإن الجار مثل الضيف يغدو لوجهته وإن طال الثواء

وإني قد علقت بحبل قوم أعانهم على الحسب الثراء

وكذلك قول أبي ذؤيب في صفة حمر الوحش والصائد

فوردن والعيوق مقعد رابئ الـ ضرباء فوق النظم لا يتتلع

فشرعن في حجرات عذب بارد حصب البطاح تغيب فيه الأكرع

فشربن ثم سمعن حسًّا دونه شرف الحجاب وريب قرع يقرع

ونميمة من قانص متلبب في كفه جشء أجش وأقطع

فنكرنه فنفرن وامترست به هوجاء هادية وهاد جرشع

فرمى فأنفذ من نحوص عائط سهمًا فخر وريشه متصمع

فبدا له أقراب هاد رائغًا عجلًا فعيث في الكنانة يرجع

فرمى فألحق صاعديًّا مطحرًا بالكشح فاشتملت عليه الأضلع

فأبدهن حتوفهن فهارب بذمائه أو بارك متجعجع

وأنت ترى هذا النسق بالماء كيف اطرد له ولم يحلّ عقده ولا اختلّ بناؤه ولولا ثقافة الشاعر ومراعاته إياه لم تمكن له هذا التمكن واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد يستدل بذلك على جودة شعر الرجل وصدق حسه وصفاء خاطره فأما إذا كثر ذلك فهو عيب يشهد بخلاف الطبع وإيثار الكلفة وليس يتجه البتة أن يتأتى من الشاعر قصيدة كلها أو أكثرها متصنع من غير قصد كالذي يأتي من أشعار حبيب والبحتري وغيرهما وقد كانا يطلبان الصنعة ويولعان بها .. فأما حبيب

مذهب الى حزونة اللفظ وما يملأ الاسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرهاً يأتي للاشياء من بعد ويطلبها بكلفة ويأخذها بقوة .. وأما البحترى فكان أملح صنعة وأحسن مذهباً فى الكلام يسلك منه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفة ولا مشقة .. وما أعلم شاعراً أكمل ولا أعجب تصنيعاً من عبد الله بن المعتز فان صنعته خفية لطيفة لا تكاد تظهر في بعض المواضع الا للبصير بدقائق الشعر وهو عندى ألطف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً وافتناناً وأقربهم قوافي وأوزاناً ولا أرى وراءه غاية لطالبها في هذا الباب غير انا لا نجد المبتدئ في طلب التصنيع ومزاولة الكلام أكثر انتفاعا منه بمطالعة شعر حبيب وشعر مسلم بن الوليد لما فيهما من الفضيلة لمتبعيهما ولأنهما طرّقا الى الصنعة ومعرفتها طريقاً سابلة وأكثرا منها في أشعارهما تكثيرا سهلها عند الناس وجسرهم عليها على أن مسلما أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً وهو أول من تكلف البديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وكثر منها .. ولم يكن في الاشعار المحدثة قبل مسلم صريع الا النبذ اليسيرة وهو زُهير المولدين كان يبطئ فى صنعته ويجيدها .. وقالوا أول من فتق البديع من المحدثين بشار بن برد وابن هَرْمة وهو ساقة العرب وآخر من يستشهد بشعره .. ثم اتبعهما مقتدياً بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمرى ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء حبيب الطائى والوليد البحترى وعبد الله بن المعتز فانتهى علم البديع والصنعة اليه وخُتم به .. وشبه قوم أبا نواس بالنابغة لما اجتمع له من الجزالة مع الرشاقة وحسن الديباجة والمعرفة بمدح الملوك .. وأما بشار فقد شبهوه بامرئ القيس لتقدمه على المولدين وأخذهم عنه ومن كلامهم بشار أبو المحدثين .. وسمعت أبا عبد الله غير مرة يقول انما سمي الأعشى صنّاجة العرب لأنه أول من ذكر الصنج فى شعره .. قال ويقال بل سمى صناجة لجودة طبعه وحلية شعره يُخيل لك اذا أنشدته أن آخر ينشد معك .. ومثله من المولدين بشار بن برد نشد أقصر شعره عروضاً وأليه كلاماً فتجد له فى نفسك هزّة وحلاوة من قوة الطبع وقد أشبهه تصرفاً وصبراً فى الشعر وكثرة عروض مدحاً وهجاء وافتخاراً وتطويلا .. انقضى كلام أبى عبد الله ورجعنا الى القول في الطبع والتصنيع .. ولسنا ندفع أن البيت اذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع فى معناه بيت مصنوع فى نهاية الحسن لم تؤثر فيه

بكلمة ولا ـ ر ـه ـمن كن اصوح اصه لا د وى ـث وكثر لم يجر
مة ان يكر صد و ـ ة د ـر دلك في ع ، مر ٠٠ ومسل لحدق مهده الصناعة
ـ ـ ـ حـ صه ن ـرث ضع ـ لا يسع ٠٠٠ وملى اذ كان الشاعر
صع ان حسه ، ـ ، ـ ـ ة ، د كثر مه ، سر ـحصو ، مه وآ ، ء ، ود كان اطبع
ـ ، مه ، يس حسـ كن ـر ق و كان قر من قرب كالبحتري ومن شا كله ٠٠
وقد ص ـ ن دمي في عص ـ ير ٠ عن شمس ان حكم استعرحس عاب عليه
قوله في عرس من قصيدة زي مه سد ـه ن صهر

و تنهمة سود سق كر   وحو ور احمر ورس صتع

ود كر قول حسب   لحر ر حمر وصب صب

لحمل ، وعسدنه وحرح الحرف حسـ وـ كرن الحور لوث والحور انقعس ونحوهما
تشرف في اللفظ من الحور لأحمر لا ان الطائي عنده كان يطلب المعنى ولا يبالي باللفظ
حتى لو تم له المعنى بلفظة سطية لأتى بها وانما أراه ابن الرومي عمر لحبيب وغيره مما
ولـ تسلم له و رجوع ـه آخره عير ان هو قد ثبت أن أقول واست رادّاً عليه ولا
معترضاً بين يديه أن المعنى الذي أرده وتشير ليه من جهة الطائي انما هو معنى الصنعة
كالتطبيق والتجنيس وما أشبهها لا معنى الكلام الذي هو روحه وان اللفظ الذي
ذكر انه لا يبالي به انما هو فصيح الكلام ومستعمله ويدلك على صحة ما ادعيته على
ابن الرومي قوله بـ الحـور لوث ونقعس تشرف في اللفظ من الحـور لأحمر
فكلامه رجع ان هذه في الطائي عير محالف له وان كان في الظاهر على خلافه لشاع
ذلك لا أن أكثر الناس على ما قلت وهذا معترض للكلام لا محالفة ٠٠ وقال الجاحظ
كما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً ولا سقطاً سوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون وحشياً
لا أن يكون المتكلم به بدوياً عربياً فان الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من
الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي قال وأنشد رجل قوماً شعراً فاستغربوه فقال والله
ما هو بغريب ولكنكم في الأدب غرباء ٠٠ وعن غيره أن رجلا قال للطائي في مجلس
حفل وأراد تبكيته لم لا تقول من الشعر ما يفهم فقال له وأنت لم لا تفهم

من الشعر مايقال فصححه ٠٠ و روي أن هذه الحكاية كانت مع أبى العميل وصاحب له حاطباه فأجابهما وقال بعض من نظر بين أبى تمام وأبى الطيب انما حسب كالقاضى العدل يضع اللفظة موضعها و يعطى المعنى حقه بعد طول النظر والبحث عن البينة أو كالفقيه الورع يتحرى فى كلامه ويتحرج خوفاً على دينه وأبو الطيب كالملك الجبار يأخذ ماحوله قهراً وعنوة أو كالشجاع الجرئ يهجم على ما يريده لا يبالى ما لقى ولا حيث وقع ٠٠وكان الاصمعي يقول زهير والنابغة من عبيد الشعر يريد أنهما تكلفا اصلاحه و يشغلان به حواسهما وخواطرهما ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوى ٠٠ وقد قيل ان زهيراً روى له وكان يسمي محبراً لحسن شعره ومنهم الحطيئة والنمر بن تولب وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء الكيس ٠٠ وكان بعض الحذاق بالكلام يقول قل من الشعر ما يخدمك ولا تقل منه ما تخدمه وهذا هو معنى قول الاصمعي وسأحلي هذا الباب من كلام السيد أبي الحسن بحلية تكون له زينة فائقة واختمه بخاتمة تكسوه حلة رائقة لاوفي بذلك بعض ما ضمنت وأقضي به حق ماشرطت ان شاء الله فمن ذلك قوله بتاهرت سنة خمس وأربعمائة يتشوق الى أهله

ولى كبدٌ مكلومةٌ من فراقكم أطامنها صبراً على ما أجنَّتِ
بمثلكم شوقاً الىكم وصبوةً عسي الله أن يدنى لها ما تمنَّتِ
وعينٌ جفاها النوم واعتادها البكا اذا عنّ ذكرُ القيروان استهلت

فلو أن اعرابياً تذكر نجداً فحن به الى الوطن أو تشوق فيه الى بعض السكن ماحسنته يزيد على ما أتى به هذا المولد الحضرى المتأخر العصر وما أحفظ بهذا التمييز فى هواى ولا أتمدّقُ بهذا القول عند مولاى ولا الخديعة مما نطق به ولا فيه ولكن رأيت وجه الحق فعرفته والحق لا يتلثم وما هو فى بلاغته وإيجازه الا كما قال الأحمر السعدي فى وصيته

من القولِ مايكفي المصيبَ قليلهُ ومنه الذى لايكتفي الدهرَ قائله
تصد عن المعنى فيترك ما بجى ويذهبُ في التقصير منه يطاوله
فلا تكُ مكثاراً تزيدُ على الذى عنيتَ به في خطب أمرٍ تزاوله

باب فى الأوزان

ووزن اعظم اركان حد الشعر واولاه به خصوصية وهومشتمل على القافية وجالب لها ضرورة لا ان تختلف القوافي فيكون ذلك عيباً في التقفية لا في الوزن وقد لايكون عيباً نحو المخمسات وما شاكلها والمطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان واسمائها وعللها لنبو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره والضعيف الطبع محتاج الى معرفة شيء من ذلك يعينه على ما يحاوله من هذا الشأن .. وللناس في ذلك كتب مشهورة وتواليف معروفة واهم فيه خلاف وليس كتابي هذا يحتمل شرح ذلك ولا هو من شرطه ولا من التكرير والتطويل وسأذكر منه نتفاً يحتاج اليها ويكتفي بها من نظر من المتعلمين في هذا الكتاب ان شاء الله .. واول من الف الاوزان وجمع الاعاريض والضروب الخليل بن احمد فوضع فيها كتاباً سماه العروض استحقاقاً والعروض آخر جزء من القسم الأول من البيت وهي مؤنثة وتجمع الا أن يكون لهذا الجنس من العلم والضرب آخر جزء من البيت من أى وزن كان .. ثم الف الناس بعده واختلفوا في مقادير استنباطهم حتى وصل الأمر الى ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري فبين الأشياء وأوضحها في اختصار واليه مذهبه يذهب حذاق أهل الوقت وارباب الصنعة فاول ما خالف فيه ان جعل الخليل الاجزاء التي يوزن بها الشعر ثمانية منها اثنان خماسيان وهما فعولن وفاعلن وستة سباعية وهي مفاعيلن وفاعلاتن ومستفعلن ومفاعلتن ومتفاعلن ومفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على أنه منقول من مستفعلن مفروق الوتد أي مقدم النون على اللام لانه زعم لو كان جزءاً صحيحاً لتركب من مفرده بحر كما تركب من سائر الاجزاء يريد أنه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا تكرر في قسم منه وعد الخليل أجناس الاوزان فجعلها خمسة عشر جنساً على أنه لم يذكر المتدارك وهى عنده الطويل والمديد والبسيط في دائرة ثم الوافر والكامل في دائرة ثم الهزج والرجز والرمل في دائرة ثم السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث في دائرة ثم المتقارب وحده في دائرة .. وذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاج اختلاف الناس في ألقاب الشعر يحكي عن

الخليل شيئاً أحدثَه احتصاراً وتقليداً لانه أول من وضعَ علم العروض وفتحه للناس وغادر ما سوى ذلك من قول ابى اسحاق الزجاج وغيره لاعلى أن فيه تقصيراً ..
ذكر الزجاج أن ابن دريد أخبره عن أبي حاتم عن الاخفش قال سألت الخليل بعد أن عمل كتاب العروض لِمَ سميتَ الطويل طويلا قال لانه طال بتمام أجزائه قلت فالبسيط قال لأنه انبسط عن مدى الطويل وجاء وسطه فعلن وآخره فعلن قلت فالمديد قال لتمدد سُباعيه حول خماسيه قلت فالوافر قال لوفور أجزائه وَتداً بوتدٍ قلت فالكامل قال لان فيه ثلاثين حركة لم تجتمع في غيره من الشعر قلت فالهزج قال لانه يضطرب شبه بهزج الصوت قلت فالرجز قال لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام قلت فالرمل قال لانه شُبه برمل الحصير لضمّ بعضه الى بعض قلت فالسريع قال لانه يسرع على اللسان قلت فالمنسرح قال لانسراحه وسهولته قلت فالخفيف قال لانه أخف السباعيات قلت فالمقتضب قال لانه اقتُضب من السريع قلت فالمضارع قال لانه ضارع المقتضب قلت فالمجتث قال لانه اجتُثّ أي قطع من طويل دائرته قلت فالمتقارب قال لتقارب أجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضاً .. وجعل الجوهري هذه الاجناس اثنى عشر باباً على أن فيها المتدارك سبعةٌ منها مفردات وخمسةٌ مركبات قال فأولها المتقارب ثم الهزج والطويل بينهما مركب منهما ثم بعد الهزج الرمل والمضارع بينهما ثم بعد الرمل الرجز والخفيف بينهما ثم بعد الرجز المتدارك والبسيط بينهما ثم بعد المتدارك المديد مركب منه ومن الرمل قال ثم الوافر والكامل لم يتركب بينهما بحر لما فيهما من الفاصلة .. وزعم أن الخليل انما أراد بكثرة الالقاب الشرح والتقريب قال والا فالسريع هو من البسيط والمنسرح والمقتضب من الرجز والمجتث من الخفيف لان كل بيت مركب من مستفعلن فهو عنده من الرجز طال أو قصر وكل بيت ركب من مستفعلن فاعلن فهو من البسيط طال أو قصر وعلى هذا قياس سائر المفردات والمركبات عنده .. والمتدارك الذي ذكره الجوهري مقلوب من دائرة المتقارب وذلك أن فعولن يخلفه فاعلن ويجىء فيصيرُ فعلن وشعر عمرو الجني منه وهو الذي يسميه الناس اليوم الخبب .. وليس بين العلماء اختلاف في تقطيع الاجزاء وأنه يراعى فيه اللفظ دون الخط فيقابل الساكن بالساكن والمتحرك بالمتحرك ويظهر حرف التضعيف وتسقط ألف الوصل ولام

عرف ... في ... الكلام ... نون بدلا من التنوين وعند الوصل
... وقد ... هو ... لأن الأوزان ... وقفت على الكلام والكلام
لا ... لأن ... صورة هو نة لا مستقرة ولان المضاعف يحمل حرفا
... ولأن ... تمكن ... في جميع الأوزان ... في حشو بيت لا
في عروض ... الجوهري ... تشده ... قبه

وزمن ... وكان التقصير ... فرضاً وحتما عــلى المسلمين

... الجوهري كأنه ... وقوف على حرف ولا وجمع بين ساكنين لم اســمع به في
حشو بيت .. قال صاحب الكتاب لأن ... قد ... نشد

كانه ... كلان ... ومسحه ... كاسر

... في ... قبلهم ... وجميع أجزاء الشعر تتألف من ثلاثة
... وصفة ... وهو متحرك بعده ساكن نحو
... ومن ... وهو متحركان نحو ... وقد أنكره
بعض المحدثين .. ولو ... نصاً ... مجموع وهو متحركان بعدهما ساكن نحو
... ومعروف وهو ... متحركين نحو ... والفاصلة ... صغرى
وهي ... متحركات بعده ساكن نحو ... وما أشبه ذلك وكبرى وهي أربع
متحركات بعدها ساكن نحو ... وما أشبه ذلك وهي تأتي في جزء من الشعر
بعينه وهو فعلتن ولا تأتي ... من ... حرفين فتكون حرفين متحركين
في آخر جزء ومثلهم في أول جزء ... يليه ولا تجتمع في الشعر خمس متحركات البتة
.. ومن الناس من جعل الشعر كله من الأوتاد والأسباب خاصة يركب بعضها على
بعض فتتركب الفواصل منهما .. وبعض المتعقبين أظنه الملقب بالحمار يسمي الفاصلتين
وتداً ثلاثياً ووتداً رباعياً والسبب عنده ... منفصل نحو من ومتصل نحو لمن واللام
عنده وحدها سبب متصل والميم والنون سبب هو منفصل ... كان لحركة الميم نهاية
في النون ساكنة ولو كانت متحركة لم تكن نهاية .. وأما الزحاف فهو ما يلحق أي
جزء كان من الأجزاء السبعة التي جعلت موازين الشعر من نقص أو زيادة أو تقديم
حرف أو تأخيره أو تسكينه ولا يكاد يسلم منه شعر .. ومن الزحاف ما هو أخف من

التمام وأحسن كالذى يستحسن في الجارية من التفاف البدن واعتدال القامة مثال ذلك مفاعلن فى عروض الطويل التام يصير مفاعلن فى جميع أبياته وهذا هو القبض وكل ماذهب خامسه الساكن فهومقبوض •• وفاعلن فيعروض البسيط التام وضربه يصير فعلن وذلك هو الخبن وكل ماذهب ثانيه الساكن فهو مخبون •• ومفاعلتن في عروض الوافر التام وضربه حذفوا منه التاء والنون وأسكنوا اللام فصار مفاعل فخامسه فعولن وهذا هو القطف •• وليس في الشعر مقطوف غيره •• ويخف على المطبوع أبداً أن يحل مكان مستفعلن فى الحشو مفاعلن يظهر له أحسن••ومنه أعنى الزحاف ما يستحسن قليله دون كثيره كالقبض في السير والملح والثلج مثال ذلك قول خالد بن زهير الهذلي لخاله أبي ذؤيب

لعلك إما أمُّ عمرٍو تبدلت سواك خليلا شاتمى تستحيرها

فقبض ساكناً بعد كاف سواك وهونون فعولن وهذا هو القبض ومن رواه خليلاسواك قبض الياء من مفاعلن وهو أشد قليلا ••ومنه مايحتمل على كره كالقدح والوكع والكزم فى بعض الحسان ومثاله في الشعر كثير وكذلك قول امرئ القيس بن حجر

ويعرف فيه من أبيه شمائلا ومن خاله ومن يزيد ومن حجر
سماحةَ ذا وبرَّ ذا ووفاء ذا ونائلَ ذا اذا صحى واذا سكر

وهذا أجمع العلماء بالشعر أنه ماعمل فى معناه مثله الا أنه على ما نراه من الزحاف المستكره حكي ذلك أبو عبيدة •• ومنه قبيح مردود لاتقبل النفس عليه كقبح الخلق واختلاف الاعضاء فى الناس وسوء التركيب مثاله قصيدة عبيدٍ المشهورة

* أقفرَ من أهلهِ ملحوبُ *

فانها كادت تكون كلاماً غير موزون بعلة ولا غيرها حتى قال بعض الناس انها خطبة ارتجلهافاتزن له أكثرُها••وقال الاصمعي الزحاف في الشعر كالرخصة فى الفقه لا يقدمُ عليها الا فقيهٌ ويبغي للشاعر أن يركب مستعمل الأعاريض ووطيئها وان يستحلى الضروب ويأتى بألطفها موقعاً وأخفها مستمعاً وأن يجتنب عويصها ومستكرهها فان العويص مما يشغله ويمسك من عنانه ويوهن قواه ويفتُّ في عضده ويخرجه عن مقصده

...وقد يكون الخزم كثيراً وهو زيادة حرف أو حركة في أول جزء الأول من البيت وأكثر ما تقع في بيت الأول وقد يقع في أول عجز البيت ولا يكون أبداً إلا في وتد وقد أنكره جملة منهم في الجزء وأجازه الناس .. أنشد الجوهري

قدمت رجلاً و[illegible] خزرج   وقدمت الأخرى فمات القر[illegible]

وأنشد أبو محمد الحسن بن الحسن العسكري لامرئ القيس

فقد أنكرتني بعدك وأهلها   ومن خرج كان في حمص أنكر

هكذا رويته وروي غيره ولا أن خرج بغير خزم وقد جمع الخزم والنقص على جزء فذلك هو الخرم وهو قبيح .. وهذا بعين ذلك التسمية فيهما على قبحها لأن الخزم في الشعر وأمره في ... كانت العرب تأتي به لأن أحدهم يتكلم بالكلام على أنه غير شعر ثم يرى فيه رأياً فيصرفه إلى جهة الشعر فمن ههنا احتمل لهم وقبح على غيرهم .. ألا ترى أن بعض كتاب عبد الله بن طاهر عاب ذلك على أبي تمام في قوله

* هن عوادي يوسف وصواحبه *

على أنه أوقف الناس على مذهب العرب .. ويكون الخزم بالزاي معجمة وهو ضد الخرم بالراء غير معجمة فنقص منهما نقص نقطة والزائد زائد نقطة وليس الخزم عندهم عيب لأن أحدهم كأنما يأتي بحرف زائداً في أول الوزن إذا سقط لم يفسد المعنى ولا أخل به ولا الوزن وربما جاء بالحرفين والثلاثة ولم يأتوا بأكثر من أربعة أحرف أنشدوا عن علي بن أبي طالب رحمه الله تعالى ورضي عنه

أشدد حيازيمك للموت   فإن الموت لاقيكا

ولا تجزع من الموت   إذا حل بواديكا

فزاد أشدد ليأتي بالمعنى لأنه هو المراد قال كعب بن مالك الأنصاري يرثي عثمان بن عفان رضي الله عنه

لقد عجبت لقوم أسلموا بعد عزهم   إمامهم للمنكرات وللغدر

فزاد لقد على الوزن هكذا أنشدوه .. وأنشد الزجاج وزعم أصحاب الحديث أن الجن قالته

نحن قتلنا سيدَ الخز رج سعدَ بن عباده
رميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وزاد على الوزن نحن وأنشد الزجاج أيضاً

* بل لم تجزعوا يا آل حرب مجزعا *

وزاد بل وأنشد أيضاً

يا مطرَ بن ناجيةَ بن سلمةَ انني أجفى وتغلقُ دوني الابواب

وانما الوزن مطر بن ناجية والياء والألف زائدة ٠ ومما جاء منه الخرم في أول عجز البيت وأول صدره وهو شاذ جداً قول طرفة

هل تذكرون اذ نقاتلكم اذ لا يضر معدماً عدمه

وزاد في أول صدر البيت هل وزاد في أول العجز اذ والبيت من قصيدته المشهورة

أشجاك الربع أم قدمه أم رماد دارس حممه

وقال حريثة (١) بن الأشيم أنشده أبو حاتم عن أبي زيد الانصاري

لقد طال إيضاعي المخدَّم لا أرى في الناس مثلي من معد يخطب
حتى تأوبت البيوت عشيةً فوضعت عنه كورة تتثاءب

فاللام في لقد زائدة وصاحب هذا الشعر جاهلي قديم وقالت الخنساء

أقذى بعينك أم بالعين عوّارُ أم أوحشت اذ خلت من أهلها الدار

فزادت ألف الاستفهام ولو أسقطتها لم يضر المعنى ولا الوزن شيئاً وروي ان أبا الحسن ابن كيسان كان ينشد قول امرئ القيس

كأنّ ثبيراً في عرانين وبله

ثم بعد ذلك بالواو فيقول وكأنّ ذُرَي رأس المجيمر غدوَةً

وكأنّ السباع فيه غرقى عشيةً

(١) ن حرمه وأخرى حرسه

مفعولن هكذا يكون مكانه سقطاً عصفه عن مصن .. وقول عبد الكريم بن إبراهيم .. هو في جزء أنه كل بيت تعلق بما بعده وصلوه تلك الزيادة بحروف العطف .. عطف الاسم على الاسم والفعل على الفعل والجملة على الجملة .. وأحد الخرم من .. ومن سأنهم سد الصوت لحقوه عوضاً من الخرم الذي يحذفونه من أول بيت .. وقد قال غيره إنما سقطوه كأنهم يتوهمون أنه في السكتة فلذلك حذفوه في وتد مجموع لأن المفروق وسقطوا حركته الأولى لتقي أوله ساكن ولا يبتدأ بساكن وسقط أيضاً والسكتة لا تحتمل عندهم إلا حرف واحد وهذا اعتلال ملح بين حداً .. ومن يرجيف في الأوسط الإقعاد وهو أن تذهب مثلا نون متفاعلن أو مستفعلن في عروض الضرب الثاني من الكامل وتسكن اللام فيصير عروضه كضربه فعلاتن أو مفعولن كما قال الشاعر وهذا هو المقطوع عند أصحاب القوافي

فعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الأطهار

فجاء هذا على معنى التصريع وليس به فهو عيب وأقبح منه قول الآخر

في كثرت وإن كل كبير مما نص به على ويقصر

لأنه أتى بالعروض دون الضرب بحرف لا لتوهم تصريع ولا إشكال وإنما نذكر مثل هذا ليجتنب إذا عرف قبحه .. وجاء منه في الطويل قول النابغة الذبياني

جزى الله عبساً عبس آل بغيض جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

أنشده النحاس ..وقول ضابئ بن سبع بن عوف الحنظلي

عمري لقد كر الضباب سوه وبعض السنين حمة وسعال

هكذا رويته بالخاء غير معجمة وهو الصحيح وبعضهم يرويه عمة غير معجمة .. وزعم الجمحي أن الإقعاد لا يجوز لمولد وقد أتى به البحتري في عروض الخفيف فقال يهجو شاعراً

ليس يعدك ها حياً مصروه أب حد ومادحا مصموعا

قياساً على قول الحارث بن حلزة اليشكري

أسد في اللقاء ذو أشبال ⁂ وربيع إن شنعت غبراء

وابن قتيبة يسمي هذا الزحاف اقواء وسأذكره في أبواب القوافي ان شاء الله تعالى..

ومن مهمات الزحاف أربعة أشياء.. ابتداء وهو ما كان في أول البيت مالا يجوز مثله في الحشو كالثلم في الطويل والعصب في الوافر والخرم في الهزج.. وفصل وهو ما كان ملتزماً في نصف البيت الذي يسمى عروضاً مثل مفاعلن في عروض الطويل وفاعلن في عروض المديد وما جرى مجراهما هذا هو الحقيقة.. وأما ما كان من جهة التوسع والمجاز ومعنى التقريب فقد مر ذكرهما آنفا.. واعتماد وهو ما كان من الزحاف الجائز في الحشو ولا مثل الجزء الذي قبل الضرب كقول امرئ القيس

أعني على برق أراه وميض ⁂ يضئ حبياً في شماريخ بيض

فأثبت ياء شماريخ وهي مكان النون من فعولن وكان الأجود أن يسقطها بالقبض لمكان الاعتماد لأن السبب قد اعتمد على وتدين أحدهما قبله والآخر بعده فقوي قوة ليست لغيره من الاسباب فحسن الزحاف فيه والاعتماد في المتقارب سلامة الجزء من الزحاف .. وغاية وهو ما كان في الضرب الذي هو جزء القافية ملتزما مخالفا للحشو كالمقطوع والمقصور والمكشوف والمقطوف وهذه أشياء لا تكون في حشو البيت..

قالوا وأكثر الغايات معتل لأن الغاية اذا كانت فاعلاتن أو فعولن أو مفاعلن فقد لزمها أن لا تحذف سواكن أسبابها لأن آخر البيت لا يكون متحركا هذه حقيقة ما ذكر وأما المجاز والاتساع فكثير.. ويتصل بالغايات أنواع أخر فمن ذلك معرفة ما يلزمه حرف المد واللين الذي هو الردف مما لا يلزمه ذلك أجمع حذاق أهل العلم من البصريين والكوفيين على أن كل وزن نقص من أجزائه حرف متحرك عوض حرف المد واللين من ذلك الحرف فلم يجيء الا مردفاً بواو أو ياء أو ألف.. ولا يحتسب في ذلك بما يقع للزحاف مثل مفعلن في الخفيف.. ألا ترى أنه تعاقب فاعلاتن فهو لا يوجب الردف فان ذهب منه أكثر من حرف متحرك أو ما يقوم مقامه وهو حرف ساكن مع حرف آخر متحرك لم يلزمه الردف واذا التقى ساكنان ألزموه الردف.. فلما سقط فألزم حرف المد فعولن المحذوف في الطويل لم يعتدوا بالنون لما يدركها من الزحاف فكأنما ذهبت

الا فقط .. ومن المديد فاعلاتن مقصور .. ومن البسيط فعلن مقطوع .. والفرق بين القطع والقصر أن القصر في الأسباب والقطع في الأوتاد وهي جميعاً ذهاب ساكن من آخر الجزء وحركة متحرك قبله ملاصقة .. والردف قد يكون عوضاً مما حذف لاجل ذلك .. ومن الكامل فعلاتن مقطوع ومن الرجز مفعولن مقطوع ومن الرمل فاعلان مقصور ومن المتقارب فعول مقصور .. وثم ثلاثة اخرى تلزمه الردف مستفعلان من البسيط وفيه خلاف .. منهم من لزمه الردف ولا يعتد بالسكين فقوم يجعلون مقام الحركة .. ومنهم من لا يلزمه الردف ولا يعتد وريد على ما .. والأرداف قد تأتي عوضاً من النقص لا من الزيادة .. وفي الكامل متفاعلان المذيل وفي الرجز قد انشده ابو زهرة السحوي في كتب العروض وهو

كأنها فوق الكف ... ... عشر صب لا ...

وفي الرمل فاعلان وحدها والقول فيها كالقول في مستفعلان المذيل في البسيط وفاعلان في السريع وهو مذيل من البسيط عند الجوهري فاما على ما عند من سواه فهو موقوف من مفعولات مطوية اي ساقطة الواو ومفعولات في مشطور السريع أيضاً .. وفي مفعولات المنسرح يلزم حرف اللين فعلى هذا جميع الحذاق لا سيبويه فانه رخص فيه لموافقة الوزن مردفه وغير مردف وأنشد قول امرئ القيس

وقد رحلت العيس ثم زجرتها وهناً وقلت عليك خير معد

وقول الراجز ... تمنع اليوم ... تمنعن

بسكان العين والنون .. وكان الجرمي والأخفش يريان هذا غلطاً من قائله كأنه لم ... والا كيف يحكي ولا يعمل به الا أن أبا نواس في قوله

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند

أخذ بقول سيبويه وهو قليل .. والقياس الاول حسن مطرد وهو المختار .. ومن أهم أمور الغايات معرفة ما يشتد من الشعر مطلقاً ومقيداً .. قال أبو القاسم الزجاجي وغيره من أصحاب القوافي الشعر ثلاثة وستون ضرباً لا يجوز اطلاق مقيد منها الا انكسر الشعر ما خلا ثلاثة أضرب أحدها في الكامل

أبيّ لا نطلم بمكة لا الصغيرَ ولا الكبير

وهذا هو الضرب السابع يسمى مذالا وإن شئت قلت ـ ولا الكبيرا ـ فأطلقته وهو الضرب السادس منه يسمى المرفَّل ٠٠ والضرب الثاني في الرمل وهو قول زيد الخيل

يا بني الصيداء رُدُّوا فرسي إنما يفعل هذا بالذَّليل

وهو الضرب الثاني منه فإن أطلقته صار أول ضرب منه ٠٠ والضرب الثالث في المتقارب أنشد الأصمعي وأبو عبيدة

كأني ورحلي إذا رُعتها على جَمزَى جازئٍ بالرمال

غير أن سيبويه أنشده فيما يجوز تقييده وإطلاقه

صفية قومي ولا تعجزي وبكّي النساء على حمزَه

وهو من المتقارب إن أطلق كان محذوفا وإن قيد كان أبتر ٠٠ وقد أنشد أبو زيد سعيد ابن أوس بن ثابت الأنصاري لعمرو بن شاس قال والشعر مقيد

وما بيضة بات الظليم يحفها إلى جؤجؤٍ جافٍ بميثاء محلال

بأحسن منها يوم بطن قُراقرٍ بحوض به بطن القطاة وقد سال

لطيفة طي الكشح مضمرة الحشى هضيم العناق هونة غير مجال

تميل على مثل الكثيب كأنها نقيٌ كلما حرّكتَ جانبه مال

هذا شيء لم يذكره العروضيون وهو عندهم مطلق محمول على الإقواء كما حمل قول امرئ القيس

أحنظل لو حاميتم وصبرتم لأثنيت خيراً صالحاً ولأرضان

ثياب بني عوف طهاري نقية وأوجههم عند المشاهد غران

عوَيرٌ ومن مثل العوَير ورهطه وأسعدَ في ليل البلابل صفوان

فقد أصبحوا والله أصفاهم به أبرّ بأيمان وأوفى بجيران

إلاّ الأخفش والجرمي فإنهما يرويان هذا الشعر موقوفا ولا يريان فيه إقواء وهذا عند

سيبويه لا بأس . . وقد صوب بعض قول خليل في مخالفة هذا المذهب وأنشد بعض المتعقبين أنه الدريني عروضي

سيدي لك لا يدوم كنت جاهلا   ولبيت لأخرس لا تزوّد

بالفساد على أنه من الضرب المحذوف المعتمد وقال لأن ينبه يدخله ما بين الحرف اللين وهو كثير جداً وليس لا تنا ء و مصل ولا عيد ولغاية بعمل ولكنها مواضع العلل فأقيم المضاف اليه مقام المضاف . . وأما زحاف الحشو فمن أهمه معرفة المعاقبة والمراقبة فأما المعاقبة فهي أن يتقابل سببان في جزأين فهي يعقبان السقوط اسقطنا كل أحدهما لثبوت ساكن الآخر ويثبتان جميعاً ولا يسقطان جميعاً والمعاقبة بين سببي جزأين من جميع الاوزان في أربعة أنواع المديد والرمل والخفيف والمجتث وهو عند الجوهري ضرب من الخفيف فاذا كان السبب في أول البيت أو كان قبله وتد دخله الزحاف فهو بريء من المعاقبة اذ ليس قبله ما يعاقبه ولأن الوتد لا يعاقب السبب فاذا زوحف تالي الجزء لمعاقبة ما بعده فهو عجز فان زوحف أوله لمعاقبة ما قبله وآخره لمعاقبة ما بعده فهما طرفان وياء مفاعيلن في الطويل والهزج تعاقب نونه وكذلك بين مستفعلن في الكامل تعاقب فاءها . . والمراقبة أن يتقابل السببان في جزء واحد فيسقط ساكن أحدهما ولا يسقطان جميعاً البتة وكذلك لا يثبتان جميعاً وهي من جميع الاوزان في المضارع والمقتضب والجوهري يعد المقتضب من الرجز كما قدمت فهي من المضارع في سببي مفاعيلن أعني الياء والنون اما ان يأتي مفاعيلن مقبوضاً أو مفاعيلن مكفوفاً ومن المقتضب في سببي مفعولات أعني الفاء والواو اما أن تخبن فتصير مفاعيل واما أن تطوى فتصير فاعلات ولا يجوز أن يكون هذا ولا الذي قبله أعني المضارع سالماً البتة . . والفرق بين المعاقبة والمراقبة أن سببي المعاقبة يثبتان معاً وان سببي المراقبة لا يثبتان معاً وان المعاقبة في جزأين الا ما كان من مفاعيلن في الطويل والهزج ومستفعلن في الكامل وان المراقبة في جزء واحد . . وسأورد باقي الزحاف بما أذكره فيه مع المشطور ان شاء الله تعالى ولست أحمل أحداً على ارتكاب الزحاف الا ما خف منه وحلي ولو أن الخليل رحمه الله وضع كتاب العروض ليتكلف الناس ما فيه من الزحاف ويجعلوه مثالا دون أن يعلموا أنها رخصة أتت بها العرب عند

الضرورة لوجب أن يتكلف ما صنعه من الشعر مزاحفاً ليدل بذلك على علمه وفضل ما نحا اليه ·· ولسنا نرى الزحاف الظاهر في شعر محدث الا القليل لمن لا يتهم كالبحترى وما أظنه كان يتعمد ذلك بل على سجيته لانه كان بدويا من قرى منبج ولذلك أعجب الناس به وكثر الغناء فى شعره استطرافا لما فيه من الحلاوة على طبع البداوة ·· وذكر ابن الجراح انه من أهل قنسرين والعواصم وقد ذكرت ما يليق ذكره بهذا الموضع ليعرفه المتعلم ان شاء غير متكلف به شعراً الا ما ساعده عليه الطبع وصح له فيه الذوق لانى وجدت تكلف العمل بالعلم فى كل أمر من أمور الدين أوفق الا في الشعر خاصة فان عمله بالطبع دون العروض أجود لما فى العروض من المسامحة فى الزحاف وهو مما يهجن الشعر ويذهب برونقه

باب القوافي

القافية شريكة الوزن في الاختصاص بالشعر ولا يسمي شعراً حتي يكون له وزن وقافية هذا علي مَن رأى أن الشعر ما جاوز بيتاً واتفقت أوزانه وقوافيه ويستدل بأن المصرّع أدخل فى الشعر وأقوى من غيره ·· وأما ماقدأراه فقد قدمته في باب الأوزان واختلف الناس فى القافية ماهي فقال الخليل القافية من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه من قبله مع حركة الحرف الذى قبل الساكن والقافية على هذا المذهب وهو الصحيح تكون مرة بعضَ كلمة ومرةً كلمةً ومرةً كلمتين كقول امرئ القيس

* كجُلمود صخر حطه السيل من علِ *

فالقافية من الياء التي بعد حرف الروى فى اللفظ الى نون من مع حركة الميم وهاتان كلمتان ·· وعلي وزن هذه القافية قوله

* اذا جاش فيه حَميه غليُ مِرْجلِ *

فالقافيةُ مرجل وهي كلمة وعلى وزنها قوله

* ويلوي بأثواب العنيف المثقَّلِ *

والقافية من شيء في آخر البيت وهذه بعض كلمة .. وتمامه على هذا أبو عمر الجرمي وأصحابه وهو قول مضبوط محقق .. وقال الأخفش القافية آخر كلمة من البيت ويستدل على صحة ذلك .. كقول قوافي قصيدة كلمات كلمات نحو كتب وعب وركب وصحب .. وهو متعارف بين الناس يوم على قول الأخفش وكل كلمة من قوله كل وقوله مرحل وقوله المتقل في شعر مرئ القيس قافية .. الأخفش .. ترى قولين .. في معرفة القافية .. ورأي خليل عندي أصوب .. لأن الأخفش .. من جعل القافية بعض الكلمة دون بعض فقد .. فيها حرف روي .. قافية .. كلمة من كلمات التي عنده قوافي كان قد .. القافية بعض كلمة .. أن تشترك في القافية كلمتان لم يمتنع أن تكون القافية بعض كلمة مثل ذلك .. قول أبي الطيب

طوى الجزيرة حتى جاءني خبر   .. الكذب

حتى إذا لم يدع لي صدقه أملاً   شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

والقافية في البيت الأول على قوله الكذب .. وصل .. عنها لام لي .. القافية في البيت الثاني تشرق بي .. مذهب الخليل وأصحابه لأن القافية عنده في هذا البيت من .. التي للوصل وهي .. ضمير المتكلم لي شين يشرق مع حركة الياء التي قبلها في أول الكلمة .. القافية .. التي في موضع الروي .. الضمير التي قامت مقام الوصل رجع إلى قول من جعل القافية حرف الروي وهو خلاف مذهبه وليس بشيء لأنه لو كان صحيحاً لجاز في قصيدة واحدة .. وحر .. ومتحجر ومحجور وهذا لا يكون أبداً إلا أن العرب يجيء .. في كتب حروف المعجم أن القافية هي حرف الروي وتبعه على ذلك أكثر الكوفيين منهم محمد بن كيسان وغيره .. من أهل الكوفة .. موسى الحامض فقال القافية ما لزم الشاعر تكراره في آخر كل بيت .. وهذا كلام مختصر مليح الظاهر الأنه .. كلام الخليل بعينه لا زيادة فيه ولا نقصان

.. ومن الناس من جعل القافية آخر جزء من البيت .. قال أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي بعض الناس من العلماء يرى أن القافية حرفان من آخر البيت وحكى أنهم سألوا اعرابياً وقد أنشد

* بنات وطّاء على خدّ الليل *

ما القافية فقال خدّ الليل .. ولا أدري كيف قال أبو القاسم هذا لان خد الليل كلمتان وليستا حرفين الا اتساعاً وهذا هو آخر جزء من البيت على قول من قاله ولو قال قائل ان الاعرابي انما أراد الياء واللام من الليل على مذهب من يرى القافية حرفين من آخر البيت لكان وجهاً سائغاً لان الاعرابي لا يعرف حروف الهجى فيقول القافية الياء واللام من الليل فكرر اللفظ ليفهم عنه السائل مراده .. ومنهم من جعل القافية في الجزء الآخر من البيت وقال لا يسمى بيتاً من الشعر مادام قسيما أول .. ومنهم من قال البيت كله هو القافية لانك لا تبني بيتاً على أنه من الطويل ثم تخرج منه الى البسيط ولا الى غيره من الاوزان .. ومنهم من جعل القافية القصيدة كلها وذلك اتساع ومجاز ..وسميت القافية قافية لانها تقفو إثر كل بيت..وقال قوم لانها تقفو اخواتها والأول عندي هو الوجه لانه لو صح معنى القول الاخير لم يجز أن تسمى آخر البيت الأول قافية لانه لم يقف شيئاً وعلى أنه يقفو اثر البيت يصح جداً .. وقال أبو موسى الحامض هي قافية بمعنى مقفوة مثل ماء دافق بمعنى مدفوق وعيشة راضية بمعنى مرضية فكأن الشاعر يقفوها أى يتبعها وهذا قول سائغ متجه .. وسأذكر ما يلزم القافية من الحروف والحركات مالا غنى عن ذكره في هذا الموضع مجملا مختصر البيان والايضاح ان شاء الله تعالى..فأقول إن الشعر كله مطلق ومقيد فالمقيد ما كان حرف الروى فيه ساكنا وحرف الروى الذى يقع عليه الاعراب وتبنى عليه القصيدة فيتكرر في كل بيت وان لم يظهر فيه الاعراب لسكونه وليس اختلاف اعرابه عيباً كما هو فى المطلق اقواء وحركة ماقبل الروى فى المقيد خاصة دون المطلق على رأى الزجاج وأصحابه توجيه..وقال غيره في المطلق والمقيد جميعاً تسمى التوجيه مالم يكن الشعر مردفاً ويجوز في التوجيه التغيير فيكون سناداً عند بعض العلماء وكان الخليل يجيزه على كره من جهة الفتحة فأما الضمة والكسرة فهما عنده متعاقبتان كالواو والياء فى الردف والفتحةُ كالالف وأنشدوا

* أحمر بن عمرو كان كمر *

وفي قصيدة * وكندة حولي جمعاً صبر *

وفيها * تحرقت الأرض واليوم قر *

وحسن توجيه الكسر والضم والفتح ، وقد سمى ابن قتيبة وأبو عمدة وغيرهما هذا عيب حركة لأن منهم من جعل الاخزاة اختلاف حركة الروى فيما كان وصله هاء ساكنة كانت أو مشددة

الحمد لله الذي أعفو لنشمد لعقده

في كرهيم ورضاهم لا يستطيعون بعده

وأشد آخرون في هذا النحت لأن منهم من طاق عداه

فبيت من أنصحني في الهوى حتى إذا أحكمته مله

أمن آمد كنت ومن ذا الذي قبلي صفى العشق له كله

وكان ابن الرومي يلتزم حركة ما قبل الروى في المطلق والمقيد في أكثر شعره اقتداراً صنع ذلك في قصيدته القافية في السوداء وفي مطولته * أبين ضلوعي جمرة تتوقد *
قال شيخنا أبو عبد الله الاحازة بالراى معجمة اختلاف حركات ما قبل الروى وهو مأخوذ من حازة الحبل وهو تركب قواه بعضها على بعض فكأن هذا اختلفت قوى حركاته .. وقد حكي ابن قتيبة عن ابن الاعرابي مثل قول أبي عبد الله وقال هو مأخوذ من اجازة الحبل والوتر .. والمطلق نوعان أحدهما ما تبع حرف رويه وصل فقط .. والوصل أحد أربعة أحرف الياء والواو والالف والهاء يتفرد كل واحد منها بالقصيدة حتى تكمل فما وصله ياء قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

فبعد اللام ياء في اللفظ لا يقوم الوزن إلا بها وما وصله واو

أمن منون وريبها تتوجع

فبعد العين في اللفظ واو كذلك وما وصله ألف أيتها النفس اجملى جزعا

فبعد العين ألف ثابتة في الخط وإنما أثبتوها دون الياء والواو لخفتها مرة وكونها عوضاً

من السوس مرة ومما وصله هاء أتمحاكَ الرَّبع أو قِدَمُهُ

وكل وصل ساكن ما خلا الهاء فانها تكون ساكنةً ومتحركةً وسيرد عليك ذكرها ان شاء الله تعالى ٠٠ واذا كان ماقبل الواو والياء والهاء ساكناً أو كانت مضاعفة لم تكن الا حرف روى لاغير لان الوصل لا يكون ما قبلها ساكناً ولعلة أن المقيد لا وصل له فأما الألف فلا يكون ما قبلها ساكنا لانها أخف من ذلك واذا انفتح ما قبل الواو والياء الساكنتين لم يكونا الا رويا عند سيبويه واذا انكسر ما قبلها أو انضم كنت فيهما بالخيار وكذلك الألف اذا كانت أصيلة أنت فيها بالخيار ٠٠ وأما الياء المشددة المكسور ماقبلها مع الياء المشددة المفتوح ماقبلها فرأيُ القاضي أبي الفضل جعفر بن محمد فيهما أن يكون المكسور ماقبلها ردفا ويكون المفتوح ما قبلها اما ردفا لما بقي فيها من المد واما غير ردف لذهاب أكثر المدمنها فيكون على المذهب الاول مثل قصيا مع رضيا وهذا سناد وعلى المذهب الثاني مثل ارداف بيت وترك ارداف الآخر كقول حسان بن ثابت — ولا نوصه — في بيت ثم قال في الآخر — ولا نعصه — وهذا أيضا سناد ٠٠ وله رأي ثالث وهو أن تكون الياآن لما أدغمت احداهما في الأخرى صارتا بمنزلة حرف واحد وصار التزام التشديد احتياراً من الشاعر والاَّ فترك التشديد جائز له ٠٠ وهذا قول الخليل والأخفش جميعا وقد أنكره الجرمي وأبو سعيد السيرافي ٠٠ وكل هاء تحرك ما قبلها فهي صلة الا أن تكون من نفس الكلمة فانك تكون فيها بالخيار وان شئت جعلتها رويا وان شئت سمحت بها فصيرتها صلة والتزمت ماقبلها فجعلته رويا ٠٠ وكثيراً ما سقط الشعراء في هذا النوع قال أبو الطيب

أما بالوشاةِ اذا ذكرتكَ أشبهُ تأتي الندى ويذاع عنك فتكره

واذا رأيتكَ دون عِرضٍ عارضا أيقنتُ أن الله يبغي نصره

فغلط في التصريع لانه التزم فيه الهاء ولولا ذلك لكان البيتان رائيين وسمح بهاء تكره فصيرها صلة وان كانت من نفس الكلمة ٠٠ وقد وقع ابن المعتز في مثل حال أبي الطيب فقال

أفي العداةَ إمامٌ ماله شبه ولا نرى مثله يوما ولم نره

صـر د تصرف محركة محـ ـه مستور لا ـــح حتى مسه
ه محس فصرٌ ت يهلٌ عرصه كما تتـــع ـم متوح له

وقال ـــ صف كلاب صيد فى أرجوزة

ب حرصت من قدّه مُ ره لا ـوم تدت من صيد هـ
مـسكه عص ولا يدمى ه عزيزة مهن او تعقهـ

ووقع ستـ ز ر بردعى تقدمه عنهما فى مثل ذلك فقال

لله صورها وصيرها لاقتك او لم نقم بها
نصاً عيت لا رى حسـ لا دكرت لد ه شم

ولا شيء ان احداً من ـمـ ـ سمح فى مثل هذ ن هو عندهم عيب كالا كفاء وروى
بيت ستـ ر ـ ه ـ دمو و رى جمع برهة ولاعيب فيه على هذ •• وهاء حمزة وطلحة
لا تكون لا صلة ود تحركت هـ التأنيث كنت فيه دخيل ن ست اسرمت ما قبلها
وحعلم كاصلة محرّ ون شئت ترمتها فكانت على حقها رويه ••وعد رأيهم فى
كاف محاطب مع التأسيس د تدؤ حعود رويا فيلتزم ما قبلها و ن شاؤ جعلوها
مقام الصلة والتزمو ما قبلها محراً وهو لاجود لاحتيار الشعراء اياه قديماً على اشاعهم فى
تركه ••قال القاصى أو المصل من زعم أن التاء والكاف يكونان وصلا واىما حمله على
ذلك انه رأى بعض الشعراء قد لزم فى بعض شعره حرفاً لم يفارقه فظن ذلك الحرف
روياً ••وانما لم يجز عنده كونهما صلة لانهما ليس فيهما من مضارعة حروف المد واللين
ما فى الهاء ••وقال من جعل التاء صلة كالهاء انهـــا تجيء للتأنيث مثلها وتكون اسما كما
تكون الهاء اسما وقد ذكرنا ان الهاء و ن لهاء تنقلب تاء فى درج الكلام وشبه الكاف
بالهاء لانهـــا حرف ضمير مثلها و ها تكون اسما المجرور والمنصوب كالهاء ••والنوع
الآخر من المطلق ما كان لوصله خروج ولا يكون ذلك الوصل الا هاء متحركة نحو
قول الشاعر

والشمع لا يترك احلامه حتي يورى في ثرى رمسه

فالسين حرف الروى وحركتها مجرى وان شئت اطلاق كلاهما يقال والهاء وصل[1] وحركتها نفاذ و بعدها فى اللفظ ياء هي الخروج ولو كانت الهـاء مضمومة كان الخروج واواً أو مفتوحة كان الخروج ألفاً ٠٠ولا يكون حرف الروي الا فى أحد ثلاثة مواضع اما متأخرا

كقول طرفة لخولة أطلال ببرقة ثهمد

والدال روى واما قبل المتأخر ملاصقاً له كقول عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا

فالنون حرف الروي أو قبل المتأخر بحرف كقول لبيد

عفت الديار محلها فمقامها

فالميم حرف الروى٠٠وهذه المواضع المذكورة انما هي فى اللفظ لا فى الخط٠٠ولا يكون حرف الروى اذا كان بعده شئ الا متحركا لأن المقيد لا شئ بعده وأنشد بعضهم

شلت يدا فارية فرتها

على أن التاء حرف روى فرد ذلك العلماء بالعلة التى ذكرتها وقالوا انما التزم التاء والراء قبلها اتساعا والا فالهاء هي الروى٠٠وكل شعر فلا بد أن يكون مطلقا أو مقيداً ثم لا بد أن يكون مردفاً أو مؤسساً أو معرّي منهما مجرداً٠٠فالمردف نوعان تشترك الياء والواو فى أحدهما نحو قول علقمة الفحل

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

فالياء فى مشيب مقام الواو في طروب وتنفرد الالف بالنوع الآخر نحو قول امرئ القيس

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالى

لا تشركها غيرها والحركة التى قبل الردف ياء كانت أو واواً أو ألفاً تسمي الحذو وقد تجئ الضمة واواً فى اللفظ والكسرة ياء وذلك مع هاء الضمير فتكون ردفا وان لم تثبت فى الخط نحو قول ابن المعتز

ضمخوا عارضها بالمسك فى خد أسيل

---

(١) ن والهاء وصل حركتها نفاذ

بحث صدعن سـ...ـرك في وجه جميل
سدى التوق انه والتسى عده لى

وإن المردف ما تكون حركة الحذو فيه محالفة للردف فيحمل الشعر على جهته وإن دخل مع غير كان سناداً وذلك مثل هول وسيل يكونان في قصيدة ولا يكون معهما سول وقيل ..وقيس المردف في الوصل والخروج وغير ذلك من حروف الروي وحركته جار على ما تقدم في المجرد من الردف لا الحذو والتوجيه في المقيد يختص بالتوجيه وهو الروي والمردف مختص بالحذو وهو حركة ما قبل الردف وإن كان المردف مقيداً أسقط التوجيه وبقي الحذو لأن الردف قد سد موضع التوجيه..وقد يلتبس بالمردف ما ليس بردف فيحسبه الشعراء مثل فيهم مع منهم وهو جائز لأن الهاء ليست روياً فتكون الياء ردفاً والميم روي منهم ويحتسبون مسكين مع منهم وذلك جائز لا عيب فيه لما قدمت آنفاً ..وكان ابن الرومي خاصة من بين الشعراء يلتزم ما لا يلزمه في القافية حتى انه لا يعاقب بين الواو والياء في أكثر شعره قدرةً على الشعر واتساعاً فيه..والأجود أن يكون الردف والروي جميعاً في كلمة واحدة وإذا كانا في كلمتين فلا بأس .. والمؤسس من الشعر ما كانت فيه ألف بينها وبين حرف الروي حرف يجوز تغييره فذلك الحرف يسمى الدخيل وحركته تسمي الاشباع ويجوز تغييرها عند الخليل ولا يجوز عند أبي الحسن الأخفش مثال ذلك ما أنشده أبو زكريا الفراء

يهوى حنيطَ وإن أقما بعدهم إن المقيم مكلفٌ بالسائر
إن المطيّ بنا يجدن ضحى غدٍ واليوم يومٌ لبانةٍ وبرازرِ

وهو جائز غير معيب..وأما القاضي أبو الفضل فرأيه أن حركة الدخيل ما دامت اشباعاً جاز فيها التغيير بالنصب والخفض والرفع فإذا قيد الشعر وصار موضع الاشباع التوجيه لم يجز الفتح مع واحد منهما واعتل في ذلك بحال المطلق غير المؤسس ان ما قبل رويه جائز تغييره فإذا قيد لم يجز الفتح فيه الا وحده فهو سناد وتشارك الضم والكسر وهذا قول واضح البيان ظاهر البرهان والناس مجمعون على تغيير الدخيل حتى ان بعضهم لم يسمه لتغييره واضطرابه لكن عنده فيما لا يلزم القافية فسكت عنه..وأما الاشباع فالقول

فيه ماقدمت واذا كان ألف التأسيس فى كلمة وحرف الروى فى كلمة أخرى لم يعدوها تأسيساً لبعدها الا أن يكون حرف الروى مع مضمر متصل أو منفصل فان الشاعر بالخيار ان شاء جعل الالف تأسيساً وان شاء لم يجعلها تأسيساً والتى لا تكون عندهم تأسيساً قول عنترة

* والنادرين اذا لم القهما دمي *

لما كان الاسم ظاهراً ‥ وقد أنشد بعضهم فى أبيات اللغز والمعاياة

أقول لعمرو حين جوّد راله　　　ونحن بوادى عبد شمس وهاشم

وهي من الوهي وشم من التشيم للبرق ‥ وقول الآخر

أقول لعبد الله لمـا لقيته　　　ونحن بوادى الروم فوق القناطر

فلقنا جمع قناة وطر أمر من طار يطير فرخص فيه لما انكسرت حركة دخيله على متعارف الشعر وهو كلام حسن الظاهر الا أنه خلاف لما قال العلماء والتى تكون تأسيساً لكونها مع المضمر قول الشاعر

تريدحسي الـكأس السمة سماهةً　　　وتتركُ أخلاقَ الـكريم كما هيا

‥ وقول جرير

فرُدّى جمال الحىّ ثم تحملى　　　فما لك فيهم من مقام ولالنا

فهذا ضمير متصل والذى قبله ضمير منفصل ‥ ومما جاءت الالف فيه غير تأسيس مع المضمر قول الشاعر وهو من شواهد أبي الفتح عثمان بن جنى النحوى

أية جاراتك تلك الموصيه　　　قائلةً لا تسـقيا بحليه

لو كنتُ حبلاً لسقيتها بيه　　　أو قاصراً وَصلتهُ بثوبيه

فالألف فى سقيتها غير تأسيس فاذا كانت الهاء والـكاف التى للمخاطب دخيلا لم يخلط الشعراء بها غيرها اتساعاً والا فهو جائز ‥ وأنشد الحرمى لعوف بن عطية بن الخرع

فان شئتما ألقحتما ونتجتما　　　وان شئتما عينا بعـين كما هما

وان كان عقلاً فاعقلا لأخيكما　　　بنات المخاض والفصالَ المقاحما

ومن مؤسس ومردف فيتبين في شعره فلا تغيره لا عن كثرة وبعد فترة

قودت منه فيكون فيه فلا يستدل به ويعمل عليه إن شاء الله تعالى .. ثم ذلك

فمن قبل الكاف في قافية وسمية لأنه دخيل والكاف روي والتزمه بعد

ع وقد كانت موضع الكاف هاء صار شعراً مردفاً موصولاً ولم يحتج تغييره قبل

هذا لأن وغيره سكنت قد غيرت حرف الروي مثل ذلك قول كثير وغيره

زعمت لو شئت البين رثنا حبالك ... ولو شئت ما فحقتني بالحبائك

وتزم اللام في القصيدة كلها وفي أكثرها سبعاً وغير كما فعل ذو الرمة في قوله

فاستحدثت عنك لا محالة ... بجمهور حزوى أو بجرعاء مالك

أحب رويا كل ذي نبت ... وكل رسم كي أحسن المبارك

لم يكن عيباً لأن الكاف روي وصلتها الياء التي بعدها في اللفظ والدخيل راء المبارك

ولام مالك وقد التزمه كثير كأن القافية عنده لامية مردفة والكاف مقام الهاء صلة

على النحو لا على الحقيقة .. وقول كثير في الردف

على ابن أبي العاصي دلاص حصينة ... أجاد المسدي سردها وأذالها

فاللام روي والألف التي قبلها ردف والهاء صلة والألف التي بعدها خروج ولا يجوز

أن يقال هذه القافية مؤسسة لأن الهاء إذا تحرك ما قبلها وليست من نفس الكلمة لم

تكن إلا صلة وإذا كانت الهاء صلة لم تكن اللام إلا روياً ولا يجوز تغييرها .. وجميع

ما يلحق القوافي من الحروف والحركات ستة أحرف وست حركات فالأحرف الرويُّ

والردف والتأسيس والوصل والخروج والدخيل والحركات الإطلاق والحذو والرسُّ

والتوجيه والنفاذ والإشباع والذي يجتمع منها في قافية واحدة خمسة أحرف وهي التأسيس

والرويّ والصلة والخروج والدخيل وكلها يلزم تكراره بعينه إلا الدخيل وأربع حركات

وهي الرس والإشباع والإطلاق والنفاذ وذلك مثل قول الشاعر

يوشك من فرَّ من منيته ... في بعض غراته يوافقها

ولا يجتمع في قافية الحذو والرس كما لا يجتمع الردف والتأسيس وكذلك لا يجتمع أيضاً

التوجه والاشباع فسقط التوجيه اذا كان المؤسس مطلقا وسقط الاشباع اذا كان المؤسس مقيداً •• وقد أنكر الجرمي والاخفش وأصحابهما على الخليل تسمية الرس وقالوا لامعنى لذكر هذه الفتحة لان الألف لايكون ما قبلها لا مفتوحاً وانما احتيج الى ذكر الحذو قبل الردف لان الحذو قد يتغير فيكون مرة فتحة قبل ألف ومرة كسرة قبل ياء ومرة ضمة قبل واو •• ومما يجب أن يراعي في هذا الباب الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد والتضمين فانها من عيوب الشعر •• فأما الاقواء والاكفاء فاختلف العلماء فيهما وفي اشتقاقهما •• وأما السناد والايطاء فاتفقوا فيما دون اشتقاقهما وعند أكثر العلماء اختلاف اعراب القوافي اقواء وهو غير جائز لمولد وانما يكون في الضم والكسر ولا يكون فيه فتح هذا قول الخامص •• وقال ابن جني والفتح فيه قبيح جداً الا أن أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة يسمون هذا إكفاءً والاقواء عندهم ذهاب حرف أو مايقوم مقامه من عروض البيت نحو قول الشاعر وهو بجير بن زهير ابن أبي سلمي

كانتْ عُلاَلَةَ يومِ بطنِ حُنينٍ وغداةَ أوطاس ويوم الأبرقِ

واشتقاقه عندهم فيما روى النحاس من أقوت الدار اذا خلت كأن البيت خلا من هذا الحرف •• وقال غيره انما هو من أقوى الفاتلُ حبله اذا خالف بين قواه فجعل احداهن قوية والاخرى ضعيفة أو مُمرّةً والاخرى سحيلةَ أو بيضاء والاخرى سوداء أوغليظة والاخرى دقيقة أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع وهذا يسميه الخليل المقعد وهو من باب الوزن لامن باب القافية والجمهور الاول من العلماء على خلاف رأي أبي عبيدة في الاقواء •• وأما الاكفاء فهو الاقواء بعينه عند جلة العلماء كابي عمرو بن العلاء والخليل بن احمد ويونس بن حبيب وهو قول احمد بن يحيى ثعلب وأصله من أكفأت الاناء اذا قلبته كأنك جعلت الكسرة مع الضمة وهي ضدها وقيل من مخالفة الكفوة صرحتها وهي النسيجة من نسائج الخباء تكون في مؤخره فقال بيت مكفأ تشبيهاً بالبيت المكفأ من المساكن اذ كان متشبهاً به في كل أحواله •• قال الاخفش البصري الاكفاء القلب وقال الزجاجي وابن دريد كفأت الاناء اذا قلبته وأكفأته اذا أملته كان الشاعر أمال فيه بالضمة فصيرها كسرة الا ان دريد رواهما أيضاً بمعنى قلبته شاذا وقيل بل من المخالفة

في بيته ولكلام يقل أكفأ الرجل في ذا جعل في بيته وأكفأ الرجل في كلامه إذا
جعل ضده وأفسده قال ذو الرمة

وذوية قفر ترى وجه ركبه ... إذا ما علوها مكفأ غير ساجع

وقال المفضل الضبي الاكفاء اختلاف الحروف في الروي وهو قول محمد بن يزيد
المبرد وأنشد

أفبحت من سلامة ومن صُدْعِ ... كأنها كُتبة ضب في صُقُع

وفي بعض معاني الاكفاء وتسقفه عنده من المماثلة بين البيتين كقولك فلان كفء فلان
أي مثله قال ومنه كفأت الرجل كأن الشاعر جعل حرفا مكان حرف والناس اليوم
في الاكفاء على رأي المفضل وهو عيب لا يجوز لمحدث ولا يكون الا فيما تقارب
من الحروف ولا فهو غلط الجملة هذا رأي الاخفش سعيد بن مسعدة والخليل يسمي
هذا النوع الاجارة ٠٠ قال الفراء الاجارة في قول الخليل أن تكون القافية طاء
والاخرى دالا وقال أبو اسحاق الحيرمي الاجارة بالراء لا غير وهي من الجوار وهو
نوح قال ابن السكيت وهو مد الكثير وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام
ـ ولولا الله حار بهم الجوارُ ـ قال المهلبي ورأيته بخط الطوسي والسكري بالراء وهو
قول الكوفيين فأما البصريون فيقولون الاجازة بالزاي حكي ذلك ابن دريد ٠ وقال بعض
شيوخنا الاجازة في القوافي مشتقة من الجواز في السكي والدمام ألا ترى أنها فيما تقارب
من الحروف فكأن الحرف جاوز لآخر ودخل في ذمامه وقال قوم بل هي من الجور
كأن القافية جارت أي جاءت القصد وأجارها الشاعر أي صيرها كذلك وعلى هذا
يصح قول الحيرمي فاذا تأملت أقاويل العلماء وجدت الاجازة بالزاي اختلاف التوجيه
وهو حركة والاجارة بالراء اختلاف الروي وهو حرف وليس هذا من هذا في شيء
فكان العلماء لم يجتمعوا حينئذ لان التسمية اختلفت لاختلاف المسمى ٠٠ ومثل الاجارة
لاصرف حكاه شيخنا أبو عبد الله قال وهو أن تكون القافية دالاً والاخرى طاءً
والقصيدة مصرفة ولذلك قال الشاعر

مقومـة قوافيها وليست ... بمصرَفة الرويّ ولا ساد

وأما السناد فأنواع كثيرة منها وهو المشهور أن يختلف الحذو وهو حركة ما قبل الردف فيدخل بشرط الالف وهي الفتحة على الياء والواو كقول الفضل بن العباس اللهبي

* واملأ وحيث الحمل حموشا *

ثم قال * وما سمعت قريش قريشا *

وهو كثير للعرب غير جائز للمولدين ومنها اختلاف الاشباع كقول النابغة

ـ يررن ألالاً سيرهنَّ التدافع ـ

والقصيدة كلها اشباع ومنها ارداف قافية وتجريد أخري كقول حسان بن ثابت في قافية

فارسل حكيما ولا توصهِ

وقال في أخري وشاور لبيباً ولا تعصه

ومنها تأسيس قافية دون اخواتها كقول العجاج ـ فخندفٌ هامةُ هذا العالم ـ وأول هذه الارجوزة * يادار سلمى يا اسلمي ثم اسلمي *

وكلها غير مؤسسة الا هذا البيت وحده ويقال ان لغته الهمز فاذا همز لم يكن تأسيساً ٠٠ ومنها اختلاف التوجيه نحو قول امرئ القيس بن حجر

لاَ وأبيكِ ابنةَ العامري لا يدعي القومُ انى أفِر

ثم قال تميم بن مرٍّ واشياعها وكندةُ حولي جميعاً صُبُرْ

اداركوا الخيل واستلأموا تحرّقت الارض واليوم قَر

فما قبل الراء في البيت الأول مكسور وفي الثاني مضموم وفي الثالث مفتوح وليس هذا بعيب شديد عندهم ٠٠ قال الزجاجي السناد كل عيب يلحق القافيـة ما خلا الاقواء والاكفاء والايطاء وهذا قول فيه بيان واختصار ٠٠ وقال علي بن عيسى الرماني السناد اختلاف ما قبل حرف الروي أو بعده على أي وجه كان الاختلاف بحركة كان أو بحرف ٠٠ وقال ابن جني السناد كل عيب يحدث قبل الروي ٠٠ واشتقاق السناد من من ساند القوم اذا جاؤا فرقاً لا يقودهم رئيس واحد وقيل بل هو من قولهم ناقة سناد اذا كانت قوية صلبةً لان الياء الصلبة أقوى في النطق من الياء اللينة ٠٠ وقالوا بل

...د ...ة مسروة كـ حـدى عروش أشرفت على حوض .. وأما الإيطاء فهو أن يكرر لفظ القافية ومعناها واحد كما قال امرؤ القيس في قافية سرح مرقب وفي قافية أخرى فوق مرقب وليس بينهما غير بيت واحد .. وكلما تباعد الإيطاء كان أخف وكذلك إن خرج الشاعر من مدح إلى ذم أو من نسيب إلى هجاء ألا ترى أن قولهم ذاك وعذب ذاك فكأن الشاعر في شعر آخر وأقبح من هذا الإيطاء قول تميم بن أبي مقبل

أو كهلة ... تدوله أيدي الحرور دومته ...

و تروى ... تدوقه ... ثم قال في القصيدة غير بعيد

... أم لبني مقتصد من الأحاديث حتى زدني لينا

فكرر القافية ولفظها ومعناها وأشد من ذلك قول أبي ذؤيب في سعة

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع

ثم قال في صفة ثور والكلاب

فصرعنه تحت الغبار لجنبه متترب ولكل جنب مصرع

فكرر نصف البيت .. وإذا اتفق الكلمتان في القافية وخالف معناهما لم يكن إيطاء عند أحد من العلماء إلا عند الخليل وحده وإن يزيد عنده بمعنى الاسم ويزيد بمعنى الفعل إيطاء وكذلك جون للأبيض والأسود وجلل للكبير والصغير وإذا كان أحد الاسمين نكرة والآخر معرفة لم يكن إيطاء وكذلك ضرب للواحد وضربا للاثنين ولم تضرب للمذكر ولم تضربي للمؤنث ومن علامة ومن علامي مضافاً كل هذا ليس بإيطاء .. وأما اختلاف الحروف على الاسم كقولك لزيد وبزيد وعلى الفعل كقولك اضرب وتضرب ونضرب في مخاطبة المذكر والحكاية عن المؤنث فكل ذلك إيطاء .. والإيطاء جائز للمولدين إلا عند الجمحي وحده فإنه قال قد علموا أنه عيب .. وقال الفراء إنما يواطئ الشاعر من عي وإذا كرر الشاعر قافية للتصريع في البيت الثاني لم يكن عيباً نحو قول امرئ القيس خليليّ مرا بي على أم جندب

ثم قال في البيت الثاني ـ لدي أم جحدب ـ واشتقاقه من الموافقة قال الله عز وجل ﴿ ليواطئوا عدة ما حرم الله ﴾ أي ليوافقوا . وقال قوم بل الايطاء من الوطء كأن الشاعر أوطأ القافية عقب أختها كما قال توبة يخاطب بعل ليلى الاخيلية

لعلك يا تيساً نزى في مريرة ... معاقب ليلى أن تراني أزورها

على دماء البدن ان كان بعلها ... يرى لي ذنباً غير أني أزورها

والتضمين أن تتعلق القافية أو لفظة مما قبلها بما بعدها كقول النابغة الذبياني

وهم وردوا الجفار على تميم ... وهم أصحاب يوم عكاظ اني

شهدت لهم مواطن صالحات ... وثقت لهم بحسن الظن مني

وكلما كانت اللفظة المتعلقة بالبيت الثاني بعيدة من القافية كان أسهل عيباً من التضمين ويقرب من قول النابغة قول كعب بن زهير

ديار التي بتت حبالي وصرمت ... وكنت اذا ما الحبل من خلة صرم

فزعت الى وجناء حرف كأنما ... بأقرابها قار اذا جلدها استحم

وأخف من هذا قول ابراهيم بن هرمة

إما تريني شاحباً متبذلا ... كالسيف يخلق جفنه فيضيع

فلرب لذة ليلة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

وليس منه قول متمم بن نويرة

لعمري وما دهري بتأبين هالك ... ولا جزعاً مما أصاب فأوجعا

لقد كفن المنهال تحت ردائه ... فتى غير مبطان العشيات أروعا

وربما حالت بين بيتي التضمين أبيات كثيرة بقدر ما يتسع الكلام وينبسط الشاعر في المعاني ولا يضره ذلك اذا أجاده . وتجمع القوافي كلها خمسة ألقاب . المتكاوس وهو أربع حركات بين ساكنين وله جزء واحد وهو فعلتن والفراء لا يعده لانه عنده من المتدارك لان فعلتن انما هي مستعمل مزاحف السببين . والمتراكب وهو ثلاث متحركات

ساكنين وهو حرفان متحركان بعدهما ساكن وهو المتدارك وهو حركة بين ساكنين وهو نحو مفاعيل ومفاعيلن ومستفعلن وفاعلن ... والمتواتر وهو ما يولى فيه متحركان بين ساكنين نحو مفاعلن وفاعلاتن ومفاعلاتن ومفعولن ... والمترادف وهو ما اجتمع في آخره ساكنان نحو فاعلان ومتفاعلان ومستفعلان وما أشبه ذلك ... ولا تجتمع نوعان من هذه الانواع في قصيدة الا في جنس من السريع والمتواتر يجتمع فيه مع المترادف اذا كان الشعر مقيداً كقول مرقش في بيت * وأطراف الأكف عنم *

وفي بيت آخر * قد قلت فيه عشير ما تعير *

باب التقفية والتصريع

هذا باب يشكل على كثير من الناس علمه و بلحقه عيب سماه قدامة التجميع كأنه من الجمع بين رويين وقفتين ورأيت من يقول التجميع بالجيم كأنه من جمع في الرحل وسنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى .. وأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصه وتزيد بزيادته نحو قول امرئ القيس في الزيادة

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان ورسمٍ عفت آياته منذ أزمانِ

وهي في سائر القصيدة مفاعلن وقال في النقصان

لمن طللٌ أبصرتهُ فشجاني كخطِّ زبورٍ في عسيبِ يمانِي

فالضرب فعولن والعروض مثلهُ لمكان التصريع وهي في سائر القصيدة مفاعلن كالأولى فكل ما جرى هذا المجرى في سائر الأوزان فهو مصرَّع .. والتقفية أن يتساوى الجزآن من غير نقص ولا زيادة فلا يتبع العروض الضرب في شيء الا في السجع خاصة مثال ذلك قوله

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ

فهما جميعاً مفاعلن الا أن العروض مقفى مثل الضرب فكل مالم يختلف عروض بيته

الأول مع سائر عروض أبيات القصيدة الا في السجع فقط فهو مقفى .. واشتقاق التصريع من مصراعي الباب ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها وقيل بل هو من الصرعين وهما طرفا النهار .. قال أبو اسحاق الزجاج الاول من طلوع الشمس الى استواء النهار والآخر من ميل الشمس عن كبد السماء الى وقت غروبها .. قال شيخنا أبو عبد الله وهما العصران .. وقال قوم الصرع المثل وسبب التصريع مبادرة الشاعر القافية ليُعلم في أول وَهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور ولذلك وقع في أول الشعر وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك اذا خرج من قصة الى قصة أو من وصف شيء الى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريع اخباراً بذلك وتنبيهاً عليه وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرعوا في غير موضع تصريع وهو دليل على قوة الطبع وكثرة المادة الا أنه اذا كثر في القصيدة دل على التكلف الا من المتقدمين .. قال امرؤ القيس

تروح من الحيّ أم تبتكر ... وماذا عليك بأن تنتظرْ

أمرخ خيامهم أم عُشر ... أم القلب في إثرهم مُنحدر

وشاقك بين الخليط الشُّطُرْ ... وفيمن أقام من الحي هِرّْ

فوالى بين ثلاثة أبيات مصرعة في القصيدة وقد يجعلون أولها

أحارِ بنَ عمرٍو كأني خمِر ... ويعدو على المرء ما يأتمر

وقال عنترة العبسي

أعياك رسمُ الدارِ لم يتكلم ... حتى تكلم كالأصمِّ الاعجمِ

ثم قال بعد بيت واحد

هل غادرَ الشعراء من متردَّم ... أم هل عرفتَ الدار بعد توهم

يادارَ عبلةَ بالجواء تكلمي ... وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

فصرع البيت الأول والثالث والرابع .. وقولنا في شعر امرئ القيس وعنترة وغيرهما مما يستأنف مصرَّعه انما هو مجاز وجرى على عادة الناس لئلا يخرج عن المتعارف والا

فقد بنت ذلك أولا .. ومن الناس من لا يصرع أول شعره قلة اكتراث بالشعر
ثم يصرع بعد ذلك كما صنع الاخطل في قوله أول قصيدة

خفت القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى في صرفها غير

وقد بدأ أبو تمام في قصيدة عمد فيها لأسواق العرب

فصرع البيت الثاني دون الاول .. وقال ذو الرمة أول قصيدة

دار لمية هاجت للعين عبرة فماء الهوى يرفض أو يترقرق

ثم قال بعد عدة أبيات

أمن مية اعتاد الخيال المؤرق نعم انه من على النأي يطرق

وكان الفرزدق قليلا ما يصرع أو يبتدئ الا الشعر كقوله

ألم تر أني يوم جو سويقة بكيت فنادتني هنيدة ما بيا

فجاء بمثل هذه القصيدة الجليلة غير مصرعة .. وكذلك قوله يرد على جرير

تكاثر يربوع عليك ومالك على آل يربوع فذلك مسرح

وأكثر شعر ذي الرمة غير مصرع الاول وهو مذهب كثير من الفحول وان لم تعد
فيهم لقلة تصرفه الا أنهم جعلوا التصريع في مبتدآت القصائد فيما يتأهبون له من الشعر
فدل ذلك على فضل التصريع .. وقد قال أبو تمام وهو قدوة

وتقفو الى الجدوى بجدوى وانما يروقك بيت الشعر حين يصرع

فضرب به المثل كما ترى ..والتصريع يقع فيه من الاقواء والاكفاء والايطاء والسناد
والتضمين ما يقع في القافية .. فمن الاقواء ما أنشده الزجاجي وهو قول بعضهم

ما بال عينك منها الماء مهراق سحا فلا عازب منها ولا راقي

ومن الاكفاء قول حسان بن ثابت أنشده الجاحظ

ولست بخير من أبيك وخالكا ولست بخير من معاظلة الكلب

ومن الايطاء قول عبد الله بن المعتز

ياسائلا كيف حالي أنت العليم بحالي

ومن السناد قول اسماعيل بن القاسم أبي العتاهية

ويلي على الاظعان ولّوا   عني بغتةً واستقلوا

ومن التضمين قول البحتري

عذيري فيك من لاحٍ اذا ما   شكوتُ الحبّ قطعني ملاما

ومن ابتداء القصائد التجميع وهو أن يكون القسم الأول مهيئاً للتصريع بقافية ما فيأتي تمام البيت بقافية على خلافها كقول جميل

يا بثنَ انك قد ملكت فاسجحي   وخذي بحظك من كريم واصل

فهيأت القافية على الحاء ثم صرفها الى اللام .. ومثله قول حميد بن ثور الهلالي

سل الربع أنّى يممت أمُّ سالم   وهل عادةٌ للربع أن يتكلما

فهيأت له قافية مؤسسة لو شاء ثم أتت في آخر البيت غير مؤسسة ويروي أم أسلما فخرج عن التجميع .. ومن أشد التجميع قول النابغة الذبياني

جزى الله عبساً عبسَ آل بغيضٍ   جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

واما التجميع فيما شابه الاطلاق أو قارب ذلك كقول جميل فيما تقدم وقول حميد وهو كالاكفاء والسناد في القوافي الا انه دونهما في الكراهية جداً .. واذا لم يصرع الشاعر قصيدته كان كالمتسور الداخل من غير باب .. والمداخل من الأبيات ما كان قسيمه متصلا بالآخر غير منفصل منه قد جمعتهما كلمة واحدة وهو المدمج أيضاً وأكثر ما يقع ذلك في عروض الخفيف وهو حيث وقع من الأعاريض دليل على القوة الا أنه في غير الخفيف مستثقل عند المطبوعين وقد يستخفونه في الأعاريض القصار كالهزج ومربوع الرمل وما أشبه ذلك .. ومن الشعر غير المصرع ما لايجوز أن يظن مجمعاً وذلك نحو قول ذي الرمة واسمه غيلانُ بن عقبةَ

أان ترسمت من خرقاء منزلةً   ماءُ الصبابةِ من عينيكَ مسجومُ

لأن القافية من عروض البيت غير متمكنة ولا مستعمل مثلها وان كان استعمالها جائزاً لو وقع .. ومن الشعر نوع غريب يسمونه القواديسي تشبيهاً بقواديس السانية لارتفاع

بعض قوافيه واحدة وبعضها في حدة لا ادري [illegible] طلحة بن
عبد الله [illegible] في قصيدة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ودمعي هواطل

وهو مربوع رجز تعمد فيه لاقوافي [illegible] اكثره قصداً كما فعل في البيتين الاولين
من هذه [illegible] ومن الشعر جنس كالمصريع لانه محتمل لأنواع [illegible] عليها ان شاء الله
[illegible] السمط وهو ان يبتدئ الشاعر ببيت مصرع ثم يأتي باربعة
اقسمة على غير قافيته ثم يعيد قسماً واحداً من جنس ما ابتدأ به هكذا الى آخر القصيدة
مثل ذلك قول امرئ القيس وقيل انها منحولة

توهمت من هند معالم اطلال ... عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي

مرابع من هند خلت ومصايف ... يصيح بمغناها صدى وعوازف

وغيرها هوج الرياح العواصف ... وكل مسف ثم آخر رادف

* باسحم من نوء السماكين هطال *

وهكذا يأتي باربعة اقسمة على اي قافية شاء ثم يكرر قسماً على قافية اللام وربما
كان المسمط باقل من اربعة اقسمة كما قال احدهم

خيال هاج لي شجناً ... فبت مكابداً حزنا

عميد القلب مرتهناً ... بذكر اللهو والطرب

سبتني ظبية عطل ... كأن رضابها عسل

ينوء بخصرها كفل ... بمثل روادف الحقب

وربما جعلوا بدلاً خمسة على شرطهم في الاقسمة وهو متعرف أو اربعة ثم يأتون بعد
ذلك باربعة اقسمة كما قال خالد القناص انشده الزجاجي أبو القاسم

لقد نكرت عيني منازل جيران كأسطار رق ناهج خلق فان
توهمتها من بعد عشرين حجة فما استبين الدار الا بعرفان
فقلتُ لها حييت يادارَ جيرتي أبيني لنا الى تبدَّدَ اخواني
وأيُّ بلاد بعد ربعك حالفوا فان فؤادي عند ظعنة جيراني

فجاء بأربعة أبيات كما ترى ثم قال بعدها

وما نطقت واستعجمت حين كلمت وما رجعت قولا وما ان ترمرمت
وكان شفائي عندها لو تكلمت الىَّ ولو كانت أشارت وسلمت
* ولكنها صمت عليَّ بشيان *

وهكذا الى آخرها وقد جاء هذا الشاعر في قصيدته بخمسة أقسمة مرة واحدة ولم يعاودها ولو عاودها لم نضره وكذلك لو نقص الا أن الاعتدال أحسن .. والقافية التي تكرر في التسميط تسمى عمود القصيدة واشتقاقه من السمط وهو أن يجمع عدة سلوك في ياقوتة أو خرزة ما ثم تنظم كل سلك منها على حدته بلؤلؤ يسيراً ثم يجمع السلوك كلها في زبرجدة أو يشب أو نحو ذلك ثم تنظم أيضاً كل سلك على حدته ويصنع به كما صنعت أولا الى تمام السمط هذا هو المعارف عند أهل الوقت .. وقال أبو القاسم الزجاجي انما سمي بهذا الاسم تشبيهاً بسمط اللؤلؤ وهو سلكه الذي يضمه ويجمعه مع تفرق حبه وكذلك هذا الشعر لما كان متفرق القوافي مُتعقباً بقافية تضمه وترده الى البيت الأول الذي بنيت عليه القصيدة صار كأنه سمط مؤلف من أشياء متفرقة .. ونوع آخر يسمى مخمساً وهو أن يؤتى بخمسة أقسمة على قافية ثم بخمسة أخرى في وزنها على قافية غيرها كذلك الى أن يفرغ من القصيدة هذا هو الاصل وأكثروا من هذا الفن حتى أتوا به مصراعين مصراعين فقط وهو المزدَوجُ الا أن وزنه كله واحد وان اختلفت القوافي كذات الأمثال وذات الحلل وما شاكلها ولا يكون أقل من مصراعين وكل مشطور أو منهوك فهو بيت وان قيل مصرع فعلى المجاز وماسوى ذلك مما لم يأت مثله عن العرب فهو مصاريع ليس بيت ولم أحدهم يستعملون في هذه المخمسات الا الرجز خاصة لأنه وطيء سهل المراجعة .. وأما المسمطات فقد جاءت في أوزان كثيرة مختلفة كما

قدمت .. وبعض من رحر وهو مشطور ومنهوك فأما المشطور فهي على شطر بيت نحو قول ... محي

الحمد لله الوهوب المجزل أعطى فلم يبخل ولم يبخل

وأما المنهوك فهو ما هي على ثلثي بيت وبيت يذهب ثلثيه أي ضعف وهذا مثل قول أبي نواس

وبلدة فيها زورْ صعراء تخطى في صعرْ

وشبه منه مشطور السريع ومنهوك المنسرح وسيأتيان فيما بعد ان شاء الله تعالى وأنشد الرحى وزناً مشطراً مجيز المصول لا أنتك أنه مولد محدث وهو

سقى طللا بحزوى هزيم الودق أحوي
عهدنا فيه أروى زماناً ثم أقوى
وأروى لا كنودٌ ولا فيها صدود
لها طرف صيودٌ ومبتسمٌ برود
من شط المزار بها ونأت ديار
فقلبي مستطار وليس له قرار
ستدنيها ذمول كجنعنعةٌ ذلولُ
اذا عرضت هجولٌ تقصر ما يطولُ

وهذا وزن ملتبس يجوز أن يكون مقطوعاً من مربع الوافر ويجوز أن يكون من المضارع مقبوضاً مكفوفاً ذكره الجوهري .. وأنشد لبعض المحدثين

أشاقك طيفُ مامةْ بمكة أم حمامةْ

أشاقك معاعل وحقه في أصل الوزن مفاعيلن .. وقد رأيت جماعة يركبون المخمسات والمسمطات ويكثرون منها ولم أر متقدماً حاذقاً صنع شيئاً منها لأنها دالة على عجز الشاعر وقلة قوافيه وضيق عطنه ما خلا امرأ القيس في القصيدة التي نسبت اليه وما أصححها له وبشار بن برد قد كان يصنع المخمسات والمزدوجات عبثاً واستهانة بالشعر

وبشر بن المعتمر وقد أنشد الجاحظ له أول مزدوجة وصنع ابن المعتز قصيدة في ذم الصبوح وقصيدة في سيرة المعتضد ركب فيها هذا الطريق اذ تقتضيه الالفاظ المحتملة الضرورية والمراد من التوسع في الكلام والتملح بأنواع السجع .. وهذا الجنس موقوف على ابن وكيع والامير تميم بن المعز ومن ناسب طبعهما من أهل الفراغ وأصحاب الرخص وقد يقع لبعض الشعراء البيتان والثلاثة لها قافية واحدة يحملونها معاياة وتلاقبها العروضيون كالأبيات التي تروى لابن دريد وسترد في مكانها من سوى هذا الباب ان شاء الله تعالى

باب في الرجز والقصيد

قد خص الناس باسم الرجز المشطور والمنهوك وما جرى مجراهما وباسم القصيد ما طالت أبياته وليس كذلك لان الرجز ثلاثة أنواع غير المشطور والمنهوك والمقطع .. فاما الأول منها فنحو أرجوزة عبدة بن الطبيب

باكرني بسحرةٍ عواذلي وعذلهنّ خبلٌ من الخبلْ
يلمنني في حاجةٍ ذكرتها في عصر أزمان ودهرٍ قد نسلْ

والنوع الثاني نحو قول الآخر

القلب منها مستريحٌ سالم والقلبُ مني جاهد مجهود

والنوع الثالث قول الآخر

قد هاج قلبي منزل من أم عمرو مُقفرُ

فهذه داخلة في القصيد وليس بممتنع أيضاً أن يسمى ما كثرت ابياته من مشطور الرجز ومنهوكه قصيدة لان اشتقاق القصيد من قصدت الى الشيء كأن الشاعر قصد الي عملها على تلك الهيئة والرجز مقصود أيضاً الى عمله كذلك ومن المقصّد ما ليس برجز وهم يسمونه رجزا لتصريع جميع أبياته وذلك هو مشطور السريع نحو قول الشاعر أنشدناه أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن ابراهيم الآمدي

[illegible] لأعرابي

هل [illegible] على ذي مور [illegible] ريح وسود

[illegible] عن ره د مكمور [illegible] صرح مصور

[illegible] في كفه [illegible] مسرور [illegible]

[illegible] حور [illegible] من نعيم خور

وأنشد [illegible] الله لابن المعتز

وبقائلة قد تبت يكم فيض تجمع من [illegible]

وكم طول [illegible] تجمع للسيل برعم

ومهجة قد كاد يعني طول سقم [illegible]

وبروقها في كف [illegible] كم تتلاه فهو يستعجم

نبس [illegible] من حم دصر من د على الأحباب [illegible]

وهذا عند الجوهري من المنسرح والذي أنشده أبو عبد الله على قول الجوهري هو من الرجز جعل جزءه الآخر مستفعلن مقرون فيه الوتد وسكن اللام لأن آخر البيت لا يكون متحركا كجمعه مفعولات .. وأما منهوك المنسرح — صغرى عند الدار — فهو عند الجوهري من الرجز ومثله — ويلم سعد سعدا — لأنه أقصد منه فعلى كل حال تسمى الأرجوزة قصيدة طالت أبياتها وقصرت ولا تسمى القصيدة أرجوزة إلا أن تكون من أحد أنواع الرجز التي ذكرت ولو كانت مصرعة الشطور كالذي قدمته فالقصيد تطلق على كل الرجز وليس الرجز مطلقاً على كل قصيد أشبه الرجز في الشطر .. قال النحاس القريض عند أهل اللغة العربية الشعر الذي ليس برجز يكون مشتقاً من قرض الشيء أي قطعه كأنه قطع جنساً وقال أبو إسحاق وهو مشتق من القرض أي القطع والتفرقة بين الأشياء كأنه ترك الرجز وقطعه من شعره وكان أقصر ما صنعه القدماء من الرجز ما كان على جزأين نحو قول دريد بن الصمة يوم هوازن

يا ليتني فيها جذع أخب فيها وأضع

حتى صنع بعض المعنين أطبه علي بن يحيى أو يحيي بن علي المنجم أرجوزة على حرف واحد وهي

طيف ألم بذي سلم بعد العتم يطوي الأكم

جاد بهم وما بهم فيه همم إذا نعم

ويقال أن أول من ابتدع ذلك سلم الخاسر يقول في قصيدة مدح بها موسى الهادي

موسى المطر غيث بكر ثم انهمر ألوى المرر

كم اعتسر ثم ايتسر وكم قدر ثم غفر

عدل السير باقي الأثر خير وشر نفع وضر

خير البشر فرع مضر بدر بدر والمفتخر

لمن غبر

والجوهري يسمي هذا النوع المقطع .. وقد رأى قوم أن مشطور الرجز ليس بشعر لقول النبي صلى الله عليه وسلم

هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت

بكسر التاء ورواية أخرى بسكونها وتحريك الياء بالفتح قبلها وليس هذا دليلا وانما الدليل في قول النبي صلى الله عليه وسلم عدم القصد والنية لانه لم يقصد به الشعر ولا نواه فلذلك لا نعده شعراً وان كان كلاما موزوناً والا فالرجاز شعراء عند العرب وفي متعارف اللسان إلا أن الليث روي أنهم لما ردوا على الخليل قوله ان المشطور ليس بشعر قال لاحتجن عليهم بحجة ان لم يقروا بها كفروا قال فعجبنا من قوله حتى سمعنا حجته .. وقد رواه قوم دميت باسكان الياء والتاء جميعاً ولا يكون حينئذ موزوناً .. والراجز قل ما يقصد فان جمعهما كان نهاية نحو أبي النجم فانه كان يقصد وأما غيلان فانه كان راجزا ثم صار الى التقصيد .. وسئل عن ذلك فقال رأيتني لا أقع مع هذين الرجلين على شيء يعني العجاج وابنه رؤبة وكان جرير والفرزدق يرجزان وكذلك عمر بن لجأ كان راجزاً مقصدا .. ومثله حميد الأرقط والعماني أيضاً وأقلهم رجزا الفرزدق .وليس يمتنع الرجز

[illegible] المقصد على الراجز لا ترى أن كل مقصد يستطيع أن يرجز [illegible] [illegible] بعض الصعوبة وليس كل راجز يستطيع أن يقصد [illegible] الشعر [illegible] مقصد [illegible] المقصد أحق [illegible] وقع [illegible] ولذلك رجز [illegible] [illegible] ومن [illegible] ذلك

باب في القطع والطوال

[illegible] أبو عبد الله [illegible] العزيز بن أبي سهل رحمه الله تعالى قال سئل أبو عمرو بن العلاء هل كانت العرب تطيل فقال نعم لتسمع منها قيل فهل كانت توجز قال نعم ليحفظ عنها .. قال وقال الخليل بن أحمد تطول الكلام ويكثر ليفهم ويوجز ويختصر ليحفظ وتستحب الإطالة عند الإعذار والإنذار والترهيب والترغيب والإصلاح بين القبائل كما فعل زهير والحارث بن حلزة ومن شاكلهما والا فالقطع أطير في بعض المواضع والطول للمواقف المشهورات .. ويحكى أن الفرزدق لما وقع بينه وبين جرير ما وقع وحكم بينهما قال بعض الحكام الفرزدق أشعر لأنه أقواهما أسر كلام وأجزلهما في أسباب الشعر وأقدرهما على الطويل وأحسنهما قطعاً فقدم بالقطع كما ترى .. وقال بعض العلماء يحتاج الشاعر إلى القطع حاجته إلى الطوال بل هو عند المحاضرات والمنازعات والتمثيل والملح أحوج إليها منه إلى الطوال .. وقال أحد المحدثين وهو محمد بن حازم الباهلي

أبى لي أن أطيل المدح قصدي ... إلى المعنى وعلمي بالصواب
وإيجازي بمختصر قصير ... حذفت به الطويل من الجواب

وقيل لابن الزبعري إنك تقصر شعرك فقال لأن القصار أولج في المسامع وأجول في المحافل وقال مرة أخرى يكفيك من الشعر غرة لائحة وسبة فاضحة .. وقيل للجماز لم لا تطيل الشعر فقال لحذفي الفضول وقال له بعض المحدثين وقد أنشده بيتين ما تريد على البيت والبيتين فقال أردت أن أنشدك مذارعة وهو القائل

أقول بيتاً واحداً أكتفي بذكره من دون أبيات

وقيل مثل ذلك لعقيل بن علّفة فقال يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق .. وقال الجاحظ

قيل لأبي المهوس لم لا تطيل الهجاء فقال لم أجد المثل السائر إلا بيتاً واحداً .. وهجا محمد

ابن عبد الملك الزيات احمد بن أبي دؤاد بسبعين بيتاً فقال بن أبي دؤاد يخاطبه

أحسن من سبعين بيتاً سُدىً جمعُك معناهنَّ في بيت

ما أحوج الملك الى مطرة تغسلُ عنه وضرَ الزيت

غير أن المطيل من الشعراء أهيب في النفوس من الموجز وإن أجاد على أن للموجز من

فضل الاختصار ما ينكره المطيل ولكن اذا كان صاحب القصائد دون صاحب القطع

بدرجة أو نحوها وكان صاحب القطع لا يقدر على التطويل إن حاوله بتة سوّيَ بينهما

لفضل غير المجهود على المجهود فأنا لا أشك أن المطول ان شاء جرد من قصيدة قطعة

أبيات جيدة ولا يقدر الآخر أن يمد من أبياته التي هي قطعة قصيدةً .. ولام قوم

الكميت على الاطالة فقال انا على الاقصار أقدر هكذا جاءت الرواية ولا تكاد ترى

مقطعاً إلا عاجزاً عن التطويل والمقصد أيضاً قد يعجز عن الاختصار ولكن الغالب

والأكثر أن يكون قادراً على ما حاوله من ذلك وبالعجز رمي الكميت .. وكان عبد

الكريم بهذه الصفة لا يكاد يصنع مقطوعاً ولا أظن في جميع أشعاره خمس قطع أو نحوها

وكان أبو تمام على جلالته وتقدمه مقصراً في القطع عن رتبة القصائد .. والمشهورون بجودة

القطع من المولدين بشار بن برد وعباس بن الأحنف والحسن بن الضحاك وأبو نواس وأبو

علي البصير وعلي بن الجهم وابن المعذّل والجماز وابن المعتز وكانوا يقولون في زمان منصور

الفقيه وهو قريب من عصرنا هذا إياكم ومنصوراً اذا رمح بالزوج وكان ربما هجا بالبيت

الواحد .. ووصف عبد الكريم أبا الطيب فزعم أنه أحسن الناس مقاطيع ولو قال مقاطع بلا

ياء قلنا صدقت ولم نخالفه وقيل اذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ولهذا كان الإيطاء

بعد سبعة غير معيب عند أحد من الناس ومن الناس من لا يعد القصيدة إلا ما بلغ

العشرة وجاوزها ولو ببيت واحد .. ويستحسنون أن تكون القصيدة وتراً وأن يتجاوز

بها العقد أو توقف دونه كل ذلك ليدلوا على قلة الكلفة وإلقاء البال بالشعر وزعم

[illegible] وقصد [illegible] قصد على عهد [illegible] عبد [illegible]

[illegible] لاسلام مائة وبيف

[illegible] وعيد [illegible] كقصيد [illegible]

[illegible] عند فاتق [illegible]

[illegible] القصيد والشاعر [illegible]

[illegible] وقد [illegible] الفرزدق ومن المحدثين [illegible]

[illegible] حتى [illegible]

[illegible]

[illegible] فقد [illegible]

[illegible] عند [illegible] أطول [illegible]

في البديهة والارتجال

[illegible] هذه الصناعة في [illegible] ومن أهل عصر [illegible]

[illegible] البديهة فيها فكرة والتأييد والارتجال [illegible] كان انهماراً وتدفقاً

[illegible] صنع الفرزدق وقد دفع إليه سليمان بن عبد الملك أسيراً من

[illegible] سيفاً كهاماً [illegible] سليمان

[illegible] الفرزدق [illegible] ذلك [illegible]

[illegible]

[illegible] تأخير نفس حيث غير شاهد

[illegible] سدى ورقاء عن رأس خالد

[illegible] ويقطعن أحياناً مناط القلائد

[illegible] لى عاق دون الشراسيف حامد

م جالس وهو يقول

ولا تقتلُ الأسرى ولكن تفكهم ... د أثقل لا عد حمل بغرم

وكالذى يروى عن أبى الخطاب عمر بن عمر السعدى المعروف بابن الأسد وقد ... موسى الهادي شعراً مدحه به يقول فيه

ياخيرَ من عقدت كفاه حُجزته ... وخير من قاده أمر مضر

فقال له موسى إلاّ من يائس فقال واصلا كلامه ولم يقطعه

الاّ النبيّ رسولَ الله ان له ... فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر

فعطن موسى ومن بحضرته أن البيت مستدرك ونظروا في الصحيفة فوجدوه ... صلبه وأعظم ارتجال وقع قصيدة الحارث بن حلزة بين يدي عمرو بن هند فإنه قال أنى بها كالخطبة وكذلك قصيدة عبيد بن الابرص وقيل أفضل البديهة بديهة أمن وردت في موضع خوف فما ظنك بالارتجال وهو أسرع من البديهة .. وكان أبو نواس قوى البديهة والارتجال لا يكاد ينقطع ولا يتروّى الابدية .. روى أن الخصيب قال له مرة يمازحه وهما بالمسجد الجامع أنت غير مدافع في الشعر ولكنك لا تخطب فقام من فوره يقول مرتجلا

منحتكم ياأهل مصر نصيحتي ... ألا فخذوا من ناصح بنصيب

رماكم أمير المؤمنين بحية ... أكول لحيات البلاد شروب

فان يك باقي سحر فرعون فيكم ... فان عصي موسى بكف خصيب

ثم التفت اليه وقال والله لا يأتى بمثلها خطيب مصقع فكيف رأيت ... إن كنتُ الامارحاً وسمعت جماعة من العلماء يقولون كان مسلم بن الوليد يطير في ... نواس ويفوقه عند قوم من أهل زمانه فى أشياء الا أن أبا نواس قهره بالبديهة والارتجال مع تقاعس كان في مسلم واظهار توقر وتصنع وكان صاحب روية وفكرة لا بديهة ولا ارتجال وكان أبو العتاهية فيما يقال أقدر الناس على ارتجال و بديهة لقرب مأخذه وسهولة طبعه اجتمع عدة من الشعراء فيهم أبو نواس فشرب أحدهم ماء ثم قال أجيزوا

* . . . . وحـ * فكلهم تعنم حتى طلع أبو عتاهية فقال لهم أتم واستدوه فقال
وهو يروي * حمـ . . . سر * فلي قسم . لا . . . صحبه وذلك . . لدى
أخوان القوم لا . . . الكلام .. وصحب رفقة فسمع زقاء الديك فقال رفيقه
هل رأيت صبحاً لاح * قال لم أقل * وسمعت الديك صاح * قال لم أقل
* . . . . * وسقط رفيقه بالكلام أنه شعر . . . فما
جرى هذا المجرى فهو ارتجال وأما البديهة فبعد أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً
إن حضرت آلة إلا أنه غير بطيء ولا متراخ . . . حتى يفرط أو قام من مجلسه لم
يعد بديهاً .. وقالوا جمع الشعراء هارون الرشيد وأذن لهم فقال من يجيز هذا القسيم وله
حكمه فهو ومن هو أمير المؤمنين قال الملك لله وحده

.. فقال آخر وللخليفة بعده

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

فقال أحسنت وأتيت على ما في نفسي وأمر له بعشرة آلاف درهم .. ومن عجيب ما يروى
في البديهة حكاية أبي تمام حين أنشد أحمد بن المعتصم بحضرة أبي يوسف يعقوب بن
إسحاق بن الصباح الكندي وهو فيلسوف العرب

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فقال له الكندي ما صنعت شيئاً شبهت ابن أمير المؤمنين وولي عهد المسلمين بصعاليك
العرب ومن هؤلاء الذين ذكرت وما قدرهم فأطرق أبو تمام يسيراً وقال

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلاً شروداً في الندى والباس

فالله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس

فهذا أيضاً وما شاكله هو البديهة وإن أعجب ما كان البديهة من أبي تمام لأنه رجل متصنع
لا يحب أن يكون هذا في طبعه .. وقد قيل إن الكندي لما خرج أبو تمام قال هذا
الفتى قليل العمر لأنه ينحت من قلبه وسيموت قريباً فكان كذلك .. وقد كان أبو الطيب

كثير البديهة والارتجال الا أن شعره فيهما نازل عن طبقته جداً وهو لعمرى فى سعة من العذر اذ كانت البديهة كما قال فيها ابن الرومي

نار الروية نار جد منضجة ... وللبديهة نار ذات تلويح
وقد يفضلها قوم لعاجلها ... لكنها سرعة تمضى مع الريح

وقال عبد الله بن المعتز

والقولُ بعد الفكر يؤمن زيغهُ ... شتان بين رويةٍ وبديه

ومن الشعراء من شعره فى رويته وبديهته سواء عند الأمن والخوف بقدرته وسكون جاشه وقوة غريزته كهدبة بن خشرم العذرى وطرفة بن العبد البكرى ومرة بن محكان السعدى اذ يقول وقد أمر مصعب بن الزبير رجلا من بنى أسد بقتله

بنى أسد أن تقتلونى تحاربوا ... تميما اذا الحرب العوان اشمعلت
ولستُ وان كانت الى حبيبةً ... بباك على الدنيا اذا ما تولت

وهذا شعر لو روى فيه صاحبه حولا كاملا على أمن ودعة وفرط شهوة أو شدة حمية لما أتى فوق هذا .. وكذلك عبد يغوث بن صلاءة اذ يقول فى كلمة طويلة

أقول وقد شدُّوا لسانى بنسعةٍ ... أمعشرَ تيم أطلقوا من لسانيا
فيا راكباً إما عرضتَ فبلغنْ ... ندامایَ من نجرانَ أن لاتلاقيا

وكانوا قد شدوا لسانه خوفاً من الهجاء فعاهدهم فأطلقوه ينوح على نفسه فصنع هذه القصيدة وعرض عليهم فى فدائه ألف ناقة فأبوا الا قتله فقال

فان تقتلونى تقتلونى بخيركم ... وان تطلقونى تحربونى بماليا

وهذه شهامة عظيمة وشدة .. ومن قول طرفة بن العبد لما أيقن بالموت

أبا منذر كانت غرورا صحيفتى ... ولم أعطكم فى الطوع مالى ولاعرضى
أبا منذر أفنيتَ فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وأين هؤلاء من عبيد بن الابرص وهو شيخ الصناعة ومقدم فى السن على الجماعة إذ يقول له النعمان يوم بؤسه أنشدنى فقال حالَ الجريضُ دونَ القريض قال أنشدنى قولك

أقفر من أهله وبت وقطعت ولذوب

هلا وسكن قفر من أهله عبد ويوم لا يدى ولا عبد

ومما يدخل في مثل هذا قول علي بن الجهم في طريقة بعض الصرعة .. ومن وجد نفسه عند حضرة الموت فيمن يقتل في بين يدي المعتصم وقد قدم سيف ليقطع عنقه

أرى الموت من يطع وسيف كامن يلاحظني من حيث ما التفت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي وأي امرئ مما قضى الله يفلت
وأي امرئ يدلي بعذر وحجة وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الأوس بن ثعلب موقف سل علي السيف فيه وأسكت
وما جزعي أني أموت وإنني لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فإن عشت عاشوا خافضين بنعمة أذود الردى عنهم وإن مت موتوا
فكم قائل لا أبعد الله داره وآخر جذلان يسر ويشمت

فعفا عنه المعتصم وأحسن اليه وقلده عملا .. وعلي بن الجهم هو القائل وقد صلب عريانا

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية الا ثنين مغمولا ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء عيونهم حسناً وملء قلوبهم تبجيلا
ما ضره أن بز عنه لباسه فالسيف أهول ما يرى مسلولا

وهذا من جزل الكلام لا سيما في مثل ذلك المقام وكان علي من الفضلاء علما بالشعر وصناعة له .. حكي عن علي بن يحيى أنه قال كنت عند المتوكل اذ أتاه رسول برأس اسحاق بن اسمعيل فقام علي بن الجهم يخطر بين يديه ويقول

أهلا وسهلا بك من رسول جئت بما يشفي من الغليل

وأس اسحق بن سمعل

فقال المتوكل قوموا التقطوا هذا الجوهر لا يضيع ٠٠ والشاعر الحاذق لمن يرد اصبع البديهة قدمه بالعوالي والدرر التامة لما فيها من المشقة وهو في الارتجال أعذر ٠٠ واشتقاق البديهة من بدّه بمعنى بدأ أبدلت الهمزة هاءً كما أبدلت في أشياء كثيرة عرفت منها فقد قالوا مدَحَ ومدَه ولهِنَّكَ تفعل كذا بمعنى لانك ومثل ذلك كثير ٠٠ والارتجال مأخوذ من السهولة والانصباب ومنه قيل شعر رجلٌ إذ كان سبطاً مسترسلاً غير جعدٍ وقيل هو من ارتجال البئر وهو أن تنزلها برجالك من غير حبل

باب في آداب الشاعر

من حكم الشاعر أن يكون حلو الشمائل حسن الاخلاق طلق الوجه بعيد الغور مأمون الجانب سهل الناحية وطئ الأكناف فان ذلك مما يحببه الى الناس ويزينه في عيونهم ويقربه من قلوبهم وليكن مع ذلك شريف النفس لطيف الحس عزوف الهمة نظيف البزة أنفاً لتهابه العامة ويدخل في جملة الخاصة فلا تمجه أبصارهم سمح اليدين والا فهو كما قال ابن أبي قيس واسمه احمد

وان أحقَّ الناسِ باللوم شاعر يلوم على البخل الرجالَ ويبخل

والى هذا المعنى ذهب الطائي بقوله

أألوم من بخلت يداه واغتدى للبخل تربا ساء ذاك صنيعا

والشاعر مأخوذ بكل علم مطلوب بكل مكرمة لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمّل من نحو ولغة وفقه وخبر وحساب وفريضة واحتياج أكثر هذه العلوم الى شهادته وهو مكتف بذاته مستغن عما سواه ولانه قيد للاخبار وتجديد للآثار ٠٠ وصاحبه الذي يذم ويحمد ويهجو ويمدح ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه فهو على نفسه شاهد وبحجته مأخوذ ٠٠ وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر ومعرفة النسب وأيام العرب ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار وضرب الامثال وليعلق بنفسه بعض

نفسه ويقوى ضعفه بقوة صحيحه فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر ومعرفة الأخبار والتلمذة بمن فوقه من الشعراء فيقولون فلان شاعر راوية يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد وسهل عليه مأخذ الكلام ولم يضق به المذهب وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه لضعف آلته كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة .. وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء فقال هو الراوية يريد أنه إذا روى استفحل .. قال يونس بن حبيب وإنما ذلك لأنه يجمع إلى جيد شعره معرفة جيد غيره فلا يحمل نفسه إلا على بصيرة وقال رؤبة في صفة شاعر

لقد خشيت أن يكون ساحرا   راوية مَرّاً وَمَرّاً شاعرا

فاستعظم هذه الرتبة حتى قرنها بالسحر .. وقال الأصمعي لا يصير الشاعر في قريض الشعر فحلا حتى يروي أشعار العرب ويسمع الأخبار ويعرف المعاني وتدور في مسامعه الألفاظ وأول ذلك أن يعلم العروض ليكون ميزاناً له على قوله والنحو ليصلح به لسانه وليقيم به إعرابه والنسب وأيام الناس ليستعين بذلك على معرفة المناقب والمثالب وذكرها بمدح أو ذم .. وقد كان الفرزدق على فضله في هذه الصناعة يروي للحطيئة كثيراً وكان الحطيئة راوية زهير وكان زهير راوية أوس بن حجر وطفيل الغنوي جميعاً وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الإيادي مع فضل بحيرة وقوة غريزة ولا بد بعد ذلك أن يلوذ به في شعره ويتوكأ عليه كثيراً وقد نزل أعشى بني قيس بن ثعلبة بين يدي النابغة الذبياني بسوق عكاظ وأنشده فقدمه وأنشده حسان بن ثابت ولبيد بن ربيعة فما عابهم ذلك ولا غض منهم وكان كثير راوية جميل ومفضلا له إذا استنشد لنفسه بدأ بجميل ثم أنشد ما يرد منه ولم يكن دون جرير والفرزدق بل يقدم عليهما عند جميع أهل الحجاز وكان أبو حية النميري واسمه الهيثم بن الربيع وهو من أحسن الناس شعراً وألطفهم كلاماً مؤتماً بالفرزدق آخذاً عنه كثير التعصب له والرواية عنه .. ولا يستغني الولد عن تصفح أشعار المولدين لما فيها من حلاوة اللفظ وقرب المأخذ وإشارات الملح ووجوه البديع الذي مثله في شعر المتقدمين قليل وإن كانوا هم فتحوا بابه وفتقوا

حله والمتعقب زيادات وافتنان لا على أن تكون عمدة الشاعر مطابقة ماذكرته آخر كلامي هذا دون ماقدمته قبله متى فعل ذلك لم يكن فيه من المتانة وفضل القوة ما يبلغ به طاقة من تسع حاذقه وإذا أتبته فصاحة المتقدم وحلاوة المتأخر اشتد ساعده وبعد مرماه فلم يقع دون الغرض وعسى أن يكون أرشق سهماً وأحسن موقعاً ممن توعول عليه من المحدثين فقصر عنه ووقع دونه ويجعل طلبه أولا للسلامة فإذا صحت له طلب التجويد حينئذ وإلا فرغب في الحلاوة والطلاوة رغبته في الجزالة والفخامة وجنب السوقى القريب والحوشى الغريب حتي يكون شعره حالا بين حالين كما قال بعض الشعراء

عليك بأوساط الأمور فإنها نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا

فأول ما يحتاج اليه الشاعر بعد الجد الذي هو الغاية وفيه وحده الكفاية حسن التأتي والسياسة وعلم مقاصد القول فإن نسب ذل وخضع وإن مدح أطرى وأسمع وإن هجا أخل[1] وأوجع وإن فخر خب ووضع وإن عاتب خفض ورفع وإن استعطف حن ورجع ولكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل اليه من بابه ويداخله في ثيابه فذلك هو سر صناعة الشعر ومغزاه الذي به تفاوت الناس وبه تفاضلوا .. وقد قيل لكل مقام مقال وشعر الشاعر لنفسه وفي مراده وأمور ذاته من مزح وغزل ومكاتبة ومجون وخمرية وما أشبه ذلك غير شعره في قصائد الحفل التي يقوم بها بين السلاطين يقبل منه في تلك الطرائق عفو كلامه وما لم يتكلف له ولا ألقى به بالا ولا يقبل منه في هذه إلا ما كان محككا معاوداً فيه النظر جيداً لاغث فيه ولا ساقط ولا قلق وشعره للأمير والقائد غير شعره للوزير والكاتب ومخاطبته للقضاة والفقهاء بخلاف ما تقدم من هذه الانواع .. وسيأتي هذا في موضعه من هذا الكتاب مفصلا إن شاء الله تعالى ..

والمتأخر من الشعراء في الزمان لا يضره تأخره إذا أجاد كما لا ينفع المتقدم تقدمه إذا قصر وإن كان له فضل السبق فعليه درك التقصير كما أن للمتأخر فضل الاجادة أو الزيادة

ولا يكون الشاعر حاذقاً مجوداً حتى يتفقد شعره ويعيد فيه نظره فيسقط رديه ويثبت جيده ويكون سمحاً بالركيك منه مطرحاً له راغباً عنه فإن بيتاً جيداً يقاوم ألفي رديء

(١) ن أخل

.... مرء ... وهو ... رعموا ... وعيد ... أنه يكون أفضل الشعر ...

دود ... على ... د د علام حرى حرد
... تحير ... شقى حيد
... وآحد من د رها لمستحاد

فكر في ... عصها حرد ... مكسورة غير معجمة وشتى جاد ... التين معجمة ... كان شعر الشعراء يصح هذا ويحكه عن نفسه فكيف ... ورعم ... الكلبي ... امرؤ القيس بن بكر بن امرئ القيس بن ... معاوية الكندي وروى ... في موضع حري ... والسوء ... السمه والحمف ... ورعم ... الكلبي أن الأبيات لامرئ القيس بن عابس الكندي ويقال ... كان يعمل هذا الفعل فيبقى لدى ويبقى الجيد .. وليلتمس ... من الكلام ما سهل ومن القصد ما عدل ومن المعنى ما كان واضحاً جلياً يعرف بدياً وقد قال بعض المتقدمين شر الشعر ما سئل عن معناه وكان الحطيئة يقول خير الشعر الحولي المحكك ... في ذلك مذهب زهير وأوس وطفيل .. ولا يجوز للشاعر كما يجوز غيره أن يكون ممدحاً نفسه مثنياً على شعره وإن كان جيداً في ذاته حسناً عند سامعه فكيف ... دون ... كقوم أفردوا لذلك أنفسهم وأفنوا فيه أعمارهم وما يحصلون على طائل وقد قال الله عز وجل ﴿ فلا تزكوا أنفسكم ﴾ اللهم إلا أن يريد الشاعر ترغيب الممدوح أو ترهيبه فيثني على نفسه ويذكر فضل قصيدته فقد جعلوه مجازاً مسامحاً فيه كالذي نعرض الكثير من الشعراء في أشعارهم من مدح قصائدهم على أن أبا تمام يقول

و ... الإحسان طناً لا كمن يأتيك وهو بشعره مفتون

و ... أوصف الناس لقصيده وأكثرهم ولوعاً بذلك وهذا ما دام شعراً كان محمولاً على ... وإنما المكروه ... أن يكون ذلك منثوراً أو تأليفاً مسطوراً كالذي فعل ... في أشياء من شعره ذكرها في كتابه الموسوم بتفضيل الشعر وتشكرها ... وفضلها على أشعار الفحول مثل جرير وغيره منها قول جرير

ان العيون التي في طرفها مرض قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله انسانا

وزعم بعد اقامة ما حسبه برهاناً أن قوله

لا شيء أعجب من عينيك انهما لا يضعفان القوى الا د صعد

خير منه وأسلم من الاعتراض وأكثر اختصاراً .. ويجب على الشاعر أن يتواضع لمن دونه ويعرف حق من فوقه من الشعر فان امرأ القيس وكان شديد الضنة في شعره كثير المنازعة لاهله مدلاً فيه بنفسه واثقا بقدرته لقي التوءم اليشكرى واسمه الحرث ابن قتادة فقال له ان كنت شاعراً كما تقول فملط لي انصاف ما أقول فأجزها قال نعم

فقال امرؤ القيس	أحار ترى بريقاً هب وهنا
فقال التوءم	كنار مجوس تستعر استعارا
فقال امرؤ القيس	أرقت له ونام أبو شريح
فقال التوءم	اذا ما قلت قد هدأ استطارا
فقال امرؤ القيس	كأن هزيزه بوراء غيب
فقال التوءم	عشار واله لاقت عشارا
فقال امرؤ القيس	فلما أن علا كتفي أضاخ
فقال التوءم	وهت أعجاز ريقه فحارا
فقال امرؤ القيس	فلم يترك بذات السر ظبيا
فقال التوءم	ولم يترك بجلهتها حمارا

فلما رآه امرؤ القيس قد ماتنه ولم يكن في ذلك الحرس أي المصر من ينته أي يقومه ويطاوله آلى ألا ينازع الشعر أحداً آخر الدهر روى ذلك أبو عبيدة عن أبي عمرو ابن العلاء ولو نظر بين الكلامين لوجد التوءم أشعر في شعرهما هذا لأن امرأ القيس مبتدئ ما شاء هو في فسحة مما أراد والتوءم محكوم عليه بأول البيت مضطر في القافية التي عليها مدارها جميعاً ومن ههنا والله أعلم عرف له امرؤ القيس من حق المماتنة ما عرف ونازع أيضاً علقمة بن عبدة فكان من غلبة علقمة عليه ما كان .. وأما جرير فهجاه

تدعو به برذحت فقال ما سمعه قبل به ابرذحت فقال وما معنى برذحت
فقال به مدرين وصبرا و به لا اسمعه سمعي ابدا وسئله هذا وهو حرز ريدي عن
شطر شعره وسكن تشقق المحول .. وأما عقبة بن رؤبة بن العجاج فانه انشد
مقبة بن سلم محصرة بشار أرجوزة فقال كيف ترى يا أبا معاذ فأنى استركم بحث فقال
ان مع وشعر الاستحسان فيه يعرف به عقبة حقه ولا تشكر له فعله لقال له هذه صرر
لا يحسنه فقال له بشار أنتي تقل هذا الكلام أو مثله أرجو مسك ومن أبيك ومن
حدث ثم عند على عقبة بن سلم أرجوزته التي أولها

يضلل الحيّ بدات الصالمد لله حر كيف كنتَ بعدى

فصح بم بن رؤبة فصيحة ظهرة كان عشاً عليه .. وكان في البحتري عجب تشديد
د سد يعود مع كلا يعرمون انه كحسن ما تسمعون فانشد المتوكل يوماً قصيدته
التي أولها

عن أي ثغر تبتسم وبأي طرف تحتكم

وأنه الم من الصيمري حضر وما رأى اعجابه قام حذاءه فقال

من أي سلح تلتقم وبأي كف تلتطم
دقن الوليد البحتري أبي عبادة في الرحم

فولى البحتري وهو غضبان فقال وعلمت انك تنهزم

فضحك المتوكل حتى فحص برجله وأعطى الصيمري جائزة سنية

باب عمل الشعر وشحذ القريحة له

لا بد للشاعر وان كان فحلا حاذقاً مبرزاً مقدماً من فترة تعرض له في بعض
الاوقات إما شغل يسير أو موت قريحة أو نبوّ طبع في تلك الساعة أو ذلك الحين
وقد كان الفرزدق وهو فحل مضر في زمانه يقول تمر علي الساعة وقلع ضرس من أضراسي

أهون عليّ من عمل بيت من الشعر ‥ وذا عادي ذلك على الشاعر قيل أصفى وأفصى كما يقال أفصت الدجاجة وأصفت الدجاجة إذا انقطع بيضها وكذلك يقال له أحبل كما يقال للحافر البئر إذا بلغ جبلا تحت الأرض لا يعمل فيه شيء أحبل ومثل أجبل أكدى إلا أنهم خصوا به العطاء وذلك أن يصادف حافر البئر كدية فلا يريد تبيناً على ما حفر ويقال أفحم الشاعر إذا أفعل قالوا وهو من فحم الصبي إذا انقطع صوته من شدة البكاء فإن ساء لفظه وفسدت معانيه قيل له أهتر فهو مهتر ‥ وقد قيل في لمسانى إنه إنما كان شعره نطفاً من العيوب لأنه قاله كبيراً ومات عن قرب ولم يهتر ‥ وأكثر ما جاء الإهتار في صفة الكبير الذي يختلط كلامه ‥ وقولهم في شعر النابغة إنه قاله وهو كبير يدل على أنه بهذا سمى نابغة كما عند أكثر الناس لا لقوله

* فقد نبعت لنا منهم شئون *

كما تقدم من قول بعضهم ‥ ويقال أخلى الشاعر كما يقال أخلى الرامي إذا لم يصب معنى ‥ حكى عن البحتري أنه قال وصفت ابن الجهم عياً في الشعر وذكر أشجع السلمي فقال إنه كان يخلي فلم أفهمها عنه وأنفت أن أسأله عنها فلما انصرفت فكرت فيها ونظرت في شعر أشجع فإذا هو ربما مرت له الأبيات مغسولة ليس فيها بيت رائع ‥ ثم إن للناس فيما بعد ضروباً مختلفة يستدعون بها الشعر فيشحذ القريحة وتنبه الخواطر وتلين عريكة الكلام وتسهل طريق المعنى كل امرئ على تركيب طبعه واطراد عادته وسنأتي ذلك في أقاويل العلماء بما أرجو أن تكون فيه هداية إن شاء الله تعالى ‥ قال بكر بن النطاح الحنفي الشعر مثل عين الماء إن تركتها اندفنت وإن استهتنتها هتنت وليس مراد بكر أن تستهتن بالعمل وحده لا يأخذ الشاعر تكلل قريحته مع كثرة العمل مراراً ويعرف مادته وبعد معانيه فإذا أجم طبعه أياما وربما زمانا طويلا ثم صنع الشعر جاء بكل آبدة واشتهر في كل قافية شاردة وانفتح له من المعاني والألفاظ ما لو رامه من قبل لاستغلق عليه وأبهم دونه لكن بالمذاكرة مرة فإنها تقدح زناد الخاطر وتستخرج عيون المعاني وتوقظ أبصار الفطنة وتطالعة الأشعار كرة فإنها تنمت الحسد وتولد الشهوة ‥ وسئل ذو الرمة كيف تعمل إذا انقفل دونك الشعر فقال كيف ينقفل دوني وعندي

... [illegible] ... لأحد فهذا لأنه عتق وعمري
... [illegible] ... من الأدب ووضع رحله في ركاب على
... [illegible] كثير مدح وفخر ... كان وصف طلال وذات أظعان وهو
... أخرجه من صدره ... وقيل لكثير كيف تصنع إذا عسر عليك الشعر
قال أطوف في الرباع المخلية والرياض المعشبة فيسهل علي أرصنه ويسرع إلي أحسنه ..
وقال الأصمعي ما استدعي شارد الشعر بمثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخالي
وقيل ... وحدثني بعض أصحابنا من أهل مهدية وقد مررنا بموضع
... يعرف بالكدية هو شرف أرضا وهو ... قال حدثت هذا الموضع مرة وعبد الكريم
في سطح ... قد كتبت ... فقلت يا محمد قال عرفت ما تصنع ههنا قال
... [illegible] ... قلت فهل ... شيء قال ... عني وعسك ...
الله تعالى وأنشدني شعراً يا حلل مسام القلوب رقة فلما ... حرية قال
لي ... الأصمعي .. وقد كان جرير إذا أراد أن يؤبد قصيدة صنعها بالليل يشعل سراجه
ويعتزل ... على سطح وحده ويضطجع ويغطي رأسه رغبة في الخلوة بنفسه يحكي أنه
صنع ذلك في قصيدته التي أخزى بها بني نمير وقد تقدم ذكرها .. وروي أن الفرزدق
كان إذا صعبت عليه صنعة الشعر ركب ناقته وطاف خالياً منفرداً وحده في شعاب الجبال
وبطون الأودية والأماكن الخربة الخالية فيعطيه الكلام قياده حكي ذلك عن
نفسه في قصيدة ... عرفت ... ولم يكن ...
وذكر أن فتى من الأنصار تفاخره كثير وغيره فخره ... حسن ... ت
لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
فأطرق ساعة فمضى حتى ... شيئاً فلما كان قرب الصباح أتى حسان
... يقال له ... صاحبكم ... ودق
... فقال ... لقصيدة ... وقد عجزت الشعراء ...
طولا وحسنا وجودة .. وقيل لأبي نواس كيف عملك حين تريد أن تصنع الشعر قال
أشرب ... أطيب ... أكون ... بين الصاحي والسكران صنعت وقد

دخلى النشاط وهزتني لأريحة .. وقال ابن قتيبة وللشاعر أوقات يسرع فيها أتيه ويسمح فيها أبيه منها أول الليل قبل تغشي الكرى ومنها صدر النهار قبل الغداء ومنها يوم شرب الدواء ومنها الخلوة في الحبس والمسير وهذه العلل مختلف شعر الشاعر ورسائل المترسل .. وحكي عن أبي تمام وقد سأله البحتري عن أوقات صناعة الشعر قريباً من هذا لا أحفظه نصاً ولا أثبتك أن ابن قتيبة قد قتدى وإن كان قد ...... وقد مجيء الفكرة من طريق الفلسفة استدعاء الرجل على صدره وعلى كل حال فليس يفتح مقفل بحار الخواطر مثل مباكرة العمل بالأسحار عند الهبوب من النوم لكون النفس مجتمعة لم تفرق حسها في أسباب اللهو أو المعيشة أو غير ذلك مما يعنيها وهي مستريحة جديدة كأنما أنشئت نشأة أخرى ولأن السحر ألطف هواء وأرق نسيماً وأعدل ميزاناً بين الليل والنهار وإنما لم يكن العشي كالسحر وهو عديله في التوسط بين طرفي الليل والنهار لدخول الظلمة فيه على الضياء بعد دخول الضياء في السحر على الظلمة ولأن النفس فيه كالة مرتضة من تعب النهار وتصرفها فيه ومحتاجة إلى قوتها من النوم مشتوقة نحوه والسحر أحسن لمن أراد أن يصنع وأما من أراد الحفظ والدراسة وما أشبه ذلك فالليل قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ﴿ إن ناشئة الليل هي أشد وطأً وأقوم قيلا ﴾ وهذا الكلام الذي لا مطعن فيه ولا اعتراض عليه وعلى قراءة من قرأ وطاء يكون معناه أعمل على فاعله وإذا كان كذلك كان أكثر أجراً فهذا يشهد بأن العمل أول الليل يصعب لأن النوم يغلب والجسم يكل .. وكان أبو تمام يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره حكى ذلك عنه بعض أصحابه قال استأذنت عليه وكان لا يستتر عني فأذن لي فدخلت في بيت مصهرج قد غسل ... وهو ... فقلت لقد بلغ بك الحر مبلغاً شديداً قال لا ولكن غيره ومكثت كذلك ساعة ثم قام كأنما أطلق من عقال فقال الآن أردت ثم استمد وكتب شيئاً لا أعرفه ثم قال أتدري ما كنت فيه مذ الآن قلت كلا قال قول أبي نواس

كالدهر فيه شراسة وليان

أردت معناه فشمس عليّ حتى أمكن الله منه فصنعت

فمرت بي ساعة من [illegible] أتت لأنك [illegible] السهول والجبال
ومري وسكت [illegible] حكي [illegible] بيت [illegible] لأن الحكمة [illegible]
مهرة ومعمر بن [illegible] مثل حكاية أبي عمرو وأنشد [illegible] قد [illegible] من لا [illegible]
فهو جرير صنع الفرزدق شعراً يقول فيه

فإني أنا الموت الذي هو ذاهب ... بنفسك فانظر كيف أنت محاوله

وحلف الطلاق أن جريراً لا يغلبه فيه فكان جرير يتمرغ في الرمضاء ويقول أنا أبو حزرة حتى قال

أنا الدهر يفني الموت والدهر خالد ... فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

وكان أبو تمام يصنع القافية للبيت ليعلق الأعجاز بالصدور وذلك هو التصدير في الشعر ولا يأتي به كثيراً إلا شاعر متصنع كحبيب ونظرائه والصواب أن لا يصنع الشاعر بيتاً لا يعرف قافيته غير أني لا أجد ذلك في طبعي جملة ولا أقدر عليه بل أصنع القسم الأول على ما أريده ثم ألتمس في نفسي ما يليق به من القوافي بعد ذلك فأبني عليه القسم الثاني أفعل ذلك فيه كما يفعل من يبني البيت كله على القافية ولم أر ذلك بمخل علي ولا يحيد بي عن مرادي ولا يغير علي شيئاً من لفظ القسم الأول إلا في الندرة التي لا أعتد بها أو على جهة التنقيح المفرط . وسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة كالمتعجب من شعره فقال كيف تقول الشعر قال أنظر في ذلك ثم أقول قال فعليك بالمشركين ولم يكن أعد شيئاً فأنشد أبياتاً منها

فخبروني أثمان العباء متى ... كنتم بطاريق أو دانت لكم مضر

فعرف الكراهية في وجه النبي صلى الله عليه وسلم لما جعل قومه أثمان العباء فقال

نجالد الناس عن عرض ونأسرهم ... فينا النبي وفينا تنزل السور
وقد علمتم بأنا ليس يغلبنا ... حي من الناس إن عزوا وإن كثروا

فمضى إلى أن يقول في النبي صلى الله عليه وسلم

فثبت الله ما أعطاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

وقيل عليه النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال ويلك فثبت الله ... بن رواحة .. ومن الشعراء من يسبق اليه بيت وبيتان وخاطره في غيرهما يجب أن يكونا بعد ذلك ... أو قبله أبيات وذلك لقوة طبعه واستعانة مادته ومنهم من ينصب قافية بعينها ... منه من الشعر مثل أن تكون بائية أو رائية أو نحو ذلك لا يعدو بها ذلك الموضع لا يحلى عنه نظم أبياته وذلك عيب في الصنعة شديد ونقص بين لانه أعني الشاعر يصير محصوراً على شيء واحد بعينه مضيقاً عليه وداخلاً تحت حكم القافية وكانوا يقولون ليكن الشعر تحت حكمك ولا تكن تحت حكمه .. ومنهم من اذا أخذ في صنعة الشعر كتب من القوافي ما يصلح لذلك الوزن الذي هو فيه ثم أخذ مستعملها وشريفها وما ساعد معانيه وما وافقها وأطرح ما سوى ذلك الا أنه لا بد أن يجمعها بكرر فيها نظره ويعيد عليها بحيره في حين العمل هذا الذي عليه حذاق القوم ومن الشعراء من اذا جاءه البيت عفواً أثبته ثم رجع اليه فنقحه وصفاه من كدره وذلك أسرع له وأخف عليه وأصح لنظره وأرخى لباله .. وآخر لا يثبت البيت الا بعد احكامه في نفسه وتنقيحه من جميع جهاته وذلك أشرف للهمة وأدل على القدرة وأظهر للكلفة وأبعد من السرقة .. وسألت شيخاً من شيوخ هذه الصناعة فقلت ما يعين على الشعر فقال زهرة البستان وراحة الحمام وقيل ان الطعام الطيب والشراب الطيب وسماع الغناء مما يرق الطبع ويصفي المزاج ويعين على الشعر ولما أرادت قريش معارضة القرآن عكف فصحاؤهم الذين تعاطوا ذلك على لباب البر وسلاف الخمر ولحوم الضأن والخلوة الى أن بلغوا مجهودهم .. فلما سمعوا قول الله عز وجل ﴿ وقيلَ يا أرضُ ابلعي ماءكِ ويا سماءُ أقلعي وغيضَ الماءُ وقضيَ الأمرُ واستوتْ على الجوديِّ وقيلَ بعداً للقومِ الظالمين ﴾ يئسوا مما طمعوا فيه وعلموا أنه ليس بكلام مخلوق وقيل مقود الشعر الغناء به وذكر عن أبي الطيب أن مشرفاً اشرف عليه وهو يصنع قصيدته التي أولها * جللا كما بي فليك التبريح *

وهو يتغنى ويصنع فاذا توقف بعض التوقف رجع بالانشاد من أول القصيدة الى حيث انتهى منها وقال بعضهم من أراد أن يقول الشعر فليعشق فانه يرق وليرو فانه يدل وليطمع فانه يصنع .. وقالوا الحيلة لكلال القريحة انتظار الجمام وترصد ساعات النشاط وهذا عندي أصح الاقوال وبه أقول واليه أذهب .. وقال بكر بن عبد الله المزني لا تكدوا

[illegible] ولا [illegible] فإن [illegible] كان في [illegible] ومن أكره خاطره عشي و[illegible]
[illegible] ولا [illegible] الحكمة [illegible] بعض الاستغلاق [illegible]
[illegible] وقد يجيء من أبيات شعره [illegible] وحدة فليس شاعر
[illegible] كما قال ذلك [illegible] أصح شاعر معرب قط
[illegible] لا سيما في هذا الموضع صحيفة كتبها بشر بن المعتمر ذكر فيها البلاغة ودل
على بعض الكلام ومصادره يقول فيها خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها
إياك فإن قليل تلك الساعة أكرم جوهراً وأشرف حسباً وأحسن في الأسماع وأحلى
في الصدور وأسلم من فاحش الخطأ وأجلب لكل عين وغرة من لفظ شريف ومعنى
بديع واعلم أن ذلك أجدى عليك مما يعطيك يومك الأطول بالكد والمجاهدة
والتكلف والمعاودة ومهما أخطأك لم يخطئك أن يكون مقبولا قصداً وخفيفاً على اللسان
سهلا كما خرج من ينبوعه ونجم من معدنه وإياك والتوعر فإن التوعر يسلمك إلى
التعقيد والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ومن أراغ معنى كريماً
فليلتمس له لفظاً كريماً فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ومن حقهما أن تصونهما
عما يفسدهما ويهجنهما وعما تعود من أجله أسوأ حالا منك قبل أن تلتمس إظهارهما
وترتهن نفسك في ملابستهما وقضاء حقهما وكن في إحدى ثلاث منازل فإن أولى
الثلاث أن يكون لفظك رشيقاً عذباً وفخماً سهلا ويكون معناك ظاهراً مكشوفاً وقريباً معروفاً
إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت وإما للعامة إن كنت للعامة أردت والمعنى ليس
يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة
وإنما مدار الشرف مع الصواب وإحراز المنفعة ومع موافقة الحال وما يجب لكل مقام
من المقال وكذلك اللفظ العامي والخاصي فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك وبلاغة
قلمك ولطف مداخلك واقتدارك في نفسك على أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها
الألفاظ المتوسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فأنت البليغ التام
فإن كانت المنزلة الأولى لا تواتيك ولا تعتريك ولا تسمح لك عند أول نظرك في أول
تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة
لها والقافية لم تحل في مركزها وفي نصابها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها نافرة

عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب مكانها والنزول في غير وطنها ، فإنك إذا لم تتعاط
قرض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنثور لم يعبك بترك ذلك أحد فإن
أنت تكلفتها ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محكماً لشأنك بصيراً بما عليك وما لك عابك من
أنت أقل منه عيباً ورأى من هو دونك أنه فوقك .. فإن أنت ابتليت بأن تتكلف
القول وتتعاطى الصنعة ولم تسمح لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر ودعه بياض يومك
أو سواد ليلك وعاوده عند نشاطك وفراغ بالك فإنك لا تعدم الإجابة والمواتاة إن كانت
هناك طبيعة أو جريت في الصناعة على عرق فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث
شغل ومن غير طول إهمال فالمنزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصناعة إلى أشهى الصناعات
إليك وأخفها عليك فإنك لم تشتهه ولم تنازع إليه إلا وبينكما نسب والشيء لا يحن إلا
إلى ما شاكله وإن كانت المشاكلة قد تكون في طبقات لأن النفوس لا تجود بمكنونها
مع الرغبة ولا تسمح بمخزونها مع الرهبة كما تجود به مع الشهوة والمحبة .. وقال بعض
أهل الأدب من حسب الشاعر عوناً على صنعته أن يجمع خاطره بعد أن يخلي نفسه من
فضول الأشغال ويدع الامتلاء من الطعام والشراب ثم يأخذ فيما يريده .. وأفضل
ما استعان به الشاعر فضل غنى أو فضل طمع .. والفقر آفة الشعر وإنما ذلك لأن الشاعر
إذا صنع القصيدة وهو في سعة تخير وأمعن النظر فيها على مهل فإذا كان مع ذلك
طمع عني قوي أسبابها من يدعوها وجاشت رغبته بها في بنائها محكمة وإذا كان فقيراً
مضطراً رضي بعفو كلامه وأخذ ما أمكنه من نتيجة خاطره ولم يتسع في تجويد مراده ، ولا
نوع مجهود نفسه لما يحفزه من الحاجة والضرورة فجاء دون عادته في سائر شعره وإنما
قصر عمن هو دونه بكثير ومنهم من يحيي حاجة خاطره وتبعث قريحته فيجود في
أوسع أفق وصعب عليه عمل الأبيات اليسيرة فضلاً عن الكثيرة العدة في بعض
الأشياء فعل عظيم وهي طبيعة خامسة كما قيل فيه

باب في المقاطع والمطالع

اختلف أهل المعرفة في المقاطع والمطالع .. فقال بعضهم هي الفصول والوصول بعينها. فالمقاطع أواخر الفصول والمطالع أوائل الوصول وهذا القول هو الظاهر من نص الكلام والفصل آخر جزء من القسيم الأول كما قدمت وهي العروض أيضاً والوصل أول جزء يليه من القسيم الثاني .. وقال غيرهم المقاطع منقطع الأبيات وهي القوافي والمطالع أوائل الأبيات .. وقال قدامة بن جعفر في بعض تآليفه وقد ذكر الترصيع هو أن يتوخى تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف فأشار بهذه العبارة إلى أن المقاطع أواخر أجزاء البيت كما ترى .. وقد يجيء من الشعر المرصع ما يكون سجعه في غير مقاطع الأجزاء نحو قول أم معدان الأعرابية في مرثية لها

فعال الجميل وفراج الجليل وعطاء الجزيل الذي لم يعطه أحد

فالسجع في هذا البيت اللام المطردة في ثلاثة أمكنة منه وأواخر الأجزاء التي هي مقاطع على شريطة [illegible] أعني قبل اللام للهم لا أن يجعل السجع هو الياء الملتزمة حينئذ شيئاً لا معنى حرف السجع يكون لا متأخراً في مثل هذا المكان ومثل هذا في أنواع الأعاريض كثير .. ومن الناس من زعم أن المطالع والمقاطع أول القصيدة وآخرها وليس ذلك بشيء لأنا نجد في كلام حذاق النقاد وصفهم قصيدة قالوا حسنة المقاطع جيدة المطالع ولا يقولون المقطع والمطلع وفي هذا دليل واضح لأن القصيدة إنما لها أول واحد وآخر واحد ولا يكون لها أوائل وأواخر إلا على ما قدمت من ذكر الأبيات والأقسمة وانتهائها .. وسألت الشيخ أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن السمين عن هذا فقال المقاطع أواخر الأبيات والمطالع أوائلها قال ومعنى قولهم حسن المقاطع جيد المطالع أن يكون مقطع البيت وهو القافية متمكناً غير قلق ولا متعلق بغيره فهذا هو حسنه والمطلع وهو أول البيت جودته أن يكون دالاً على ما بعده كالتصدير وما شاكله .. وروى الجاحظ أن شبيب بن شيبة كان يقول الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء وبمدح صاحبه وأنا موكل بتفضيل جودة المقطع وبمدح صاحبه وحظ جودة القافية وإن كانت

كلمة واحدة أرفع من حط سائر البيت والقصيدة وحكاية الحط هذه تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة وهو بنيت ألبق لذكر حط القافية .. وحكي أيضاً عن صدنق له أنه قال للعتابي ما البلاغة فقال كل ذي كلام أفهمك صاحبه حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ قلت قد عرفت الاعادة والحبسة وما الاستعانة قال أما تراه اذا تحدث قال عند مقاطع كلامه يا هناه اسمع مني واستمع الي وافهم وألست تفهم هذا كله عي وفساد .. قال صاحب الكتاب وهذا القول من العتابي يدل على أن المقاطع أواخر الفصول ومثله ما حكاه الجاحظ أيضاً عن المأمون أنه قال لسعيد بن أسلم[1] والله انك لتصغي لحديثي وتقف عند مقاطع كلامي واذا جعل المقطع والمطلع مصدرين بمعنى القطع والطلوع كانت الطاء واللام مفتوحتين واذا أريد موضع القطع والطلوع كسرت اللام خاصة وهو مسموع على غير قياس

باب المبدأ والخروج والنهاية

قيل لبعض الحذاق بصناعة الشعر لقد طار اسمك واشتهر فقال لأني أقللت الحز وطبقت المفصل وأصبت مقاتل[2] الكلام وقرطست نكت الأغراض بحسن الفواتح والخواتم ولطف الخروج الى المدح والهجاء .. وقد صدق لان حسن الافتتاح داعية الانشراح ومطية النجاح ولطافة الخروج الى المديح سبب ارتياح الممدوح وخاتمة الكلام أبقى في السمع وألصق بالنفس لقرب العهد بها فان حسنت حسن وان قبحت قبح والأعمال بخواتيمها كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد فان الشعر قفل أوله مفتاحه وينبغي للشاعر أن يجود ابتداء شعره فانه أول ما يقرع السمع وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة وليجتنب ألا وخليلي وقد فلا يستكثر منها في ابتدائه فانها من علامات الضعف والتكلان إلا للقدماء الذين جروا على عرق وعملوا على شاكلة وليجعله حلواً سهلا وفخماً جزلاً فقد اختار الناس كثيراً من الابتداآت أذكر منها ههنا ما أمكن ليستدل به نحو قول امرئ القيس

(١) ب مسلم (٢) ن مقاصد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه شاعر لأنه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل في مصراع واحد وقوله

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

ومنه قول القطامي واسمه عمير بن شييم التغلبي

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

وكقول النابغة

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

.. وقوله

كتمتك ليلاً بالجمومين ساهرا وهمين هماً مستكناً وظاهرا

هذا بعض ما يختار للقدماء .. ومما يختار لهم في الرثاء قول أوس بن حجر

أيتها النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا

ومما يختار للمحدثين قول بشار بن برد

أبى طلل بالجزع أن يتكلما

وهو عندهم أفضل ابتداء صنعه محدث وقول أبي نواس

لمن دمن تزداد طيب نسيم على طول ما أقوت وحسن رسوم

.. وقوله

رسم الكرى بين الجفون محيل عفى عليه بكاً عليك طويل

وقوله أعطتك ريحانها العقار وحان من ليلنا انسفار

.. وقوله

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء

وما أشبه ذلك مما لو تقصيته لطال وكثر. وليرغب عن التعقيد في الابتداء فإنه أول العي

ودلل الهوّة فقد حكى أن دعبلا بن علي الخزعي ورد حمص فقصد دير عبد السلام ابن رغبان ديك الجن فكتم نفسه عنه خوفاً من قوارصه ومشارته فقال له ستتر وهو أشعر الجن والانس أليس هو الذي يقول

بها غير معذول فداو خمارها   وصل بعشيات الغبوق ابتكارها

ونل من عظيم الردف كل عظيمة   اذا ذكرت خاف الحفيظ نوارها

فظهر اليه واعتذر له وأحسن نزله ثم تناشدا فأنشد ديك الجن ابتداء قصيدة

كأنها ما كأنه خلل الخـ   ـلة وقف الهلوك اذ بغما

فقال له دعبل أمسك فوالله ما ظننتك تتم البيت الا وقد عشي عليك أو تشكيت فكيك ولكأنك في حسم مخاطب الرابعة وقد تخطيت الشيطان من الانس وكأنما أردت لذلك أن تهول عليه ويقرع سمعه عسى أن تروعه وتردعه فيسمع منه ما يكره أن يسمعه ولعمرى ماظلمه دعبل ولقد أبعد مسافة الكلام وخالف العادة وهذه ست قبيح من جهات منها اضمار مالم يذكر قبل ولا جرت العادة بمثله فيعذر ولا كثر مستعمله فيشتهر مع دلالة تشبه على تشبه وثقل مجانسه الذي هو حشو فارع ولو طرح من البيت لكان أجزم واستدعى قافيته لا لشيء الا لفساد المعنى واستحالة التشبيه الذي يريد بعامه في تشبيه الوقف وهو السوار ولم كان وقف الهلوك خاصة ومعنى البيت أن عشيقته كأنها في جيدها وعينها الغزال الذي كأنه بين نبات الخلة سوار الجارية الحسنة التي المهالكة فيه وقبل الهلوك المعني الفاجرة فما هذا كله وأي شيء تحته ٠٠ومثله قول محمد بن عبد الملك الزيات يصف ناقته أول قصيدة مدح بها الحسن بن سهل

كأنها حين تنائى خطوها   أخنس مطوي الشوى يرعى القلل

والعيب الاول في مخالفة العادة لازم له ومع ذلك قوله حين تنائى خطوها تقصير بها وهو يقدران يقول حين تدانى خطوها وخالف جميع الشعراء بذلك لانهم انما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الكلال علواً في الوصف ومبالغة هذا هو الجيد فان لم يفعلوا لم يذكروا انها بذلت جهدها واستفرغت جميع ماعندها بل يدعون التأويل محتملا للزيادة ثم قال يرعي القلل والثور لا يرعى قلل الجبال وانما ذلك الوعل فانه لا يسهل

ويشوق النفوس ويلذها وموضع الحسن لأنه أول ما يقرع السمع منه فيجب أن تكون مثالاً لما بعده وبمكانه فقد تمكن فيه ما سمعت منه .. ومن الشعراء من يقطع المصراع الثاني من الأول إذا بدأ شعراً وأكثر ما يقع ذلك في النسيب كأنه يدل بذلك على وله وشدة حزن كقول أبي الطيب

جللاً كما بي فليك التبريح   أغذاء ذا الرشأ الأغن الشيح

فهذا عند من اعتذر له ووقع مثل هذا في ... والمصرع ... موضعه أيضاً وكذلك عند العظائم من الأمور والنوازل الشديدة ومحترس مما ناله فيه أو يقع عليه مطاعن ومن ... المتدح ... محضرة من كان يكرهه فمدح ينشد قصيدته المشهورة

* على مثلها من أربع وملاعب *

وكانت فيه جفوة شديدة فقال الرجل لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فدهش أبو تمام حتى تبين ذلك عليه على أنه غير أجود ما قيل ولا هو مما يدخل عليه عيباً ولا يرده دفعاً على الحقيقة لأن الجودة والتخلص من حكاية الدائرة أفضل وأطيب وأتم ... أردل وأجدل .. ودخل جرير على عبد الملك بن مروان فبدأ ينشده

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كأنه استثقل هذه المواجهة وإلا فقد علم أن الشاعر إنما خاطب نفسه .. ومن هذه الجهة عابوا على أبي الطيب قوله لكافور أول قصيدة مبتدئاً وإن كان إنما خاطب نفسه لا كافوراً

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا   وحسب المنايا أن يكن أمانيا

والعيب من جنس التأدب للملوك وحسن السياسة لازم لأبي الطيب في هذا الابتداء لاسيما وهذا النوع أعني جودة الابتداء من أجل محاسن أبي الطيب وأشرف ما في شعره إذا ذكر الشعر .. ودخل ذو الرمة على عبد الملك بن مروان فاستنشده شيئاً من شعره فأنشده قصيدته   ما بال عينك منها الماء ينسكب

وكانت عين عبد الملك رمصة وهي تدمع أبداً فتوهم أنه خاطبه أو عرّض به فقال وما

سؤالك عن هذا ياجاهل ثم أمر بإخراجه .. وكذلك فعل به هشام ذي النجم وقد أنشده في أرجوزة

والشمس قد كادت ولما تفعل كأنها في الأفق عين الأحول

وكان هشام أحول فأمر به فحجب عنه مدة وقد كان قبل ذلك من خاصته يسمر عنده ويمازحه .. وإنما يؤتى الشاعر في هذه الأشياء اما من غفلة في الطبع وغلظ أو من استغراق في الصنعة وشغل هاجس بالعمل يذهب مع حسن القول أين ذهب والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها وينظر في أحوال المخاطبين فيقصد محابهم ويميل الى شهواتهم وان خالفت شهوته ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره .. ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه لو خلد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك وقال كلاماً نحو هذا فقال الملك ان الموت حق وان لنا منه نصيباً غير أن الملوك تكره ذكر ماينكد عيشتها ويبغض لذتها ولا سيما شيء مما نكره ذكره .. ومن المثل ورأن النعمان بن المنذر رأى شجرة ظليلة ملتفة الأغصان في مرج حسن كثير الشقائق وكان معجباً بها واليه أضيفت شقائق النعمان فنزل وأمر بالطعام والشراب فأحضر وجلس للذته فقال له عدي بن زيد العبادي وكان كاتبه أتعرف أبيت اللعن ما تقول هذه الشجرة فقال وما تقول قال تقول

رب ركب قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال

عطف الدهر عليهم فتووا وكذاك الدهر حال بعد حال

من رآنا فليوطن نفسه إنما الدنيا على قرن زوال

كأنه قصد موعظته فتنغص عليه ما كان فيه وأمر بالطعام والشراب فرفع من بين يديه وارتحل من فوره ولم يتمتع بنفسه بقية يومه وليلته وكانا جميعاً نصرانيين فهذا شأن الملوك قديماً وحديثاً .. ومن هذه الجهة أكثر الناس من الدعاء لهم بطول العمر حتى بلغوا بهم مالا يمكن فقالوا عش أبداً واسلم مدى الدهر وابق بقاء الزمان ودم مدة الأيام واعترض النقاد في ذلك واختلفوا بحسب ماينتحل كل واحد منهم في قول أبي نواس للأمين

من [illegible] عشق [illegible] على لايه ورمى
[illegible] [illegible]

في كثير من [illegible] كلامه على حد لا يمكن [illegible] نوع [illegible] لا يعير
ذلك .. ومن [illegible] وقع لأبي نواس [illegible] وحدت فيه مذهبه أن
[illegible] برمك [illegible] شعر [illegible] محمودة [illegible] فصنع أبو نواس في ذلك
الحين [illegible] قصيدة مدحهم يقول فيها

[illegible] لحشوع [illegible] عنك ولي [illegible] حبك ودي

[illegible] وكذا قوله

سلام على [illegible] موقدة [illegible] بني برمك من رائحين وغادي

[illegible] البرمكي [illegible] حتى [illegible] وصيرت [illegible] عليه ثم قال بعثت اليه [illegible]
[illegible] نواس [illegible] لا [illegible] حتى وقع بهم الرشيد وصحت الطيرة .. وزعم قوم أن
أبا نواس قصد [illegible] شيء [illegible] في نفسه من [illegible] ولا أظن ذلك صحيحاً لأن
هذه القصيدة من جيد شعره الذي لا [illegible] يحتمل له اللهم إلا أن يصنع ذلك حيلة
[illegible] على ما قصد اليه بذلك .. وللشعراء مذاهب في افتتاح القصائد [illegible] فيه
من عطف القلوب واستدعاء القول بحسب ما في الطبع من حب الغزل والميل الى اللهو
والنساء وإن ذلك يستدرج الى ما بعده .. ومقصد الناس يختلف فطريق أهل البادية
ذكر الرحيل والانتقال وتوقع البين والإشفاق منه وصفة الطلول والحمول والتشوق بحنين
الإبل ولمع البروق ومر النسيم وذكر المياه التي يلتقون عليها والرياض التي يحلون بها
من خزامى وأقحوان وبهار [illegible] وطيان وعرار وما أشبهها من زهر البرية الذي تعرفه
العرب وتنبته الصحارى والجبال وما يفوح لهم من النبات في البادية التي بها أحياؤهم
ولا يعدون النساء [illegible] وإن وقع مثل قول طرفة

وفي الحي أحوى [illegible] مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد

وما هو كناية [illegible] عن المرأة .. وأهل الحضرة يأتي أكثر تغزلهم في ذكر الصدود
والهجران والواشين والرقباء ومنعة الحرس والأبواب وفي ذكر الشراب والندامى والورد

والسرى والهبوط وما شاكل ذلك من الدو والبيد والحزن والسهولة وفي تشبيه النياق والنجائب ونعت الكتب وما شاكل ذلك منهم به معرفون .. وقد ذكروا الغمام تصريحاً ويذكرون النساء أيضاً منهم من سلك في ذلك مسلك الشعراء قبله منهم ومن تبعه لما أنه طبع الناس معهم كما يذكر أحدهم الإبل وصعب المغاور على العادة المعتادة ولعله لم يركب جملا قط ولا رأى مغاورة جدة ومنهم من يكون قوله في النساء اعتقاداً منه وإن ذكر تحرياً على عادة المحدثين وسلوكاً طريقهم إلا يخرج عن سنن أصحابه ويدخل في غير سلكه وبابه وكناية بالشخص عن الشخص لرقبة أو حب رشاقته .. وهذا مما لا نطالب عليه شاهد لكثرته لا أتى أنه في هذا المكان نقول أبي نواس

علي عين وأذن من مذكرة ۔۔۔ موصولة بهوى للوطء والعزل
كلاهما بحوزها سام مهمته ۔۔۔ على خلافهما في موضع العمل

والعادة أن يذكر الشاعر ما قطع من مفاوز وما قصي من ركاب وما تجشم من هول الليل وسهره وطول النهار وهجيره وقلة الماء وغووره ثم يخرج إلى مدح المقصود ليوجب عليه حق القصد وذمام القصد ويستحق منه المكافأة ..وكانوا قديماً أصحاب خيام ينتقلون من موضع إلى آخر فلذلك أول ما تبدأ أشعارهم بذكر الديار وبكاء ديارهم وليست كأبنية الحاضرة فلا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازاً لأن الحضرة لا تنسفها الرياح ولا يمحوها المطر إلا أن يكون ذلك بعد زمان طويل لا يمكن أن يعيشه أحد من أهل الجيل وأحسن ما استعمله المولدون المحدثون ما ناسب قول علي بن العباس الرومي

سقى الله قصراً بالرصافة شاقني ۔۔۔ بأعلاه قصريٌّ الديار رصافي
أشار بقضبان من الدر قمعت ۔۔۔ واقيت حمراً وسناً عقيق

وكانت دوابهم الإبل لكثرتها وعدم غيرها ولصبرها على المشقة وقلة الماء والعلف فلهذا أيضاً خصوها بالذكر دون غيرها ولم يكن أحدهم يرضى بالكذب فيصف ما ليس عنده كما يفعل المحدثون ألا ترى أن امرأ القيس لما كان ملكاً كيف ذكر خيل البريد والعراق يعني البريد على أنه لم يستغن عن ذكر الإبل للعادة التي جرت على ألسنتهم

... وصف ... في قصيدة ...

... على ... وهي لا ... أمر
... كل مقصوص ... بلدالسري بالليل من حمل ...
... من ... مشي الهيدبي في دفه ثم ... (١)
... كسرحان ... ترى ... من أعطافه قد تحدر

وكانت خيل البريد ... أن يدخل مدحهم في خدمة البريد ...
ثم ... وقال الفرزدق

... عتبة ... لا ...

... وقد ... وقال ... في
بن هبيرة ... أيضاً

... مرده ... سواء ... وحده
فقدح قيس كلها بزنده

لأن ... أنه قصد الممدوح راحلا ... صدق
... على صعلكة ورحلة .. قال أبو نواس للفضل بن يحيى بن خالد

... من مشى ... الحضرمي ...
قلائص لم تعرف ... على ... ولم تدر ... ولا ...

... أن قلائصهم التي امتطوها اليه ... فأخرجه كما ترى مخرج ... واتبعه أبو
الطيب فقال

لا ناقتي تحمل الرديف ولا ... يوم الرهان أحيدها
شراكها كورها ومشفرها ... والتسوع مقودها

(١) هكذا في الأصول وفي ... ٣٥٩ ...
...
...

وقال مرة أخرى فى مثل ذلك يشكي

وحيث من حوض الركاب بأسود   من دارش فغدوت أمشي راكبا

وقال أيضاً يتصعلك و يتفقر

ومهمه جبته على قدمي   تعجز عنه العرامس الذلل

بصارمي مرتد بمخبرتي   مجتزئ بالظلام مشتمل

ولو شاء قائل أن يقول إن أبا نواس لم يرد ما ذهب اليه أبو الطيب لكن أراد أنه معه فى بلدة واحدة قصده فى حاجته محتذياً عليه لكان ذلك أظهر وجهاً ما لم يكن الحضرمي من الخلود مخصوصاً به المسافر دون الحاضر وجه هذا الكلام أن مقصد الشاعر من واحد ..وقد ذكر أبو الطيب الخيل أيضاً فى كثير من شعره وكان يؤثرها على الابل لما يقوم فى نفسه من الهيبة بذكر الخيل وبه طلب الشجاعة فقال يذكر قدومه الى مصر على خوف من سيف الدولة

و يوم كليل العاشقين كمنته   أراقب فيه الشمس أيان تغرب

وعيني الى أذني أغر كأنه   من الليل باق بين عينيه كوكب

له فضلة عن جسمه فى إهابه   تجيء على صدر رحيب وتذهب

شققت به الظلماء أدني عنانه   فيطغي وأرخيه مراراً فيلعب

وأصرع أي الوحش قفيته به   وأنزل عنه مثله حين أركب

وما الخيل الا كالصديق قليلة   وان كثرت فى عين من لا يجرب

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها   وأعضائها فالحسن عنك مغيب

وليس فى زماننا هذا ولا من شرط بلدنا خاصة شيء من هذا كله الا ما قلّ فلواجب اجتنابه الا ما كان حقيقة لاسيما اذا كان المادح من سكان بلد الممدوح يراه فى أكثر أوقاته فما أقبح ذكر الناقة والفلاة حينئذ ..وقد قلت أنا وان لم أدخل فى جملة من تقدم ولا بلغت خطته من قصيدة اعتذرت بها الى مولانا خلد الله أيامه من طول غيبة عنه عن الديوان

بنات يخوض البحر فيهم كأنه ... دموحه حبش أى البحر رحف
ويبعث حتف لحيح كل مسفة ... بريث لدى كف طوى السائف
من الموحدات اللائي تقدفن لحصى ... وترمي من مهجة لمقذف
طير العمى خفد عمى كأنه ... من القطن أو نسج الشتاء ندائف
وقد زرعت فصل الرمم ابن سكة ... هو السيف لا ما خلصته لمتارف
وكف برى لو عضت على العى ... محد وبى للمعى لمتارف
وقد قرب الله المسافة بيننا ... وأنحزني لوعد لزمان المسوف
ولولا شقتى لم أعب عنك ساحة ... ولا رام صرفي عن حمائك صارف
ولكني أخطأت رشدي فيأصب ... وقد يخطئ الرشد الفتى وهو عارف

فذكرت قرب المسافة بيني وبينه حوطة واحترازاً أن حوض البحر وحوب الفلاة من صفة عيرى من القصد والعرباء والمتحمين من الامصار .. ومن قصيدة صنعتها بالمهدية ساعة وصولى اليه أدام الله عزه عن قراح بعض شعراء وقتنا هذ

ودبال به رحل طحون ... لما برات به ويذ رحوج
يطير بأربع لاعيب فيها ... لطيران الصفا منه عجيج
خرجت به عن الاوهام سبقاً ... وقل له عن الوهم الخروج
الى الملك المعز أبى تميم ... أمر بمن سواه فلا أعيج

ومن أخرى فى معنى التقعر والرحلة

وماء بعيد الغور كالنجم فى الدجى ... وردت طروقاً أو وردت مهجرا
على قدم أخت الجناح وأخمص ... يحل حصى المعزاء جمراً مسعرا
فريداً من الاصحاب صلد من الكسل ... كما أسلم الغمد الحسام المذكرا

ومن الشعراء من لايجعل لكلامه بسطاً من السيف بل يهجم عليه ما يريده مكافحة ويتناوله مصافحة وذلك عندهم هو الوثب والبتر والقطع والكسع والاقتضاب كل ذلك

يقال .. والقصيدة اذا كانت على تلك الحال كانت كالخطبة البتراء والقطعاء وهي التي لا يبدأ فيها بحمد الله عز وجل على عادتهم في الخطب .. وقال أبو الطيب

اذا كان مدح فالنسيب المقدم   أكل فصيح قال شعراً متيم

فأنكر النسيب وزعموا أن أول من فتح هذا الباب وفتق هذا المعنى أبو نواس بقوله

لا تبك ليلى ولا تطرب الى هند   واشرب على الورد من حمراء كالورد

وقوله وهو عند الحاتمي فيما روى عن بعض أشياخه أفضل ابتداء صنعه شاعر من القدماء والمحدثين

صفة الطلول بلاغة القُدْمِ   فاجعل صفاتك لابنة الكرم

ولما سخط الخليفة على اشتهاره بالخمر وأخذ عليه أن لا يذكرها في شعره قال

أعرشعرك الأطلال والمنزل القفرا   فقد طالما أزرى به نعتك الخمرا

دعاني الى نعت الطلول مسلطٌ   تضيق ذراعي ان أرد له أمرا

فسمعاً أمير المؤمنين وطاعة   وان كنت قد جشمتني مركباً وعرا

فظاهر أن وصفه الاطلال والقفر انما هو من حشمة الامام والا فهو عنده فراغ وجهل وكان شعوبي اللسان فما أدرى ما وراء ذلك وان في اللسان وكثرة ولوعه بالشيء لشاهداً عدلا لا ترد شهادته .. وقد قال أبو تمام

* لسان المرء من خدم الفؤاد *

ومن عيوب هذا الباب أن يكون النسيب كثيراً والمدح قليلا كما يصنع بعض أهل زماننا هذا وسنبين وجه الحكم والصواب من هذا في باب المدح ان شاء الله تعالى .. ومن الشعراء من لا يجيد الابتداء ولا يتكلف له ثم يجيد باقي القصيدة وأكثرهم فعلا لذلك البحتري كان يصنع الابتداء سهلا ويأتي به عفواً وكلما تمادى قوى كلامه وله من جيد الابتداآت كثير لكثرة شعره والغالب عليه ما قدمت غير أن القاضي الجرجاني فضله بجودة الاستهلال وهو الابتداء على أبي تمام وأبي الطيب وفضلهما عليه بالخروج والخاتمة ولست أرى لذلك وجهاً الا كثرة شعره كما قدمت فانه لو حاسبهما ابتداء جيداً با بتداء ما

لا أرى فيهم وقصر عن غدره .. فما خجلي فيه بعض من أبي عبادة عتباً شديداً وتجوز عنه حين هذا لا يقتص منه ولا يسلم فيه .. وكان أبو تمام لا تدع له روعة وسه نهة كقوله

حق تتحو وسوف سور خدر من أشد مرين حذار

.. وقوله

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وقوله صعي لى البين معتزاً فلا حرما

وقوله أرسع لو رعوا على من همو

والعيب عليه تحت اللفظ وحوزة لا بد ... وكان أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي يفضل ابتدائات البحتري جداً وهو الذي وضع كتاب الموازنة والترجيح بين الطائيين ومه فيه البحتري أعظم تمويه .. ومن جيد ابتداآته قوله

عرضا أصلا فقسا لو رب حتى أصاء الأقحوان الأشنب

.. وقوله

ما على الركب من وقوف الركاب في معاني الصبا ورسم التصابي

وقوله صمن على عمك أي لا أسو

.. وقوله

ترى عنده عبر نتحوى وأدمعي وأي متى أسمع بذكراه أجزع

وأما الخروج فهو عندهم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج إنما هو أن تخرج من نسيب إلى مدح أو غيره بلطف تحيل ثم تتمادى فيما خرجت إليه .. كقول حبيب في المدح

صب الفراق علينا صب من كثب عليه إسحاق يوم الروع منتقما

سيف الإمام الذي سمته هيبته لما تخرم أهل الأرض مخترما

ثم تمادى في المدح إلى آخر القصيدة .. وكقول أبي عبادة البحتري

سقيت زناك كل ودع حالك	من و به حقاً ذا معلوما

ولو أني أعطيت فيهن مني	سقيتهن كف ترها

وأكثر الناس استعمالا لهذا الفن أبو الطيب فانه لا يكد يخرج له ولا تشد عنه حتى ربما قبح سقوطه فيه نحو قوله

هافانطري أوفطي لي ترى حرقاً	من لم يذق طرفاً منها فقد وألا

علَّ الامير يرى ذلي فيشفع لي	الى التي تركتني في الهوى مثلا

فعد مني أن يكون له الأمير قواداً وليس هذا من قول أبي نواس

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد	هواها لعل الفضل يجمع بيننا

في شيء لان أبا نواس قال يجمع بيننا ثم تبع ذلك ذكر المال والسخاء به فقال

أمير رأيت المال في نعماته	مهيناً ذليل النفس بالضيم موقر

وكأنه أشار الى أن جمعه بينهما بالمال حاصة يفضل عليه ويحزل عطيته فيتزوجها أو يتسرى بها

وأبو الطيب قال اسمع والسماعة رفعة وسؤال ثم اتبع بيته هذا هو مقو لمعناه في القصيدة قال

أيقنت أن سعيداً طالب بدمي	لما بصرت به بالرمح معتقلا

فدل على أنه يشفع فان أجيب الى مساعدة أبي الطيب فذاك والا رجع الى القهر ..

والذي يشاكل قول أبي نواس قوله

أحب التي في البدر منها مشابه	وأشكو الى من لا يصاب له شكل

ولفظة التشكي تحمل عنه كما حملت عن أبي نواس .. ومما سقط فيه وان كان مليح الظاهر قوله يخاطب امرأة نسب بها

لو أن فنا خسرو صبحكم	وبرزت وحدك عاقه الغزل

وتفرقت عنه كمائنه	إن الملاح خوادع قتل

ما كنت فاعلة وضيفكم	ملك الملوك وشأنك البخل

أتمنعين قرى فتفتضحي	أم تبذلين له الذي يسل

بل لا يحل بحيث حل به	بخل ولا جور ولا وجل

ثم عن قد حسرو أن عرف نعوته و ن له نفرق عنه وجعله تسأل هذه المرأة وسكت عن ... ثم وجب أن يحل لا محل تحت حل وأوقعه تحت ... وعل هذا كان ... من قد حسرو ولا ... يقال من عوه ... وأسأل الامير أن سمع ه ... سمع الامير ... ولا استطرد ... عن كلاماً كثير في لفظة من غير دالة او يقطع عن الكلام وهي ... دون جميع ... تقدم ونعود في كلامه الاول وكان ... اللفظة عن غير قصد ولا ... وحل ... وسيرد عليك في ... ان شاء الله تعالى .. ومن الناس من يسمى خروج مخلصاً ويوصلا ويسدون ... منه

د ما سقى الله ... وطعمه ... وليس به ... ولو كان من حرم

ولو أن حرماً أطعموا لحم حمزة ... نطاقاً يصرطون من التحم

وأولى الشعر أن يسمى مخلصاً ما تخلص منه الشاعر من معنى الى معنى ثم عاد الى الاول وأخذ في غيره ثم رجع الى ما كان فيه .. كقول النابغة الذبياني آخر قصيدة اعتذر بها الى النعمان بن المنذر

وكفكفت مني عبرة فرددتها ... الى النحر منها مستهل ودامع

على حين عاتبت المشيب على الصبا ... وقلت ألما أصح والشيب وازع

ثم تخلص الى الاعتذار فقال

ولكن هماً دون ذلك شاغل ... مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وعيد أبي قابوس في غير كنهه ... أتاني ودوني راكس فالضواجع

ثم وصف حاله عند ما سمع من ذلك فقال

فبت كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهد في ليل التمام سليمها ... لحلي النساء في يديه قعاقع

تناذرها الراقون من سوء سمها ... تطلقه طوراً وطوراً تراجع

ووصف الحية والسليم الذي شبه به نفسه من شدة ثم تخلص الى الاعتذار الذي كان فيه فقال

أتاني أبيت اللعن أنك لمتني وتلك التي تستك منها المسامع

ويروى ـ وخبرت خير الناس أنك لمتني ـ ثم اطرد له ما شاء من تخلص الى تخلص حتى انقضت القصيدة وهو مع ما ذكرت فيه غير خارج عن شيء مما قبله .. وقد يقع من هذا النوع شيء يعترض في وسط النسيب من مدح من يريد الشاعر مدحه بتلك القصيدة ثم يعود بعد ذلك الى ما كان فيه من النسيب ثم يرجع الى مدح كالفعل الذي تقدم وان أتى بمدحه الذي تمادى فيه مقطع وذلك قوله في وسط النسيب من قصيدة له مشهورة

صفتك طالعة التربي خلوم والظلم من ذي قدرة مذموم

زعمت هواك عفا الغداة كما عفت منها طلول باللوى ورسوم

لا والذي هو عالم أن النوى أجل وأن أبا الحسين كريم

مازلت عن سنن الوداد ولا غدت نفسي على إلف سواك تحوم

ثم قال بعد ذلك

لمحمد بن الهيثم بن شبانة مجد الى جنب السماك مقيم

ويسمى هذا النوع الالمام .. وكانت العرب لا تذهب هذا المذهب في الخروج الى المدح بل يقولون عند فراغهم من نعت الابل وذكر القفار وما هم بسبيله دع ذا وعد عن ذا ويأخذون فيما يريدون أو يأتون بأن المشددة ابتداء للكلام الذي يقصدونه فاذا لم يكن خروج الشاعر الى المدح متصلا بما قبله ولا منفصلا بقوله دع ذا وعد عن ذا ونحو ذلك سمي طفراً وانقطاعاً .. وكان البحتري كثيراً ما يأتي به نحو قوله

لولا الرجاء لمت من ألم الهوى لكن قلبي بالرجاء موكل

ان الرعية لم تزل في سيرة عمرية مذ ساسها المتوكل

وربما قالوا بعد صفة الناقة والمفازة الى فلان قصدت وحتى نزلت بفناء فلان وماشا كل ذلك .. وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكما لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه واذا كان أول الشعر مفتاحاً

ه ..حب .. ل ..ون .. لآ حره الا ..ه وقد ..ر .. ت ..والطب على كل شعر في جودة فصول
ه.. ب.. ..لا .. لا ..ه ..ر ..ة عند ..و .. .. لا شعار ..هة ..مسه وعر اً على الدس كقوله
..و .. قصيده

وو ..ى كار ..بع ..شد اه طاسمه .. .. ن سعد وللدمع أشعاه ساجمه

د.. هد محدث لا صمعي .. .. ن يمسر معده ويقع له في خروج ما كان بركه أولى به
و ..شعر ..ه و ..مد ..حله فيه حب .. لاعر ..ب في .. د ..ب ..سود حتى جاء ما نعت الدارد والتمع
..سكه ..تحو قوله

..حدث ..و يقود حر ..مل .. .. ثير ..اً و ..ر ..س ..رهم ر ..بعا

..هر .. من ..ست حة وا..شناعة ..محدث لا ..يخفى على أحد وما أظه سرق هذا المعنى الشريف
لا .. من ..كد ..ه ..كد ..م ..و ..المس .. ..ا ..ميري عن ..سان رحل زعم أ ..ه قال رأيت رحلا ..ثم
و يده عمرة ..خرد ..يمل .. لا ..ه ..راسح ..فد ..حمل أو الطيب مكان الرحل .. لا وان علما
لاعرق في مر ده ونقصه .. وقال

..عر ..كان في ..ه .. ..سرح ..مالح .. وحير جليس في الزمان ..كتاب
و ..يحر أ ..و .. ..ست الخصم الذي ..ه .. على كل ..بحر ..رحرة .. و ..عباب

تريد وحير بحر أو المسك وهـــده غاية التصنع والتكلف .. ومن العرب من يختم
القصيدة فيقطعها والنفس بها متعلقة وفيها رغبة مشتهية ويبقي الكلام مبتوراً كأنه لم
يعمد ختمه .. ..ة كل ذلك رغبة في أحد العفو واسقاط الكلفة ألا ترى معلقة امرئ
القيس كيف ختمها بقوله يصف السيل عن شدة المطر

كأن السباع فيه غرقى عشيةً .. بأرجائه القصوى أنابيش عنصل

ولم يجعل لها قاعدة كما فعل غيره من أصحاب المعلقات وهي أفضلها .. وقد كره الحذاق
من الشعراء ختم القصيدة بالدعاء لأنه من عمل أهل الضعف إلا للملوك فهم يشتهون
ذلك كما قدمت .. لم يكن من حاسن قول أبي الطيب يذكر الخيل لسيف الدولة

(١) .. ..و ..عسس

فلا هجمت بها إلا على ظفر ولا وصلت بها إلا الى أمل

ومن هذا تشبه ما ذكر عن بعض كتاب الصاحب الأمير فيقول لاصلح الله الامير بعافية وسكت ثم يقول الا ومسه أكثرهم وبعضه فيقول لاسقى الله الامير سعة وسكت سكتة ثم يقول الا وصحه بأتم منها أو نحو هذا فلا يدعو له حتى يدعو عليه ومثل هذا قبيح لا سيما عن مثل أبي الطيب

باب البلاغة

تكلم رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي وأسناني فقال له إن الله يكره الانبعاق في الكلام فنضّر الله وجه رجل أوجز في كلامه واقتصر على حاجته .. وسئل النبي صلى الله عليه وسلم فيم الجمال فقال في اللسان يريد البيان .. وقال أصحاب المنطق حد الانسان الحي الناطق فمن كان في المنطق أعلى رتبة كان بالانسانية أولى .. وقالوا الروح عماد الجسم والعلم عماد الروح والبيان عماد العلم .. وسئل بعض البلغاء ما البلاغة فقال قليل يفهم وكثير لا يسأم .. وقال آخر البلاغة اجاعة اللفظ واشباع المعنى .. وسئل آخر فقال معان كثيرة في ألفاظ قليلة .. وقيل لاحدهم ما البلاغة فقال اصابة المعنى وحسن الايجاز .. وسئل بعض الاعراب من أبلغ الناس فقال أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة .. وسأل الحجاج ابن القبعثري ما أوجز الكلام فقال ألا تبطئ ولا تخطئ وكذلك قال صُحار العبدي لمعاوية بن أبي سفيان .. وقال خلف الاحمر البلاغة لمحة دالة .. وقال الخليل بن احمد البلاغة كلمة تكشف عن البقية .. وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي ما البلاغة عندكم فقال الايجاز من غير عجز والاطناب من غير خطل .. وكتب جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي الى عمرو بن مسعدة اذا كان الاكثار أبلغ كان الايجاز تقصيراً واذا كان الايجاز كافياً كان الاكثار عياً . وأنشد المبرد في صفة خطيب

طبيب بداء فنون الكلا م لم يعي يوماً ولم يهذر

و، هو أضب في حطبة قصي للمطيل على لمعرر

و، هو أوجز في حطبة قصي للمقل على المكثر

قال أبو حسن علي بن عيسى الرماني أصل البلاغة الطبع وله مع ذلك آلات تعين عليه وتوصل القوة فيه وتكون ميزاناً لها وفصلة بينها وبين غيرها وهي ثمانية أضرب الايجاز والاستعارة والتشبيه والبيان والنظم والتصرف والمشاكلة والمثل وسيرد كل واحد منها مكانه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ٠٠ وقال معاوية لعمرو بن العاص من أبلغ الناس فقال من اقتصر على الايجاز وتنكب الفضول ٠٠ وسئل ابن المقفع ما البلاغة فقال اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السكوت ومنها ما يكون في الاستماع ومنها ما يكون في الاشارة ومنها ما يكون شعراً ومنها ما يكون سجعاً ومنها ما يكون ابتداء ومنها ما يكون جواباً ومنها ما يكون في الحديث ومنها ما يكون في الاحتجاج ومنها ما يكون خطباً ومنها ما يكون رسائل فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والاشارة الى المعنى والايجاز هو البلاغة ٠٠ قال صاحب الكتاب فهذا ابن المقفع جعل من السكوت بلاغة رغبة في الايجاز ٠٠ وقال بعض الكلبيين

وعلمت أن من السكوت إبانة ومن التكلم ما يكون خبالا

وقلت أنا في مثل ذلك

وأحمق أكال للحم صديقه وليس لجاري ريقه بمسيغ

سكت له صفحاً بعرضي فلم أجب ورب جواب في السكوت بليغ

وقلت أيضاً ولم أذكر بلاغة

أيها الموحي إلينا نفثة الصل الصموت

ماسكتنا عنك عياً رب نطق في السكوت

لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوت

إن يهن وهناً فمنه حيلتا سكنى وقوت

وقيل لبعضهم ماالبلاغة فقال ابلاغ المتكلم حاجته بحسن افهام السامع ولذلك سميت

بلاغة ،، وقال آخر البلاغة أن تفهم المخاطب بقدر فهمه من غير تعب عليك ،، وقال آخر البلاغة معرفة الفصل من الوصل ،، وقيل للبلاغة حسن العبارة مع صحة الدلالة ،، وقيل البلاغة أن يكون أول كلامك يدل على آخره وآخره يرتبط بأوله ،، وقيل البلاغة القوة على البيان مع حسن النظام ،، ومن قول السيد أبي الحسن أدام الله عزه في صفة كاتب بالبلاغة وحسن الخط

وفضل الأنام بفضل علم واسع ... وعلا مقاله بفصل منطق

وحكى لنا وشي الرياض وقد وشت ... أقلامه بالنقش بطن المهرق

فبلغ ما أراد من الوصف في اختصار وقلة تكلف ،، ونحو ذلك قوله أيضاً

اذا مشقت بنانك في الطرس أسطرا ... حكيت بها وشي البلاء المعضد

تروق بتجويد الخط حسن حروفها ... وتعجب منها بالمقال المسدد

وهذا الشعر كالأول في الحسن وإصابة المفصل وإن أبا الحسن لكما قال سميه أبو الطيب خاتم الشعراء

عليم بأسرار الديانات واللغى ... له خطرات تفضح الناس والكتبا

بل كما قال ولي نعمته وشاكر منته

اني لأعجب كيف يحسن عنده ... شعر من الأشعار مع احسانه

ما ذاك الا أنه در المعنى ... يشرى التجار به على دهقانه

أستغفر الله لا أجحد أبا الطيب حقه ولا أنكر فضله ،، وقد قال

ملك منشد القريض لديه ... يضع الثوب في يدي بزاز

ثم نرجع الى وصف البلاغة بعد ما أفضى ووشح هذا الباب من ذكر السيد فنقول ،، وقالوا البلاغة ضد العي والعي العجز عن البيان ،، وقيل لا يكون الكلام يستوجب اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه ولا يكون لفظه أسبق الى سمعك من معناه الى قلبك ،، وسأل عامر بن الظرب العدواني حممة بن رافع الدوسي بين يدي بعض ملوك حمير فقال من أبلغ الناس قال من حلى المعنى المزير باللفظ الوجيز وطبق المفصل

قبل التحبير ٠٠ وقال أرسطاطاليس البلاغة حسن الاستعارة ٠٠ وقال الخليل البلاغة ما قرب طرفاه وبعد منتهاه ٠٠ وقال خالد بن صفوان البلاغة إصابة المعنى والقصد إلى الحجة ٠٠ وقال إبراهيم الإمام البلاغة الجزالة والإطالة وهذا مذهب جماعة من الفصحاء وبه كان ابن العميد يقول في مشوره ٠٠ وقيل لبعض حذاق البلاغة فقال تقصير الطويل وتطويل القصير يعني بذلك القدرة على الكلام ٠٠ وقال أبو العيناء من أخرج القليل عن الكثير وقرب البعيد إذا شاء وبعد القريب وأخفى الظاهر وأظهر الخفي ٠٠ وقال البحتري يمدح محمد بن عبد الملك الزيات حين استوزر ويصف بلاغته

ومعان لو فصلتها القوافي ... هجنت شعر جرول ولبيد

حزن مستعمل الكلام اختيارا ... وتجنبن ظلمة التعقيد

وركبن اللفظ القريب فأدركن ... به غاية المراد البعيد

والبيت الأول من هذه القطعة يشهد بفضل الشعر على النثر ٠٠ وحكي الجاحظ عن إبراهيم بن محمد قوله يكفي من حظ البلاغة ألا يؤتى السامع من سوء إفهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع ثم قال الجاحظ أما أنا فأستحسن هذا القول جداً ٠٠ ومن كلام ابن المعتز البلاغة بلوغ المعنى ولما يطل سفر الكلام ٠٠ ووصف بعض الأعراب البلاغة التقرب من البغية ودلالة قليل على كثير ٠٠ وقال بعض المحدثين البلاغة إهداء المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ ٠٠ ومن كلام أبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي قال قال بعضهم البلاغة ما صعب على التعاطي وسهل على الفطنة ٠٠ وقال خير الكلام ما قل ودل وجل ولم يمل ٠٠ وقال أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وقل مجازه وكثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه ٠٠ قال وقيل البليغ من يجتني من الألفاظ نوره ومن المعاني ثماره وهذا الذي حكاه الثعالبي مما يدلك على حذق أبي الطيب في قوله لابن العميد

قطف الرجال القول قبل نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا

وكان يمكنه أن يقول لما أثمر لكن ذهب إلى ما قدمت وإذا فتدبر قول أبي تمام

ويجتني نور الكلام وقلما ... يلقى بقاء الغرس بعد الماء

وكان بعضهم يقول تلخيص المعاني رفق والاستعانة بالغريب عجز والتشادق في غير أهل

البادية نقص وخروج مما بنى عليه الكلام سرف .. وقال اليوناني قسم الكلام بعقل وزينته الصواب وحليته الإعراب ورائضه اللسان وجسمه القريحة وروحه المعاني .. وقال عبد الله بن محمد بن جميل المعروف بصاحب البلاغة منهم والأدباء وكتب المعاني بالكلام ومعرفة الإعراب والاتساع في اللفظ والسداد في النظم والمعرفة بالقصد والبيان في الأداء وصواب الإشارة وإيضاح الدلالة والمعرفة بالقول ولا كمال إلا بالحصر عن الإكثار وإمضاء العزم على حكومة الاختيار قال وكل هذه الأبواب محتاج بعضها إلى بعض كحاجة بعض أعضاء البدن إلى بعض لا غنى لفضيلة أحدها عن الآخر فمن أحاط معرفة بهذه الخصال فقد كمل كل الكمال ومن شذ عنه بعضها لم يبعد من النقص بقدر ما اجتمع فيه منها قال والبلاغة تخير اللفظ في حسن الإفهام .. وسئل الكندي عن البلاغة فقال ركنها اللفظ وهو على ثلاثة أنواع فنوع لا تعرفه العامة ولا تتكلم به ونوع تعرفه وتتكلم به ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحمدها .. ومن كتاب عبد الكريم قالوا حسن البلاغة أن تصور الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق قال وسمعت من يعيب ذلك المعنى ويعده إسهابا وآخر يعده إطنابا .. قال ومر غيلان بن خرشة الضبي مع عبد الله ابن عامر بنهر أم عبد الله الذي اشتق البصرة فقال عبد الله بن عامر ما أصلح هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير يتعلم فيه العوم صبيانهم ويكون لسقياهم ومسيل مياههم وتأتيهم ميرتهم قال ثم مر غيلان يسير زيادا على ذلك النهر وقد كان عادى ابن عامر فقال له ما أضر هذا النهر لأهل هذا المصر فقال غيلان أجل والله أيها الأمير تندى منه دورهم وتغرق فيه صبيانهم ومن أجله يكثر بعوضهم وكره الناس من البيان مثل هذا فقضى كلام عبد الكريم .. والذي أراه أن هذا النوع من البيان غير معيب لأنه حق لأنه لم يجعل الباطل حقاً على الحقيقة ولا الحق باطلا وإنما وصف محاسن كل شيء مرة ثم وصف مساويه مرة أخرى كما فعل عمرو ابن الأهتم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سأله عن الزبرقان بن بدر فأثنى خيراً فقال مانع لحوزته مطاع في أدنيه ويروى في أدانيه فلم يرض الزبرقان بذلك وقال أما إنه قد علم أكثر مما قال ولكن حسدني لشرفي وفي رواية أخرى حسدني مكاني منك يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنى عليه عمرو شراً وقال أما لئن قال ما قال

فلما أغضبته صدق صدر من مروءة أحمق لأنه لم يحل حديث الغنى ثم قال والله يا رسول الله لقد كذبت عليه في الأولى ولقد صدقت في الآخرة ولكني رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحراً. قال أبو عبيد القاسم بن سلام وكان المعنى والله أعلم أنه يبلغ من بيانه أنه يمدح الإنسان فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله ثم يذمه فيصدق فيه حتى يصرف القلوب إلى قوله الآخر فكأنه سحر السامعين بذلك. وقال الجاحظ العربي يعاف البذاء ويهجو به غيره فإذا ابتلي به فخر به ولكنه لا يفخر به لنفسه من جهة ما هجا به صاحبه. ودخل أبو العيناء على المتوكل فقال له ما تقول في البذاء قال إن يكن البذاء صفة المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد زكى الله وذم فقال ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ وقال ﴿هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم﴾ فذمه حتى قذفه وأما أن أكون كالعقرب التي تلسع النبي والذمي فقد أعاذ الله عبدك من ذلك وقد قال الشاعر

إذا أنا بالمعروف لم أثن صادقاً ... ولم أشتم الجبس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما

قال الجاحظ قال ثمامة بن أشرس قلت لجعفر بن يحيى ما البيان قال أن يكون اللفظ يحيط بمعناك ويجلي عن مغزاك ويخرجه من الشركة ولا تستعين عليه بالفكرة والذي لا بد منه أن يكون سليماً من التكلف بعيداً من الصنعة بريئاً من التعقيد غنياً عن التأويل قال الجاحظ وهذا هو تأويل قول الأصمعي البليغ من طبق المفصل وأغناك عن المفسر قال أبو عبيدة البليغ البلغ فصيح اللسان وقال غيره البالغ الذي يبلغ ما يريد من قول وفعل والبلغ الذي لا يبالي ما قال وما قيل فيه كذلك قال أبو زيد وحكى ابن دريد كلام بلغ وبليغ وقال ابن الأعرابي يقال بلغ وبلغ ولا شك أن ابن الأعرابي قال إنما هو في الأهوج الذي لا يبالي حيث وقع من القول وقد تكرر في هذا الباب من أقاويل العلماء ما لم يخف عني ولا عملته لكن غيرت ذلك لاختلاف العبارات ومدار هذا الباب كله على أن البلاغة وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز مع حسن العبارة ومن جيد ما حفظته قول بعضهم البلاغة شد الكلام معانيه وإن قصر وحسن التأليف وإن طال

باب الايجاز

الايجاز عند الرماني على ضربين مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا ينقص عنه كقولك سل أهل القرية ومنه ما فيه حذف للاستغناء عنه في ذلك الموضع كقول الله عز وجل ﴿واسأل القرية﴾ وعبر عن الايجاز بأن قال هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف ونعم ما قال الا أن هذا الباب متسع جداً ولكل نوع منه تسمية يسمها أهل هذه الصناعة .. وأما الضرب الأول مما ذكر أبو الحسن فهم يسمونه مساواة ومن بعض ما أنشدوا في ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي غير شيمته ... إن التخلق يأبى دونه الخلق

ولا تؤ تلك فيما بات من حدث ... لا أخو ثقة فانظر بمن تثق

فهذا شعر لا يزيد لفظه على معناه ولا معناه على لفظه شيئاً .. ومثله قول أبي العتاهية ورواه بعضهم للحطيئة وهذا شرف عظيم لأبي العتاهية ان كان الشعر له ولا أشك فيه

الحمد لله اني في جوار فتى ... حامي الحقيقة نفاع وضرار

لا يرفع الطرف الا عند مكرمة ... من الحياء ولا يغضي على عار

وأنشد عبد الكريم في اعتدال الوزن

انما الذلفاء همي ... فليدعني من يلوم

أحسن الناس جميعاً ... حين تمشي وتقوم

أصل الحبل لترضى ... وهي للحبل صروم

ثم قال عندهم أنه ليس في هذا الشعر فضلة عن إقامة الوزن وهذه الأبيات وأشكالها داخلة في باب حسن النظم عند غير عبد الكريم .. والضرب الثاني مما ذكر الرماني وهو قول الله عز وجل ﴿واسأل القرية﴾ يسمونه الاكتفاء وهو داخل في باب المجاز وفي الشعر القديم والمحدث منه كثير يحذفون بعض الكلام لدلالة الباقي على الذاهب .. من ذلك قول الله عز وجل ﴿ ولوْ أنَّ قرآناً سُيِّرت به الجبالُ أو قُطِّعت به الأرضُ

وكأنه موتي لأنه قد كان هذا القرآن ٠٠ ومنه قولهم تورثت عيناً بين الصفين أي رأيت أمراً عظيماً وإنما كان هذا معدوداً من أنواع البلاغة لأن نفس السامع تتسع في الظن والحساب وكل معلوم فهو هين لكونه محصوراً ٠٠ وقال امرؤ القيس

فلو أنها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط أنفسا

كأنه قال هان الأمر ولكنها نفس تموت موتات ونحو هذا ٠٠ ومن الحذف قول الله عز وجل ﴿ فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ﴾ أي فيقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم ٠٠ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم قوله للمهاجرين وقد شكروا عنده الأنصار أليس قد عرفتم ذلك لهم قالوا بلى قال فإن ذلك يريد فإن ذلك مكافأة لهم ٠٠ وروى أبو عبيدة أن سفيان الثوري قال جاء رجل من قريش إلى عمر بن عبد العزيز يكلمه في حاجة له فجعل يمت بقرابته فقال عمر فإن ذلك ثم ذكر حاجته فقال لعل ذلك ٠٠ وقال الطرماح يوماً للفرزدق يا أبا فراس أنت القائل

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

أعز ممن وأطول ممن وأذن المؤذن فقال له الفرزدق يا لكع ألا تسمع ما يقول المؤذن الله أكبر أكبر ممن أعظم ممن فقطع الطرماح تقطعاً وصحاً ٠٠ وزعم بعض العلماء أن معنى قول الفرزدق عزيز طويل ولكنه بناه على أفعل مثل أبيض وأحمر وما شابهما كلها يحسن لازماً لما في ذلك من الفخامة في اللفظ والاستظهار في المعنى ٠٠ ومن الإيجاز قول الأعرابي في صفة الذئب

أطلس يخفي شخصه غباره في شدقه شفرته وناره

فقوله ـ في الشفرة والنار ـ إيجاز مليح ٠٠ وقال آخر في صفة سهم صارد

* غادر داء ونجا صحيحا *

وقال آخر في صفة ناقة * خرقاء إلا أنها صناع *

وقال أبو نواس يصف حبين ناقة محدجا * ميت الدماغ حي التنفس *

وقال ابن المعتز يصف ثرياً * مبارك إذا رأى فقد رزق *

ومن الايجاز البديع قول الله عز وجل ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ وقوله تعالى ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وكل كلمة من هذه الكلمات في مقام كلام كثير وهي على ما ترى من الاحكام والايجاز ومثل ذلك قوله تعالى ﴿يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون﴾ وقوله تعالى ﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾ وقوله ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الانفس﴾ .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقال كفى بالسلامة داء ومثل هذا كثير في كلامه صلى الله عليه وسلم ومن أولى منه بالفصاحة وأحق بالايجاز وقد قال أعطيت جوامع الكلم وأما قوله عليه الصلاة والسلام كفى بالسيف شا يريد شاهداً فقد حكاه قوم من أصحاب الكتب أحدهم عبد الكريم والذي أرى أن هذا ليس مما ذكروه في شيء لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما قطع الكلمة وأمسك عن تمامها لئلا تصير حكماً ودليل ذلك أنه قال لولا أن يتتابع فيه الغيران والسكران فهذا وجه الكلمة والله أعلم لا كما قال علقمة بن عبدة

كأن إبريقهم ظبي على شرف ... مفدم بسبا الكتان ملثوم

يريد بسبائب الكتان فحذف اضطراراً لأن الوزن لا يستقيم له الا بعد الحذف وكذلك قول لبيد

درس المنا بمتالع فأبان *

يريد المنازل فحذف للضرورة أيضاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير متكلف ولا مضطر .. فأما سائر العرب فالحذف في كلامهم كثير لحب الاستخفاف وتارة للضرورة وسيرد عليك في باب الرخص ان شاء الله تعالى

باب البيان

قال أبو الحسن الرماني في البيان هو احضار المعنى للنفس بسرعة ادراك وقيل ذلك لئلا يلتبس بالدلالة لانها احضار المعنى للنفس وان كان بابطاء .. وقال البيان الكشف عن المعنى

حتى تدرك نفس من غير عقلة وبه قال ذلك لأنه قد بنى تعتقد في الكلام لدى من ولا تستحق سم بان .. قال صاحب الكتاب وقد مر بنا في باب البلاغة قول عيلان بن حرشة في صفة بهر ثم سد لله مد حاً وداما وهو من حد البيان عندهم وكذلك قول عمرو بن الأهتم في الزبرقان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم إن من البيان سحراً وقال مثل ذلك للعلاء بن الحضرمي وقد سأله هل تروى من الشعر شيئاً فأنشده

حيي ذوي الأضغان تسب عقولهم   تحيتك الحسنى وقد يرقع النعل

وإن دحسوا بالكره فاعف تكرماً   وإن خنسوا عنك[1] الحديث فلا تسل

فإن الذي يؤذيك منه سماعه   وإن الذي قالوا وراءك لم يقل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن من الشعر لحكمة وروي لحكمة .. ومن البيان الموجز الذي لا تقرن به شيء من الكلام قول الله تعالى ﴿ ولكم في القصاص حياة ﴾ وقوله في الاعراب عن صفته ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ فبين تعالى أنه واحد لا ثاني معه وأنه صمد لا جوف له وقيل الصمد السيد الذي يصمد اليه في الأمور كلها ولا يعدل عنه وقيل العالي المرتفع وأنه غير والد ولا مولود وأنه لا شبه له ولا مثل وقيل ان الكفو هو الصاحبة تعالى الله وانما نزلت هذه السورة لما سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له صف لنا ربك وانسبه فقد وصف نفسه في التوراة ونسبها فأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال لو سألتموني أن أصف لكم الشمس لم أقدر على ذلك فبينا هو كذلك اذ هبط عليه جبريل عليه السلام فقال يا محمد ﴿ قل هو الله أحد ﴾ السورة .. ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم قوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم والمرء كثير بأخيه فهذا الكلام في نهاية البيان والايجاز .. وقال أبو بكر رضي الله عنه في بعض مقاماته وليت أموركم ولست بخيركم أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فان عصيت فلا طاعة لي عليكم فقد بلغ بهذه الالفاظ الموجزة غاية البيان .. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض خطبه أيها الناس

(١) ن حنسوا عنك

إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندي من الضعيف حتى آخذ الحق له ولا أضعف عندي من القوي حتى آخذ الحق منه روى ذلك المبرد عن الاصمعي وذكر الاخفش عن علي بن سليمان هذه الخطبة في الصحيح عندي انها لابي بكر ٠٠ ومن كلام عمر رضي الله عنه كفى بالمرء عياً أن تكون فيه خلة من ثلاث أن يعيب شيئاً ثم يأتي مثله أو يبدو له من أخيه ما يخفى عليه من نفسه أو يؤذي جليسه فيما لا يعنيه ٠٠ وكتب عثمان بن عفان الى علي بن أبي طالب رحمة الله عليهما لما أحيط به أما بعد فانه قد جاوز الماء الزبى وبلغ الحزام الطبيين وتجاوز الامر بي قدره وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه

فان كنت مأكولا فكن أنت آكلي وإلا فأدركني ولما أمزق

البيت الذي تضمنته الرسالة من شعر ممزق العبدي يقوله لعمرو بن هند في قصيدة مشهورة وبه سمي الممزق واسمه شأس بن نهار وخطب عثمان يوماً فأُرتج عليه وهو مطرق فقال له ما لك لا تقول فقال علي ان قلت لم أقل الا ما تكره وليس لك عندي الا ما تحب قال المبرد تأويل ذلك ان قلت اعتددت عليك بمثل ما اعتددت به عليّ فدفعك عقدي وعقدي الا أفعل وان كنت عياً لا ما تحب ٠٠ وهذا قليل من كثير يستدل به عليه ولو تقصيت ما وقع من ألفاظ التابعين ومن تقدمت به شعراء الجاهلية والاسلام لافنيت العمر دون ذلك وقد استفرغ أبو عثمان الجاحظ وهو علامة وقته الجهد وصنع كتاباً لا يبلغ جودة وفضلا ثم ما ادعى احاطة بهذا الفن لكثرته وان كلام الناس لا يحيط به الا الله عز وجل

باب النظم

قال أبو عثمان الجاحظ أجود الشعر ما رأيته متلاحم الاجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه أفرغ افراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان واذا كان الكلام على هذا الاسلوب الذي ذكره الجاحظ لذ سماعه وخف محتمله وقرب

وبهذه وعدت سطق به وحي في فم سه معه وإذا كان مه قرأ متنايئاً عسر حفظه وثقل على ... ن دحق به ومجه مسمع ون يستقرفها منه تبي .. وأنشد الجاحظ قال أنشدني أبو العصى قال أنشدني حلف

و مض قريض لقوم ذ أعلة ... يكد لسان الناطق المتحفظ

وأنشد عنه عن أبي سيد الرياحي

وشعر كبعر الكبش فرق بينه ... لسان دعي في القريض دخيل

واستحسن أن يكون البيت بأسره كأنه لفظة واحدة لخفته وسهولته واللفظة كأنها حرف واحد وأنشد قول الثقفي

من كان ذا عضد يدرك ظلامته ... إن الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قل ناصره ... ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

والناس مختلفو الرأي في مزاوجة الألفاظ منهم من يحمل الكلمة وأختها وأكثر ما يقع ذلك في ألفاظ الكتاب وقد كان يقول البحتري في أكثر أشعاره .. من ذلك قوله

تطيب عشرها البلاد إذا سرت ... فسيم زيدها ويبصمو نسيمها

في القسيم الآخر تناسب ظاهر .. وكذلك قوله

ضاق صدري بما أجن ... ن وقلبي بما أجد

وقوله أيضاً في مدح المتوكل

لقد اصطفى رب السما ... ء له الخلائق والشيم

ومنهم من يقابل لفظتين بلفظتين ويقع في الكلام حينئذ تفرقة وقلة تكلف .. فمن المتناسب قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه في بعض كلامه أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد فاسمع كل لفظة ما تشاكلها وقرنها بما تشبهها .. ومن الفرق المنفصل قول امرئ القيس

كأني لم أركب جواداً للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

وكان قد ورد على سيف الدولة رجل بغدادي يعرف بالمستحسن لا يكاد يسلم منه أحد من القدماء والمحدثين ولا يذكر شعر بحضرته إلا تتبعه وظهر على صاحبه بالحجة في صحة فأنشد يوماً هذين البيتين فقال قد جمع فيهما وأفسد التوفيق

كأني لم أركب جواداً ولم أقل ... لخيلي كري كرة بعد إجفال

ولم أسبأ الزق الروي للذة ... ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

لكان قد جمع بين الشيء وشكله فذكر الجواد والكر في بيت وذكر النساء والخمر في بيت فالتفت الأمير من بين يدي سيف الدولة وسطوته .. قال فقال رجل ممن حضر ولا كرامة لهذا الرأي الله أصدق منك حيث يقول ﴿ إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى ﴾ فأتى بالجوع مع العرى ولم يأت به مع الظمأ فسر سيف الدولة وأجازه بصلة حسنة .. قال صاحب الكتاب قول امرئ القيس أصوب ومعناه أعز وأغرب لأن اللذة التي ذكرها إنما هي الصيد هكذا قال العلماء ثم حكى عن شبابه وغشيانه النساء فجمع في البيت معنيين ولو نظمه على ما قال المعترض لنقص فائدة عظيمة وفضيلة شريفة تدل على السلطان وكذلك البيت الثاني لو نظمه على ما قال لكان ذكر اللذة حشواً لا فائدة فيه لأن الزق لا يسبأ إلا للذة وفي حمل الفتوة كما حملها في تقدم الصيد فلما في ذكر الزق الروي كناية ولكن امرؤ القيس وصف نفسه بالفتوة والشجاعة بعد أن وصفها بالملك والرفاهة .. وأما احتجاج الآخر بقول الله عز وجل فليس من هذا في شيء لأنه أجرى الخطاب على مستعمل العادة وفيه مع ذلك تناسب لأن العادة أن يقال جائع عريان ولم يستعمل في هذا الموضع عطشان ولا ظمآن وقوله تعالى تظمأ وتضحى متناسب لأن الضاحي هو الذي لا يستره شيء عن الشمس والظمآن من تلك من كانت هذه حاله .. وقال الجاحظ في القرآن معان لا تكاد تفترق مثل الصلاة والزكاة والجوع والخوف والجنة والنار والرغبة والرهبة والمهاجرين والأنصار والجن والإنس والسمع والبصر .. ومن الشعراء من يضع كل لفظة موضعها لا يعدوه ويكون كلامه ظاهراً غير متشكل وسهلاً غير متكلف ومنهم من يقدم ويؤخر إما لضرورة وزن أو قافية وهو أعذر وإما ليدل على أنه يعلم تصريف الكلام ويقدر على تعقيده

وهذا هو مي عد وكذلك ستعرب عرب وتشدود التي يقل مثلها في الكلام فقد عب من لا علم مهمة نحو قول الفرزدق

على حالة لو ان في بحر حاتماً على جوده لضن بالماء حاتم

فخفض حاتماً على البدل من الهاء التي في جوده حتى رأى قوم من العلماء ان لا قواء في هذا الموضع خير من سلامة لا تعرف مع الكلمة ٠٠ وكذلك قوله

عنق هماً لم تلده أكرم نسماقا هم الملوك القماقم

أراد عنق نسماقا هام ملوك امهم ثم مه وفرر فقال هماً لم تلده أكرم يريد أي قوم لم تسكهم وقهرهم وهذا عند الصدور المذكور من العلم تكلف وعمل لا تعرفه العرب المطبوعون وكذلك

ان الفرزدق صخرة عادية طالت فليس تنالها الاوعلا

نصب الاوعال ط ت ويروى عرت ٠٠ وأكثر شعر أبي الطيب من هذه العلامة ومما لا دس به قول الخنساء

نعم الفتى في عداة هاجر اذا ما الرماح مجيأً رويت

فقدمت مجيعاً على رويت مبادرة للخبر بالرى من أي شيء هو وكذلك قول أبي السمح نكير بن معدان اليربوعي

مهمه عنك في يمهمه بالسيف الا حلت وجاع

أراد مهمته عنك بالسيف أو أراد في يمهه لا حيدات وجاع بالسيف وكلاهما فيه تقديم وتأخير ٠٠ ورأيت من علماء بلدنا من لا يحكم للشاعر بالتقدم ولا يقضي له بالعلم الا أن يكون في شعره التقديم والتأخير وأنا استقل ذلك من جهة ما قدمت وأكثر ما نجده في أشعار النحويين ومن الشعر ما تتقارب حروفه أو تكرر فتثقل على اللسان نحو قول ابن بشر

لم يضرها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذهول

فان القسيم الآخر من هذا البيت تقل بقرب الحاء من العين وقرب الزاي من السين

٠٠ وقال آخر

وقبر حرب في مكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

فتكررت الالفاظ وترددت الحروف حتى صار بمنزلة المخترع ولا يقدر أحد أن ينشده ثلاث مرات الا عثر لسانه فيه وغلط ٠٠ وقال كعب بن زهير

تجلو عوارض ذي ظلم اذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول

فجمع بين الصاد والذال والظاء وهي متقاربة متنافرة ٠٠ ومن حسن اللفظ أن يكون الكلام غير مسجع والسجع حسن من المغالطة يرد في موضعه ان شاء الله تعالى ٠٠ ومن الناس من يستحسن الشعر مبنياً بعضه على بعض وأنا أستحسن أن يكون كل بيت قائماً بنفسه لا يحتاج الى ماقبله ولا الى ما بعده وما سوى ذلك فهو عندي تقصير الا في مواضع معروفة مثل الحكايات وما شاكلها فان بناء اللفظ على اللفظ أجود هنالك من جهة السرد ولم أستحسن الاول على أن فيه بعداً ولا نفوراً الا أنه ان كان كذلك فهو الذي كرهت من المسجع

باب المخترع والبديع

المخترع من الشعر هو ما لم يسبق اليه قائله ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه كقول امرئ القيس

سموتُ اليها بعدَ ما نام أهلها ... سموَّ حباب الماء حالا على حال

فانه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد إياه وقوله

كأن قلوبَ الطيرِ رطباً ويابساً ... لدى وكرها العنابُ والحشفُ البالي

وله اختراعات كثيرة يضيق عنها الموضع وهو أول الناس اختراعاً في الشعر وأكثرهم توليداً ٠٠ ومن الاختراع قول طرفة

ولولا ثلاثٌ هنَّ من لذةِ الفتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عوّدي

ذ ن سو مدلات ستيرة ... كمت متي ء معل بما برد
وترى د دي مصف مجداً ... كسد لعص دى الضحة المتورد
ويصير بوم سحن ولدحن معجب ... بمكة تحت الطرف المعمد

وقوله يصف نسوة في خروج

يشق حبب ... جرومهن ... كما قسم الترب المفائل باليد

وله أيضاً اخترعات كثيرة من هذه القصيدة . وقول النابغة الذبياني

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ... فتناولته واتقتنا باليد

وقوله أيضاً من الاختراعات

لو أنها عرضت لأشمط راهب ... عبد الإله صرورة متعبد
لرنا لرؤيتها وحسن حديثها ... ولخاله رشداً وإن لم يرشد

وما زالت الشعراء تخترع إلى عصرنا هذا ويتولد عنها ذلك قليل في الوقت . والتوليد أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدمه أو يزيد فيه زيادة فلذلك يسمى التوليد وليس باختراع لما فيه من الاقتداء بغيره ولا يقال له أيضاً سرقة إذا كان ليس آخذاً على وجهه مثل ذلك قول امرئ القيس

سموت إليها بعد ما نام أهلها ... سموّ حباب الماء حالاً على حال

فقال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة وقيل وضاح اليمن

فاسقط علينا كسقوط الندى ... ليلة لا ناهٍ ولا زاجر

فولد معنى مليحاً اقتدى فيه بمعنى امرئ القيس دون أن يشركه في شيء من لفظه أو ينحو نحوه إلا في المحصول وهو لطف الوصول إلى حاجته في خفية .. وأما الذي فيه زيادة فكقول جرير يصف الخيل

يخرجن من مستطير النقع دامية ... كأن آذانها أطرافُ أقلام

فقال عدي بن الرقاع يصف قرن الغزال

تزجي أغنّ كأن إبرة رَوْقه ... قلمٌ أصابَ من الدواةِ مدادها

وقوله مد ذكر القلم صاحبه مد دلدوة ٤ فقصه المعنى ير د كل امرئ اسود ٠٠ وقال العربي الراجز من يدى الرشيد يصف الفرس

يحالُ أذنيه اذا تشوّفا قادمةً أو قلماً محرّفاً

فوله ذكر التحريف فى القلم وهو زيادة صفة ٠٠ ومن التوليد قول أمية بن أبي الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

لكل قبيلة سبخ وصب وأنت الرأس أول كل هد

وقال نصيب لمولاه عمر بن عبد العزيز

فأنتَ رأس قريش وابنُ سيدها والرأس فيه يكون السمعُ والبصر

فولد هذا الشرح وان كان مجملا فى قول أمية بن أبي الصلت ٠٠ ثم أتى علي بن جبلة فقال يمدح حميد بن عبد الحميد

والناس جسمٌ وامام الهدى رأسٌ وأنتَ العينُ فى الرأس

فوقع ذكر العين على متسه معين ولم يجعل نصاب كذلك لكن أتى بالسمع والبصر على جهة التعظيم لان من ولد عمر وان عهد فى قول على بن جبلة زيادة ٠٠ وجاء ابن الرومي فقال

عينُ الأمير هي الوزير وأنت ناظرها البصير

فزاد أيضاً ترتيباً فيه زيادة فهذا مجرى القول فى التوليد ٠٠ وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً فيما يقول الحذاق أبو تمام وابن الرومي ٠٠ والفرق بين الاختراع والابداع وان كان معناهما فى العربية واحداً أن الاختراع خلق المعانى التي لم يسبق اليها والاتيان بما لم يكن منها قط والابداع اتيان الشاعر بالمعنى المستطرف والذى لم تجر العادة بمثله ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وان كثر وتكرر فصار الاختراع للمعنى والابداع للفظ فاذا تم للشاعر أن يأتى بمعنى مخترع فى لفظ بديع فقد استولى على الأمر وحاز قصب السبق ٠٠ واشتقاق الاختراع من التليين يقال بيت خرع اذا كان ليناً والخروع فعول منه فكأن الشاعر سهل طريقة هذا المعنى ولينه حتى أبرزه ٠٠ وأما البديع فهو

حمله وتصيده في حذق ودلالة أن يحمل الحمل خفيفاً ليس من قوى حمل فقصت ثم وثبت فلا آخر .. وأنشدوا للشماخ بن ضرار

أمر عقيقته عنه بسلا ... وأدمج دمج ذي شطن بديع

والبديع ضروب كثيرة وأنواع مختلفة . أذكرها ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة إن شاء الله عز وجل على أن ابن المعتز وهو أول من جمع البديع وألف فيه كتاباً لم يعده إلا خمسة أبواب الاستعارة ثم التجنيس ثم المطابقة ثم رد الأعجاز على الصدور ثم المذهب الكلامي وعد ما سوى هذه الخمسة أنواع محاسن وأباح أن يسميها من شاء ذلك بديعاً وخالفه من بعده في أشياء منها يقع التنبيه عليها والاحتجاج فيها حيثما وقعت من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى

باب المجاز

العرب كثيراً ما تستعمل المجاز وتعده من مفاخر كلامها فإنه دليل الفصاحة ورأس البلاغة وبه بانت لغتها عن سائر اللغات .. ومعنى المجاز طريق القول ومأخذه وهو مصدر جزت مجازاً كما تقول قمت مقاماً وقلت مقالا حكى ذلك الحاتمي ومن كلام عبدالله بن مسلم بن قتيبة في المجاز قال لو كان المجاز كذباً لكان أكثر كلامنا باطلا لأنا نقول نبت البقل وطالت الشجرة وأينعت الثمرة وأقام الجبل ورخص السعر وتقول كان هذا الفعل منك في وقت كذا والفعل لم يكن وإنما يكون وتقول كان الله وكان بمعنى حدث والله قبل كل شيء وقال في قول الله عز وجل ﴿ فوجدَا فيها جِداراً يريدُ أن يَنقضَّ فأقامه ﴾ لو قلنا لمنكر هذا كيف تقول في جدار رأيته على شفا انهيار لم تجد بداً من أن يقول يهم أن ينقض أو يكاد أو يقارب فإن فعل فقد جعله فاعلا ولا أحسبه يصل إلى هذا المعنى في شيء من ألسنة العجم إلا بمثل هذه الألفاظ .. والمجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة وأحسن موقعاً في القلوب والأسماع وما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضاً فهو مجاز لاحتماله وجوه التأويل فصار التشبيه والاستعارة وغيرهما

من محاسن الكلام إذا كان في موضعه لأنه يحسن ... وذلك أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب كما قال جرير بن عطية

إذا سقطَ السماء بأرضِ قومٍ ... رعيناه وإن كانوا غضابا

أراد المطر لقربه من السماء ويجوز أن يريد بالسماء السحاب لأن كل ما أظلك فهو سماء وقال سقط يريد سقوط المطر الذي فيه وقال رعيناه والمطر لا يرعى ولكن أراد النبت الذي يكون عنه فهذا كله مجاز .. وكذلك قول الغنوي

يا ليلةً لي بحوّارين ساهرة ... حتى تكلم في الصبحِ العصافير

فجعل الليلة ساهرة على المجاز وإنما يسهر فيها وجعل للعصافير كلاماً ولا كلام لها على الحقيقة .. ومثله قول الله عز وجل إخباراً عن سليمان صلى الله على سيدنا محمد وعليه { يا أيها الناسُ علمنا منطق الطير } وإنما المنطق للناس والجن والملائكة فأما الطير فلا ولكنه مجاز مستحسن واتساع .. وهذا أكثر من أن يحصره أحد .. ومثله في كتاب الله عز وجل كثير من ذلك قوله تعالى { واسأل القرية } ومثله { وأشربوا في قلوبهمُ العجلَ بكفرهم } يعني حبه ومنه { فتبارك الله أحسن الخالقين } وهو الخالق حقاً وغيره خالق مجازاً وقوله { والله خير الماكرين } وإنما سمى ذلك مكراً لكونه مجازاة عن مكر وكذلك قوله { فبشرهم بعذاب أليم } والعذاب لا بشارة به وإنما هو إنابة مكان البشارة .. ومن أشد هذا الباب قول الفرزدق

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنه ... ليلٌ يصيح بجانبيه نهار

وقال يعقوب بن السكيت العرب تقول أرض بني فلان تنحر بالصحراء [illegible] وأنشد للعجاج * كالكرم إذ نادى من الكافور *

قال ابن قتيبة لما تبين النحر بطوله ودل على نفسه جعله كأنه صائح لأن الصائح يدل على نفسه بصوته .. وأنشد غيره قول سويد بن كراع في نحو هذا

رعى غيرَ مذعور بهن وراقه ... لُعاعٌ تهاداه الدكادك واعد

يقال نبات واعد إذا أقبل كأنه قد وعد بتمام وكذلك إذا نور أيضاً قيل قد [illegible] ..

ومن مجاز عندهم قول الشاعر وسره فعات د ث وزمان عز ولزمان علام ومن أشبه
ذلك وهو يريد نفسه من زمن ولا أرى ذلك مستقيماً بل الصواب عندي وبعض
الاستعارة أن يبنى الكلام على ظاهره مجازاً لا يحمل في هذا النوع ولا يتسع فيه
هذا التأويل كقول بعضهم

سألني عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

فليس معناه شربت وأكلت عليهم لانه لم يعنى بعد العهد لا السلو وقلة الوفاء ..
وقال أبو الطيب

أتت مودتهم لأسرى مده ومشى عليها الدهر وهو مقيد

وما أراد الدهر حقيقة .. وقال الصنوبري

كان عيشي بهم أنيقاً ورقاً ورماني فيهم علاماً فتحا

وليس مراده كنت فيهم علاماً فتحت ولكل موضع ما يليق به من الكلام ويصح
فيه من المعنى .. وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر
الاشياء إنما يتشابهان بالمقاربة على المسامحة والاصطلاح لا على الحقيقة وهذا يبين في
بابه إن شاء الله تعالى .. وكذلك الكناية في مثل قوله عز وجل اخباراً عن عيسى
ومريم عليهما السلام ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ كناية عما يكون عنه من حاجة الانسان
وقوله تعالى حكاية عن آدم وحواء صلى الله عليهما ﴿ فلما تغشاها ﴾ كناية عن الجماع وقول
النبي صلى الله عليه وسلم العين وكاء السته وقوله لحاد كان يحدو به رفقك وقوارير كناية
عن النساء لضعف عزائمهن الى أكثر من هذا

باب الاستعارة

الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع وليس في حلي الشعر أعجب منها
وهي من محاسن الكلام اذا وقعت موقعها ونزلت موضعها والناس مختلفون فيها .. منهم

من يستعير للشئ ما ليس منه ولا اليه كقول لبيد

وغداةِ ريح قد وزعتُ وقرّة   قد أصبحت بيد الشمال زمامُها

فجعل للريح الشمال يداً وللغداة زماماً وجعل زمام الغداة بيد الشمال وليس ...
عليها ... اليد من الشمال ولا الزمام من الغداة ... من مخرج ... التشبيه
كما قال ذو الرمة

أقامتْ به حتى ذوى العودُ والتوى   وساق الثريا في ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه .. وكان أبو عمرو بن العلاء لا يرى
ان لاحد مثل هذه العبارة ويقول ألا ترى كيف صيّر له ملاءة ولا ملاءة له ...
له هذه اللفظة وبعض المتعقبين يرى ان ... من نوع بيت ذي الرمة ... لانه قد
... كان محمولا على التشبيه ويحصل عليه ... من نوع بيت لبيد وهذا عندي خطأ
لانهم انما يستحسنون الاستعارة القريبة وعلى ذلك ... ... نصوص
... واذا استعير للشئ ما يقرب منه ويليق به كان أولى ... ...
كان البعيد أحسن استعارة من القريب لما ... ... قول أبي نواس

بحّ صوت المال ... ... يشكو ... صيح

فأي شئ أبعد استعارة من صوت المال وكيف حتى بح من الشكوى ... ...
له صوتاً حين يورن أو يوضع ولم يرده أبو نواس فيما قدر لان معناه لا يتركب على لفظه
لا بعيداً وكذلك قول بشار

وحدَت ركاب الوصل أسياف ... ...
فاه أهجن رحل البين وأقبح ... ولو ... ...
الوصل ولا مثل قول ابن المعتز وهو ... المقاد

* كل وقت يبول زب السحاب *

وهذا أردى من كل ردي وأمقت من كل مقيت .. .. في الاستعارة
... ... اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الاصلي ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها وملاكها

قرب الشبه ومناسبة المستعار للمستعار له وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر .. وقال قوم آخرون منهم أبو محمد الحسن بن علي بن وكيع خير الاستعارة ما بعد وقع في أول وهلة أنه مستعار فلم يحتج إلى دليل وعاب على أبي الطيب قوله

وقد مدت الخيل العتاق عيونها ... الى وقت تبديل الركاب من النعل

إذ كانت الخيل لها عيون في الحقيقة ورجح عليه قول أبي تمام

ساس الأمور سياسة ابن تجارب ... رمقته عين الملك وهو جنين

إذ كان الملك لا عين له في الحقيقة .. وقال أبو الفتح عثمان بن جني الاستعارة لا تكون إلا للمبالغة ولا فهي حقيقة قاله في شرح بيت أبي الطيب

فتى يملأ الأفعالَ رأياً وحكمة ... ونادرةً أحيانَ يرضى ويغضب

وكلام ابن جني أيضاً حسن في موضعه لأن الشيء إذا أعطي وصف نفسه لم يسم استعارة فإذا أعطي وصف غيره سمي استعارة إلا أنه لا يجب للشاعر أن يبعد الاستعارة جداً حتى ينافر ولا أن يقربها كثيراً حتى يحقق ولكن خير الامور أوساطها .. قال كثير يمدح عمر بن عبد العزيز واستعار حتى حقق

وقد لبست لبس الهلوك ثيابها ... وأبدت لك الدنيا بكف ومعصم

وتومض أحياناً بعين مريضة ... وتبسم عن مثل الجمان المنظم

فحسبك أنه وصف العين التي استعار بالمرض وشبه المبسم بالجمان وهذا افراط غير جيد ههنا .. قال أبو الحسن الرماني الاستعارة استعمال العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة وذكر قول الحجاج اني أرى رؤساً قد أينعت وحان قطافها .. وقد يأتي القدماء من الاستعارات بأشياء يجتنبها المحدثون ويستهجنونها ويعافون أمثالها طرفاً ولطافة وإن لم تكن فاسدة ولا مستحيلة .. فمنها قول امرئ القيس

وهرّ تصيد قلوبَ الرجال ... وأفلت منها ابن عمرو حجر

فكان امطة هر واستعارة الصيد منها مضحكة هجينة ولو أن أباه حجراً من درات بيته

ما أسف على إفلاته منها هذا الأسف وأن هذه لاستعارة من استعارة زهير حين قال يمدح

ليث بعثّر يصطاد الرجال إذا ما كذّب الليث عن أقرانه صدقا

لاعلي ن امرئ القيس أتى بالخطأ على جهته وسكن للكلام قرائن تحسنه وقرائن تقبحه كذكر الصيد في هذين البيتين ٠٠ ولعل معترضاً يقول العرب لا تعرف الا الحقائق ولا تلتفت الى كلام السفلة فقد قدمت هذا في أول كلامي وعرفت أنه لا يلزم ولكن نرغب عنه في الواجب ألا ترى أن بعض الوزراء وقيل بل هو المأمون غير المسحة واستهجنها فيها فقال قولوا المصلحة وليس ذلك لعلة الا موافقة كلام السفلة ٠٠ وقال ومن الاستعارة الحسنة ما أوجب بلاغة بيان لا تنوب منابه الحقيقة كقول امرئ القيس قيد الأوابد واستبدل قول بعض المولدين

اسعري لي القلب يا ناصرة الشمس

لأن قال أراد ان الصرة لا تكون الا حسنة والا فأي وجه لاختياره هذه الاستعارة ٠٠ ومثل قول امرئ القيس المتقدم ذكره في القبح قول مسلم بن الوليد

وليلة خُلست للعين من سنة هتكت فيها الصباح عن بيضة الحجل

فاستعار للحجل يعني الكلل بيضة كما استعارها امرؤ القيس للخدر ٠٠ في قوله

* وبيضة خدر لا يرام خباؤها *

وكلاهما يعني المرأة فاتفق لمسلم سوء الاشتراك في اللفظ لأن بيضة الحجل من الطير تشاركها وهي لعمري حسنة المنظر كما عرفت ٠٠ وقال في موضع آخر

رمت السلوّ وناجاني الضمير به فاستعطفتني على عصيانها الحجل

فما الذي أعجبه من هذه الاستعارة قبحها الله ولو قال الكلل لتخلص وأبدع مكان تبعاً لامرئ القيس في جودة هذه الاستعارة ٠٠ وقال حبيب على بصره بهذا النوع

* والله مفتاح باب المعقل الأشب *

فجعل الله تعالى اسمه مفتاحاً وأي طائل في هذه الاستعارة مع ما فيها من البشاعة والشناعة

وقد عيب قوله له وقصاه .. واعترض بعض الناس على قول أبي تمام

يحوز في لا ... قد كنت مفتاحاً لذلك الباب

بحضرة بعض الصحابة وقال أبى أن يمدوحه جعله مفتاحاً فهلا قال كما قال ابن الرومي

قبل ثمه فيس أملا ... لكنني مفتاح الأرزاق

فقال له الآخر عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحاً وقد جعل ربه كذلك وأنشد

أبيات المتقدم عجرد .. وقال في ممدوح ذكر أنه يعطيه مرة ويمنعه أخرى لمن بعضه

فإذا ما أردتَ كنتَ رشاءً ... وإذا ما أردتَ كنتَ قليبا

فجعله مرة حبلا ومرة بئراً .. وقال الآخر هو أبو تمام

صاحبي لجين يحتبي والمسد ... تحت العجاج مخالة محراب

وهبه الله على المجرات فهو ما أقبحه وأركّه وأين هذا كله من قوله المليح البديع

أو ما رأت بردي من نسج الصبا ... ورأت خضابَ الله وهو خضابي

وإن كان إنما أخذه من قول الله عز وجل ﴿صبغة الله ومَن أحسنُ من الله صبغة﴾ ولو تركنا أخذ بقبل المعطرة .. والاستعارة إنما هي من اتساعهم في الكلام اقتداراً ودالة ليس ضرورة لأن ألفاظ العرب أكثر من معانيهم وليس ذلك في لغة أحد من الأمم غيرهم فإنما استعاروا مجازاً واتساعاً .. ألا ترى أن للشيء عندهم أسماء كثيرة وهم يستعيرون له مع ذلك على أنا نجد أيضاً اللفظة الواحدة يعبر بها عن معان كثيرة نحو العين التي تكون جارحة وتكون الماء وتكون الميزان وتكون المطر الدائم الغزير وتكون نفس الشيء وذاته وتكون الدينار وما أشبه ذلك كثير وليس هذا من ضيق اللفظ عليهم ولكنه من الرغبة في الاختصار والثقة منهم بعضهم عن بعض .. ألا ترى أن كل واحد من هذه التي ذكرناها اسم غير العين أو أسماء كثيرة .. ومما اختاره ابن الأعرابي وغيره قول أرطاة بن سهية

فقلتُ لها يا أمَّ بيضاء[1] إنني ... هريق شبابي واستشنّ أديمي

(١) [illegible]

[illegible] ثم قال [illegible]
[illegible] فصحت
به الاستعارة من كل وجه [illegible]
جماعة ممن [illegible] وقول [illegible]

فوضعت رحلي فوق [illegible] [illegible]

[illegible] قوت الرحل [illegible] وقربت
.. وقد تداولها جماعة منهم كلثوم بن عمرو العتابي في قصيدة يعتذر فيها إلى الرشيد

ومن فوق أكوار المهارى [illegible] [illegible] أكل الذرى والغوارب

ثم أتى أبو تمام وعول على معنى [illegible] فقال

وقد أكلوا منها الغوارب [illegible] فصارت لها أشباحهم كالغوارب

وكان ابن المعتز يستحسن لذي الرمة كثيراً [illegible] الاستعارة [illegible] قوله

[illegible] رأيت [illegible] [illegible] يقضي [illegible]

لأن قوله [illegible] من بدائع الكلام والاستعارة [illegible] من عجائب
[illegible] .. [illegible] الاستعارة في وصف [illegible] لابن ميادة [illegible]
الرماح بن أبرد من بني مرة وميادة أمه

إذا [illegible] [illegible] [illegible]

ورواه قوم لأبي كبير [illegible] أولى به وأشبه .. والاستعارة كثيرة في كتاب الله
عز وجل وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم من ذلك قوله تعالى ﴿[illegible]﴾ وقوله
﴿فلما سكت عن موسى الغضب﴾ وقوله ﴿[illegible] تكاد تميز
من الغيظ﴾ فالتميز والغيظ استعارتان وقوله تعالى ﴿يا أرض ابلعي ماءك﴾ وكثير من
هذا لو تقصى لطال جداً .. وقول النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] حلوة خضرة وقوله [illegible]
[illegible] داعي [illegible] وقوله تمسحوا بالأرض [illegible]

(١) [illegible]

كثيرة .. وقال أبو عمرو بن العلاء من حقهم وصهب .. دثم وهي بعد الموت كثيرتهم
بقوله ربّ بني يوي وعسل حوتي فسل الحوتة مستعارة ما يحة .. ومن أحسن
هذا وهو في عمرو وكيع وكل مستعارة وقعت في مرى القيس بصف الليل

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لما تمطى بجوزه وأردف أعجازاً وناء بكلكل

فاستعار لليل سدولاً يرخيها وجعل له صلباً يتمطى به وأعجازاً يردفها وكلكلاً ينوء
به .. وقال حسان بن ثابت يذكر قتلة عثمان رحمة الله عليه

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً

فالاستعارة قوله عنوان السجود وقد أخذه من قول الله تعالى ﴿سيماهم في وجوههم
من أثر السجود﴾ .. وقال جميل العذري

كما بين حيّ لا تلاقيهم ولا يكون أن تشتاق من تجمع
عشية يهوى بينهم فقد حالت من الفرق حصة القلب تصدع

البديع حصة القلب .. ومن كلام المولدين قول أبي نواس

بصحن خد لم يعض ماؤه ولم يخضه أعين الناس

البديع كل البديع عجز البيت .. وقال أيضاً

وذا بدا اقتادت محاسنه قسراً إليه أعنة الحدق

البديع أعنة الحدق وقوله اقتادت .. وقال أبو الطيب

صممت جناحيهم على القلب ضمة تموت الخوافي تحتها والقوادم

أراد بالجناحين ميمنة العسكر وميسرته وبالقلب موضع الملك وبالخوافي والقوادم السيوف
والرماح وهذا تصنيع بديع كله حسن الاستعارات .. وقال

صدمتهم بخميس أنت غرته وسمهريته في وجهه شمم

وهذا كالأول جودة .. وقال السري الموصلي

لتشق جيوب الورد في شجراته ... شوقاً متى يطرق لنا يرد

والمبدع قوله شوقاً متى يطرق

باب التمثيل

ومن ضروب الاستعارة التمثيل وهو المماثلة عند بعضهم وذلك أن تمثل شيئاً بشيء فيه إشارة نحو قول امرئ القيس وهو أول من ابتكره ولم يأت أملح منه

وما ذرفت عيناك إلا لتقدحي ... بسهميك في أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهمي الميسر يعني المعلى وله سبعة أنصباء والرقيب وله ثلاثة أنصباء فصار جميع أعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ومثل قلبه بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل .. وقال حريث بن زيد الخيل

أفان تقتلا من القوم عصبة ... كراماً ولم نأكل بهم حشف النخل

فمثل خساس الناس بحشف النخل ويجوز أن يريد أخذ الدية فيكون حينئذ حذفه أو إشارة .. وقال الأخطل لنابغة بني جعدة

لقد جارى أبو ليلى بقحم ... ومنتكث على التقريب واني

إذا هبط الخبار كبا لفيه ... وخرّ على الجحافل والجران

فإنما عيّره بالكبر وإنما هو تشبيه حديث السن .. وقال بعض رواة [illegible] في صفة فرسين وهو غلط عند الحذاق .. ومن التمثيل أيضاً قوله

فنحن أخ لم تلق في الناس مثله ... أخاً حين شاب الدهر وابيض حاجبه

ومعنى التمثيل اختصار قولك مثل كذا وكذا كذا وكذا .. وقال أبو خراش في قصيدة رثى بها زهير بن العجوة وقد قتله جميل بن معمر يوم حنين مأسوراً

فليس كعهد الدار يا أمّ مالكٍ ... ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل

يقول يحيى بن سعيد لاسلام في مثل سلاسل ولا وكم تقرأ ... رهون قول الله عز وجل في ... وسع ... صدره ... ولا ... كانت ... [illegible]
... [illegible] ... على ... عليه وسلم ... [illegible]
على ... ذهب عمر بن ... [illegible] ... دارة ...
... صرعتي ... [illegible] ... صرعتي ... وه
.. ومن جيد ... قول ... قرط ... روحه ... بن المغيرة المخزومي

... [illegible] ... خطاب

... قد ... من معشر ... [illegible] ... وفي ...

ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم في ... قوله ... [illegible] ..
وقوله ... [illegible] ... في
الدنيا ... [illegible] ..
ومن مليح التشبيه ... قول ... [illegible]

... [illegible] ... ولا ... على ...

فقوله فقد ... [illegible] ... وقوله
ولا ... [illegible] ... على ... في ...
وهذا النوع يسمى ... [illegible] ... كلام من هذه الكتب
أن شاء الله تعالى .. ومنه ... [illegible] ... قول ... ربيعة

أيها المنكح الثريا سهيلا ... عمرك الله كيف يلتقيان

هي شامية إذا ما استقلت ... وسهيل إذا ما استقل يماني

يعني ... الثريا ... بن عبد الله بن الحارث ... أمية الأصغر وكانت ... في الحسن
والكمال وسهيل بن عبد الرحمن بن عوف وكان ... في ... بينهما وبين
... [illegible] ... لا ... ما ... حاجة لا ... قبيح ولا ذميم ولا
أدري هل ... أي ... أم لا ... التشاعر لم يكن لا
... .. وقال ... ذكر ...

وقرحت مقود [illegible]

ووصف رمحاً [illegible] وشوهت [illegible]

[illegible]

وقال يصف سيفاً [illegible]

وكم [illegible]

[illegible] قطعها [illegible] وقص [illegible] من خلالها [illegible]

وقال [illegible] لا [illegible]

في [illegible] شوقاً إلى [illegible]

سيدي إنك لا [illegible] ويثبت لأحد من لم يرد [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible] عدة [illegible] لا [illegible] [illegible] وقيل [illegible] وأمر ورجل [illegible] أي [illegible] قيل [illegible] فهو [illegible] وقال مجاهد في قول الله عز وجل ﴿وقد خلت من قبلهم المثلات﴾ هي الأمثال [illegible] وقال قتادة هي العقوبات [illegible] المثل الذي [illegible] [illegible] وقال بعضهم في المثل ثلاث خلال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه وقد يكون المثل في الصفة ومن ذلك قول الله تعالى ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ أي صفة الجنة وقوله ﴿وله المثل الأعلى في السموات والأرض﴾ أي الصفة العليا وهي قول لا إله إلا الله وقوله تعالى ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه﴾ أي صفتهم

****

باب المثل السائر

المثل السائر في كلام العرب كثير نظماً ونثراً وأفضله أوجزه وأحكمه أصدقه

وقولهم مثل شرود وشارد أي سائر لا يرد كالجمل الصعب الشديد الذي لا يكاد يعرض
به فلا يرده [illegible] قولهم شرود [illegible] كالطير [illegible] قول أبي تمام
وكان [illegible] صنعة [illegible]

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس

حين عيب عليه قوله في ابن المعتصم

إقدام عمرو في سماحة حاتم في حلم أحنف في ذكاء إياس

فاستشهد بقول الأول لأن المثل غير [illegible] وجعله مضروبا قديما وليس مثل لا نظير له كما
زعم الآخرون وقد تأتي الأمثال طوالا محكمة إذا تولاها الفصحاء من الناس فأما ما كان
منها في القرآن فقد جاء بالإعجاز قول الله عز وجل «كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وإن
أوهن البيوت لبيت العنكبوت» وقال «فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث» وقال «كمثل الحمار يحمل أسفارا» فهذه من قصار [illegible] وقال «إن الله لا يستحيي
أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها» ومن الأمثال الطوال قوله تعالى «ضرب الله مثلا
للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط» الآية «وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة
فرعون» الآية «ومريم ابنة عمران» الآية وقال «فمثله كمثل صفوان عليه تراب»
الآية وقال «والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا
جاءه لم يجده شيئا» الآية ثم قال «أو كظلمات في بحر لجي» الآية ٠٠ ومن كلام
النبي صلى الله عليه وسلم في الأمثال قوله كل الصيد في جوف الفرا قاله لأبي سفيان
بن حرب حين أسلم وقوله مثل المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح مرة هكذا
ومرة هكذا ومثل الكافر مثل الأرزة المجذية على الأرض حتى يكون انجعافها مرة
وقوله حين ذكر الدنيا وزينتها إن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم وقوله إياكم
وخضراء الدمن قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في منبت السوء ٠٠ والأمثال
في هذا الباب كثيرة فمنها ما هو مثل واحد ومنها ما فيه مثلان ومنها ما فيه ثلاثة أمثال
ومنها ما فيه أربعة أمثال وهو قليل جدا وكل نوع من هذه الأنواع فيه احتياج واستغناء
والمثل إذا وزن في الشعر يكون أشرد له وأخف للنطق به فمتى لم يتزن كان الإتيان به

قريباً من تركه .. وقد حكي عن بعض ... لا أدري كيف وجهه وزعم ...
لروية مثل أي شيء فسأل الساعة فقال ... بيت من شعره فكتبت
له مثل قوله

حننت إلى أرض ... وميسورة ... تامر مدهب

ل لو تمثلت ... بيت من شعره ... وهو قوله ... تامر مدهب
بل لو تمثلت ... بيت من شعره ... وهو قوله ... مهذب — ولا
أعرف كيف يحمل حماد هذا ... وفيه زيادة ... وهي أربعة أحرف إلا أن
يريد الترسل وهذا هو من الاحتجاج الذي ذكرناه لأنه لا ... على ... شعر لا
احتاج إلى ... واسعى ... لا ترى لو قال ... مستحقاً لا تلمه ...
أنه يكون ... ثم لا يتعلق قوله على شيء من مثل الذي ... مورداً
... رده على المصدر تعلق ... مكسور .. ومثله قول ... وسماه ...
ابن شاعر المعاني

والناس من يلق خيراً ... ولأم المخطئ الهبل

فقوله — ولأم المخطئ الهبل ... حق ... قوله ...
وذلك من تمام المثل الأول الذي في صدر البيت وهذا كله حسن .. ومما لا حسن فيه
قول امرئ القيس

لله أنجح ما طلبت به ... والبر خير حقيبة الرحل

ففي كل قسم من هذين مثل قائم بنفسه غير محتاج إلى صاحبه .. وكذلك قول الحطيئة

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه ... لا يذهب العرف بين الله والناس

.. وقال عبيد بن الأبرص الأسدي

الخير يبقى وإن طال الزمان به ... والشر أخبث ما أوعيت من زاد

.. ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسي

نبئت عمراً غير شاكر نعمتي ... والكفر مخبثة لنفس المنعم

ث ... يوم ... ووش و دوئه

... فحزن وكل حب مصرع

... تسم ... لا ... سمعت حر ... في ... ء ير

موزون ولا يكون ... لا ... في بيت شعره كقول الأول

و ... بري طرد آخر ... كعق ... حرف ... هوى

وقول ... نواس

... تكتمت ... عدوّ في ثياب ...

... مثل قول زهير

... وفي الصدق منجاة من الشر وصادق

ففي كل مثل في ربع بيت ثم جعل ربعه لآخر زيادة في شرح معنى ما قدمه ...
وكذلك قول النابغة الذبياني

... سلامة ... في رفق تلاق نجاح

فجاء ... أمثال ... في ... سلامة ... كلام زهير ... وقول ...
عبد القادر

... آت لا بد ... ودواعيه ... معي والهم والحزن فصل

ففي ثلاثة أمثال ... الوزن أيضاً وكقول صفي ... الحرب

وفي الشباب غرائب وفي ... قوة ... ويخطئ في الحدس ... ويصيب

أحسن تعديلاً في القسمة لان شطره الأول مشتمل على مثلين وشطره الثاني مشتمل
على مثل قائم بنفسه ... وقال عبد الله بن المعتز

و ... عيش ... والموت مر ... مستكره ولقي صلال

... والبخل ... وقسمة ... المطال

ففي البيت الأول ثلاثة أمثال في أحدها ... وفي البيت الثاني ثلاثة أمثال لا احتياج

فيها على حدو ما أتي به صفي ولم أر بيتا فيه أربعة أمثال كل واحد منها قائم بنفسه إلا قولا أنشد الأصمعي

وللهم فصل وطول العيش منقطع والرزق آت وروح الله منتظر

وقول أبو الطيب وحكم عليه قوم أيضا

والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوقر والشبيبة أنزق

وفي بيتين في كل قسيم .. وصنعت أنا

كل إلى أجل والدهر ذو دول والحرص محنة والرزق مقسوم

وأقل من ذلك ما كان فيه خمسة أمثال ولا أعرف منه في حفظي إلا بيتا واحدا للقراء البسيط في قصيدة مدح بها الأمير تميم بن المعز .. وهو قوله

خاطر تفد وارتد تجد وأكرم تسد وانقد تقد واصبر تعد لا أكثر

وأما فيه ستة فإني صنعت

حد العفو وأنف الضيم واجتنب الأذى وعش تسد وارفق تنل واسمح تحمد

ومن الأمثال أيضا كلمات سارت على وجه الدهر كقولهم تسمع بالمعيدي خير من أن تراه يضرب مثلا للذي رؤيته دون السماع به وفي كل ماجرى هذا المجرى .. وكذلك قولهم على أهلها جنت براقش تضرب مثلا للرجل يهلك قومه بسببه .. ومن قولهم في تفسير ما يقع في الشعر من حسن قول الحطيئة

* شدوا العناج وشدوا فوقه الكرب *

هو مثل وإنما ذلك مجاز أرادوا التمثيل .. وهذه الأشياء في الشعراء هي مما يستحسن ونكت تستطرف مع القلة وفي الندرة وأما إذا كثرت فهي دالة على الكلفة ولا يجب للشعر أن يكون مثلا كله وحكمة كشعر صالح بن عبد القدوس فقد قعد به عن أصحابه وهو يقدمهم في الصناعة لا كثاره من ذلك وما نص عليه العلماء في كتبهم .. وكذلك لا يجب أن يكون استعارة وبديعا كشعر أبي تمام فقد رأيت ما صنع به ابن المعتز وكيف قال فيه ابن قتيبة وما ألف عليه المتعقبون كالجرجاني وأبي القاسم بن بشر الآمدي وغيرهم

و ... هرب لحذ ق عن هذه لاشاءة تدعو اليه من التكلف لاسيما ان كان في الطبع أيسر شيء من الضعف والتخلف ... وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة التشبيه لما يحتاج اليه من شدة العقل و قصاء العيان .. ولا ينبغي للشعر أن يكون أيضاً خالياً معسولاً من هذه الحلى ورعاً كثير من شعر أشجع واشباهه من هؤلاء المطبوعين حماة مع أنه لا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد اليها طبعه ويسهل عليه تناولها كأبي نواس في الخمر وأبي تمام في التصنيع والبحتري في الطيف وابن المعتز في التشبيه وذلك لحن في المراثي والصنوبري في ذكر النور والطير وأبي الطيب في الأمثال وذم الزمان وأهله .. وأما ابن الرومي فأولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن ... به وقد غلب عليه الهجاء حتى شهر به فصار يقال أهجى من ابن الرومي ومن أكثر من شيء عرف به وليس هجاء ابن الرومي بأجود من مدحه ولا أكثر ولكن قليل الشر كثير

باب التشبيه

التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان اياه ألا ترى أن قولهم خد كالورد انما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا ما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه وكذلك قولهم فلان كالبحر وكالليث انما يريدون كالبحر سماحة وعلماً وكالليث شجاعة وقرماً وليس يريدون ملوحة البحر ورعوقته ولا شتامة الليث وزهومته فوقوع التشبيه انما هو أبداً على الاعراض لا على الجواهر لان الجواهر في الاصل كلها واحد اختلفت أنواعها أو اتفقت فقد يشبهون الشيء بسميه ونظيره من غير جنسه كقولهم عين كعين المهاة وجيد كجيد الريم فسم العين واقع على هذه الجارحة من الانسان والمهاة واسم الجيد واقع على هذا العضو من الانسان والريم والكاف للمقاربة وانما يريدون أن هذه العين

لكثرة سوادها قاربت أن تكون سوداء كما كعين المهاة وأن هذا الحيد لاتصاله وطوله كجيد الريم ألا ترى أن الأصمعي سئل عن الحور فقال أن تكون العين سوداء كلها كعيون الظباء والبقر ولا حور في الانس عند أحد قول الأصمعي في الحور ويدلك على أن التشبيه انما هو مقاربة كما قلنا .. وبتشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الأغمض الى الأوضح ويقربان البعيد كما شرط الرماني في كتابه وهو عنده في باب الاختصار ..قال واعلم أن التشبيه على ضربين تشبيه حسن وتشبيه قبيح وتشبيه الحسن هو الذي يخرج الأغمض الى الأوضح فيفيد بياناً والتشبيه القبيح ما كان على خلاف ذلك قال وشرح ذلك أن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة والمشاهد أوضح من الغائب والأول في العقل أوضح من الثاني والثاني أوضح من الثالث وما يدركه الانسان من نفسه أوضح مما يعرفه من غيره والقريب أوضح من البعيد في الجملة وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف ثم عاب على بعض شعراء عصره

صدغه صدحده مثل ما الوعـــد د مـ عثرت صدٌ لوعيد

من قبل أنه شبه الأوضح بالأغمض وما تقع عليه الحاسة بما لاتقع عليه ..وكذلك قوله

وله غرة كأول وصال ِ وقفا طرة كأول صدود ِ

وقال في موضع آخر التشبيه على ضربين والأصل واحد أحدهما التقدير والآخر التحقيق والذي يأتي على التقدير التشبيه من وجه واحد دون وجه والذي يأتي على التحقيق التشبيه على الاطلاق وهو التشبيه بالنفس مثل تشبيه العرب بالعرب وحجر الذهب بحجر الذهب اذا كان مثله سواء وحمرة الشقائق بحمرة الشقائق .. قال صاحب الكتاب أما ما شرط في التشبيه فهو الحق الذي لا يدفع لأنه قد جاء ... فيما أحد عليه اذا كان قصد الشاعر أن يشبه ما يقوم في النفس ... عليه في الحقيقة كأنه أراد المبالغة ولعله يقول أو يقول المحتج له معرفة النفس بالمعقول أعظم من ادراك الحاسة لا سيما وقد جاء مثل هذا في القرآن وفي الشعر الفصيح قال الله عز وجل ﴿ طلعها كأنه رؤس الشياطين ﴾ فقال قوم ان شجرة زقوم وهي أيضاً الاستن لها صورة منكرة وثمرة قبيحة يقال لها رؤس الشياطين .. وقال قوم

الشياطين لجاءت فى غيرهذا شكلا ولاحوالاعرف أنه شبه لاشك أنه منكر قبيح مما جعل الله عز وجل فى قلوب الناس من بشاعة صور الجن والشياطين وان لم يروها عياناً تخوف بها عن عاقبة العقوبة وشبهه بما يخاف أن يراه .. وقال امرؤالقيس

أيقتلني والمشرفيُّ مضاجعي ومسنونة زرق كأنياب أغوالِ

فشبه نصل النبل بأنياب الاغوال لما في النفس منها .. وعلى هذا التأويل قول أبو تمام وفيه عكس

وأحسن من نور يفتحه الندى[1] بياضُ العطايا فى سوادِ المطالب

.. وقال اعرابى قديم

يرمون حديث الصعب بينهم والصعبُ أسود أو فى وجهه كلف

فوصفه كما يتصور ويقوم في النفس كأنه يقول لو كان صورة لكان هكذا .. وقال بعض المولدين

وتدير عيناً في صحيفة فضة كسوادِ يأسٍ في بياض رجاء

واليأس على الحقيقة غير أسود لانه لا يدرك بالعيان لكن صورته فى المعقول وفعله كذلك مجازاً والرجاء أيضاً على هذا التقدير في البياض .. وقد يقول المحتج الأول ان هذا داخل فى باب الاستطراد كان الشاعر لم يقصد الاخبار عن الغرة والطرة وشبههما لكن عن الوصال والصدود وعكس التشبيه ثقة بأن ما أشبه شيئاً من جهة فقد أشبهه الآخر من تلك الجهة .. فأما قول ابن المعتز يصف شرب حماء

وأقبلَ يحوَ الماء ستلٌ صفوه كما أغمدت أيدي الصياقل منصلا

فانه بداع يشبه فيه انسياب الماء فى شدقيه الى حلقه بنصل يغمد فهو تشبيه ما لا يدرك بالحس ويتمثل في المعقول وكرر هذا التشبيه فقال يذكر ابل سفر

وأغمدن فى الأعناقِ أسيافَ لجة مصقلةً تعريه عن المفاءِ

وزعم قدامة أن أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من

(١) فى نسخة غيث

[illegible] حتى يدلي [illegible] لا [illegible] في ذلك وهو [illegible]

له أطلا ظبي وساقا نعامة [illegible] وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

وهذا تشبيه [illegible] هي [illegible] فهي [illegible] لا [illegible]

[illegible] مختلف كما قدمت ولا مركز [illegible] لأن [illegible]

كبير جيد لا [illegible] التشبيه [illegible] الشيء [illegible] ذكره [illegible] في [illegible]

حسن التشبيه أن يقرب بين البعيدين حتى تصير بينهما مناسبة واشتراك كقول [illegible]

كأن [illegible] الكبير [illegible] [illegible] في [illegible]

وشبه صرع العير [illegible] وصوت [illegible] يقرب [illegible] لا [illegible]

[illegible] ولو كان الوجه ما قال قدامة [illegible] صوت [illegible] تشبيه [illegible] صرع عير

بصرع [illegible] أو [illegible] لأنه [illegible] وكثرة [illegible] وكان [illegible] عن

ذكر الكبير وأثره الذي دل به على عظم ما يكون من صفة [illegible] وكثرة [illegible]

وسبيل التشبيه [illegible] هي [illegible] من [illegible]

أن تشبيه الأدون الأعلى [illegible] لا [illegible]

في المدح [illegible] كالمسك [illegible] وقد تشبه ذلك [illegible]

كالمسك أو [illegible] وياقوت [illegible] وكالحصى لأن [illegible]

تقريب الصفة وإفهام السامعين كان [illegible] الشيء من جهة [illegible] تشبيهه [illegible]

المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت [illegible] التشبيه [illegible] الكاف [illegible] وكأن

[illegible] كلها تشبيه الشيء في بيت واحد [illegible] امرئ القيس في صفة [illegible]

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها [illegible]

فشبه شيئين بشيئين في بيت واحد [illegible] في ذلك [illegible]

وجلا السيول عن الطلول كأنها [illegible] أقلامها

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالأقلام [illegible] هذه [illegible]

[illegible] وحكي عن [illegible] قال [illegible] أمرئ [illegible]

كأن قلوب الطير رطباً و[illegible]

كأن مثارَ النقعِ فوق رؤسهم وأسيافنا ليل تهوي كواكبه

فإن كان مراده الترتيب فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس في ترتيبه كبيته وان كان المراد تشبيهين في بيت فقد قال الطرماح في صفة ثور وحشي

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيفٌ على شرفٍ يسلُّ ويغمد

وهذه نهاية في الجودة .. وأما قول من قال في بيت الحارث بن حلزة

وحسبتُ وقعَ سيوفنا برؤسهم وقعَ السحابةِ بالطرافِ المشرج

ان فيه تشبيهين من جهة الكثرة والحس أو السرعة والحس فمحتمل الا ان الشاعر لم يصرح الا بالوقع خاصة يريد بذلك الحس وحده في ظاهر الامر ولذلك خص الطراف لكونه من الأدم فصوت القطر عليه أشد منه على غيره من سائر البيوت .. وقال بشار أيضاً

خلقنا سماءً فوقهم بنجومها سيوفاً ونقعاً يقبضُ الطرفَ أقتما

وقال فشبه شيئين مختلفين بشيئين من جنس واحد

من كل مشتهرٍ في كفِّ مشتهرٍ كأن غرته والسيفَ نجمان

وربما شبهوا شيئاً بشيئين كقول القطامي

فهن كالحللِ الموشيِّ ظاهرها أو كالكتابِ الذي قد مسه البللُ

وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحتري

كأنما يبسم عن لؤلؤ منظم أو بردٍ أو إقاح

فقول الشاعر أو زيادة تشبيه وان لم يصح من جميع المشبه بها الا شيء واحد من جهة الحكم في أو .. ومن الناس من يرويه

كأنما يبسم عن لؤلؤ أو فضةٍ أو برد أو إقاح

وهي زعموا رواية أكثر أهل الأندلس والمغرب فيكون حينئذ الثغر مشبهاً بأربعة أشياء ... وقد تقدمه أبو نواس فقال

وثناياك إنها إغريض ولآل توم وبرق وميض

فشبهها ثلاثة أشياء حقيقة لان حكمه او وغير حكمه أو لاسيما وقد أتى التشبيه بغير كاف ولا شيء من أحوانها فجاء كأنه تحقيق وتحقيق .. وكثرت منهم تشبيه شيئين حتى لم تصر عجباً وقد جاؤا بتشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء في بيت واحد بالكاف وبغير كاف .. فقال مرقش

النشر مسك والوجوه دنا نير وأطراف الأكف عنم

وقال ابن الرومي

كأن تلك الدموع قطر ندى يقطر من نرجس على ورد

وقال أيضاً ويدخل في باب قول مرقش

إن أقبلت فالبدر لاح وإن مشت فالغصن مد وإن رنت فالريم

وقال ابن المعتز

بدر وليل وغصن * وجه وشعر وقد خمر ودر وورد * ريق وثغر وخد

وقال صاحب الكتاب

كأن ثناياه اقاح وخده شقيق وعينيه بقية نرجس

وقال أيضاً على جهة التفسير

بكؤس حكين من شف قلبي شمة لم تذق وثغراً وريقاً

يريد حافة الكاس والحباب والخمر .. ثم أتوا بتشبيه أربعة بأربعة بالكاف أيضاً وبغير كاف .. فقال امرؤ القيس وهو أول من فتح هذا الباب

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فجاء بتشبيه إضافة كما ترى حتى جعله محققاً لولا مفهوم الخطاب وقال أبو الطيب

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنت غزالا

فجاء بالتشبيه على إسقاط الكاف .. وقال أيضاً

ـرو ل عـس لصي مجهتـةً ونمسح الطلّ فوق الوردِ بالعم

وـه في تقسيم لأول عمم من الطل وشـه في القسم الآخر بلاثة ثلاثه ٠٠ وقد

بعده أبو نواس فقل

يبكي فيذري الدر من نرجس ويلطم الورد بعناب

وهذا المدح حد ٠٠ سئل ابن مبدر من أشعر الناس فقال الذي يقول

بقـراً أبصرت في مأتم يندبن شجواً بين أتراب

يبكي فيذري الدرّ من نرجس ويلطم الوردَ بعناب

هذا أشـعر الجن والانس ٠ وقد حد اشعر على سجيته أعني أبا نواس وشاهد ذلك

شعر في لفظه والاً فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى يناسب الكلام لكنه لم

يكن يؤثر التصنع ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة ٠٠ ومن الناس من يرويه كذلك

ومنهم من يرويه ـ فيذري الدر من حمه ـ ومما شبه فيه أربعة بأربعة مع الكاف قول

ابن حاجب وهو عبد العزيز وزير القادر بالله أبي العباس النعمان (١)

ثغرٌ وخدٌّ ونهد واختضابُ يد كالطلع والوردِ والرمانِ والبلح

وقال صاحب الكتاب

فرع ووجه وقدّ وردفٍ كليل وبدرٍ وغصن وحقف

ومما وقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول أبي الفرج الواوا وأتى به بغير آلة تشبيه

وأسبلت لؤلؤا من نرجس وسقت ورداً وعضت على العناب بالبرد

وقال أبو الفتح البستي شاعر مصر في وقتنا هذا يصف شمعة

قد شابهتيَ في لون وفي قصف(٢) وفي احتراق وفي دمعٍ وفي سهر

فقوله ـ قد شابهتي ـ أظهر مقدرة من المجيء بالكاف لأنهم انما استضعفوا ذلك مع الكاف

وأحواتها من جهة ضيق الكلام بها فهذا لدى أتى به البستي أشد ضيقا ألا ترى انه

(١) ب قول ابن حاجب النعمان (٢) ب قصف

وقيل كأنه أنا لكان هو الصوت يكون ورنى كذا وصميرين عنده فصلا عن الكاف • ومنهم من يذني التشبيه أو حذ غير كاف كقول امرئ القيس

سموت اليها بعد ما نام أهلها سموّ حباب الماء حالا على حال

•• وقوله أيضاً

اذا ما الثريا في السماء عرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

يريد كسمو حباب الماء وكعرض أثناء الوشاح • وأبدع من هذا عندهم وأغرب قول المنخل اليشكري

دافعتها فتدافعت مشيَ القطاةِ الى الغدير

وانما براعته عندهم لم يكن قبله فعل من لفظه •• ومن مليح التشبيه قول أبي كبير الهذلي

ولطعن شمشعة والضرب هيقعة ضرب المعوّل تحت لدمة العصد

وللقسي أزاميل وغمغمة حس الجنوب تسوق الماء والبرد

فالاول من نوع بيت امرئ القيس والثاني من نوع بيت المنخل وقد استحسن هذين البيتين جداً وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك العسل في حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته • قال أبو الحسن الرماني وهذا الضرب من التشبيه لا يقال إلاّ بتقييد وتفسير ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر

لئن جحدتك معروفاً مننتَ به اني في اللؤم أحظى منك في الكرم

وكذلك قول أبي نواس

أصبح الحسن منك يا أحسن الامة يحكي سماحة ابن حسن

يريد ان هذا غاية كما ان ذاك غاية • قال الجرجاني التشبيه والتمثيل يقع مرة بالصورة والصفة وأخرى بالحالة والطريقة اعتذر بذلك عن قول أبي الطيب

بليتُ بلى الاطلال ان لم أقف بها وقوفَ شحيحٍ ضاع في الترب خاتمه

به بَرْد وقَرْواً حرجاً عن متعرف .. وأنشد

رب يسن أمد من عس العا شق طولا قطعه تنحاب

فهذا والله هو النقد العجيب الذي عمل الناس عنه بل عموا وصموا .. وأنشدت لمحمد

ابن عبد الملك الزيات ويروى لمانى الموسوس .. ومثله قول أبي تمام

ومسوفة كسافة الهجر ارتقى في صدر باقى الحب والبرحاء

وأنشد رمانى لذي الرمة

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوّم في سواد الليل منقضب

فقيل قد جتمع الثور والكوكب في السرعة الا ان انقضاض الكوكب أسرع واستدل

بهذا على حودة التشبيه . وأنا أرى ان فيه دركاً على الشاعر وعدلاً من التشبيه لمفسر

وذلك ان الثور مطلوب والكوكب طالب فتشبه به في السرعة والنقاص ولو شبه العفريت

وشبه الكلب وراءه بالكوكب لكان أحسن وأوضح لكنه لم تمكن له المعنى الذي أراده

من فوت الثور الذي سبب به راحته . وأما ما أعمله التشبيه في شاعر كما رغب في تشبيه

الثور بالكوكب وأحتمل عكس التشبيه بان جعل المطلوب طالباً لناصبه فان الثور لحق

لا محالة وأما السرعة التي زعم فان العفريت لو وصفه به وشبه سرعته لما كان مقصراً

ولا متوسطاً بل فوق ذلك . ومن التشبيهات عقم لم يسبق صحابها اليها ولا يعدى

أحد بعدهم عليها واشتقاقها مما ذكر من الريح العقيم وهى التي لا تلقح شجرة ولا تنتج

ثمرة نحو قول عنترة العبسى يصف ذباب الروض

وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

وقوله أيضاً فى صفة الغراب

حرقُ الجناح كأن لحيي رأسه جلمان بالأخبار هشٌّ مولع

وقال الحطيئة يصف لعام ناقه

ترى بين لحييها اذا ما ترغمت لعاماً كبيت العنكبوت الممدد

وقول الشماخ يصف آثار رأس نعامة

كأنما منتى أقراع ما وطئت (١) من العفاء لمتيه الثآليل

وقول عدى بن الرقاع يصف قرن ظبي

يزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة مدادها

وقول الراعي يصف جعد الرأس

جدلا أسك كأن فروة رأسه بذرت فأنبت جانباها فلفلا

وقول بشر بن أبي خازم يصف عروق الارطى وقد كشفها ثور

يثير ويبدي عن عروق كأنها أعنة خراز تحط وتبشر

وقول الطرماح في صفة الظليم

مجتاب شملة برجد لسراته قدراً وأسلم ما سواه البرجد

وقول ذى الرمة في صفة الليل

وليل كجلباب العروس قطعته (٢) بأربعة والشخص في العين واحد

وقول مضرس بن ربعي في صفة رأس النعامة

سكاء عارية الاخادع رأسها مثل المدق وأنفها كالمسرد

وقال النابغة في صفة النسور

تراهن خلف القوم خزراً عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب

وهذا التشبيه عندهم عقيم لا أني أقول انه من قول طرفة يصف عقابا

وعجزاء دفت بالجناح كأنها مع الصبح شيخ في بجاد مقنع

وينظر أيضاً الى قول امرئ القيس قبله

كأن ثبيرا في عرانين وبله كبير أناس في بجاد مزمل

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي في تشبيه رأس القطاة

(١) ن كأنما منسمي أقراع ما مطرت (٢) ن قطعته

تقلب الاصبع رشاً كأنه يثيمة حورا عنها المكاسر

وفي الشعر من هذا صدر جيد وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ وقوله تعالى ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ وقوله ﴿ واذا غشيهم موج كالظلل ﴾ وقوله ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ ومن كلام النبي صلى الله عليه وسلم الناس كأسنان المشط وانما يتفاضلون بالعافية . وقوله الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وكثير من هذا يطول تقصيه . وقد أتت القدماء تشابهات رغب المولدون الا القليل عن مثلها استبشاعاً لها وان كانت بديعة في ذاتها . مثل قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبي أو مساويك أسحل

فانها لا محالة شابهة بالاساريع وهي دودة تكون في الرمل وتسمى جماعتها بنات النقي وإياها عنى ذو الرمة بقوله

خراعيب أمثال كأن بنانها بنات النقي تخفى مراراً وتظهر

وهي كأحسن البنان لينا وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس كأنه ظفر قد أصابه الحناء وربما كان رأسها أسود إلا أن نفس الحصري المولد اذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكاس

تعاطيكها كف كأن بنانها اذا اعترضتها العين صف مداري

أو قول علي بن العباس الرومي

سقي الله قصراً بالرصافة شاقني بأعلاه قصري الدلال رصافي

أشار بقضبان من الدر قمعت يواقيت حمراً فاستباح عفافي

أو قول عبد الله بن المعتز

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق

كان ذلك أحب اليها من تشبيه البنان بالدود في بيت امرئ القيس وان كان تشبيهه أشد اصابة .. وفي قول الطائي أبي تمام

سطت اليك ساقة أسروع … تصف العراق ومقلة يدوع

وقرب هذا عنده وهو مدح من قول حسن في الهجو

وأمك سودا نوبية … كأن أناملها الحنصب

اذا كان جمعاً من حشاش الأرض . فأما قول امرئ القيس أو مساويك أسحل لجار مجرى غيره من تشبيهاتهم لانهم يصفونها بنعم ولأقلام وما أشبه ذلك والبنان قريبة الشبه من اعواد المساويك في القدر والاستواء والاملاس لأن الاول على كرهته أشبه بها ولا سحل شجر المحيط . وقد استبشع قوم قول الآخر يصف روضاً

كأن شقائق النعمان فيه … ثياب قد رَوين من الدماء

فهذا وان كان تشبيهاً مصيباً فان فيه بشاعة ذكر الدماء ولو قال من العصفر مثلاً أو ما شاكله لكان أوقع في النفس وأقرب الى الانس وكذلك صفتهم الحمر في حبابها سلاح الشجاع وما جرى هذا المجرى من التشبيه فيه وان كان مصيباً لعين التشبيه فيه غير طيب في النفس ولا مستقر على القلب . ومن ذلك قول أبي عون الكاتب

تلاعبها كف المزاج محنقة … ها وتجري ذات بينهما الانس

فتربدُ من تيهٍ عليها كأنها … عزيرة خدر قد تخبطها المسّ

فلو ان في هذا كل بداع لكان مقتاً بشعاً ومن ذا يطيب له أن يشرب شيئاً يشبه بزبد المصروع وقد تخبطه الشيطان من المس . . وكأني أري بعض من لا يحسن لأن الاعتراض بلا حجة قد بني على هذا المذهب وقال رد على امرئ القيس ولم أفعل ولكني بيت ان طريق العرب القدماء في كثير من الشعر قد حوفت الى ما هو أليق بالوقت وأشكل بأهله . وقد عاب الأصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجةٍ لم تقضها … نظر السقيم الى وجوه العوّد

على انه تشبيه لا يلحق ولا يشق غبار صاحبه ولم يجد فيه المطعن الا أن ذكر السقيم فانه رغب عن تشبيه المحبوبة به وفضل عليه قول عدي بن الرقاع العاملي

وكأنها وسطَ النساء أعارها … عينيه أحورُ من جآذر جاسم

وشب لقصده العدو فرقت ... في غمه سنة وليس بنائم

وأحرى بأن هذا يجري قول صريع الغواني على انه لم يقع لأحد مثله وهو

فعطت بأيديها ثمار نحورها ... كأيدي الاسارى أثقلتها الجوامع

فهذا تشبيه مصيب جداً لأن اسم عانوه بما بيت وانما أشار الى قول النابغة

يخطط بقضبان في كل منزل ... ويخبأن رمان الثدي النواهد

ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة

ترفع الصوت أحيانا وتخفضه ... كما يطن ذباب الروضة الغرد

فأي قينة تحب أن تشبه بالذباب وقد سرق بيت عنترة وقلبه فأفسده

باب الاشارة

والاشارة من غرائب الشعر وملحه وبلاغة عجيبة تدل على بعد المرمي وفرط المقدرة وليس يأتي بها إلاّ الشاعر المبرز والحاذق الماهر وهي في كل نوع من الكلام لمحة دالة واختصار وتلويح يعرف مجملا ومعناه بعيد من ظاهر لفظه ٠فمن ذلك قول زهير

فاني لو لقيتك واتجهنا ... لكان لكل منكرة كفاء[1]

فقد أشار له بقبح ما كان يصنع لو لقيه هذا عند قدامة أفضل بيت في الاشارة ٠٠ وقول الآخر

جعلت يديّ وشاحاً له ... وبعض الفوارس لا يعتنق

وهذا النوع من الشعر هو الوحي عندهم ٠٠ وأنشد الحاتمي عن عليّ بن هارون عن أبيه عن حماد عن أبيه اسحق بن ابراهيم الموصلي

جعلنا السيف بين الجيد منه ... وبين سواد لمته عذارا

(١) ب لكان مسيئه لقاء

فأشار الى هيئة الضربة التي أصابه بها دون ذكرها تشارة لطيفة دلت على كيفيتها وأنه وصف انهم ضربوا عنقه وروى بن لحسد •• ومثله قول الآخر

ويوم تبلُ النساء الدماء جعلتَ رداءك فيه خِمارا

يريد بالرداء الحسام كما قال متمم بن نويرة

لقـد كفن المنهالُ تحت ردائه فتى غيرَ مبطان العشيات أروع

وقوله انه جعله خماراً أي قنَّعت به الفرس وأشار بقوله يبل النساء الدماء الى وضع الحوامل من شدة الفزع •• ومما جاء من الاشارة على معنى التشبيه قول الراجز يصف لبناً ممذوقاً — جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط — فقد أشار الى تشبيه لونه لان الماء غلب عليه فصار كلون الذئب •• ومن أنواع الاشـارة التفخيم والايماء فأما التفخيم فكقول الله تعالى ﴿ القارعة ما القارعة ﴾ وقد قال كعب بن سعد الغنوى

أخي ما أخي لا فاحشٌ عند بيته ولا ورع عنـد اللقاء هيوب

وأما الايماء فكقول الله عزوجل ﴿ فغشيهم من اليم ما غشيهم ﴾ فأوما الى تركه التفسير معه •• وقال كثير

تجافيتِ عني حين لا ليَ حيلة وخلفتِ ما خلفتِ بين الجوانح

فقوله — وخلفت ما خلفت — ايماء مليح •• ومثله قول ابن دريد

أقول اذا نفسي من الوجد أصعدت بها زفرة تعتادني هي ما هيا

ومن أنواعها التعريض كقول كعب بن زهير لرسول الله صلى الله عليه وسلم

في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكةَ لما أسلموا زولوا

فعرض بعمر بن الخطاب وقيل بأبي بكر رضي الله عنهما وقيل برسول الله صـلى الله عليه وسلم تعريض مدح ثم قال

يمشون مشيَ الجمال الزهر يعصمهم ضربٌ اذا عرّد السودُ التنابيل

فقيل انه عرض في هذا البيت بالأنصار فغضبت الانصار وقال المهاجرون لم تمدحنا اذ

دمهم حتى صرح بمدحهم في أبيات يقول فيها

مَن سره كرمُ الحياة فلا يزل ... في مقنب من صالحي الانصار

ومن مليح التعريض قول أيمن بن خريم الأسدي لبشر بن مروان يمدحه ويعرض بكلف كان بوجه أخيه عبد العزيز حين بناه من مصر على يدي نصيب الشاعر مولاه

كأن التاج تاج بني هرقل ... جلوه لأعظم الأعياد عيدا

يصافح خدَّ بشر حين يمسى ... اذا الظلماء باشرت الخدودا

فهذا من خفي التعريض لانه أوهم السامع انه انما أراد المبالغة بذكر الظلماء لاسيما وقد قال حين يمسي وانما أراد الكلف هكذا حكت الرواة ٠٠ ومن أفضل التعريض مما يحل عن جميع الكلام قول الله عز وجل ﴿ ذق انك أنت العزيز الكريم ﴾ أي الذي كان يقال له هذا أو يقوله وهو أبو جهل لانه قال ما بين جبليها (يعني مكة) أعز مني ولا أكرم وقيل بل ذلك على معنى الاستهزاء به ٠٠ ومن أنواعها التلويح كقول المجنون قيس بن معاذ العامري

لقد كنتُ أعلو حب ليلى فلم يزل ... بي النقض والابرامُ حتى علانيا

فلوح بالصحة والكتمان ثم بالسقم والاشتهار تلويحاً عجيباً واياه قصد أبو الطيب بعد ان قلبه ظهراً لبطن فقال

كتمتُ حبك حتى منك تكرمة ... ثم استوى فيك اسراري واعلاني

لانه زاد حتى فاض عن جسدي ... فصار سقمي به في جسم كتماني

الاَّ انه أخفاه وعقده كما ترى حتى صار أحجية يتلاقاها الناس ٠ ومن أجود ما وقع في هذا النوع قول النابغة يصف طول الليل

تقاعس حتى قلتُ ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعي النجوم بآيب

الذي يرعي النجوم يريد به الصبح أقامه مقام الراعي الذي يغدو فيذهب بالابل والماشية فيكون حينئذ تلويحه هذا عجباً في الجودة ٠٠ وأما من قال ان الذي يرعى

النحوم انما هو الشاعر الذى تشكي الشعر رصول للمل فاس على تبي٠٠ وزعم قوم ان لآيب لا يكون إلاّ بالايل حاصة دكره عند الكريم ٠٠ ومن أنواع الاشارت الكناية والتمثيل كما قال ابن مقبل وكان جافياً في الدين يبكي أهل الجاهلية وهو مسلم فقيل له مرة في ذلك فقال

وما لى لا أبكى الديار وأهلها   وقد رادها رواد عك وحمير

وجاء قطا الأحباب من كل جانب   فوقع فى عطاد ثم طير

فكنى عما أحدثه الاسلام ومثل كما ترى ٠٠ ومن أنواعها الرمز كقول أحد القدماء يصف امرأة قتل زوجها وسبيت

عقلت له من زوجها عدد الحصى   مع الصبح أو مع جنح كل أصيل

يريد اني لم أعطها عقلا ولا قوداً بزوجها الا الهم الذي يدعوها الى عد الحصى وأصله من قول امرئ القيس

ظللت ردائى فوق رأسى قاعداً   أعد الحصى ما تنقضى عبراتى

ومن مليح الرمز قول أبي نواس يصف كؤوساً ممزوجة فيها صور منقوشة

قرارتها كسرى وفى جنباتها   مهى تدّريها بالقسيّ الفوارس

فللخمر مازرت عليه جيوبها   وللماء مادارت عليه القلانس

يقول ان حد الخمر من صور هذه الفوارس التى فى الكؤوس الى التراقى والنحور وزبد الماء فيها مزاجاً فانتهى الشراب الى فوق رؤوسها ويجوز أن يكون انتهاء الحبب الى ذلك الموضع لما مزجت فأزبدت والأول أملح وفائدته معرفة حدها صرفاً من معرفة حدها ممزوجة وهذا عندهم مما سبق اليه أبو نواس وأرى والله أعلم انه محلق على المعنى من قول امرئ القيس

فلما استطابوا صب فى الصحن نصفه   ووفى بماء غير طرق ولا كدر

ويروى — ووفوا — وإياه أردت ويروى — استطلوا — من الظل مكان استطابوا جعل الماء والشراب قسمين لقوة الشراب فتساق الحس عليه وأخفاه عما شغل به الكلام من ذكر الصورة المنقوشة فى الكؤوس إلاّ انها سرقة طريفة مليحة ولم يكن أبو نواس

ترضى أن يعشق من دون مريم الشمس وضحاها .. وأصل هذا الكلام الخفي الذي لا يكاد يفهم ثم استعمل حتى صار الإشارة .. وقال الفراء الرمز الصوت الخفي ومن الإشارات لمحة كقول أبي نواس يصف قوما مطيًا

وشمسة حرة مخدرة ... ليس لها في سمائها نور

فقوله حرة يدل على ما أراد في البيت إذ كان من شأن الحرة الخفر والحياء ولذلك جعلها مخدرة وشأن القيان ومملوكات التبذل والامتهان وأما زعم من زعم أن قوله حرة إنما يريد خلوصها كما قول هذا العلق من حر المتاع فخطأ لأن الشاعر قد قال ليس لها في سمائها نور فأي خلوص هنا وكذلك قول حسان ويكون أيضا تشبيها

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

يريد أنهم ملوك ذوو حاضرة ومستقر عز ليسوا أصحاب رحلة وانتجاع .. ومن أخفى الإشارات وأبعدها اللغز وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن وباطن ممكن غير عجب كقول ذي الرمة يصف عين الإنسان

وأصغر من قعب الوليد ترى به ... بيوتا مبناة وأودية قفرا

والباء في هذا البيت للإلصاق كما تقول مسسته بيدي أي ألصقتها .. وجعلها آلة للمس والسامع يتوهمها بمعنى في وذلك ممتنع لا يكون والأول حسن غير ممتنع .. ومثله قول أبي المقدام

وغلام رأيته صار كلبا ... ثم من بعد ذاك صار غزالا

فقوله صار إنما هو بمعنى عطف وما أشبهه من قول الله عز وجل ﴿ فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ﴾ ومستقبله يصور وقد قيل يصير وهي لغة قليلة وليس صار التي هي من أخوات كان مستقبلها يصير فقط ومعناها استقر بعد تحول .. واشتقاق اللغز من لغز اليربوع والغز إذا حفر لنفسه مستقيما ثم أخذ يمنة ويسرة يوري بذلك ويعمي على طالبه .. ومن الإشارات اللحن وهو كلام يعرفه المخاطب بفحواه وإن كان على غير وجهه قال الله تعالى ﴿ ولتعرفنهم في لحن القول ﴾ وإلى هذا ذهب الحذاق في تفسير قول الشاعر

منطق صائب وتلحن أحيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا

ويسميه الناس في وقتنا هذا المحاجاة لدلالة الحجا عليه .. وذلك نحو قول الشاعر يحذر قومه

حنوا على الناقـة الحمراء أرحلكم واتركوا الأصهب المعقول وصدعوا

إن الذئاب قد خضرت برمتها والناس كلهم بكر إذا شبعوا

أراد بالناقة الحمراء الدهناء وبالجمل الأصهب الصمان وبالذئاب الأعداء يقول قد احضرت أقدامهم من المشي في الكلا والخصب والناس كلهم إذا شبعوا طمعوا في الغزو فصاروا عدواً لكم كما أن بكر بن وائل عدو لكم ٠٠ ومثل ذلك قول من يعني عدة عداءه وقد كثرت سنه وسبق عنهم ما يكلمهم من العربات وطلب اشارت ورد فقال إن أوصيكم أن تروا عني بيت شعر قالوا وما هو قال

من مبلغ الحسين بن مهلهلا لله دركما ودر أبيكما

وما زعم أنه مات قال لهم هل أوصي بشيء قالوا نعم وانشد لنا شعر مقدمه فقالت ابنته عليكم بالعبد فانما قال أبي

من مبلغ الحيين أن مهلهلا أمسى قتيلاً بالفلاة مجدلا

لله دركما ودر أبيكما لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فستقروا العبدين فأقرا انهما قتلاه ورويت هذه الحكاية لمرقش ٠٠ وسبيل المحاجاة أن تكون كالتعريض والكناية وكل امر داخل في الاحاجي وقد حاجى شيخنا أبو عبد الله بعض تلامذته فقال له

أحاجيك عبد الله كريب في الورى ولم نؤت الا من حميم وصاحب

فأجابه التلميذ بأن قال

ستأكم حتى لا يحس مدمعي به بهل منه من دموع سواكب

فكان معكوس قول أبي عبد الله عبد كريب في الورى سرت دمع فقال الآخر ستأكم فأجابه على الظاهر اجابة حسنة ومعكوس ستأكم ملك أتلت فكأنه قال له قول الشيخ ولم نؤت الا من صديق وصاحب وهذا كله مليح ٠٠ ومنها التعمية وهذا مَثَلٌ للطير وما شاكله وكقول أبي نواس

* وسلم عامه حين الصفا *

وهو شعر وهو معنى مشهور .. ومن الاشارات مصحوبة وهى عند أكثرهم معيبة
كانها حشو واستعانة على الكلام نحو قول أبى نواس

قال ابراهيم بالـ ـل كذا غرباً وشرقا

وقد يأتى بها أبو نواس حشواً ولكن تشطارة وعبثاً بالكلام وان شئت قلت بيانا وتبقية
كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص وكيف بك اذا
بقيت فى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وشبك
بين أصابع يديه ولا أحد أفصح من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبعد كلاما منه
من لحشو وتكلف .. وقالوا مبلغ الاشارة أبلغ من مبلغ الصوت فهذا باب تتقدم
الاشارة فيه الصوت وقيل حسن الاشارة باليد والرأس من تمام حسن البيان باللسان
جاء بذلك الرواية بعينها وقاله الجاحظ من قبل وأخذ على بعض الشعراء فى قوله

أشارت بطرف العين خيفة أهلها اشارةَ مذعورٍ ولم تتكلمِ

فأيقنت أن الطرفَ قد قال مرحبا وأهلا وسهلا بالحبيب المتيمِ

اذ كان هذا كله مما لا يحمله اشارة خائف مذعور .. ولما أقام معاوية الخطباء لبيعة
يزيد قام رجل من ذى الكلاع فقال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى معاوية فان
مات فهذا وأشار الى يزيد فمن أبى فهذا وأشار الى السيف ثم قال

معاوية الخليفة لا نمارى فان يهلك فسائسنا يزيد

فمن غلب الشقاءُ عليه جهلا تحكم فى مفارقه الحديد

وقد جاء أبو نواس باشارات أخر لم تجر العادة بمثلها .. وذلك أن الأمين بن زبيدة
قال له مرة هل تصنع شعراً لا قافية له قال نعم وصنع من فوره ارتجالا

ولقد قلت للمليحة قولى من بعيد لمن يحبك اشارة قبلة

فأشارت بمعصم ثم قالت من بعيد خلاف قولى اشارة لا لا

فتنفست ساعة ثم انى قلت للبغل عند ذلك اشارة امشى

فعجب جميع من حضر المجلس من اهتدائه وحسن تأتيه وعطاه الامين صلة شريفة
.. ومن الاشارات الحذف كقول عمرو بن أوس يخاطب امرأته

ان شئت أشرف جمعاً وعه ... ثه كل حده فع

باحير حير وان شر ... ولا أريد الشر الا أن

كذا رواه أبو زيد الانصاري وساعده من متأخري علي بن سلب الاحمر وقال
لان الزجر يدل عليه الا أن رواية النحويين وان شر فشر ولا يريد الا أن تشاء قالوا يريدون
شرا فشر والا أن تشائي .. وانشدوا

ثم تنادوا بعد تلك الصوت ... منهم بالت وهل وبي

نادى مناد منهم الا ... قالوا جميعاً كلهم الا فا

وأنشد الفراء ... * قلت لها قفي فقالت قاف *

يريد قد قمت .. ومن أنواعها التورية كقول علية بنت المهدي في ظل خادم

أيا سرحة البستان طال تشوقي ... فهل لي من ظل البستان سبيل

متى يشتفي من ليس يرجى خروجه ... وليس لمن يهوى اليه دخول

فورت بظل عن ظل وقد كانت حرمته فمنعه الرشيد من دخول القصر ونهاها عن ذكره
فسمعها مرة تقرأ ﴿ فان لم يصبها وابل ﴾ فنهى عنه أمير المؤمنين ﴿ أي فظل ﴾ فقال
ولا كل هذا .. وأما التورية في أشعار العرب فانما هي كناية بشجرة أو شاة أو بيضة أو
ناقة أو مهرة أو ما أشبه كل ذلك كقول المسيب بن علس

دعي شجرَ الأرض داعيهم ... ليصرعه السدرَ والاثب

فكنى بالشجر عن الناس وهم يقولون في الكلام المنثور جاء فلان بالشوك والشجر
اذا جاء بجيش عظيم .. وكان عمر رضي الله عنه أو غيره من الخلفاء قد حظر على الشعراء
ذكر النساء فقال حميد بن ثور الهلالي

تجرم أهلوها لان كنت مشعراً ... جنوناً بها يا طول هذا التجرم

ومالي من ذنب اليهم علمته ... سوى أنني قد قلت يا سرحة اسلمي

بى وسمى ثم سمى ثمت سمي تلاب نحيت و ن لم تـكـمي

•• وقـ عـدً في متل دلك

ي ســ لا ن سرحة مالك على كل فـ ـ العصاه بروق

ه ضب ريه وي برد طله د حل من شمس الم رشروق

فهل ا ل عمت عسى سرحة من امسرح مسدودً على الطريق

حمي ظلم تتكس الحلقة حائف عليها عرام الط مـين شميق

بريد بدلك نعتها ودا محرمه

ولاالطل من برد الصحى سسطعمه ولا الفي ء منهـا فى العشي بدوق

•• وقال عمرة المـ سي

يا شاة ما قنص لمن حت له حرمت علىّ وليتهـا لم تحرم

وعا دكر مرأة أبيه وكان يهو ها وقيل بل كانت حاريته فلدلك حرمها علي نفسه ••
وكدلك قوله * والتتاة ممكنة لمن هو مرمي *
والعرب تحمل لمهرة شاة لانها عندهم صائمة الظباء ولدلك لسموبها محة وعلي هـدا
لمعارف في الـكـايه حاء قول الله عز وحل فى احباره عن خصم داود عليه السلام ••
﴿إن هدا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة﴾ كناية بالنعجة عن لمرأة وقول
امرو القيس

وبيضة حدر لا يرام حباؤها تمتعت من لهو بها عير معجل

كناية بالبيضة عن المرأة •• وروي ابن قتيبة أن رجلا كتب الى عمر بن الخطاب
رضى الله عنه

ألا أبلغ أبا حفص رسـولا فدي لك من أخي ثقة ازاري

قلائصـنا هـداك الله انا شغلنا عنكم زمن الحصار

فما قلص وجدن معـقلات قفا سلع بمختلف التجار

يعقلهن جعدة من سليم ... وبئس معقل الذود الظؤار

وإنما كني بالقلاص وهي النوق الشواب من النساء وعرض برجل يقال له جعدة كان يخالف إلى المغيبات من النساء ففهم عمر ما أراد وجلد جعدة ونفاه .. ومن الكناية اشتقاق الكنية لأنك تكني عن الرجل بالأبوة فتقول أبو فلان باسم ابنه أو ما يعرف في مثله أو ما اختاره لنفسه تعظيماً له وتفخيماً وتقول ذلك للصبي على جهة التفاؤل بأن يعيش ويكون له ولد .. قال المبرد وتكون الكناية على ثلاثة أوجه هذا الذي ذكرناه ثالثها أحدها والثاني التعمية والتغطية التي تقدم شرحها والثالث الرغبة عن اللفظ الخسيس كقول الله عز وجل ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ﴾ فإنما هو كناية عن الفروج ومثله في القرآن وفي كلام الفصحاء كثير

باب التتبيع

ومن أنواع الإشارة التتبيع وقوم يسمونه التجاوز وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه وأول من ابتدر ذلك امرؤ القيس يصف امرأة

ويضحي فتيت المسك فوق فراشها ... نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فقوله ـ يضحي فتيت المسك ـ تتبيع وقوله ـ نؤوم الضحى ـ تتبيع ثان وقوله ـ لم تنتطق عن تفضل ـ تتبيع ثالث وإنما أراد أن يصفها بالترفه والنعمة وقلة الامتهان في الخدمة وأنها شريفة مكفية المؤونة فجاء بما يتبع الصفة ويدل عليها أفضل دلالة .. ونظيره قول الأخطل يصف نساء

لا يصطلين دخان النار شاتية ... إلا بعود يلنجوج على فحم

فذكر أنهن ذوات ملك وشرف حال .. وأبين من هذا قول النابغة في معناه وقصده

ليست من السود أعقاباً إذا انصرفت ... ولا تبيع بجنبي نخلة البرما

كم ... سود ... لاهم كانت فى نهاية الحسن والشرف والدعة
.. وقال الدعة وأراد أن يصف طول العنق وتمام الخلقة فيها فذكر القرط اذ كان مما
يتبع وصف العنق ولم يسبقه الى ذلك أحد من الشعراء

د اربعثت حاف لحان رتها   ومن يتعاق حت علق يعرق

فجعل رعثتها تخاف و يعرق وعذره بعد مسقطه فتناول هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة
فأوضحه بقوله

بعيدة مهوى القرطِ اما لنوفل   أبوها واما عبد شمس وهاشم

وتبعه ذو الرمة فزاد المعنى وضوحاً بقوله

والقرط فى حرة الذفرى معلقة   تباعد الحبل منه فهو مضطرب

وقال طفيل الغنوي يصف فرساً و يروى لغيره

هَريت قصير عذر اللجام   أسيل طويل عـذار الرسن

فو ترك الهرت والاسالة لكان من هذا الباب لكنه الآن لم يقصد التسبع وانما جاء
به كالتوكيد لما قبله هذه رواية ابن قتيبة فأما رواية النحاس عن شيوخه عن الاصمعي فانها

وأحوي قصير عذار اللجام   وهوَّ طويل عذار الرسن

وهذا تتبيع لاشك فيه .. وأما قول الاخطل

أسيلة مجرى الدمع اما وشاحها   فجار وأما الحجل منها فما يجرى

ففيه التتبيع فى ثلاثة مواضع وهي صفة الخد بالسهولة وصفة الخصر بالرقة والساق بالغلظ
.. ومثله قول الاعشى

صفر الوشاح وملءُ الدرع خرعبة (١)   اذا تأتى يـكاد الخصر ينخزل

فقوله ـ صفر الوشاح ـ دال على رقة الخصر ـ وملء الدرع ـ دال على تمام الخلق من طول
وسمن وامتلاء صدر وعجيزة وكل ماوقع من قولهم طويل النجاد وكثير الرماد وما
شاكلهما فهو من هذا الباب .. وقالت ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله   وسطَ البيوت من الحياء سقيما

(١) ن بهكنة

أرادت أنه يحدث ويتعلق به الحدث خمسه وسؤدده وكثرة الدس حوله وقيل ... ذلك لعظم ما كان وهم يحمدون ذلك .. ومن عجيب ما وقع في هذا الباب من التجاوز قول أوس بن حجر

حتى يلفّ نخيلهم وبيوتهم ... صفة لحصن لا تقر

أراد الحرب التي هي المقصود بالصفة هكذا روايته الصحيحة وبهذا التفسير فسره حذاق العلماء وهم الأكثر وقال آخرون ... حرق النخل والبيوت فعل ولا يكون على هذا الرأى الآخر من هذا الباب .. ومن التجاوز قول رؤبة ... صف حوافر الخيل

سوى مساحيهن تقطيط الحقق

أراد أن يشبهها بالمساحى فجعلها نفس مساحي يريد التعظيم .. ومثله قول ابن دريد

يدير اعليطين في ململمة ... في موجين نخط بلاي

اراد أن يشبه أذن الفرس بالاعليط وهو وعاء ثمر المرخ فجعل الاذن نفسها اعليطاً كما فعل رؤبة في المساحي ومثله كثير .. ومما يدخل في باب التجاوز قول النابغة

تقدّ السلوقى المضاعف نسجه ... ويوقد بالصفّاح نار الحباحب

وانما أراد السلوقيّ مع ما فيه من جسد وما تحت لا به زعمو من السرج والفرس فعد عن الجميع وجاء بما يسعه ويستغنى به عن ذكره اذ كانت لا تقد السلوقي الا أن تقد ما فيه ولا تنتهي الى الصفاح على ما فسروا من أنه يريد الفارس بذاته الا بعد أن تأتى على السرج والفرس على أن من الناس من رد وقدر على الخيل .. والى مثل هذا الافراط ذهب النمر بن تولب في صفة السيف الذى شبه به نفسه فقال

تظل تحفر عنه ان ضربت به ... بعد الذراعين والساقين والهادى

وروى الحذاق ـ القينين والهادي ـ وهو أصح في المعنى ومن التتبع قول زهير

وملجمنا ما أن ينال قذاله ... ولا قدماه الارض إلا أنامله

فاشار الى طول عنقه وقوائمه بذكر الطول لجم اشارة عجيبة وتبعه ابن مقبل فقال

عظمت أجامه اللحم فـدلى وشخصي سامي شخصه وهوطاله

و. ـول زهير هذا المعنى من أبي دؤاد الايادـي و يروى لعبد بن ثعلبة لأسدي حت يقول

لا يكاد الطويل يبلغ منـه حيث يرى على بعض العذار

وأنا أقول ان بيت الدبانى في الرعث مأخود من قول عبد بن لا برص

ماطوا الرعاث بنهد لو بزلّ به لا ندق دون تلاقي اللبة القرط

.. وقال ابن دريد وأتى بدليع مليح

قريب مابين القـطاة والمطا بعيدٌ ما بين القذال والصلا

فدل بهذا على قصر الظهر وطول العنق .. وقال بعض الشعراء مليح وطرف

فمـا بك فيّ من عيبٍ فاني جبانُ الـكلب مهزولُ الفصيل

أشار الى كثرة غشيان الضيوف حتى أن الـكلب قد أنس حتى أن ينبح فصلا عما سوى ذلك وهزال فصيله دال على أن الآلبان مبذولة للضيفان فقل ما يبقى له منه

.. وقد قال امرؤ القيس * سمان الـكلاب عجاف الفصال *

فعجف الفصال للعلة التي قدمت وسمن الـكلاب لكثرة ما ينحرون و يذبحون .. ومن أعجب التبديع قوله

أمرخٌ خيامهم أم عشَر أم القلبُ في إثرهم منحدر

يقول انزلوا نجداً الذى من نباته المرخ أم الغور الذى من نباته العشر وان الاعراب يعملون خيامهم من نبات الارض التي ينزلونها فاذا رحلوا تركوه واستأنفوا غيره من شجر البلد الذى ينزلون به هكذا تشرح العلماء هذا البيت المتقدم ولا ارى الاعراب تذكر ذلك كثيراً في أشعارها وانما يتعاورون ذكر الوتد الاثم الا أن تكون الاعمدة وماشا كلها تنتحب ونحمل وانما المطرح ما جعل فوقها وسد به خصاصها فدفع الحر والبرد فقط ولا أشك أن هذا هو الصحيح يدل عليه قول جرير يذكر منزلا

فلا عهد الا أن تذكر أو ترى ثماماً حوالى منصب الخيم باليا

وذكر أنهم مطرحاً •• وقال أبو دواد

عهدت لها منزلا دائراً ... وآلا على الماء يحملن آلا

فالآل الأول أعمدة الأخبية والآل الثاني السراب يحمل الذي يرتفع عند اشتداد الحر فكأنه يرفعها فيسرونه مع قدمه ولذى قال الحارث يعني أعمدة يحملن أعمدة منه ذكر أو جعله وقوله على الماء يعني الماء الذي هو سراب يحملون معه تشبيههم بقصب من الماء وقد أحرك الشاعر على القول الأول يحملون أعمدة الأخبية وسواه •• ومن أحسن ما وقع في هذا الباب من التسبيع قول حسان بن ثابت

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل

فقوله حول قبر أبيهم يسمع منه أنهم ملوك مقيمون لا يحدون فينتقلون من مكان إلى مكان وأنهم في مستقر عزهم وأرض خصب لا يحتاجون أن ينتجعوا ذلك دأبهم من القدم فهم حول قبر أبيهم وهذا كما قال ابن مقبل

نحن المقيمون لم تبرح ظعائننا ... لا نستخير ومن يحلل بنا يجرِ

ومن هذا الباب أيضاً قول عنترة بن شداد العبسي

بطل كأن ثيابه في سرحة ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم

أراد أنه ملك لأن نعال السبت لا يحتذيها عندهم إلا الملوك ومما يدلك على ذلك قول عيينة بن مرداس المعروف بابن فسوة يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة لام فيها عبد الله بن عباس وشكر الحسن بن علي عليهما السلام وعبد الله ابن جعفر رضي الله عنهم

إلى معشر لا يخصفون نعالهم ... ولا يلبسون السبت ما لم يخصر

•• ومن التتبع قول الحطيئة

لعمرك ما قراد بني كليب ... إذا نزع القراد بمستطاع

وذلك أن الفحل إذا منع الخطام نزعوا من قراده شيئاً فيجد ذلك ويسكن إليه ولان لصاحبه حتى يلقي الخطام في رأسه فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبائهم

فقدر عنهم•• ومن قول ذي الأصبع العدواني وسماه حرثان بن الحرث

يا عمرو إلاّ تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

ويجوز أن يكون أراد أضربك على الرأس الذي تصيح منه الهامة اسقوني على زعم الأعراب فيكون من هذا الباب ويجوز أن يكون مراده أضربك فلا أوجد ثأرك وتكون حيث ههنا مثلها في قول زهير * لدى حيث ألقت رحلها أم قشعم * فيخرج عن هذا الباب•• ومن نحو التأويل الأول قول أبي الطيب بقوله

فاتن الطاعنين بكل لدن مواضع تشتكي البطل السعالا

أراد الصدر أو النحر•• وبيت البحتري في صفة الذئب ويروى لعمارة بن عقيل

فأوجرته أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللب والرعب والحقد

خير من بيت أبي الطيب وأجمع للصفة وقوله أضللت بمعنى صيرت ويروى أضاد

باب التجنيس

التجنيس ضروب كثيرة منها المماثلة وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى نحو قول زياد الأعجم وقيل الصلتان العبدي يرثي المغيرة بن المهلب

فانع المغيرةَ للمغيرةِ إذ بدت شعواء مشعلة كنبح النبح

فالمغيرة الأولى رجل والمغيرة الثانية الفرس وهي ثانية الخيل التي تغير•• وقال صاحب الكتاب قال الله تعالى ﴿ وأسلمت مع سليمان ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ﴾ وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله وإن كان من غير هذا الباب•• وأنشد سيبويه

أنيخت فألقت بلدة فوق بلدة قليل بها الأصوات إلاّ بغامها

البلدة الأولى صدر الناقة والثانية المكان من الأرض•• ومثله أنشد ثعلب

وتسمى حوران ... حرف ... تبني أدمه

والثانية الأولى عقبة والثانية ... فقرى الأدهم ... شعر ... الاسم .. وروي
حيث أدهم. ومثله قول ... وعمرو بن العلاء عود على عود على عود خلق .. وقال
الأول التشبيح والثاني جمل مسن ... طرق قومه قد ... كثرة وطء عليه ..
ويجري هذا المجرى قول الأودي

وقطع هوجل مستأنس ... هوجل غير ... عطموس

أنشده قدامة على أنه طباق ... ابن ... في هذا المذهب وقد رد الأخفش
علي بن سليمان عليه في ذلك وأنكره على ... حسن والأصمعي في كتاب حلية المحاضرة
للحاتمي .. وعلى القول الأول قال ... بن ربيع

... عباس ... حصر ... والفصل فصل ... ربيع

.. وقال أبو تمام

يا ... رقيبين وأهله ... سقى العهد منك العهد والعهد والعهد

فالعهد الأول المستقى هو الوقت والعهد الثاني هو الحفاظ من قولهم فلان ذو عهد
والعهد الثالث الوصية من قولهم عهد فلان إلى فلان وعهدت إليه أي وصيت ووصيته
والعهد الرابع المطر وجمعه عهاد وقيل أراد مطرا بعد مطر بعد مطر وفسر ذلك قوله

سحاب متى يسحب على النبت ذيله فلا ... يسمو عليه ولا جعد

واستثقل قوم هذا التجنيس وحق لهم .. ومن مليح هذا النوع قول ابن الرومي

للسود في السود آثار تركن بها لمعا من البيض تثني أعين البيض

فالسود الأول الليالي والسود الآخر شعرات الرأس واللحية والبيض الأول
الشيبات والبيض الآخر النساء .. وزعم الحاتمي أن أفضل تجنيس وقع لمحدث قول
عبد الله بن طاهر

وإني للثغر المخيف لكالئ وللثغر يجري ظلمه لرشوف

فهذا وما شاكله التجنيس المحقق والجرجاني يسميه المستوفى .. ويقرب منه وليس محضا
قول ابن الرومي

يدنال دار الطاس طالب ومرتاد مرتاد وحاطب حاطب

أدخل الترديد والترديد نوع من المجانسة يفرد له باب ان شاء الله تعالى . . والتجنيس المحقق ما اتفقت فيه الحروف دون الوزن رجع الى الاشتقاق أو لم يرجع نحو قول أحد بني عبس

وذلكم أن ذلّ الجار حالفكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا

فاتفقت الأنف في الأنف في جميع حروفها دون البناء ورجعت الى أصل واحد هذا عند قدامة أفضل التجنيس . . ووقع مثله في الاشتقاق قول جرير والجرجاني يسميه التجنيس المطلق قال وهو أشهر أوصافه

وما زال معقولا عقال عن الندى وما زال محبوسا عن الخير حابس

وقال جرير أيضا وفيه المضارعة والمماثلة والاشتقاق وأنشده ابن المعتز

تقاعس حتى فاته المجد فقعس وأعيا بنو أعيا وضلّ المضالل

وقال خلف بن خليفة الأقطع

فان يشغلونا عن أذان فاننا شغلنا وليداً عن غناء الولائد

يعني الوليد بن يزيد بن عبد الملك . . وقال أبو تمام فأحكم المجانسة بالاشتقاق

بحوافر حفر وصلب صلب وأشاعر شعر وخلق أخلق

فجنس ثلاث لفظات . . ومثله قول البحتري

صدق الغراب لقد رأيت شموسهم بالأمس تغرب عن جوانب غرّب

ويقرب من هذا النوع قول ذي الرمة * واستحرجت هامها الهيم التشاعيم * فالهيم والهام قريبان في اللفظ بعيدان في الاشتقاق وربما جعلها بعض الناس من أصل واحد وكذلك قوله

كأن البرى والعاج عيجت متونها على عُشَر نهّى به السيلَ أبطح

قال ابن المعتز نهى به السيل أي بلغ نهايته فهو أنعم له وأكثر لدونة وأنا أقول معناه

ترك به السبل بهم وهو اعتير ولبت ثم ما ... من معنى انهم الا أن يكون معناه حمل نهايته هذه ... وأحود ... مصرفة ... وقال البحتري

وذكرتنيك ولذكرى عداء ... متى ... تشكول

... في ... وصوت ... في ... شعوب

.. وقال أبو ...

ملتك الأحساب أي حدة ... وحيه ... ود

ويقرب من هذا النوع نوع يسمونه مضارعة وهو على ضروب كثيرة .. منها أن تزيد الحروف وتنقص نحو قول أبي ... وخرج في سمية لتحنيس الناقص

* يمدون من أيد عواص عواصم *

وهما سواء لولا الميم الزائدة .. وكذلك قوله قواص قواصب سواء لولا ... ومع ذلك فإن الباء والميم أختان .. ومثله قول البحتري

فيالك من حزم وعزم طواهما ... جديد البلى تحت الصفا والصفائح

.. ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر كقول الطائي

بيض الصفائح لا سود الصحائف في ... متونهن جلاء الشك والريب

فقوله الصفائح لا سود الصحائف هو الذي أردت .. وقال البحتري

شواجر أرماح تقطع بينهم ... شواجر أرحام ملوم قطوعها

ومثله قول أبي الطيب

ممنعة منعمة رداح ... يكلف لفظها الطير الوقوعا

وحكي ابن دريد أن أعرابيا شتم رجلا فقال ... أمه فقدم إلى السلطان فقال ... قلت ملج أمه فدرأ عنه .. قال أبو بكر ... ومنحها ... وأصل المضارعة أن تقارب مخارج الحروف وفي كلام العرب منه كثير غير متكلف والمحدثون ... فمن المعجز قول الله عز وجل ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه ﴾ .. وقال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه وهو ينشد على سبيل الافتخار وقيل بل ... عن نسبه فقال

ى مرو حميرى حين تنسبنى لامن ربيعة آبائى ولا مضر

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله ألام لجدك وضرع لخدك وأفل لحدك وأقل لعدك وأبعد لك عن الله ورسوله وقوله عليه الصلاة والسلام نعوذ بالله من اللاءمة والغيمة والعيمة والكرم والقرم -اللاءمة- الحوص للنساء -والغيمة- شهوة اللبن -والعيمة- العطش -والكرم- قصر للأن حقة أومن محل ويقال الكرم شدة الأكل -والقرم- شهوة اللحم وهذا النوع يسميه الرماني المشاكلة وهي عنده ضروب هذا أحدها وهي المشاكلة في اللفظ خاصة وأما المشاكلة في المعنى فسنبه عليها في أماكنها ان شاء الله تعالى ٠٠وقال ابن هرمة

وأطعن للقرن يوم الوغى وأطعم في الزمن الماحل

٠٠ وقال أبو تمام

رب حفص تحت الثرى وعفاء من عفاء ونضرة من شحوب

وأبعد من هذا قليلا قول ساعدة بن جؤية الهذلى

رأى شخص مسعود بن بشر بكفه حديد حديث بالوقيعة معتد

ومن المضارعة بالتصحيف ونقص الحروف قول بعضهم

فان حلوا فليس لهم مقر وان رحلوا فليس لهم مفر

٠٠ وقال البحترى يمدح المعتز بالله

ولم يكن المعتز بالله ان سرى ليعجز والمعتز بالله طالبه

فجاء بتصحيف مستوف ٠٠ وقال

ما نعيى هذا الغزال الغرير من فتون مستجلب من فتور

٠٠ وقال غيره وأظنه قابوس بن وشمكير

ان المكارم في المكا ره والمغانم في المغارم

وقال بعض العلماء ربما أسعر السعر عن الظفر وتعذر في الوطن قضاء الوطر٠٠ وقال آخر خلف الوعد خلق الوغد ٠٠ وقال ابن المعتز

لئن زهدت سمعك عن كلامي ... قد زهدت في حديثك طرفي

له وجه به أصبي ويصبى ... ومبتسم به أشقى وأشفي

وقال آخر أيضاً في مثل ذلك وفيه غير كثير مصحف

فمن دع ومن زع ... ومن مطر ومن مطرق

وكل خاشع الطرف ... [illegible] خاضع مطرق

أعني بغير صاد خاضع ليست مستة سين خاشع فلان صحيفة وبه المصحف فيما تحسب من الخط ومن هذا قوله دع وزع بعد ما يجمع في اللفظ والخط .. ومن الاسقاط الذي لا يظهر إلا في الخط قول شمس المعالي قابوس بن وشمكير

ومن يسر فوق الأرض طاغية ... من نحو سري فوق جمجمة البشر

ومن يختلف في العالمين مجره ... فمن بعده يجري على نحو مجر

فقوله في السير حسبت أنه سري ويجري بغير كسرة فمن جمجمة كانت في ... وكذلك صلة مجر حسبت أنه يجري وقد صرت في الخط رأيت مجانسة وقد أحدث المولدون تجانساً منفصلاً يظهر أيضاً في الخط كقول أبي ...

فدونك في يوم الكلاب وشقفوا ... به مرد مجحفل كالكلاب

الكلاب للسلمة والكلاب جمع لابة وهي حرة ذات حجارة السود .. هذا أصح الروايتين وأما قوله مجحفل كالكلاب أي كان به كلاً ليس شيء وهذا القول مقدمه وليس بتجانس صحيح على ما اشترطه المتقدمون ولكنه مستطرف وأدخل في هذا الباب عمداً .. وأكثر من يستعمله المكالي وقابوس وأبو الفتح البستي وأصحابهم من ذلك قوله

غرضاه عما حي غرضاه ... أودعني أمت بما أودعني

فقوله أودعاني اعاهي أو التي للعطف نسق بها دعني وهو أمر [illegible] من دع على قوله غرضاه الذي في أول البيت وقوله أودعني الذي في قافيته فعل ماض من قول القائل في الواحد أودع يودع من الوديعة .. وقال أيضاً

وإن أقر على رقٍ أناملُه ... أقر بالرق كتاب الأنام له

ور ـاضعوا مثل هذا فى القوافى وأبى كالإيطاء وليس بإيطاء الا فى اللفظ محاراً ولا تجنيس لا كذلك .. قال عمر بن علي المطوعى

أميرٌ كله كرمٌ سعدنا   بأخذ المجد منه واقتباسه
يحاكي السيلَ حين يسام نيلا   ويحكي باسلاً فى وقت باسه

يناسب هذه القافيتان كما ترى فى اللفظ وليس بينهما في الخط الا مجاورة الحروف وهذا أسهل معنى لمن حاوله وأقرب شيء ممن تناوله من أبواب البراع وقلة العائدة وهو مما لايشك في تكلفه وقد أكثر منه هؤلاء الساقة المتعمقون فى نثرهم ونظمهم حتى بردوا لن تدركوا وأين هذا العمل من قول القائل وهو أبو فراس

سكرتُ من لحظه لا من مدامته   ومالَ بالنوم عن عيني تمايله
وما السلافُ دهتني بل سوالفه   ولا الشَّمولُ زهتني بل شمائله
ألوي بصبري أصداغٌ لوين له   وغلَّ صدريَ ما تحوى غلائله

فما كان من التجنيس هكذا فهو الحد المستحسن وما ظهرت فيه الكلفة فلا فائدة فيه .. وقد يجيء التجنيس على غير قصد كقول أبي الحسن في مقطعاته التي ترد فيما بعد

ما نرى الساقي كشمسٍ طلعت   تحمل المريخ في برج الحمل

فهذا التجنيس تم المعنى وظهر حسنه اذ كان برج الحمل بيت المريخ وموضع شرف الشمس فصار بعض الكلام مرتبطاً ببعضه ومظهراً لخفي محاسنه وحصل التجنيس فضلة على المعنى لأنه لو قال في وزن موضع الحمل أو النطح أو الكبش لكان كلاماً مستقيما فهذا التجنيس كما ترى من غير تكلف ولا قصد ولكن الأكثر أن يكون التجنيس مقصوداً اليه مأخوذاً منه ما سامحت فيه القريحة وأعان عليه الطبع .. وقد يعد قوم من المضارعة ما ناسب اللفظة في الخط فقط كقوله تعالى ﴿ وهم يحسبونَ أنهم يُحسنون صُنعاً ﴾ وهي مضارعة بعيدة لا يجب أن يعد مثلها .. واختلف الناس فى قول الأعشى

ان تَسُدِ الحوص فلم تعدهم   وعامرٌ ساد بني عامر

فقال الجرجانى علي بن عبد العزيز القاضى هو مجانسة لان أحدهما رجل والآخر قبيلة

وقال غيره بل معناهما واحد وأنا على خلاف رأي الخرجي لأن سترق قول ابي عمر وأصاف بني المهولوقال سادعمراً يعني القساة سكن نحسه غيرمدفوع ٠٠ وال حرحى وأراه يعني بيت الأعشى يخالف قول الآخر

قتلنا به خير الصنعات كلها صنعة وليس لا صنعة بعد

لان كلتهما قتلتان فكأنه جمع بين رجلين متفق الاسم مختلفي الأمة ٠٠ ... في بيت الأعشى اذ حققه من له نظر وتدبر ٠٠ وقد ذكروا تجنيساً فاسداً أنشده جماعة من المتعقبين منهم الخرجي

أيا قمرَ التمام أعنت ظلماً عليَّ تطاولَ الليل التمام

فهذا عندهم وما جرى مجراه اذا انفصل كان تجنيساً وان اتصل لم يكن تجنيساً وقد كان يتمكن ما أراد لو أن الشاعر ذكر الليل وأضافه فقال ليل التمام كما قال قمر التمام والرماني سمى هذا النوع مزاوجاً ومثله عنده قول الآخر

حمتني مياه الوفر منها مواردي فلا تحميني وردتك عقد

ومن المزاوجة عندهم قول الله تعالى ﴿ يُخادعون اللهَ وهوَ خادعُهم ﴾ وقوله ﴿ فمن اعتدَى عليكم فاعتدُوا عليه بمثلِ ما اعتدَى عليكم ﴾ وقوله ﴿ إنما نحن مستهزءون الله يستهزئ بهم ﴾ وكل هذه استعارات مجاز لان المراد مجازة فزوج بين اللفظين ٠٠ وكان الأصمعي يدفع قول العامة هذا مجانس لهذا اذا كان من شكله يقول ليس بعربي خالص حكي ذلك ابن جني ٠٠ وأما ابن المعتز فقال وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظةَ في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الاصمعي كتاب الأجناس عليها قال والجنس أصل لكل شيء تتفرع منه أنواعه وتعود كلها اليه كالانسان هو جنس وأنواعه عربي ورومي وزنجي وأشباه ذلك ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب أعني التجنيس يدلك على ذلك ما حكي عن رؤبة بن العجاج وابيه وذلك أنه قال له يوماً أنا أشعر منك قال وكيف تكون أشعر مني وأنا علمتك عطف الرجز قال وما عطف الرجز قال * عاصم ياعاصم لو اعتصم * قال يا أبت أنا شاعر ابن شاعر وأنت شاعر ابن مفحم فعلبه فأنت ترى كيف سماه عطفاً ولم يسمه تجانساً اللهم الا أن يذهب

مصب ى معى لاتعدت معه •• ومن أنشد هذا الباب قول السمري واسمه عمر
بن عمرو لأردى ء ب كأن البيت حجر فوقنا برحانة رحت عشاء وطلت

وقول علي بن محمد بن نصر بن بسام

وشرب على لوردِ من وردية عتقت كأنها حسد زم زم وامعه

•• وقول الفرزدق

ألم يأته أني تحال ناقتي بعمان أطراف الاراك الموعم

وحقيقة المجانسة عند الرماني بالمناسبة بمعنى الأصل نحو قول أبي تمام

* في حده الحدُّ بين الجد واللعب *

قال لأن معناهما جميعاً المنع رأما قولك قرب واقترب واسلوع والمطاع وما أشبه هذا
فهو عنده من تصرف اللفظ ولا يعده تجنيساً •• ومن تصرف المعنى عنده قولك عين الميزان
وعين الانسان وعين الماء ونحو ذلك •• ومن التصرف في اللفظ والمعنى جميعاً قولك الضرب
والمضاربة والاستضراب وما أشبه ذلك كل هذه الانواع عنده من باب التصرف وما
أكثر ما استعمل هذا النوع بعض شعراء وقتنا المذكورين وظن أنه قد أتى بشيء
من غرائب التجنيس •• وأما قول دعبل في امرأته سلمى

أحبك حباً لو تضمنه سلمى سميك ذاك الشاهق الراس

فقد جانس من غير ذكر جنس لأن قوله سميك دال على مراده •• ومثله قول الآخر

صيعقى مثل اسمها الـ ـعام وداري مسترمه

أنشده الرماني •• وقال الآخر هو ابو تمام

اذ لا صدوق ولا كنود اسمهما كالمعسيين ولا السوار سوارا

المراد صدر البيت لا عجزه •• واذا دخل التجنيس نفي عد طباقا وكذلك الطباق يصير
بالنفي تجنيسا وسافرد لها بابا ان شاء الله تعالى فيما بعد باب الترديد

﴿ تم الجزء الأول من كتاب العمدة ﴾

﴿ ويليه الجزء الثاني وأوله باب الترديد ﴾

اعلان

﴿ من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر ﴾
(عن الكتب المذكوره)

كتاب (الترغيب والترهيب) للحافظ عبد العظيم المنذري جزآن كبيران في ٦٨ صحيفه
كتاب (أمالي السيد المرتضى) في التفسير . والحديث . والادب . أربعة أجزاء في ٨٠٨ صحائف مشكول ما فيه من الشعر واللغة
كتاب (الايمان والاسلام) لشيخ الاسلام تقي الدين بن تيمية جزء واحد في ٢٠٨ صحائف
كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) في مخالفة أهل الجحيم شيخ الاسلام المذكور في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (الكنايات) للقاضي الجرجاني مع كتاب الكنايات لابي منصور الثعالبي جزء واحد في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (خاص الخاص) في الادب والمحاضرات لابي منصور الثعالبي وهو من أحسن مؤلفاته جزء واحد في نحو ٢٠٠ صحيفه
كتاب (شفاء الغليل) فيما في كلام العرب من الدخيل للشهاب الخفاجي جزء واحد في ٢٤٠ صحيفه
كتاب (مفتاح دار السعادة) لابن قيم الجوزية من أجل ما ألف في العلوم الاسلامية جزآن في ٦٢٦ صحيفة
كتاب (المفصل) للزمخشري مع كتاب المفصل في شرح شواهد المفصل للسيد محمد بدر الدين جزء واحد في ٤٠٨ صحائف
كتاب (المجموع للفارابي) ثمانية رسائل مع كتاب نصوص الكلم شرح فصوص الحكم للسيد محمد بدر الدين جزء واحد في ٢٠٨ صحائف
كتاب (مبادي اللغة العربية) وشرح شواهد ذلك لابي عبد الله الاسكافي الخطيب جزء واحد في مائتي صحيفة مشكول

فهرس الجزء الثاني من كتاب العمده

صحيفه

صحيفة

(تم الفهرس)

الجزء الثاني من كتاب

العمدة

في صناعة الشعر ونقده

تأليف

﴿ أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني ﴾

المتوفى سنة ٤٦٣

عني بتصحيحه محمد بدر الدين النعساني الحلبي

﴿ الطبعة الاولى ﴾

سنة ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م

على نفقة

« السيد محمد كامل النعساني ومحمد عبد العزيز »

يطلب من محل محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه بمصر

(تنبيه) قوبلت هذه النسخة على ثلاث نسخ

« طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر — لصاحبها محمد إسماعيل »



باب الترديد

وهو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسم منه وذلك نحو قول زهير

من يلق يوماً على علاته هرماً يلق السماحة منه والندى خُلُقا

فعلق يلق بهرم ثم علقها بالسماحة .. وكذلك قوله أيضاً

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

فردد أسباب على ما ترى .. وبعض الحجازيين

ومن لامني فيهم حبيب وصاحب فرد بغيظ صاحب وحميم

.. وقال مجنون بني عامر

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلاّ بشيء غير ليلى ابتلانيا

.. وقال أبو تمام

خفت دموعك في إثر الغطين لدن خفت من الكثب القضبان والكثب

الترديد في خفت ولو جعلت الكثيب ترديداً لجاز .. وقال ابن المعتز

لو شئت لا شئت خليت السلوّ له وكان لا كان مسكم في معافاتي

.. وقال أيضاً في مثل ذلك

أعداني في يوسف وهو من ترى ويوسف أضناني ويوسف يوسف

ولبعضهم وأظنه الصنوبري

أنت عذري اذا رأوك ولكن كيف عذري اذا رأوك محول

الترديد في قوله اذا رأوك .. وقال أبو الطيب وأحسن ما شاء

أمير أمير عليه الندى جواد بخيل بأن لا يجود

الترديد في أول البيت وهذا النوع في أشعار المحدثين أكثر منه في أشعار القدماء جداً .. والعلماء بالشعر مجمعون على تقديم أبي حية النميري والمسلم فضيلة ما ذهب اليه في قوله

ألا حيّ من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا

اذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

والترديد الذي انفرد فيه بالاحسان عندهم قوله — لبسن البلى مما لبسن الليالي — وكذلك قوله — اذا ما تقاضى المرء يوماً وليلة — ثم قال — تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا — لأن هذه كناية عن المرء وإن اختلف اللفظ .. ويلحق بهذا قول أبي نواس

— لو مسها حجر مسته سراء — وقول الحسين بن الضحاك الخليع

لقد ملأت عيني بغرّ محاسن فلان فؤادي لوعة وهموما

لقرب ما بين اللفظتين وكذلك قول الطائي

راح اذا ما الراح كان مطيها كانت مطايا الشوق في الاحشاء

ردد مطيها ومطايا الشوق .. وعلى هذا يحمل قول الحجاف بن حكيم وقول العباس ابن مرداس

نعرض للسيوف بكل ثغر وجوهاً لا نعرض للطام

وحمل قوم قول امرئ القيس — فثوباً لبست وثوباً أجر — على أنه تكرار لا ترديد فيه وهذا هو الخطأ البين وأي ترديد يكون أحسن من هذا وقد أوفى على غير الوجه الأول حسب ما شرطوا .. ومثله قول بعض الاعراب في مدح هرون الرشيد

جهير الكلام جهير العطاس جهير الرواء جهير النعم

ومن أملح ما سمعته قول ابن العميد

ومن كان مسخوطاً فقل شعر كاسد ... ومن كان مرضياً فقل شعر كائد

وهو دخل عندي في باب الترديد إذ كان قوله عند السخط شعر كاسد إنما معناه لتقصيره وسقوط المدرنة إذ ليس الشعر من صناعته كما حكي ابن النحاس انهم يقولون نحو كتابي اذ لم يكن محوداً وقوله عند الرضي شعر كاتب إنما معناه التعظيم له وبلوغ النهاية في الظرف والملاحة لمعرفة الكتاب باختيار الألفاظ وطرق البلاغات فقد صدق وطابق في المعنى وإن كان اللفظ بخيساً مردداً ٠٠وسمع أبو الطيب باستحسان هذا النوع فجعله نصب عينيه حتى مقته ورهد فيه ولو لم يكن إلاّ بقوله

فقلقلتُ بالهم الذي قلقلَ الحشا ... قلاقل عيش كلهن قلاقل

فهذه الألفاظ كما قال كلهن قلاقل ونحو ذلك قوله

أسدٌ فرائسها الأسود يقودها ... أسد تكون له الأسود ثعالبا

فما أدري كيف يخلص من هذه الغابة المملوءة أسوداً ولا أقول انه بيت شعر وأين يقع هذا من قول غيره

فصبحُ الوصالِ وليل التجنب ... وصبحُ المشيبِ وليلُ الصدود

باب التصدير

وهو أن يرد أعجاز الكلام على صدوره فيدل بعضه على بعض ويسهل استخراج قوافي الشعر اذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة ويكسوه رونقاً وديباجة ويزيده مائية وطلاوة وقد قسم هذا الباب عبد الله بن المعتز على ثلاثة أقسام٠٠ أحدها مايوافق آخر كلمة من البيت آخر كلمة من النصف الآخر نحو قول الشاعر

يلفى اذا ما الجيشُ كان عرمرما ... في جيشِ رأيٍ لا يفل عرمرم

٠٠الآخر ما يوافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه نحو قوله

سريعٌ الى ابن العمِّ يشتم عرضهُ وليسَ الى داعي الندى بسريع

٠٠والثالث ما وافق آخر كلمة من البيت بعض ما فيه كقول الآخر

عزيز بني سُليم أقصدته سهامُ الموتِ وهي له سهام

والتصدير قريب من الترديد والفرق بينهما ان التصدير مخصوص بالقوافي ترد على الصدور فلا تجد تصديراً الا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين وان لم يذكروا فيه فرقاً والترديد يقع في اضعاف البيت الا ما ذهب بيت ابن العميد المتقدم ٠٠ومن أبيات التصدير قول زهير

كذلك خيمهم ولكلِّ قوم اذا مستهم الضراءُ خيم

٠٠ وقال أيضاً في ذلك

له في الذاهبين أروم صدق وكان لكلِّ ذي حسب أروم

٠٠وقال أبو الأسود واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان الدئلي

وما كل ذي لبٍّ بمؤتيك نصحه وما كل مؤتٍ نصحه بلبيب

فهذا تصدير وان كان ظاهره في اللفظ ترديداً للعلة التي ذكرتها ٠ ومن أناشيدهم في التصدير قول طفيل الغنوي

محارمك امنعها من القوم انني أرى حمةً قد ضاع فيها المحارم

٠٠ وقال جرير وهم يستحسونه جداً

سقى الرملَ جون مستهلٌ ربابه وما ذاك الا حبٌ من حل بالرمل

٠٠ وقال عمرو بن أحمر

تغمرتُ منها بعد ما نفد الصبا ولم يروَ من ذي حاجة من تغمرا

ـتغمرت ـأي شربت من الغمر وهو قدح صغير جداً ضربه مثلاً أي تعللت منه بالشيء القليل وذلك لا يبلغ ما في نفسي منك من المراد ٠٠ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة وأنشد للفرزدق

صدر عمومك لا علمت وبدائه ... وكل واردة يوماً لها صدر

فأنشد في مصادر ت طفيل لمقدم وبيت جرير وخص بيت الفرزدق المعادة دون أن يجعله مصدراً كجرير أولا طبقاً كما قال في الاصدار اذا وقعت في الشعر وقد أتيته في إحدى السجع أبيات المطابقة ونظائره من كلام المحدثين قول ابن الرومي

يجيء ذهب على درر ... وشربهم درر على ذهب

والكتاب يسمون هذا النوع التذييل حكاه أبو جعفر النحاس .. ومن أنشد ابن المعتز قول منصور بن الفرج في ذكر الشيب

يا بياضاً أذرى دموعي حتى ... عاد منها سواد عيني بياضا

وأنشد لأبي نواس ونحو عندي بعد من أحكام الصنعة التي تدخل بها في هذا الباب على أنه تبعية في ذاته لان أكثر العبارة ان يعاد اللفظة بعينها

دقت ورقت مدقة من مائها ... والعيش بين رقيقتين رقيق

وأنشد لمسلم بن الوليد

تبسم عن مثل الأقاحي تبسمت ... له مزنة صيفية فتبسما

وهذا البيت أيضاً ترديد وأنشد للطائي

ولم يحفظ مضاع المجد شيء ... من الأشياء كالمال المضاع

فالمولدون أكثر عناية بهذه الأشياء وأنشد طللاً لها من القدماء وهي في أشعارهم أوجد كما قدمت آنفاً

—✻✻✻✻✻—

باب المطابقة

المطابقة في الكلام أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه [1] المطابقة عند جميع

(1) [illegible] من بعض النسخ وكأنها من [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من النسخ [illegible] [illegible] [illegible] في أبواب أخر

الناس جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر . قال قدامة ومن أنعه و هم جمعون
اجتماع المعنيين في لفظة واحدة مكررة طباق وقد تقدم الكلام في باب التجنيس وسمى
قدامة هذا النوع الذي هو المطابقة عندنا التكافؤ وباب طباق عنده . لأنه قدمت
ذكره ولم يسم التكافؤ أحد غيره وغير المحسن من جمع من سمعه .. قال خليل
ابن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما ..
وذكر الأصمعي المطابقة في الشعر فقال أصلها وضع الرجل في موضع اليد في مشي
ذوات الأربع وأنشد لنابغة بني جعدة

وخيل يطابقن بالدارعين طباق الكلاب يطأن الهراس

ثم قال أحسن بيت قيل لزهير في ذلك

ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا

حكي ذلك ابن دريد عن أبي حاتم عنه .. وأما علي بن سليمان الأخفش فاختار قول ابن
الزبير الأسدى

رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضاً ورد وجوههن البيض سودا

وهذا من التذييل على مذاهب الكتاب واختار أيضاً قول طفيل الغنوى

بساهم الوجه لم يقطع أباجله يصان وهو ليوم الروع مبذول

حكاه الحاتمي عن أبي الفرج علي بن الحسين القرشي .. وقال الرماني المطابقة مساواة المقدار
من غير زيادة ولا نقصان .. قال صاحب الكتاب وهذا أحسن قول سمعته في المطابقة
من غيره وأجمعه لفائدة وهو مشتمل على أقوال الفريقين وقدامة جميعاً وهو قول الخليل
اذا جمعت بينهما على حذو واحد وألصقتهما فهو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان
كما قال الرماني يشهد بذلك قول لبيد

تماورن الحديث وطبقته كما طبقت بالنعل المثالا

ومنه طبقت المفصل أي أصبته فلم أزد في العضو شيئاً ولم أنقص منه .. وكذلك قول

الاصمعى أصلها من وضع الرحل موضع اليد فى مشى ذوات الأربع وهو مساواة المقدار أيضاً لان من ذوات الأربع ما تجاوز رحله موضع يده ومنها ما يطابق كما قال حلقة وربما كان طباقها من ثقل تحمله أو شكيمة تمنعها أو شئ تتقيه على أنفسها ولذلك شبه النابغة الجعدي مشى الخيل بأوطىء الكلاب الهراس وهو حطام الشوك فهي لا تضع أرجلها الاحيث رفعت منه أيديها طلباً للسلامة .. وأما قول قدامة في المطابق هو ما اشترك في لفظة واحدة بعينها فانه أيضاً مساواة لفظ للفظ وهي أعني المساواة على رأي الخليل والاصمعي مساواة معنى لمعنى وقد يكون المراد أيضاً مطابقة اللفظ للمعنى أى موافقته ألا ترى أنهم يقولون فلان يطابق فلاناً على كذا اذا وافقه عليه وساعده فيه فيكون مذهب قدامة أن اللفظة وافقت معنى ثم وافقت بعينها معنى آخر ويصح هذا أيضاً فى قول الخليل فى الطباق أنه جمعك بين الشيئين على حذو واحد فيكون الشيئان المعنيين والحذو الواحد اللفظة ..ومن مليح ما رأيته فى المطابقة قول كثير بن عبد الرحمن يصف عيناً

وعن نجلاءَ تدمعُ فى بياض اذا دمعت وتنظرُ فى سواد

.. وقال أيضاً

ووالله ما قاربتُ الاَّ تباعدت بصرمٍ ولا أكثرتُ الاَّ أقلت

.. وقال ابن المعتز ويروي لابن المعذل

هوايَ هوىَ باطنُ ظاهر قديم حديث لطيفٌ جلل

ولبعض الاعراب

أموثرة الرحالِ علىَّ ليلى ولم أوثر على ليلي النساء

وقال اعرابى الدراهم مياسم تسم حمداً أو ذماً فمن حبسها كان لها ومن أنفقها كانت له ونظم الشاعر هذا الكلام فقال

أنتَ للمالِ اذا أمسكته فاذا أنفقته فالمالُ لكْ

ومن الطباق الحسن قول اعرابى خرجنا حفاة حين انتعل كل شئ ظله وما زادنا الا التوكل وما مطايانا الاَّ الأرجل حتى لحقنا بالقوم .. وقال آخر لصاحبه ان يسار النفس أفضل

من يسار المال فان لم يرزق غنى فلا يحرم هوى ورب شهوة من النعم عزتان من الكرم
واعلم أن المؤمن على خير ترحب به الارض وتستبشر به السماء وان اساء اليه في بطنها
وقد أحسن على طهرها .. ومن بيعة ابن مقروم الضبي

فدعوا نزال فكنت أول نازل وعلام أركبه اذا لم أنزل

ومن أفصل كلام البشر قول رسول الله صلى لله عليه وسلم في بعض خطبه فيأخذ العبد
من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت
فو الذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار
فهذا هو المعجز الذي لا تكلف فيه ولا مطمع في الاتيان بمثله . وقول الله عز من قائل
﴿ وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي
الأحياء ولا الأموات ﴾ وعد ابن المعتز من المطابقة قول الله عز وجل ﴿ ولكم في
القصاص حياة ﴾ لان معناه القتل أي القاتل فصار القتل سبب الحياة وهذا من أملح
الطباق وأحسنه .. ومما استغرب به الجرجاني من الطباق واستطرفه قول الطائي

مهي الوحش الا أن هاتا أوانس قنا الخط الا أن تلك ذوابل

لمطابقته بهاتا وتلك واحداهما للحاضر والأخرى للغائب فكأنها في المعنى نقيضين
وبمنزلة الضدين هذا قوله وليس عندى بمحقق اذ احداهما للقريب والأخرى للبعيد
المشار اليه ولكن الرجل أراد التخلص فزل في العبارة . ومثل هذا عندى في بابه قول
أبي الطيب يذكر حمل العدو الزاحف للحرب

ضربن الينا بالسياط جهالة فلما تعارفنا ضربن بها عنا

فقوله ـ ضربن الينا ـ مجيء اقدام وقوله ـ ضربن بها عنا ـ ذهاب فرار وهما ضدان .. ومن
أنواع الطباق قول هدبة بن خشرم

فان تقتلونا في الحديد فاننا قتلنا أخاكم مطلقاً لم يكبل

فقوله ـ في الحديد ـ ضد قوله ـ مطلقاً لم يكبل ـ وان لم يأت على متعارف المضادة
وكذلك قوله

فان يك أبي زال عن جماله فحسبي في الصالحين أحدع

كأنه قال وان يك أبي أجدع فما حسبي بأجدع قال الجرجاني وقد يخلط من يقصر علمه و يسوء تمييزه بالمطابق ما ليس منه كقول كعب بن سعد الغنوي يرثى أخاه

لقد كان أما حلمه فمروحٌ علينا وأما جهله فعزيب

لما رأى الحلم والجهل ووجد مروحاً وعزيباً جعلهما في هذه الجملة ولو ألحقنا ذلك بهما لوجب أن يلحق أكثر أصناف التقسيم ولا تسع الخرق فيه حتى تستغرق أكثر الكلام قال صاحب الكتاب معنى قوله فيما أنكر أن البيت انما حقه أن يكون في باب المقابلة لمقابلة الشاعر فيه كلمتين بكلمتين تقربان من مضادتهما وليستا تضادان على الحقيقة ولو كانتا ضدين لم يكن ما زاد على لفظتين متضادتين أو مستخرجتين الا مقابلة فان لم يكن بين الألفاظ مناسبة البتة الا الوزن سمي موازنة وسأذكره في باب المقابلة ان شاء الله هكذا جرت العادة في هذه التسمية٠وأما قولنا ان الكلمتين غير متفاوتتين فظاهر لان الحلم ليس ضده في الحقيقة الجهل وانما ضده السفه والطيش وضد الجهل العلم والمعرفة وما شاكلهما وكذلك المروح ليس ضده العزيب وانما ضده المغدو به أو المبكر به وما أشبههما ولما ثقل وزن المروح من هاتين اللفظتين وقل استعماله تسمحت فيهما وأما العزيب فهو البعيد والغائب ولا مضادة بينه و بين المروح الا بعيدة كأنه يقول ان هذا يأتي لوقته وذلك بعيد خفي لا يأتي ولا يعرف على أنا نجد أبا تمام إمام الصنعة قد قال

ولقد سلوتُ لو انّ داراً لم تلحْ وحلمتُ لو أن الهوى لم يجهلِ

٠٠ وقال زهير وزعموا أنه لأوس بن حجر

اذا أنتَ لم تعرضْ عن الجهلِ والخنا أصبتَ حليما أو أصابك جاهل

لما وجده خلافاً له طابق بينهما كما يفعل بالضد وان كان الخلاف مقصراً عن رتبة الضد في المباعدة والناس متفقون على أن جميع المخلوقات مخالف وموافق ومضاد فمتى وقع الخلاف في باب المطابقة فانما هو على معنى المسامحة وطرح الكلفة والمشقة وأنشد غير واحد من العلماء لحسين بن مطير

بسودٍ نواصيها وحمرٍ أكفها وصفرٍ تراقيها وبيضٍ خدودها

ورواه ابن الاعرابي في نسق أبيات

بصفر براقعها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها

وهذه الرواية أدخل في الصنعة وقال الرماني وغيره السواد والبياض ضدان وسائر الألوان تضاد كل واحد منها صاحبه إلا أن البياض هو ضد السواد على الحقيقة إذ كان كل واحد منهما كلما قوي زاد بعداً من صاحبه وما بينهما من الألوان كلما قوي زاد قرباً من السواد فإن ضعف زاد قرباً من البياض وأيضاً فإن البياض منصبغ لا يصبغ والسواد صابغ لا ممصبغ وليس سائر الألوان كذلك لأنها كلها تصبغ وتنصبغ انقضى كلامهم وهو بين ظاهر لا يخفى علي أحد وإنما أوردته إبطالا لزعم من زعم أن أفضل مطابقة وقعت قول عمرو بن كلثوم

بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا

ومن أعجب الطباق روحاً وأقله كلفة وأرسخه في السمع وأعلقه في القلب قول السندي لحسن في قصيدة

ألا ليت أياماً مضى لي نعيمها ... تكر علينا بالوصال فتنعم

وصفراء تحكي الشمس من عهد قيصر ... يتوق إليها كل من يتكرم

إذا مزجت في الكاس خلت لآلئاً ... تنثر في حافاتها وتنظم

جمعنا بها الاشتات من كل لذة ... على أنه لم نعش في ذاك محرم

فطابق بين تنثر وتنظم وبين جمعنا والاشتات أسهل طباق وألطفه من غير تعمل ولا استكراه وأتى في البيت الأول من قوله مضى وتكر أحلى مطابقة وأظرف صنعة على مذهب من انتحله . . ومما يغلط فيه الناس كثيراً في هذا الباب الجمال والقبح كقول بعض المحدثين

وجهه غاية الجمال ولكن ... فعله غاية لكل قبيح

وليس ضده وإنما ضده الدمامة والقبح ضده الحسن . . وقال الصولي أبو بكر يصف قلما

ناحل الجسم ليس يعرف مذ كا ... ن نعيما وليس يعرف ضراً

وليس بينهما مضادة وإنما ضد النعيم البؤس فأما قول أبي الطيب

والسلم تكسر من حاجيّ ماله ... دسواله ما تحسر الهيجاء

فيه داخل في الطباق المحض لان المراد بالهيجاء الحرب وهي اسم من أسمائها فكانه قال الحرب فأبي بصد السلم حقيقة

- - -

باب ما اختلط فيه التجنيس بالمطابقة

من ذلك أن يقع في الكلام شيء مما يستعمل للضدين كقولهم جلل بمعنى صغير وجلل بمعنى عظيم فان باطنه مطابقة وان كان ظاهره تجنيساً وكذلك الجون الابيض والجون الاسود وما أشبه ذلك وكذلك ان دخل النفي كما قدمت .. قال البحتري

يقيض لى من حيث لاأعلم الهوى ... ويسرى الى الشوق من حيث أعلم

فهذا مجانس في ظاهره وهو في باطنه مطابق لان قوله ـ لا أعلم ـ كقوله أجهل ومثل ذلك قول الآخر

لعمري لئن طال الفصيل بن رسم ... ربع الطلل ما ان رأيه بطويل

كانه قال ان رأيه قصير وقد جاء في القرآن ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ فأما قول الفرزدق

لعمرى لان قل الحصى في عديدكم ... بني نهشل ما لؤمكم بقليل

ظاهره تجنيس بالقلة وباطنه نطق بالكثرة اذ كان معنى ـ قل الحصى في عديدكم ـ انكم كثير ومعنى ـ ما لؤمكم قليل ـ انه كثير أيضاً خلاف الأول وقد قال جهمة بن أدس مالك وهو طيئ لولده في وصية ولا تكونوا كالجراد أكل ماوجد وأكله ماوجده فهذا مجانس الظاهر مطابق الباطن ومما أنشده ثعلب

أبى حي سليمى أن يبيدا ... وأمسى حبلها خلقاً جديداً

الجديد هنا المجدود وهو المقطوع مثل قتيل وجريح بمعنى مقتول كأنه قال مجدوداً أى مقطوعاً فليس بمطابق وان كان كذلك في الظاهر عند من لا يعرف وأما المميز فيعلم أنه

لا يكون حلقاً حديداً في حال وقال العتابي يعتب المأمون وقد حجب عنه وكان مجفياً

تضرب الناس بالمهندة البيض على غدرهم وتنسى الوفاء

فأتى بالغدر والوفاء جميعاً وهما ضدان فطابق بينهما في الظاهر وبعض كلامه مجانس لأن قوله ـ وتنسى الوفاء ـ كقوله تغدر .. وقال جرير أيضاً

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقوله ـ غير صاح ـ نقيض أتصحو لولا أنه استفهام لم يرد حقيقة محصوله بعد لا على مذهب من جعل أم بمعنى بل فكأنه قال أتصحو بل فؤادك غير صاح فناقض أتصحو ودخل كلامه في المطابقة .. وقال قيس بن الخطيم ويروى لعدي

وإني لأغنى الناس عن متكلف يرى الناس ضلالا وليس بمهتدي

كأنه قال وهو ضال يجانس في الباطن وإن كان قد طابق في الظاهر .. ومن هذا الباب قولك فاعل ومفعول نحو خالق ومخلوق وطالب ومطلوب هما ضدان في المعنى وإن كانا متجانسين في اللفظ وكذلك ما كان اسم الفاعل منه مفعول والمفعول مفعل نحو مكرم ومكرم ومعطي ومعطى وما جرى هذا المجرى أو زاد عليه في الأسماء وأما قولك قضيت واقتضيت فظاهره تجنيس وباطنه طباق إلا أنه طباق غير محض وكذلك قولك أخذت وأعطيت لأن الأخذ ضده الترك والإعطاء ضده المنع فهذا مما يظنه من لا يحسن طباقاً وليس كما ظن ولكنه كثير جداً في الكلام واستعمله الناس كما تقدم من قولنا في الحلم والجهل والجمال والقبح .. ومما ظاهره تجنيس وباطنه طباق الوعد والوعيد كما قال الشاعر

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

وأول ما نبتدئ به في هذا الباب قول امرئ القيس

فإن تدفنوا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

ويروى ـ فإن تكتموا الداء لا نخفه ـ وقوله لا نخفه أي لا نبده من قوله تعالى ﴿ أكاد أخفيها ﴾ فكأن الشاعر قال إن تدفنوا الداء ندفعه دفعاً أو قال إن تكتموا الداء نكشفه وكذلك قوله ـ لا نقعد ـ كأنه قال إن تبعثوا الحرب نبعثها ومن كلام السيد أبي الحسن

واعلم أن المجد شيء مخلدٌ وان الغنى والمالَ غيرُ مخلد

والبيت من قصيدة شريفة أولها

صحا القلب عن سعدى وعن أم معبد ولم نستحي نوحُ الحمامِ المغردِ

باب المقابلة

المقابلة مواجهة اللفظ بما يستحقه في الحكم هذا حد ما اتضح عندي[1] المقابلة بين التقسيم والطباق وهي تتصرف في أنواع كثيرة وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب فيعطي أول الكلام ما يليق به أولا وآخره ما يليق به آخراً ويأتي في الموافق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه ٠٠ وأكثر ما تجيءُ المقابلة في الاضداد فاذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة مثال ذلك ما أنشده قدامة لبعض الشعراء وهو

فيا عجباً كيف اتفقنا فناصحٌ وفيٌّ ومطويٌّ على الغل غادر

فقابل بين النصح والوفاء بالغل والغدر وهكذا يجب أن تكون المقابلة الصحيحة لكن قدامة لم يبال بالتقديم والتأخير في هذا الباب وأنشد للطرماح

أسرناهم وأنعمنا عليهم وأسقينا دماءهم الترابا

فما صبروا لبأس عند حربٍ ولا أدّوا لحسن يدٍ ثوابا

فقدم ذكر الانعام على المأسورين وأخر ذكر القتل في البيت الأول وأتى في البيت الثاني بعكس الترتيب وذلك أنه قدم ذكر الصبر عند بأس الحرب وأخر ذكر الثواب على حسن اليد اللهم الا أن يريد بقوله ـ فما صبروا لبأس عند حرب ـ القوم المأسورين ان لم يقاتلوا حتى يقتلوا دون الأسر واعطاء اليد فان المقابلة حينئذ تصح وتترتب على ما شرطنا وهذه عندهم تسمى مقابلة الاستحقاق ويقرب منها قول أبي الطيب

* وفعله ما تريدُ الكف والقدم * لان الكف من اليد بمنزلة القدم من الرجل فبينهما

(١) ليس لهذه الجملة أثر في بعض نسخ الكتاب

مناسبة وليست مضادة وقد طلبت المضادة لكان الرأس أو الناصية أولى كما قال تعالى ﴿ فيؤخذ بالنواصي والأقدام ﴾ ومن أجود المقابلة قول النابغة الجعدي

فتى تم فيه ما يسرّ صديقه على أن فيه ما يسوء الأعاديا

فقابل يسر بيسوء وصديقه بالأعادي وهذا جيد ولو كان كل مقابل على وزن مقابله في هذا البيت والبيت الذي أنشده قدامة أولا لكان أجود .. وقال عمرو بن معدي كرب الزبيدي

ويبقى بعد حلم القوم حلمي ويفنى قبل زاد القوم زادي

فقال — يبقى بعد — ثم قال — يفنى قبل — فهذا كما ترى .. وقال الفرزدق

وإنا لنمضي بالأكف رماحنا إذا أرعشت أيديكم بالمعابلِ

سأل أبو جعفر المنصور أبا دلامة فقال أي بيت قالته العرب أشعر قال بيت يلعب به الصبيان قال وما هو على ذلك .. قال قول الشاعر

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا وأقبح الكفر والإفلاس بالرجل

.. وقال يزيد بن محمد المهلبي يقوله لسليمان بن وهب

فمن كان للآثام والذل أرضه فأرضكم للأجر والعز معقل

.. وقال في التغزل

ان تعش عيش فسقياً ورعيا أو تحلي فينا فأهلا وسهلا

والمعجز قول الله تعالى ﴿ ومن رحمته جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً ولتبتغوا من فضله ﴾ فقابل الليل بالسكون والنهار بابتغاء الفضل وجعل بعض المفسرين الليل والنهار بمعنى الزمان والأول أعجب الي وقال تعالى ﴿ وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾ ومن جيد المقابلة قول بكر بن النطاح الحنفي

أذكي وأوقد للعداوة والقرى نارين نار وغى ونار زناد

وكذلك قوله

لباسي حسامٌ أو ازار معصفر ودرعٌ حديدٌ أو قميصٌ محلق

الا أنه لو كان الازار رداء كان أجود لاسيما والسيف يسمى رداء ولكنا هكذا رويناه

..ومن حق المقابلة والقسمة قول العباس بن الأحنف وأحسن ماشاء

اليومُ مثلُ الحول حتى أرى وجهك والساعةُ كالشهر

وهذا مليح لأن الساعة من اليوم كالشهر من الحول جزء من اثنى عشر .. وقال محمد ابن احمد العلوى

لا تؤخر عني الجواب فيومي مثلُ دهر وساعتي مثلُ شهر

فلم يصنع شيئاً وكان يمكنه أن يجعل مكان دهر حولا فتكون قسمة مستوية ولكنا هكذا رويناه .. ومن جيد ما وقع في المنثور من المقابلة قول بعض الكتاب فان أهل الرأي والنصح لا يساويهم ذو الافن والغش وليس من جمع الى الكفاية الأمانة كمن أضاف الى العجز الخيانة ومن كلام ابراهيم بن هلال الصابي وأعد لمحسنهم جنة وثوابا ولمسيئهم ناراً وعقابا .. وقال أبو الفتح محمود بن حسين كشاجم

تريك الحسنَ والاحسانَ وقفا اذا نزرت لنا واذا تغيب

ومما عابه الجرجانى على ابن المعتز قوله

نماصٌ في جوانبه احمرارٌ كما احمرت من الخجلِ الخدود

لأن الخدود متوسطة وليست جوانب فهذا من سوء المقابله وان عده الجرجانى غلطاً فى التشبيه وانما العلة فى كونه غلطاً ما ذكرناه .. ومن المأخوذ المعيب عندى قول الكميت يخاطب قضاعة

رأيتكم من مالكٍ وادعائه كرائمة الاولادِ من عدمِ النسل

فوقع تشبيهه على الادعاء والرئمان خاصة لاعلى صحة المقابلة فى التشبيه لان هؤلاء فيما زعم يدعون أبا والرائمة تدعى ولداً وهما ضدان والصواب قول الآخر يهجو كاتباً .. أنشده الجاحظ

حمارٌ فى الكتابةِ يدعيها كدعوى آلِ حربٍ فى زياد

.. وقال أبو نواس

أري الفصل للندا والمدين جامعاً ... كما السهم فيه الفوق والريش والنصل

وزاد في المقابلة قسماً لأنه قابل اثنين بثلاثة .. وكذلك قول أبي قيس بن الاسلت

الحزم والقوة خير من الـ ... إدهان والفكه والهاع

فقابل الحزم بالادهان والقوة بالفكة وهي الضعف وبروى الفهة وهي العي وزاد الهاع وهو الجبن والجفة .. ومما سقط فيه عند الكريم من جهة المقابلة وإن كان نبيلا وشيئاً قوله يمدح نزار بن معد صاحب مصر

الى ملك بين الملوك وبينه ... مسافة ما بين الكواكب والترب

لانه لما أتى بالملوك أولا وبضمير الممدوح وهو الهاء التي في بينه فذلك ثم أتى بالكواكب وهي جماعة تقابل الملوك وبالترب وهو واحد يقابل الضمير بحاذاه وجب له بهذا الترتيب أن يكون هو الترب وتكون الملوك هم الكواكب ولم يرد الا أن يجعله موضع الكواكب ويجعلهم موضع الترب ولكن حكم عليه حكم علي بن الجهم الذي انتهى التشبيه وسر صناعة الشعر .. ويدلك على صحة ما طلبته فيه قول امرئ القيس ابن حجر

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

قابل الرطب أولا بالعناب مقدماً وقابل اليابس تابياً بالحشف تاليا .. وكذلك قول الطرماح

يبدو وتضمره البلاد كأنه ... سيف على شرف يسل ويغمد

فقابل يبدو بيسل وقابل تضمره البلاد بيغمد على ترتيب وكذلك كان يجب لهؤلاء أن يصنعوا والا كانوا مخطئين أو مقصرين .. ومن المقابلة ماليس مخالفاً ولا موافقاً كما شرطوا الا في الوزن والازدواج فقط فيسمى حينئذ موازنة نحو قول النابغة

أخلاق مجد تجلت ما لها خطر ... في البأس والجود بين الحلم والخفر

وعلى هذا الشعر حسنا النعمان بن المنذر فم النابغة دراً .. ويضاف الى هذا النوع قول أبي الطيب

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

فوازن قوله في حياتك بقوله في منامك وليس بضده ولا موافقه وكذلك صح في الموازنة بين حبيب وخيال وان اختلف حرف اللين فيهما فان تقطيعه في العروض واحد ..

وأما قول أبي تمام

فكنت لناشئهم أباً ولكهلهم أخاً ولذي التقوس والكبرة ابنا

فانه من أحكم المقابلة وأعدل القسمة .. وقد بينت في أول هذا الباب أن المقابلة بين التقسيم والطباق فكلما توفر حظها منهما كانت أفضل .. ومن أملح ما رويناه في الموازنة وتعديل الاقسام مما يجب أن يحكم به هذا الباب قول ذي الرمة

استحدثَ الركبُ عن أشياعهم خبراً أم راجع القلبَ من أطرابه طربُ

لأن قوله ـ استحدث الركب ـ موازن لقوله ـ أم راجع القلب ـ وقوله ـ عن أشياعهم خبراً ـ موازن لقوله ـ من أطرابه طرب ـ وكذلك الركب موازن للقلب وعن موازن لمن وأشياعهم موازن لاطرابه وخبراً موازن لطرب .. وقال السيد أبو الحسن في هذا النوع

لكفاك أيدي من عموم سواجم وعزمك أمضى من حُسام مهند

فكل لفظة من هذا التقسيم الأول موازنة لاختها من القسم الآخر موازنة عدل وتحقيق

باب التقسيم

اختلف الناس في التقسيم فبعضهم يرى أنه استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به كقول بشار يصف هزيمة

بضرب يذوق الموتَ من ذاق طعمه ويدرك من نجي الفرارُ مثالبه

فراحَ فريقٌ في الأسارى ومثله قتيل ومثلٌ لاذ بالبحر هاربه

فالبيت الأول قسمان اما موت واما حياة تورث عاراً ومثلبة والبيت الثاني ثلاثة أقسام

أسير وقتيل وهارب فاستقصى جميع الاقسام ولا يوجد في ذكر الهزيمة زيادة على ما ذكره .. ومثل ذلك قول عمرو بن الاهتم الا أنه أكثر تحرياً

اشربا ما شربتما فهذيل من قتيل وهارب وأسير

فجمع الوجوه كلها في مصراع واحد .. ومن التقسيم الجيد قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق قال ويحك ما ندري

فلم يبق جواب سائل الا أتى به فاستوفى جميع الأقسام وزعم قوم أنه أفضل بيت وقع فيه تقسيم .. ومن أناشيد قدامة في هذا الباب قول الشماخ يصف حمار وحش

متى ما تقع أرساغه مطمئنة على حجر يرفض أو يتدحرج

فلم يبق الشماخ قسماً ثالثاً الا أن يقول يغوص في الارض وذلك لا يبرء من جهة الحافر عند الجري وسرعة المشي بقذف الحجر الى وراء الا أنه لو أتى به لكان حسناً من أجل قوله مطمئنة .. ومن أشرف المنثور في هذا الباب قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل لك يا بن آدم من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت فلم يبق عليه الصلاة والسلام قسماً رابعاً لو طلب يوجد .. وقال نافع بن خليفة يا بني اتقوا الله بطاعته واتقوا السلطان بحقه واتقوا الناس بالمعروف فقال رجل منهم ما بقي شيء من أمر الدين والدنيا الا وقد أمرتنا به .. وقال أعرابي اذا كان الرأي عند من لا يقبل منه والسلاح عند من لا يستعمله والمال عند من لا ينفقه ضاعت الامور وكان ثابت البناني يقول الحمد لله وأستغفر الله فسئل لم خصهما فقال لاني بين نعمة وذنب فأحمد الله على النعمة وأستغفره من الذنوب .. ووقف اعرابي على حلقة الحسن البصري فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك البدوي منكم أحداً الا وقد سأله .. ثم نعود الى الشعر قال عمر بن أبي ربيعة المخزومي

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح به الدار أم من غيبته المقابر

فلم يبق مما يعبر به عن انسان مفقود قسماً الا أتى به في هذا البيت .. وقال آخر وأحسنه

أنا دِهمل الجمحي أو طريحاً

لو قلت للسيل دع طريقك والمو ج عليه كالهضب يعتلج
لارتد أو ساخ أو لكان له في سائر الارض عنك منعرج

ولا يدع السيل طريقه الا باحد هذه الاشياء .. وقال أبو العتاهية

وعليّ من كانى لكم قد وجامعة ورِجلْ

فأتى على جميع مايتحد للمأسور أو المحبوس ولم يبق قسما .. هذا وأمثاله مما قدمت هو الجيد من التقسيم وأما ما كان في بيتين أو ثلاثة فغير عاجز عنه كثير من الناس .. وزعم الحاتمي أن أصح تقسيم وقع لشاعر قول الأشعر الجعفي يصف فرساً

أما اذا استقبلته فكأنه باز يكفكف أن يطير وقد رأى
أما اذا استدبرته فتسوقهُ ساق قموص الوقع عارية النسا
أما اذا استعرضته متمطراً فتقول هذا مثل سرحان الغضي

واختاره أيضاً قدامة وليس عندى بأفضل من قول امرئ القيس الا بشرف الصفات

اذا أقبلت قلت دبّاءة من الخضر مغموسة في الغدُر
وان أدبرت قلت أثفيّة ململمة ليس فيها أثر
وان أعرضت قلت سرعوفة لها ذنب خلفها مسبطر

ولو لم يكن الا تنسيق هذا الكلام بعضه على بعض وانقطاع ذلك بعضه من بعض .. وقد صنعت على ضعف متني وتأخر وقتي

اذا أقبلت أقعت وان أدبرت كبت وتعرض طولاً في العنان فتستوي
وكلفت جاحاتي شبهة طائر اذا انتشرت ظلت لها الأرض تنطوي

.. ومن التقسيم نوع هو هذا الأول الا أن فيه زيادةُ تدريجاً وترتيباً فصعب لذلك على متعاطيه وقل جداً ... وحسبه قول زهير بن أبي سلمي

يطعنهم ماارتموا حتى اذا طعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

فأتى بجميع مااستعمل في وقت الهياج وزاد ممدوحه رتبة وتقدم به خطوة على أقرانه ولا

أرى في التقسيم عدل هذا البيت ويليه في ذلك قول عنترة

إن يلحقوا أكرر وان يستلحموا أشدد وأن يلفوا بضنك أنزل

ـ و يروى ـ وان يقفوا ‥ ومما يضاف اليه قول طريح بن اسمعيل الثقفي

إن يسمعوا الخير يخفوه وان سمعوا شراً أذاعوا وان لم يسمعوا كذبوا

‥ وقول الحصين بن الحمام

دفعنا كم بالحلم حتى بطرتم وبالكف حتى كان زوع الأصابع

فلما رأينا جهلكم غير منته وما قد مضى من حلمكم غير راجع

مسسنا من الآباء شيئاً وكلنا الى حسب في قومه غير واضع

فلما بلغنا الأمهات وجدتم بني عمكم كانوا كرام المضاجع

كأنه يقول نحن أكرم منكم أمهات فهذا هو التدريج في الشعر ‥ وبعضهم يرى التقسيم على خلاف ما قدمت زعم أبو العيناء أن خير تقسيم قيل قول ابن أبي ربيعة

تهيم الى نعم فلا الشمل جامع ولا الحبل موصول ولا أنت مقصر

ولا قرب نعم إن دنت منك نافع ولا نأيها يسلي ولا أنت تصبر

‥ واختار قوم آخرون قول الحارثي

فلا كمدي يفنى ولا لك رقة ولا عنك إقصار ولا فيك مطمع

‥ وزعم الفرزدق أن أكمل بيت قالته العرب أو قال أجمع بيت قول امرئ القيس

له أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

‥ وقال الأعشى يصف فرساً سلس مقلده أسيل حده مرع جنانه

‥ وقال عمرو بن شاس

مدمج سابغ الضلوع طويل الـ ـشخص عبل الشوى ممر الأعلى

‥ وقال أبو دؤاد الإيادي

بعيد مدى الطرف خاظي البضيع ممر المطا سمهري القصب

هذا وما قبله يسمى جمع الاوصاف وسماه بعض الحذاق من أهل الصناعة التعقيب العين قبل القاف وأما التعتب فمكروه في الكلام ٠٠ وكان محمد بن موسى المنجم يحب التقسيم في الشعر وكان معجباً بقول العباس بن الأحنف

وصالكم صرم وحبكم قلي ً وعطفكم صدٌّ وسلمكم حرب

ويقول أحسن والله فيما قسم حين جعل كل شيء ضده والله ان هذا التقسيم لاحسن من تقسيمات اقليدس حكي ذلك الصولى ٠٠ ومن مليح التقسيم قول داود بن مسلم

في باعه طول وفي وجهه نور وفي العرنين منه شمم

فوصف بعض أحواله وقسمها كما فعل الأولون ٠٠ ومن أنواع التقسيم التقطيع أنشد الجرجاني للنابغة الذبياني

ولله عينا من رأى أهل قبة أضرَّ لمن عادى وأكثر نافعا

وأعظمَ أحلاماً وأكبرَ سيداً وأفضل مشفوع اليه وشافعا

٠٠ وسماه قوم منهم عبدالكريم التفصيل وأنشد في ذلك

بيض مفارقنا تغلي مراجلنا نأسوا بأموالنا آثار أيدينا

٠٠ وقال البحتري

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزينا أو معيناً أو عاذراً أو عذولا

فقطع وفصل كما تراه ٠٠ وقال أبو الطيب

فيا شوقُ ما أبقي ويالي من النوى ويادمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا

ففصل كما فعل أصحابه وجاءه على تقطيع الوزن كل لفظتين ربع بيت ٠٠ وقال أيضاً

فللسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

واذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعاً أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة وقد فضله وأطنب في وصفه إطناباً عظيماً ٠٠ وأنشد أبيات ابى المثلّم يرثي صخر الغي

لو كان للدهر مال عند متلده لكان للدهر صخر مال قنيان

آبي الهضيمة ناب بالعظيمة متـ لاف الكريمة لا سقط ولا وان

حامى الحقيقة نسّال الوريقة معتــــاق الوسيقة جلد غـير ثنيان

رباء مرقبــة منّــاع مغلــة ركاب سهلــة قطاع أقران

هبــاط أودية حمــال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان

يعطيك بالأنــكاد النفس يسلمه من التلاد وعوناً غير منان

والقدماء من هذا النوع الاّ أنهم لا يكثرون منه كراهة التكلف . . قال أبو دؤاد يصف فرسا وقيل بل رجل من الانصار

فالعين قادحة والرجل ضارحة والبد سائحة واللون غربيب

والشــد منهمر والمــاء منحدر والقصب مضطمر والمتن ملحوب

. . وقال الـكميت بن زيد في ذلك

كالنــاطقات الصــادقا ت الواسقات من الذخائر

والى هذا ذهب أبو الطيب بقوله

الناعمــات القــاتلات المحيا ت المبديات من الدلال غرائبا

. . وقال توبة بن الحمير وفيه التقسيم والترصيع

لطيفات أقدام نبيلات أسوق نعمات أجياد دقاق خصورها

. . وقال مسلم بن الوليد صريع الغوانى

كأنه قمــر أو ضــيغم هصر أو حية ذكر أو عارض هطل

. . وقال أيضاً

تورى بزندك أو تسعى بجدك أو يغري بحدك كلّ غـير محدود

. . ومن كلام أبي تمام وكان يجد باب التصنيع

تجلى به رشدى وأثرت به يدي وفاض به ثمدي وأورى به زندى

وقال أيضاً وأحسن ما شاء

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب

وقال أيضاً فى غير هذا النمط

عن تامر صاف وبت قرارةٍ واف وبور كالمراحـل حافى

ـالمراحل ـ ثياب .. وقال كشاجم

هـلال فى اضاءته * حياء فى سماحته * شهاب فى اتقاده

ومن جيد ماللمحدثين قول ديك الجن

حر الإهاب وسيمه * بر الإياب كريمه * محض النصاب صميما

فأكثر البيت برصيع كيف ما أردته .. وكان المذهب الأول وهو المحمود أن يؤتى بيت من هذا أو بعض بيت كما قال امرؤ القيس

وأوتاده مادية وعمـاده ردينية فيها أسنة قعضب

وكما قال امرؤ القيس

كحلاء فى برج صفراء فى نعج كأنها فضـة قد مسـها ذهب

وأما ما هو شبيه بالمسجوع فقول امرئ القيس

فتور القيام قطوع الـكلام تفـتر عن ذى غروب أشر

وقوله * ألص الضروس حنى الضلوع * فجاء فتور فى وزن قطوع وكذلك الضروس والضلوع وألص وحنى ثم أدخل المولدون فى هذا الباب أشياء عدوها تقطيعاً وتقسيما وذلك نحو قول أبي العميثل الاعرابى

فاصدق وعف وجد وأنصف واحتمل واصفح ودار وكاف واحـلم واشجع

والطف ولن وتأن وارفق واتئد واحزم وجـد وحام واحمل وادفع

وكقول ديك الجن

أحل وامرر وضر وانفع ولن واخش ورش وابر وانتدب للمعالى

وقول أبى الطيب

اقل انل اقطع احمل عل سل أعد زد هش بش تفضل ادن سر صل

ثم زاد في هذا وبالغ حتى صنع

عش انق اسم سد قد حد   من اه ره فه سر بل

عطأرم صب احم أعر اسب   رع رع دل اس سل

وهذه رقية العقرب كما قال ابن وكيع ولا بد من شرحها ..قوله عش انق دعاء له بالعش والقاء واسم من السمو وسد من السيادة أي دم هكذا وقد من قود حمل وحد من الجود والسماح أو من الحود وهو المطر الغزير من به من لأمر والنهي ره من الوري تثبت الهاء فيه أطبه في الخط دون اللفظ على انه ليس موضع وقف ولا يجب أن يكتب بلا هاء لئلا يحالف العادة وبقع كلمة على حرف واحد وورى داء في الجوف أي إصنع ذلك بأعدائك وحسادك فه من الوفا واسر من سري الليل بصفه بالعزم والغارات وبل من البيل والادرك أي نل ما تحب وروي نل أعط من النوال ويقال نلته اذا أعطيته وعط من عيط الحسود ويروى عظ من الوعظ وارم من رمي العدو بالمكايد وغيرها وصب من صب المطر وسبه وحم من حميت المكان واعر من العرو واسب من السبي ورع من الروع ورع من ورعت أي كففت ود من الدية ول من الولاية للامور وقد يكون من المطر الولي وأس من نبي اصداده اداردهم وبل من نوال وهذه نية نقت والمعاصة وان كان ولا بد فقوله أيضاً

دان بعيد محب معص مهج   أعز حلو مر لين شرس

ند أبي عز واف أحي ثقة   حعدسري به بدت رصابدس

ند من الندي وعز من عزي به وبه من النهي وأصل هذا كله من قول امرئ القيس

أفاد فجاد وشاد فزاد   وقاد فذاد وعاد فأفضل

باب التسهيم

وقدامة تسميه التوشيح ٠٠ وقيل ان الذى سماه تسهيما علي بن هارون المنجم وأما ابن وكيع فسماه المطمع وهو أنواع منه ما تشبه المقابلة وهو الذى اختاره الحاتمي نحو قول جنوب أخت عمرو ذى الكلب

فاقسم ياعمرو لونبها ... ك أذآنبها منك داء عضالا

أذاً نبها ليث عريسة ... مفيتاً مفيداً نفوساً ومالا

وخرق تجاوزت مجهوله ... بوجناء حرف تشكي الكلالا

فكنت النهارَ به شمسه ... وكنت دجى الليل فيه الهلالا

أرادت قولها مفيتاً نفوساومفيداً مالا فقابلت مفيتا بالنفوس ومفيداً بالمال وكذلك قولها فى البيت الأخير لما ذكرت النهار جعلته شمسا ولماذكرت الليل جعلته هلالا لمكان القافية ولو كانت رائية لجعلته قمراً ٠٠ وسر الصنعة في هذا الباب أن يكون معنى البيت مقتضيا قافيه وشاهداً بها دالا عليها كالذى اختاره قدامة للراعى وهو قوله

وان وزن الحصى فوزنت قومى ... وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فهذا النوع الثانى هو أجود من الاول للطف موقعه والنوع الثالث شبيه بالتصدير وهو دون صاحبيه الا أن قدامة لم يجعل بينهما فرقا ٠٠ وأنشد للعباس بن مرداس

هم سودوا هجناً وكل قبيلة ... يبين عن أحسابها من يسودها

وقال نصيب الأكبر مولى بني مروان

وقد أيقنتُ أن ستبين ليلى ... وتحجب عنك إن نفع اليقين

وان تأملت قوافي ما هذه سبيله لم تجد له من لطف الموقع ما لقافية الراعى وانما اختير هذا النوع على ما ناسب المقابلة والتصدير لان كل واحد منهما مدلول عليه من جهة اللفظ إما بالترتيب واما باشتراك المجانسة والقافية فى بيت الراعى دالة على نفسها بالمعنى وحده

وصار استخراجها أعجب وأعرب ويمكنها أشد وأوكد وقد حكي أن ابن أبي ربيعة جلس الى ابن عباس رضي الله عنه فابتدأ ينشده

* تشط غداً دار جيراننا *

فقال ابن عباس * وللدار بعد غد أبعد *

فقال له عمر هكذا صنعت فأنت ترى كيف طبق المفصل وأصاب شاكلة الرمي لما كان المعنى يقتضي زيادة البعد كلما طال العهد بأيام الموسم واجتنب نشط لانه لايعرف ولا يستعمل وعدل عن أن يقول أنزح وماشاكله رغبة في قرب المأخذ وسهوكا لطريق الفصاحة وإتياناً بالمتعارف المعتاد المتعاهد .. ويحكى عن عدي بن الرقاع أنه أنشد في صفة الظبية وولدها

* تزجي أغن كأن ابرة روقه *

فغفل الممدوح عنه فسكت فقال الفرزدق لجرير ما تراه يقول فقال يقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

وأقبل عليه الممدوح فأنشد كما قال جرير لم يغادر حرفاً .. وقالت الخنساء

ببيض الصفاح وسمر الرماح   فبالبيض ضرباً وبالسمر وخزاً

وقالت أيضاً في نحو ذلك

ونلبس في الحرب نسج الحديد   ونلبس في السلم خزاً وقزا

وقال حريث بن محفض

فان يك طعن بالرديني نطعنوا   وان يك ضرب بالمهند نضربوا

وقال ابن الدمينة واسمه عبد الله بن عبيد الله بن عبد الخثعمي

وكوني على الواشين لداء شغبة   كما أنا بالواشي ألد شغوب

وكوني اذا مالوا عليك صليبة   كما أنا إن مالوا علي صليب

فالبيتان جميعاً مسهمان .. وقال دعبل

وإذا عاندنا ذو نخوة عصب الروح عليه فمرح
فعلى أيماننا تجري الندى وعلى أسيافنا تجري المهج

ليس يجهل أحد بعد معرفة البيت الأول من هذين البيتين قافية الآخر منهما .. ومن جيد التسهيم قول بعضهم

ولو أني أعطيت من دهري المنى وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيام مضين الا ارجعي وقلت لأيامٍ أتين الا ابعدي

وكذلك قول الآخر وهو مليح

حبيبي غداً لاشك فيه مودع فوالله ما أدري به كيف أصنع
فيا يومُ لا أدبرت هل لك محبس ويا غدُ لا أقبلت هل لك مدفع
اذا لم أشيعه تقطعت حسرة ووا كبدا إن كنت ممن يشيع

أردت البيت الأخير .. وما أطن هذه التسمية الا من تسهيم البرود وهو أن يرى ترتيب الألوان فتعلم اذا أتى أحدها ما يكون بعده .. واما تسميته توشيحاً فمن تعطف اثناء الوشاح بعضها على بعض وجمع طرفيه ويمكن أن يكون من وشاح اللؤلؤ والخرز وله فواصل معروفة الأماكن فلعلهم شبهوا هذا به ولاشك أن الموشحات من برسمل البديع وغيره انما هي من هذا وبعض الناس يقول إن التوشيح بالجيم فان صح ذلك فانما يجيء من وشجت العروق اذا اشتبكت فكان الشاعر شبك بعض الكلام ببعض .. وأما تسميته المطمع فذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف فاذا حُووِل امتنع وبعد مرامه

باب التفسير

وهو أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملاً وقلّ ما يجيء هذا الا في أكثر من بيت واحد نحو قول الفرزدق واختاره قدامة

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم طريدَ دم أو حاملا ثقل مغرم

لا لقيت منهم معطا ومطاعا ورائك شزراً بالوشيج تقوم

هذا جيد في معناه الا أنه غريب من قبل انه فسر الآخر أولا والاول آخراً فجاء فيه بعض التقصير والاشكال على أن من العلماء من يرى ان رد الاقرب على الاقرب والابعد على الابعد أصح في الكلام ٠٠ وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لأنه هو بعينه مالم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذي أنشده سيبويه

حوّي على مستويات خمس كركرة وثفنات ملس

لان هذا وان كان كالبيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ٠٠ ومن التفسير الجيد قول حاتم الطائي ويروى لعتيبة بن مرداس

متى ما يجيء يوماً الى المال وارثي يجد جمع كف غير ملاي ولا صفر

يجد فرساً مثل العنان وصارماً حساماً اذا ماهز لم يرض بالهبر

وأسمر خطياً كأن كعوبه نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

وهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين لانه لم يعلق كلامه بلو كما فعل الفرزدق ولا بما يقتضي الجواب اقتضاء كليا فلهذا حسن عندي ٠٠ ومثله قول عروة بن الورد

وان امرءاً يرجو تراثي وان ما يصير له منه غداً لقليل

ومالي مال غير درع ومغفر وأبيض من ماء الحديد صقيل

واسمر خطي القناة مثقف وأجرد عريان السراة طويل

هكذا أنشدوه بالاقواء ويجوز أن يرفع على القطع والاضمار كانه قال هو صقيل أوقال ولي أبيض من ماء الحديد يعني سيفه ٠٠ وقال ذو الرمة في التفسير

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد

أحم علافي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ماجد

فسر الأربعة ما هي ورفع على شرط ماقدمت من الاضمار كانه قيل له ما الاربعة التي شخصها في العين واحد فقال كذا وكذا وكذا ٠٠ ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالاقل وهو من باب الايجاز والاختصار وذلك ماأتت به الجملة بعد الشرح نحو قول أبي الطيب

من مبلغ الاعراب أني بعدها ... جالست رسطاليس والاسكندرا
وملت نحر عشارها فأضافنى ... من ينحر البدر النضار لمن قرى
وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكاً متبدياً متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً ... وأتي فذلك اذ أتيت مؤخرا

فقوله ـ نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك اذ أتيت ـ تفسير ملمح قليل النظير فى أشعار الناس ٠٠ وتعلقت به فى بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت

أتى بعد أهل العلى ... كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب فى بيت واحد فقال

اذا عد الكرام فتلك عجل ... كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذي كما ترى قد رغب فيه لكون المفسر والمفسر به فى بيت واحد ٠٠ ونظيره قوله أيضاً

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم ... وألف اذا ما جمعت واحد فرد

فجاء به أيضاً فى بيت واحد ٠٠ وكذلك قول امرئ القيس

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

ومن قول عمرو بن معدى كرب الزبيدى

فأرسلنا ربيئنا فأوفى ... فقال الا أولى خمس رتوع
رباعية وقارحها وجحش ... وثالثة وهادية رموع

ففسر ماهي وأنثها لعلة التأنيث على اسم الدواب ٠٠ وقال مالك بن حريم وقيل حزيم

فان يك شاب الرأس مني فانني ... أبيت على نفسى مناقب أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة ... اذا ماسوام الحى حولي تضوعا
وثانية أن لا تفزع جارتي ... اذا كان جار القوم فيهم مفزعا
وثالثة أن لا أصمت كلبنا ... اذ نزل الأضياف حرصاً لنودعا

ورابعة أن لا أحجلَ قدرنا على لحمها حين الشتاء لنشبع

أحجل ـ أسير أجعلها فى حجلة لحوى عن الجزرعة أن نشبع ولكن نبرزه ٠٠ وكتب احمد بن يوسف وفى رواية النحاس عمرو بن مسعدة عن المأمون أما بعد فقد أمر أمير المؤمنين من الاستكثار من المصابيح فى شهر رمضان فان فى ذلك أنساً للسابلة وضياء للمتهجدين ونفيا لمكامن الريب وتنزيهاً لبيوت الله عز وجل عن وحشة الظلم ٠٠ ومن جيد التفسير فى بيت واحد قول أبى الطيب

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى يرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

فانه قد أحكمه أشد احكام وجاء به أحسن مجئ حتى أربى على البحترى اذ يقول

ناروع من طي كأن قميصه يزر على الشيخين زيد وحاتم

سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا اذا اجتمعا فى العارض المتراكم

وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله ٠٠ وأصل هذا من المعجز قول الله تعالى ﴿ وهوَ الذى يريكم البرقَ خوفاً وطمعاً ﴾ ٠٠ وقال أبو الطيب أيضا فى التفسير المستحسن

ان كوتبوا أولقوا أوحوربوا أوجدوا فى الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به من غير تقديم ولا تأخير كالذي وقع أولا فى بيتي الفرزدق ٠٠ ومن التفسير قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين

فى فمها مسك ومسولة صرف ومنظوم من الدر

فالمسك للنكهة والخمر للر يقة واللؤلؤ للثغر

وهذا من مليح ما وقع للمحدثين ٠٠ وقال لقمان لابنه اياك والكسل والضجر فانك اذا كسلت لم تؤد حقا واذا ضجرت لم تصبر على حق

—*****—

باب الاستطراد

وهو أن يري الشاعر أنه فى وصف شئ وهو انما يريد غيره فان قطع أورجع الى

ما كان فيه فذلك استطراد وان تمادي فذلك خروج وأكثر الناس يسمى الجميع استطراداً والصواب ما بينه .. وأوضح الاستطراد قول السموأل وهو أول من نطق به حيث يقول

وإنا أناس لا نري القتل سبة　　اذا ما رأته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا　　وتكرهه آجالهم فتطول

واتبعه الناس فقال الفرزدق وأجاد

كأن فقاح الاسد حول ابن مسمع　　اذا اجتمعوا [1] أفواه بكر بن وائل

ثم أتى جرير فأربى وزاد بقوله

لما وضعت على الفرزدق ميسمي　　وضغا البعيث جدعت أنف الاخطل

فهجا واحداً واستطرد باثنين .. وقال مخارق بن شهاب المازنى يصف معزى

ترى ضيفها فيها يبيت بغبطة　　وضيف ابن قيس جائع يتحوّب

فوفد ابن قيس هذا على النعمان بن المنذر فقال كيف المخارق بن شهاب فيكم فقال سيد شريف حسبك من رجل يمدح تيسه ويهجو ابن عمه .. ومن جيد الاستطراد قول دعبل بن علي الخزاعي ويروي لبشار بن برد وهو أصح

خليلي من كعب أعينا أخاكما　　على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه　　مخافة أن يرجي نداه حزين

اذا جئته في الفرط أغلق بابه　　فلم تلقه الا وأنت كمين

ويروي — في حاجة سد بابه — وأنشد البحتري أبو تمام لنفسه في صفة فرس واستطرد يهجو عثمان بن ادريس الشامي

وسابح هطل التعداء هتان　　على الجراء أمين غير خوان

أظمي الفصوص وما تظمي قوائمه　　فخل عينيك في ظمآن ريان

(١) ن حول بيوتهم اذا جلسوا

فلو براه مستحا والحصى رمه تحت السنابك من مثنى ووحدان
ايقنت ان لم تثبت انجاثره من صحر تدمر أو من وجه عثمان

فقال له أتدرى ما هذا من الشعر قال لا أدري قال هذا الاستطراد أو قال المستطرد .. قال الحاتمى وقد يقع من هذا الاستطراد ما يخرج به من ذم الى مدح كقول زهير

إن البخيل ملوم حيث كان ولـ ـكن الجواد على علاته هرم

فسمى الخروج استطراداً كما تراه

اتساعا وأنشد في الخروج بالاستطراد من مدح الى ذم قول بكر بن النطاح يمدح مالك ابن طوق

عرضت عليها ما أرادت من المنى لترضى فقالت قم فجئنى بكوكب
فقلت لها هـذا التعنت كله كمن يتشهى لحم عنقاء مغرب
سلى كلّ أمر يستقيم طلابه ولا تسألى بالدرّ فى كل مذهب
فاقسم لو أصبحت في عزّ مالك وقدرته أعيى بما رمت مطلبى
فتى شقيت أمواله بعفاته كما شقيت قيس بأرماح تغلب

فهذا مليح أوله خروج وآخره استطراد وملاحة أن مالكا من بني تغلب فصار الاستطراد زيادة فى مدحه وزعم قوم أنه يمدح مالك بن علي الخزاعي .. ومما استطرد به أبو الطيب قوله في هجاء كافور

يموت به غيظاً على الدهر أهله كما مات غيظاً فاتك وشبيب

على أن هذا البيت قد يقع موقع غيره من أبيات هذا الباب اذ ليس القصد فيه مدحاً ولا هجاء للرجلين المذكورين ولكن التشبيه والحكاية لا غير .. وقيل أصل الاستطراد أن يريك الفارس أنه فر ليكر وكذلك الشاعر يريد أنه فى شيء فعرض له شيء لم يقصد اليه فذكره ولم يقصد قصده حقيقة الا اليه .. ومن الاستطراد نوع يسمى الادماج وذلك نحو قول عبيد الله بن طاهر لعبد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد

أبى الدهر من إسعافنا فى نفوسنا وأسعفنا فيمن نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا ان المهمّ المقدم

وحكى احمد بن يوسف الكاتب أنه دخل على المأمون وفي يده كتاب من عمرو بن مسعدة يردد فيه النظر فقال لعلك فكرت في ترديدي النظر في هذا الكتاب قال نعم يا أمير المؤمنين قال اني عجبت من بلاغته واحتياله لمراده كتب كتابي الى أمير المؤمنين أعزه الله ومن قبلي من قواده وأجناده في الطاعة والانقياد على أحسن مايكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم ألا ترى يا احمد ادماجه المسئلة في الاخبار واعفاء سلطانه من الاكثار ثم أمر لهم برزق ثمانية أشهر وهذا النوع أقل في الكلام من الاستطراد المتعارف وأغرب

باب التفريع

وهو من الاستطراد كالتدريج من التقسيم وذلك أن يقصد الشاعر وصفاً ما ثم يفرع منه وصفاً آخر يزيد الموصوف توكيداً نحو قول الكميت

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفى بها الكلبُ

فوصف شيئاً ثم فرع شيئاً آخر لتشبيه شفاء هذا بشفاء هذا وقال ابن المعتز

كلامه أخدعُ من لحظه ووعده أكذبُ من طيفه

فبينا هو يصف خدع كلامه فرع منه خدع لحظه ويصف كذب وعده فرع كذب طيفه . وقال أيضاً يصف ساقي كأس

فكأن حمرةَ لونها من خده وكأن طيبَ نسيمها من نشره

حتى اذا صبَّ المزاج تبسمت عن ثغرها فحسبته من ثغره

ما زال يحرمني مواعدَ عينه فمه وأحسبُ ريقه من خمره

البيتان الأولان من هذه الثلاثة تفريع والبيت الآخر ليس تفريع جيد لان الحمرة نازلة عن رتبة الريق عند العاشق وحق التفريع أن يكون الآخر من الموصوفين زائداً

على الأول درجة في الحسن ان قصد المدح وفي القبح ان قصد الذم وهو نوع خفي الا على الحاذق البصير بالصنعة ٠٠ ومثل بيت ابن المعتز قول البحتري

وإذا تألق في الندي كلامه المصقول خلت لسانه من عضبه

لان حق العضب في باب المدح أن اللسان أمضى منه ومن التعريض الجيد قول الصنوبري

ما أخطأت نوناته من صدغه شيئاً ولا ألفاته من قده

وكأنما أنقاسه من شعره وكأنما قرطاسه من جلده

فانظر اليه كيف يريده رتبة في الجودة كما ترى ٠٠ ووصف ابن شير رد جارية كاتبة فقال

كأن خطها اشكال صورتها وكأن بيانها سحر مقلتها وكأن سكينها غنج لحظها وكأن مدادها سواد شعرها وكأن قرطاسها أديم وجهها وكأن اقلامها بعض أناملها وكأن مقطها قلب عاشقها وشتان ما بين هذا الوصف وقول الآخر يهجو كاتبا أنشده الصولي في أبيات

كأن دواته من ريق فيه تلاق فشربها أبداً كريه

وقال كشاجم

شيخ لنا من مشايخ الكوفه ستته للعليل موصوفه

لو بدل الله فضله عجبا ما طمع الناس منه في صوفه

ومن لطيف التعريض قول أبي الطيب يصف ليلا

أقلب فيه أجفاني كأني أعد بها على الدهر الذنوبا

بينا هو يصف كثرة سهره وادارة لحظه شبهها بكثرة ذنوب الدهر عنده وقال فرد

ولو نقصت كما قدرت من شرف على الوري لرأوني مثل شانيكا

هذا التعريض الملعون وقال محمد بن وهب

طللان طال عليهما الأمد دثرا فلا علم ولا نضد

لبسا البلى فكأنما وجدا بعد الأحبة بعض ما أجد

ومن المستحسن قول الخوارزمي أبي بكر محمد بن العباس

سمح البديهة ليس يمسك لفظه ... فكأنما ألفاظه من ماله

وكأنما عزماته وسيوفه ... من حدهن خلقن من إقدامه

متبسم في الخطب يحسب أنه ... تحت العجاج ملثم بنعاله

وأحسن ما سمعته في هذا الباب قول ابن الرومي يهجو رجلا

له سائس ماهر ... يحول على متنه

ويطعن في دبره ... أفانين من طعنه

أطول من قرنه ... وأغلظ من دهنه

ومن التفريع أيضاً قول أبي الطيب على غير هذا النظام

أسير الى أقطاعه في ثيابه ... على طرفه من داره بحسامه

وما مطرتنيه من البيض والقنا ... وروم العبدّي هاطلات غمامه

وهذا تفريع تناوله من قول أبي تمام

فقالوا فما أولاك صف بعض نيله ... فقلت لهم من عنده كل ما عندي

وأصله من قول أبي نواس ... * وكل خير عندهم من عنده *

نصف كلب صيد

باب الالتفات

وهو الاعتراض عند قوم وسماه آخرون الاستدراك حكاه قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول الى الثاني فيأتي به ثم يعود الى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول كقول كثير

لو أن الباخلين وأنت منهم ... رأوك تعلموا منك المطالا

فقوله ـ وأنت منهم ـ اعتراض كلام فى كلام قال ذلك ابن المعتز وجعله بابا على حدته بعد باب الالتفات وسائر الناس يجمع بينهما .. قال النابغة الذبيانى

ألا زعمت بنو عبس بأني ألا كذبوا كبير السن فاني

فقوله ـ كذبوا ـ اعتراض ورواه آخرون للجعدى ـ ألا زعمت بنو كعب ـ وهو أشبه بالجعدى لانه أعلى سناً منه فقوله ـ ألا كذبوا ـ اعتراض وكذلك من يجري مجراه وأنشده فى الالتفات لبعض العرب

فظلوا بيوم دع أخاك بمثله على مشرع يروى ولما يصرّد

فقوله ـ دع أخاك بمثله ـ التفات مليح .. وقال جرير يرثى امرأته أم حزرة

نعم القرين وكنت علق مضنة وارى بنعف بلية الأحجار

فقوله ـ وكنت علق مضنة ـ هو الالتفات .. وقال عوف بن محلم لعبد الله بن طاهر

ان الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله ـ وبلغتها ـ التفات وقد عده جماعة من الناس تتميماً والالتفات أشكل وأولى بمعناه ومنزلة الالتفات فى وسط البيت كمنزلة الاستطراد فى آخر البيت وان كان ضده فى التحصيل لان الالتفات تأتى به عفواً وانتهازاً ولم يكن لك فى خلد فتقطع له كلامك ثم تصله بعد ان شئت والاستطراد تقصده فى نفسك وأنت تحيد عنه فى لفظك حتى تصل به كلامك عند انقطاع آخره أو تلقيه إلقاء وتعود الى ما كنت فيه وقد جاء الالتفات فى آخر البيت نحو قول امرئ القيس

أبعد الحارث الملك بن عمرو له ملك العراق الى عمان

مجاورة بني شمجي بن جرم هواناً ما أتيح من الهوان

ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

فقوله ـ ما أتيح من الهوان ـ وقوله ـ حنانك ذا الحنان ـ التفات وحكي عن اسحاق الموصلى أنه قال قال لى الاصمعي أتعرف التفات جرير قلت وما هو فأنشدنى

أتنسى اذ يودعنا سليمى بعود بشامةٍ سقي البشام

ثم قال أما تراه مقبلا على شعره اذ التفت الى البشام فدعا له وأنشد له عبدالله بن المعتز

متي كان الخيامُ بذي طلوحٍ سقيتِ الغيثَ أيتها الخيامُ

. وأنشد له أيضاً ابن المعتز

طربَ الحمامُ بذى الأراكِ فهاجنى لازلتَ فى عللٍ وأيكٍ ناضرِ

لم يعد ابن المعتز الا ما كان من هذا النوع والا فهو اعتراض كلام فى كلام وقد أحسن ابن المعتز فى العبارة عن الالتفات بقوله هو انصراف المتكلم من الاخبار الى المخاطبة ومن المخاطبة الى الاخبار وتلا قوله تعالى ﴿ حتى اذا كنتم فى الفلكِ وجرينَ بهم بريحٍ طيبةٍ ﴾ وأنشده غيره لأبى عطاء السندي يرثى يزيد بن عمرو بن هبيرة

وانكَ لاتبعدْ على متعهدٍ بلى كلُّ مانحت التراب بعيدُ

وهذا هو الاستدراك ومثله قول زهير

قفْ بالديارَ التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواحُ والديم

وكذلك قول جرير

غداً باجتماعِ الحيّ نقضي لبانة واقسم لا تقضي لبانتنا غداً

وأنشد ابن المعتز فى هذا النوع وهو لبشار

بنتُ فاصبحَ قومه يعتابنى عند الأميرِ وهل عليَّ أمير

ومن مليح ما سمعته قول نصيب

وددتُ ولم أُخلق من الطيرِ أننى أعارُ جناحي طائرٍ فأطير

فقوله ولم أخلق من الطير عجب ولما سمعتْ التى قيل فيها هذا البيت تنفست تنفساً شديداً فصاح ابن أبى عتيق أوه قد والله أجبته بأحسن من شعره والله لو سمعك لنعق وطار فجعله غراباً اسوادهء. وأنشد الصولى للعباس بن الاحنف

قدكنتُ أبكى وأنتِ راضيةٌ حذارَ هذا الصدودِ والغضبِ

ان تمَّ ذا الهجرُ يا ظلومُ فلا تم فما لي من العيشِ من أربِ

وقال سمعت تعلباً يقول ما رأيت أحداً الا وهو يستحسن هذا الشعر .. ومن مليح أيضاً قول النحيف بن سلمان العقلي

أمسكم يا حسب نعم لعمرى ... لحظ محصورة ودمع سحب

يخاطب امه .. وقال عدي بن زيد العبدى وهو في حبس النعمان يخاطب ابنه زيداً ويحرضه

فلو كنتَ الاسيرَ ولاتكنه ... اذاً علمت معدّ ما اقول

باب الاستثناء

وابن المعتز يسميه توكيد المدح بما يشبه الذم وذلك نحو قول النابغة الذبياني

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

يجعل فلول السيف عيباً وهو أوكد في المدح .. وقال النابغة الجعدي

فتى كملت أخلاقه غيرَ أنه ... جواد فما يبقى من المال باقيا

فاستثنى جوده الذي يستأصل ماله بعد أن وصفه بالكمال وبهذا الاستثناء ورد كمالا وتأكيد حسنه .. وكذلك قوله

فتى تم فيه ما يسر صديقه ... على أن فيه ما يسوء الأعاديا

وكأنه لما كان فيه ما يسوء أعاديه لم يطلق عليه أنه يسر فقط وذلك زيادة في مدحه وليس هذا الاستثناء على مارتبه النحويون فتطلبه بحروف الاستثناء المعروفة وانما سمى اصطلاحاً وتقريباً سماه هؤلاء المحدثون نحو الحاتمي وأصحابه ولم يسم حقيقة .. ومن مليح هذا النوع قول أبي هفان فقد تقدم به وجوّد غاية التجويد

ولا عيبَ فينا غير أن سماحنا ... أضرَّ بنا والبأس من كل جانب

فأفنى الردى أرواحنا غيرَ ظالم ... وأفنى الندى أموالنا غيرَ عائب

فقوله ان السماح والبأس أضرّابهم ليس بعيب على الحقيقة ولكن توكيد مدح والمليح

كل المليح قوله غير ظالم وغير عائب فهذا الثاني أعجب من الاول وألطف موقعاً ..
وقال آخر

ولا عيبَ فينا غير عرقٍ لمعشر كرام وانا لا نخط على النمل

فقصر من جهة قوله -غير عرق لمعشر كرام- لان سبيل هذا الباب أن يؤتى فيه بما يظن أنه عيب أو تقصير وان كان على المحصل فخراً وفضلا كالفلول في سيوف النابغة الذبياني واتلاف المال في شعر الجعدي وترك الخط على النمل في شعر الآخر وانهم لا يشتمون صاحبها وهي داء واحدها النملة وأما ذكر الكرم فلا وجه له ههنا ..ومن هذا الباب قول ابن الرومي

ليس له عيبٌ سوى أنه لا تقعُ العينُ على شبهه

فجعل انفراده في الدنيا بالحسن دون أن يكون له قرين يؤنسه عيباً فهو يريد توكيد حسنه .. وقال حاتم الطائي

وما تشتكي جارتي غيرَ أنني اذا غابَ عنها بعلها لا أزورها
سيبلغها خيري ويرجعُ أهلها اليها ولم يقصر عليَّ ستورُها

لما كان في ترك الزيارة اشكال بين مراده ..ومن أصحاب التآليف من يعد في هذا الباب ما ناسب قول الشاعر

فأصبحتُ مما كان بيني وبينها سوى ذكرِها كالقابضِ الماءَ باليد

.. وقال الربيع بن ضبع الفزاري

فنيتُ وما يفنى صنيعي ومنطقي وكلُّ امرئٍ الا أحاديثه فاني

وليس من هذا الباب عندي وانما هو من باب الاحتراس والاحتياط فلو أدخلنا في هذا الباب كل ما وقع فيه استثناء لطال وخرجنا فيه عن قصده وغرضه ولكل نوع موضع

باب التتميم

وهو التمام أيضاً، وبعضهم يسميه الاحتراس والاحتياط، وهو أن يحاول الشاعر معنى فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به: إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير، وينشدون بيت طرفة

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدها ... صوبُ الربيع وديمةٌ تهمي

لأن قوله «غير مفسدها» تتميم للمعنى، واحتراس للديار من الفساد بكثرة المطر. ومثله قول جرير

فسقاكِ حيث حللتِ غيرَ فقيدةٍ ... هزجُ الرواح وديمةٌ لا تقلع

فقوله «غير فقيدة» تتميم لأن ... وسقاه غير زاحة ولا ... وقد كانت العادة أن يدعى للميت بالسقيا فاحترس من ذلك. وقد عاب ... قول ذي الرمة

ألا يا اسلمي يا دارَ ميّ على البلى ... ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

فهذا لم يحترس كما احترس طرفة وجرير ... بالسلامة في أول البيت وهذا هو الصواب. وقال زهير

من يلقَ يوماً على علاته هرماً ... يلقَ السماحةَ منه والندى خلقه

قوله «على علاته» مبالغة وتتميم عجيب. ولا أصل في هذا قول الله عز وجل ﴿ويطعمون الطعامَ على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ فقوله «على حبه» هو التتميم وتمام المعنى في قول من قال إن الهاء ضمير الطعام وإن كان كناية عن الله تعالى خرج المعنى عن هذا الباب. وقال الله جل اسمه ﴿مَن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة﴾ فتمم بقوله «وهو مؤمن». ومن أناشيد قدامة والحاتمي وغيرهما قول نافع بن خليفة الغنوي

رجالٌ إذا لم يقبلِ الحقُّ منهم ... ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضبِ

قال الحاتمي فإن المعنى تم بقوله «ويعطوه» وإلا كان منقوصاً. ويجري مجراه عندي قوله

عمرة الع سي

أ ى علي كما عامت فا ي سهل محلقتى اذا لم أطا

فقوله اذا لم اطا تمم حسن •• وقال آخر

فلا يسلدن الأ من السوء انى اليك وان شطت بك الدار نازع

فاستثناؤه بالسوء تمم واحتراس حسن •• وقال أبو الطيب بن الوسا

لئن كان اقى عشا م لَ مامضي فللموت ان لم يدخل النارَ أروحُ

وقال مسر قه البارقي يهجو رهط جرير

صغرٌ صغارهم عظمُ كبورهم بطاء عن الداعي اذا لم يكن أكلا

كانه قال اذا لم يكن المدعو اليه أكلا •• وقال صريع بن رعوعة الكلابي وقد قتل رجلا مهتلماً

وقلتُ لأصحابي النجاءَ فانما مع الصبح ان لم يسبقوا جمع مرسل

ويجري على هذه الا باتة قول ابن محكان السعدي حين قدم للقتل

ولست وان كانت اليَّ حبيبةً بباكٍ على الدنيا اذا ما تولتِ

فاستثنى ـ وان كانت الي حبيبة ـ استثناء مليحاً ونوى التقديم والتأخير فلذلك جاز له أن يأتي بالضمير مقدماً على مظهره هكذا قال فيه أبو العباس المبرد •• ومن التتميم الحسن قول امرئ القيس

على هيكلٍ يعطيكَ قبلَ سؤاله أفانينَ جريٍ غيرِ كزٍّ ولاوانى

فقوله ـ قبل سؤاله ـ تمم حسن لقوله أفانين جرى •• وقول أعشى باهلة

* وكل أمر سوى الفحشاء يأتمر * يقول هو يدبر كل شيء سوى الفحشاء فانه لا يدبرها

[illegible]

وهي ضروب كثيرة .. [illegible] فيها [illegible] وتزيد [illegible]
الغاية القصوى في الجودة [illegible] شعر [illegible]
من استجاد [illegible] وصحت من رديئه [illegible] عرفه [illegible]
والمعاني من استجاد [illegible] وصحت [illegible]
من حديث [illegible] المعاني [illegible]

لما الحمد [illegible] بالصحى [illegible] يقطر [illegible]

[illegible] مشهور عندهم منتشر في كتبهم .. [illegible] وجدة في
الكلام قال بعض الحذاق بنقد الشعر [illegible] أحسن [illegible]
فليست لذلك من أحسن الكلام [illegible] لا تقع لاتصاله
[illegible] لانه يمكن أن يكون [illegible] الشاعر [illegible]
وقريب المعنى على السامع [illegible] فصيحة [illegible]
الصدور وقيمته [illegible] حسنة وتدرات طيبة تكسبه [illegible]
تصويراً ولو كان الشعر هو [illegible] الحاضرة [illegible] شعر من [illegible] وقد
رأيناهم احتالوا [illegible] الكلام حتى قربوه من فهم السامع [illegible] التي [illegible]
وبالتشكك في التشبيه كما قال ذو الرمة

فيا ظبية الوعساء بين جلاجل [illegible] أم سالم

ولو أنه قال أنت أم سالم على [illegible] التشكك [illegible]
القلوب محل التشكك .. وكما قال جرير

فإنك لو رأيت عبيد تيم [illegible] قلت [illegible]

فلو قال عبيدهم أو عبيدهم [illegible] الصدق واحتال في تقريب المشبه [illegible] لطافة
تقع في القلوب وتدعو الى التصديق .. وكذلك قول أبي النجم يصف عرق الخيل

كأنه من عرق نسر بلة   كأنما يسمر المدى فيه لولا الله

ولو قال انه لكرسف لم يكن في حسن هذا لانه يشهد بتقارب التشبيه الى أن أوقع في الشك .. والمبالغة في صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا اعياه ايراد معنى حسن بالغ فيشغل الاسماع بما هو محال وهول مع ذلك على السامعين وانها يقصدها من ليس بمتمكن من محاسن الكلام اذ يمكنه ولا يتعذر عليه ويحدث كلما أرادها انه اقتصى كلامه وفيه كفاية وبلاغ لانه من يظهر من فحواه لم يرد الا ما كان فيه ولذلك كل مبالغة كذلك ألا ترى أن التهمم اذا طلبت حقيقته كان ضرباً من المبالغة وان ظهر أنه من نوع الحشو والمستحسن وقد مرّ ذكره وكذلك ماناسب قول ابن المعتز يصف حبلا

صببنا عليها ظالمين سياطنا   وطارت بها أيد سراع وأرجل

وهذا عند جميع الناس من باب الحشو وهو عندي مبالغة وكذلك الايغال وسيرد في بابه ان شاء الله .. ومن أحسن المبالغة وأغربها عند الحذاق التقصي وهو بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن من وصف الشيء كقول عمرو بن الأيهم التغلبي

ونكرم جارنا ما دام فينا   ونتبعه الكرامة حيث كانا

فتقصى ما يمكن أن يقدر عليه فتماطاه ووصف به قومه .. ومن أغربها أيضاً ترادف الصفات وفي ذلك تهويل مع صحة لفظ لا يحيل معنى كقول الله تعالى ﴿ أو كظلمات في بحر لجيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض ﴾ .. فأما الغلو وهو الذي ينكره من ينكر المبالغة من سائر أنواعها ويقع فيه الاختلاف لا ما سواه لما بينت ولو بطلت المبالغة كلها وعيبت لبطل التشبيه وعيبت الاستعارة الى كثير من محاسن الكلام .. ومن أبيات المبالغة قول امرئ القيس

كأن المدامَ وصوبَ الغمام   وريحَ الخزامي ونشرَ القطر

يعلّ به بردُ أنيابها   اذا غرّد الطائرُ المستحر

فوصف فاها بهذه الصفة سحراً عند تغير الافواه بعد النوم فكيف ظنها في أول الليل .. ومثل ذلك قوله يصف ناراً وان كان فيه إغراق

اطرت ... والاحوه ... [illegible]

يقول اطرت ... [illegible]

... من ... رعت ... [illegible]

ويس ... [illegible]

من ... وقد ... [illegible]

الحوم ... في ... [illegible]

لها أجمع لا ... [illegible]

وهذا مما أورده ... [illegible]

ها ... ملى ذيل العروس ... [illegible]

أراد طوله لأن العروس تجر ذيلها ... [illegible]

علان ذي ... [illegible]

وليل كجلباب العروس ... [illegible]

أراد به سواده لا لونه وأ... على خلاف قوله ... [illegible]

... عطية بن الخرع التميمي من ... يصف ... [illegible]

وجالس ... العروس ... [illegible]

... قد ... من ... [illegible]

البالغة وقول الله عز وجل ... [illegible]

مستحب ... [illegible]

الليل كالسارب النهار وكل ... [illegible]

—•—•—•—•—

باب الإيغال

وهو ضرب من المبالغة كما قدمت الا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها ... [illegible]

وأصحابه يسمونه التسليم وهو تفعيل من بلوغ الغاية وذلك يشهد بصحة ما قلته ويدل على ما رسمه . . وحكى الحاتمي عن عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد المبرد قال حدثني التوزي قال قلت للأصمعي من أشعر الناس قال الذي يجعل المعنى الخسيس بلفظه كبيراً أو يأتي الى المعنى الكبير فيجعله خسيساً أو ينقضي كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها أفاد بها معنى قال قلت نحو من قال نحو الأعشى اذ يقول

كناطح صخرةً يوماً ليفلقها   فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فقد تم المثل بقوله ـ وأوهى قرنه ـ فلما احتاج الى القافية قال الوعل قال قلت وكيف صار الوعل مفضلاً على كل ما ينطح قال لانه ينحط من قنة الجبل على قرنه ولا يضيره قال قلت ثم نحو من قال ذو الرمة بقوله

قف العنس في أطلال ميةَ واسأل   رسوماً كأخلاق الرداء المسلسل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال ـ المسلسل ـ فزاد شيئاً وقوله

أظنُّ الذي يجدي عليك سؤالها   دموعاً كتبديد الجمان المفصل

فتمم كلامه ثم احتاج الى القافية فقال ـ المفصل ـ فزاد شيئاً أيضاً . . وليس بين الناس اختلاف أن امرأ القيس أول من ابتكر هذا المعنى بقوله يصف الفرس

اذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفه   تقول هزيز الريح مرت بأثأب

فبالغ في صفته وجعله على هذه الصفة بعد أن يجري شأوين ويبتل عطفه بالعرق ثم زاد ايغالاً في صفته بذكر الأثأب وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت ومثل ذلك قوله

كأن عيونَ الطير حولَ خبائنا   وأرحلنا الجزعُ الذي لم يثقب

فقوله ـ لم يثقب ـ ايغال في التشبيه واتبعه زهير فقال

كأن فتاتَ العهن في كلِّ منزل   نزلنَ به حبُّ الفنا لم يحطم

فأوغل في التشبيه ايغالاً لتشبيهه ما يتناثر من فتات الأرجوان بحب الفنا الذي لم يحطم لأنه أحمر الظاهر أبيض الباطن فاذا لم يحطم لم يظهر فيه بياض البتة وكان خالص الحمرة

وتبعهما الأعشى فقال يصف صرعة

عرضت لها مصطرع سور ... شي فمه كمشى وحي وحل

فأوعل بقوله - الوحل - بعد أن ذكر رحى وكانت قوية ورسن .. وكان رتبة كثير

العجب بقول صريع الغواني

ذ معالت ه - دو بة تدرب ... تتت عسى معسد في وحل

ويقول قاتله الله ما كان أن حمله مقيد حتى جعله في وحل وذ قوي به ت الأعشى

العمه .. ومن الايغال قول الطرماح بعمي يصف فرساً سمعة سحر

لا يكمه أرو لأريت بحرحه ... من محجر كوجار على حرب

فكونه كوجار شكل عية في المبالغة فكيف د كل حرب .. ومن لاعل حسن

قول الخنساء

وإن صخراً لتأتم الهداة به ... كأنه علم في رأسه نار

فبالغت في الوصف أشد مبالغة وأوعت علا سديداً بقوله - في رأسه نار - بعد أن

جعله علماً وهو الجبل العظيم .. وأشد حفظ

ألوي حيازيمه بهن صبابة ... كما تتلوى حية بمشرق

فقوله - الحية المشرق - ابعال لانه أشد لتلويه وكذلك قول جرير

بات الفرزدق عائراً وكأنه ... قعو تعاوره السقاة معار

وإذا كان معاراً كان أشد لاستعماله وأقل للحفظ عليه .. وقول الحاشي يذكر عبد

الرحمن بن حسان

لما أتاني ما يقول ودونه ... مسيرة شهر للمطي المعرد

فأوغل بقوله - المعرد - ايغالاً عجيباً لأنه أسير من المحمل .. وقول جميل

إني لأكتم حبها إذ مصهم ... فيهن مخف كالناشد الأعمل

- الناشد - طالب الضالة وإذا كانت عقلا ليس فيها سمة كان أشد للبحث عنها وأكثر

للسموأل والمذكور .. ومن أحسن ايغال المحدثين قول مروان بن أبي حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دُعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

فقوله — وأجزلوا — قد أتى به في نهاية الحسن .. وكذلك قول بشار بن برد

وغيران من دون النساء كأنه أسامة [1] ذو الشبلين حين يجوع

فقوله — حين يجوع — ايغال حسن .. وقال ابن المعتز

وداعٍ دعا والليل بيني وبينه فكنتُ مكان الظن منه وأعجلا

فقوله — وأعجل — زيادة وصف وايغال ظاهر .. وقال أبو الطيب في رثاء أم سيف الدولة

مشى الأمراء حولها حفاة كأن المروَ من زِفِّ الرئال

فالزف — أصغر الريش وألينه ولا سيما ريش النعام ولم يرض بذلك حتى جعله زف الرئال شبه به المرو وهو أصغر من الحصى وحده فهذا فوق كل مبالغة وايغال .. ومن هذا النوع يسمى الاستظهار وهو قول ابن المعتز لابن طباطبا العلوي أو غيره

فأنتم بنو بنته دوننا ونحنُ بنو عمه المسلم

فقوله — المسلم — استظهار لأن العلوية من بني عم النبي عليه الصلاة والسلام أيضاً أعني أبا طالب ومات جاهلاً فكان ابن المعتز أشار بحذقه الى ميراث الخلافة وبين هذين الايغال والتتميم كثير فرق الا أن هذا في القافية لا يعدوها وذلك في حشو البيت .. واشتقاق الايغال من الابعاد يقال أوغل في الارض اذا أبعد فيما حكاه ابن دريد وقال وكل داخل في شيء دخول مستعجل فقد أوغل فيه .. وقال الأصمعي في شرح قول ذي الرمة

كأن أصواتَ من ايغالهن بنا أواخرَ الميس أصواتُ الفراريج

الايغال سرعة الدخول في الشيء يقال أوغل في الأمر اذا دخل فيه بسرعة فعلى القول الأول كان الشاعر أبعد في المبالغة وذهب فيها كل الذهاب وعلى القول الثاني كأنه أسرع الدخول في المبالغة بادرته هذه القافية وكلما كثرت من الشواهد في باب فانما أريد

(١) ن سليمان

بذلك تأنيس المتعلم وتحسيره على الأشياء الرائعة ولا ريب كيف تصرف الناس في ذلك الفن وقلبوا تلك المعاني والألفاظ

باب الغلو

ومن أسمائه أيضاً الاغراق والافراط ومن الناس من يرى أن فضيلة الشاعر انما هي في معرفته بوجوه الاغراق والغلو ولا أرى ذلك الا محالا لمخالفته الحقيقة وخروجه عن الواجب والمتعارف .. وقد قال الحذاق خير الكلام الحقائق فان لم تكن فما قاربها وناسبها وأنشد المبرد قول الأعشى

ولو أنَّ ما أبقينَ مني معلقٌ بعودِ ثُمامٍ ما تأوّد عودُه

فقال هذا متجاوز وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شبه وأحسن منه ما أصاب الحقيقة فيه انقضى كلامه .. وأصح الكلام عندي ما قام عليه الدليل وثبت فيه الشاهد من كتاب الله تعالى ونحن نجده قد قرن الغلو فيه بالخروج عن الحق فقال جل من قائل ﴿ يا أهلَ الكتابِ لا تغلوا في دينكم غيرَ الحقِّ ﴾ والغلو عند قدامة تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه وليس خارجاً عن طباعه كقول النمر بن تولب في صفة سيف شبه به نفسه

تظلُّ تحفرُ عنه ان ضربتَ به بعد الذراعين والساقين والهادي

اذ ليس خارجاً عن طباع السيف أن يقطع الشيء العظيم ثم يغوص بعد ذلك في الأرض ولان مخارج الغلو عنده على تكاد وعلى هذا تأول أصحاب التفسير قول الله تعالى ﴿ وبلغت القلوبُ الحناجرَ ﴾ أي كادت .. وقال الجرجاني في كتاب الوساطة والافراطُ مذهب عام في المحدثين وموجود كثير في الاوائل والناس فيه مختلفون من مستحسن قابل ومستقبح راد وله رسوم متى وقف الشاعر عندها ولم يتجاوز بالوصف حدها سلم ومتى تجاوزها اتسعت له الغاية وأدته الحال الى الاحالة وانما الاحالة نتيجة الافراط وشعبة من

الاغرق .. وقال الحاتمي وجدت العلماء بالشعر مختلفين على الشاعر أبيات الغلو والاغراق ويختلفون في استحسانها واستهجانها ويعجب بعض منهم بها وذلك على حسب ما يوافق طباعه واختياره ويرى أنه من ابداع الشاعر الذي يوجب الفضيلة له فيقولون أحسن الشعر أكذبه وان الغلو انما يراد به المبالغة والافراط وقالوا اذا أتى الشاعر من الغلو بما يخرج عن الموجود ويدخل في باب المعدوم فانما يريد به المثل وبلوغ الغاية في النعت واحتجوا بقول النابغة وقد سئل من أشعر الناس فقال من استجيد كذبه وأضحك رديئه وقد طعن قوم على هذا المذهب بمنافاته الحقيقة وأنه لا يصح عند التأمل والفكرة اقتضى كلامه .. ومن أبيات الغلو للقدماء قول مهلهل

فلولا الريحُ أسمع من بحجرٍ صليلَ البيض تقرعُ بالذكورِ

وقد قيل إنه أكذب بيت قالته العرب وبين حجر وهي قصبة اليمامة وبين مكان الوقعة عشرة أيام وهذا أشد غلواً من امرئ القيس في النار لأن حاسة البصر أقوى من حاسة السمع وأشد ادراكا .. ومنها قول النابغة في صفة السيوف

تقد السلوقيّ المضاعفَ نسجه ويوقدن بالصفاح نار الحباحب

وهو دون بيت امرئ القيس في تنور صاحبة النار افراطاً ودون بيت النابغة قول النمر بن تولب في صفة السيف أيضاً وقد أنشدته فيما مضى من هذا الباب واختار قوم على بيتي النابغة والنمر قول أبي تمام

ومهنَّدٍ مثلَ السيفِ لولم تسله يدانِ لسلته ظُباه من الغمدِ

.. ومن الغلو قول جرير

فلو وضعت فقاح بني نميرٍ على خبثِ الحديدِ اذاً لذابا

لأنه شئ لا يذوب أبداً .. وقد نعي على أبي نواس قوله

وأخفتَ أهلَ الشركِ حتى أنه لتخافك النطفُ التي لم تخلق

اذ جعل ما لم يخلق يخافه .. وكذلك قوله

حتى الذي في الرحمِ لم يك صورةً لفؤاده من خوفهِ خفقانُ

وزعم بعض المتعصبين أن الذي كبر شأن أبي الطيب وبعد في الناس صيته ما يجري فيه ولد ضرب في أبي الطيب ضربت في كثير من عيوب وعده فيه حق يقدر ما أحلى منه .... وحتى .... عيوبه في غيره مدوحة كقوله

يترشفن من فمي رشفات هن فيه أحلى من التوحيد

وإن كان له في هذا تأويل ومخرج يحمله التوحيد غاية من الحلاوة ... وقوله

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

ما دعاه إلى هذا وفي الكلام عوض منه ولا عذق عليه فكيف وقد قال

كأني دحوت الأرض من خبرتي بها كأني بنى الإسكندر السد من عزمي

فتشبه نفسه بالخالق تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ثم انحط إلى الإسكندر و... أفسد أبو الطيب اعتزازه هكذا وتقص منه ... صلاحا له وزيادة فيه نحو قوله يصف شعره

إذا قلته لم يمتنع من وصوله جدار معلى أو خباء مطنب

فما وجه الخباء المطنب بعد الجدار ... هو في الثريا ... في الثرى و... الحاضرة والبادية وكذلك قوله

يصيد الريح الهوج عنها مخافة ويفزع منها الطير أن يلقط الحب

وكم بين خوف الريح الهوج وصدودها وبين فزع الطير ... ولا ... وفزع الطير منها ما تلتقط الحب ... وعدمها السلاح وقل ... أو ... يحمي مردرعات جمة وقد رجح صاحب الوساطة هذا البيت على قول أبي تمام

فقد بث عبد الله خوف انتقامه على الليل حتى ما تدب عقاربه

فاعتبروا يا أولى الأبصار، ومما نشأ كل قول أبي الطيب في أغاليطه قول ... البحتري

دنتُ من الشوقِ فلو زجَّ بي في مقلةِ النائمِ لم ينتبه
وكانَ لي فيما مضى خاتمٌ فالآن لو شئتُ تمنطقتُ به

فبين الاغراق والاغراق بون بعيد واختلاف شديد .. واذا لم يجد الشاعر بداً من الاغراق لحبه ذلك ونزوع طبعه اليه فليكن ذلك منه في الندرة وبيتاً في القصيدة ان أفرط ولايجعله هجّيراه كما يفعل أبو الطيب..وأحسن الاغراق مانطق فيه الشاعر أو المتكلم بكادَ أوما شاكلها نحو كان ولو ولولا وما أشبه ذلك ممالم يناسب أبيات أبي الطيب المتقدم ذكرها في الشناعة ألا ترى ما أعجب قول زهير

لو كان يقعدُ فوقَ الشمسِ من كرمٍ قومٌ بأحسابهم أو مجدِهم قعدوا

فلم ما أراد من الافراط وبني كلامه على صحة .. ومما استحسنه الرواة ونص عليه العلماء قول امرئ القيس يصف سناناً

حملتُ ردينياً كأنَّ سنانه سنالهبٍ لم يتصل بدخان

واذا نظرت الى قول أبي صخر

تكاد يدي تندي اذا مالمسها وينبتُ في أطرافها الورقُ النضر

.. وقول أبي الطيب

وعجبتُ من أرضٍ سحابُ أكفهم من فوقها وصخورُها لا تورق

لم يخف عنك وجه الحكم فيهما على أن في قول أبي الطيب بعض الملاحة والمخالفة لطبعه في حب الافراط وقلة المبالاة فيه اذ كان ممكناً أن يقول ان الصخور أورقت ولغة القرآن أفصح اللغات وأنت تسمع قول الله تعالى﴿ يكادُ البرقُ يخطفُ أبصارَهم ﴾وقوله ﴿ اذا أخرجَ يدَه لم يكد يراها ﴾ وقوله ﴿ يكادُ زَيتها يضيءُ ولولم تمسسه نارٌ ﴾ .. واشتقاق الغلو المغالاة ومن غلوة السهم وهي مدى رميته يقال غاليت فلاناً مغالاة وغلاء اذا اختبرتما أيكما أبعدغلوة سهم ومنه قول النبي عليه الصلاة والسلام جري المذكيات غلاء وقدجاء في حديث داحس غلاء وغلاب بالباء أيضاً واذا قلت غلا السعر غلاء فانما تريد أنه ارتفع وزاد على ما كان وكذلك غلت القدر غلياً أوغلياناً انما هو أن

يحيش ماؤها ويرتفع ولا اغراق أيضاً أصاف نرمي وذلك أن يحدث سهم في نور عند النزع حتى تستغرق جميعه بذلك وسن حسبة القوس وقد تفعل ذلك بعد العرض لدى رميه وهذه التسمية تدل على ماتحوت اليه وأشرت نحوه

باب التشكك

وهو من ملح الشعر وطرف الكلام وله في النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للعلو والاغراق وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر وذلك نحو قول زهير

وما أدري وسوف أخالُ أدري أقومٌ آلُ حصن أم نساء

فان تكن النساءُ مخبّآت فحقٌ لكلِّ محصنة هداء

فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء وهذا أملح من أن يقول هم نساء وأقرب الى التصديق ولهذه العلة اختاروه كما تقدم القول في بيت ذي الرمة

أيا ظبيةَ الوعساء بين جلاجل وبين النقا آأنت أم أمُّ سالم

وبيت جرير * فانك لو رأيتَ عبيد تيم *

وبيت أبي النجم في صفة عرق الخيل .. وقال العرجي

بالله يا ظبياتِ القاعِ قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر

وانما سلك طريق ذي الرمة .. وقال سلم بن عمرو الخاسر

تبدتْ فقلتُ الشمسُ عندَ طلوعها بجلدٍ غنيٍّ اللونِ عن أثرِ الورس

فلما كررتُ الطرفَ قلتُ لصاحبي على مِريَةٍ ما ههنا مطلع الشمس

فأنت ترى كيف موقع هذا الشك من اليقين وكيف حلاوته في الصدر وقوله فانه لو كان

يقصد معنى هذا البيت وتداول هذا المعنى أبو زيد لوصاح بن محمد الثقفي (١) فقال يمدح المستعين بالله

وقائلة والليل قد نشر الدجى وغطى بها ما بين سهل وقردد
أرى أرقاً دوماً الجوسق الذي به حل ميراث النبي محمد
فظل عذاري خي يظهر تحته صفارية الجزع الذي لم يسرد
أضاءت به الآفاق حتى كأنما رأينا بنصف الليل نور ضحى الغد
فقلت هو البدر الذي تعرفينه ولا يكن فالنور من وجه أحمد

وأما قول أبي تمام حين قصد عبد الله بن طاهر الى خراسان يذكر شك رفقائه واستبعادهم الطريق

يقول في قومس صحبي وقد أخذت منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغي أن تؤم بنا فقلت كلا ولكن مطلع الجود

فقد صرف المعنى فيه عن وجهه وخالف فيه قصده وسبب الشك الى غيره وهو يعد من قول سليم وليس ذكرهما جميعاً مطلع الشمس قدوة ولا عليه معول .. وقول ابن ميادة

وأشفق من وشك الفراق وإنني أظن لمحمول عليه فراكبه
فوالله ما أدري أيغلبني الهوى اذا جد جد البين أم أنا غالبه

فقوله في البيت الأول ـ أظن ـ مليح جداً وكذلك قوله في البيت الثاني ما أدري أيغلبني الهوى أم أنا غالبه .. وأخذ هذا المعنى ابن أبي مية وزاده ملاحة فقال

فديتك لم تشبع ولم تروَ من هجري أيستحسن الهجران أكثر من شهر
أراني سأسلو عنك ان دام ما أرى فلا ثقة لكن أظن ولا أدري

وقد أحسن أبو الطيب في قوله

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بفيَّ برودٌ وهو في كبدي جمر

(١) ب الثقفي

لولا أنه كدر صفوه ومرر حلوه بما أضاف إليه من قوله

أذا العصن أم ذا الدعص أم أنت فتنة ... وهذا الذي قسه البرق أم ثغر

ولله در أبو نواس اذ يقول

ألا لا أرى مثلي امترى اليوم في رسم ... تغص به عيني ويلفظه وهمي

أتت صور الأشياء بيني وبينه ... فظني كلا ظن وعلمي كلا علم

و [illegible] كلا جهل وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس

لمن طلل دارس آيه ... أضر به سالف الأحرس

تنكره العين من حادث ... ويعرفه شغف الأنفس

وقال اعرابي في معنى أبيات الوضاح بن محمد

أقول والنجم قد مالت مياسره ... الى الغروب تأمل نظرة حار

ألمحة من سنا برق رأى بصري ... ووجه نعم بدا لي أم سنا نار

بل وجه نعم بدا والليل معتكر ... فلاح من بين حجاب واستار

باب الحشو وفضول الكلام

ويسميه قوم الاتكاء وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى وانما أدخله الشاعر لاقامة الوزن فان كان ذلك في القافية فهو استدعاء وقد يأتي في حشو البيت ماهو زيادة في حسنه وتقوية لمعناه كالذي تقدم من التتميم والالتفات والاستثناء وغير ذلك مما أنا ذاكره آنفاً ٠٠ من ذلك قول عبد الله بن المعتز يصف خيلا

صببنا عليها ظالمين سياطنا ... فطارت بها أيد سراع وأرجل

وقد مر ذكره في باب المبالغة فقوله ظالمين حشو أقام به الوزن وبالغ في المعنى أشد مبالغة من جهته حتى علمنا ضرورة أن اتيانه بهذه اللفظة التي هي حشو في ظاهر الأمر

أفضل من تركا وهذا شبيه بالتتميم •• وقال الفرزدق

ستأتيك مني إن بقيتُ قصائدٌ يقصرُ عن تحبيرها كلُّ قائل

فقوله - إن بقيت - حشو في ظاهر لفظه وقد أفاد به معنى زائداً وهو شبيه بالالتفات من جهة وبالاحتراس من جهة أخرى فما كان هكذا فهو الجيد وليس بحشو إلاَّ على المجاز أو بعد أن ينعت بالجودة والحسن أو يضاف اليه وانما يطلق اسم الحشو على ما قدمت ذكره مما لا فائدة فيه •• وقد أتى العتابي بما فيه كفاية حيث يقول

ان حشو الكلام من لكنة المر ء والحارة من القوم

جعل الحشو لكنة وليس كل ما يحشى به الكلام لزيادة فائدة لكنة وانما أراد ما لا حاجة اليه ولا منفعة كقول أبي صفوان الاسدي يذكر باريا

ترى الطيرَ والوحشَ من خوفه حواجرَ منه اذا ما اغتدى

فقوله - منه - بعد قوله - من خوفه - حشو لا فائدة فيه ولا معنى له وكذلك قول أبي تمام يصف قصيدة

خذها ابنةُ الفكرِ المهذب في الدجى والليلُ اسودُ حالكُ الجلباب

فقوله - الدجى - حشو لان في القسم الثاني ما يدل عليه من زيادة استعارتين مليحتين فان لم يكن في القسم الاول حشو كان القسم الثاني بأثره فضلة •• وقال أبو الطيب في نحو من ذلك

اذا اعتلَّ سيفُ الدولةِ اعتلتِ الارضُ ومنْ فوقها والبأسُ والكرَمُ المحض

فقوله - والباس - حشو لأن قوله ومن فوقها دال على الانس والجن جميعا والبأس والكرم جميعاً اللهم الا أن يحمله على تأويلهم في قول الله تعالى ﴿ فيهما فاكهةٌ ونخلٌ ورمان ﴾ فأعاد ذكرهما وهما من الفاكهة لفضلهما وقوله ﴿ مَن كانَ عَدواً للهِ وملائكتهِ ورُسله وجبريلَ وميكالَ ﴾ فان هذا سائغ وليس بحشو حينئذ •• ومن الحشو قول الكلحبة اليربوعي

اذا المرء لم يغشَ الكريهةَ أوشكت حبالُ الهوينا بالفتى أن تقطعا

قوله ـ بالفتى ـ حشو وكان الواجب ان يقول به لان ذكر امرء قد تقدم الا أن يريد في قوله بالفتى لزرايه والاسطورة فهو محتمل ٠٠ وقال زيد الخيل يخاطب كعب بن زهير

يقولُ أرى زيدا وقد كان معدماً   أراه لعمري قد تموَّل واقتنى

فقوله ـ أراه لعمري ـ حشو وسفر حة لاستغنائه بقوله أرى زيداً ٠٠ ومما يكثر به حشو الكلام أضحى وبات وظل وغدا وقد ويوماً واشباهها وكان أبو تمام كثيراً ما يأتى بها ويكره للشاعر استعمال ذا وذي والذي وهو وهذا وهذي وكان أبو الطيب مولعاً بها مكثراً منها في شعره حتى حمله حبه فيها على استعمال التاذو ركوب الضرورة في قوله

لولم تكن من ذا الورى اللذ منك هو   عقمت بمولدِ نسلها حواء

وكذلك يكره للشاعر قوله في شعره حقاً الا أن تقع له موقعها في قول الاخطل

فاقسمَ المجد حقا لا يحالفهم   حتى يحالفَ بطنَ الراحةِ الشعر

فان قوله ههنا ـ حقاً ـ زاد المعنى حسناً وتوكيداً ظاهراً ٠٠ ولقد أحسن عبد الله بن عبد الله بن طاهر في قوله لابن المعتز

ولو قبلت في حادث الدهر فدية   لقلنا على التحقيق نحن فداؤه

فقوله ـ على التحقيق ـ حشو مليح فيه زيادة فائدة ٠٠ومن الناس من يسمى هذا النوع من الكلام ارتفاداً وأنشد بعض العلماء قول قيس بن الحطيم

قضى لها اللهُ حين صَورها الـ   ـخالقُ أن لا يكنها سدف

والاتكاء عنده والارتفاد هو قول الشاعر ـ صورها الخالق ـ لان اسم الله تعالى قد تقدم ووجدت الحذاق يعيبون قول ابن الحدادية وهي أمه واسمه قيس بن منقذ

ان الفؤاد قد أمسى هائماً كلفا   قدشفه ذكرُ سلمى اليومَ فانتكسا

لحشوه ـ بقد ـ في موضعين من البيت ثم ـ بأمسى وباليوم ـ على تناقضهما ٠٠ وعاب الحاتمي على الاعشى قوله

فرميتَ غفلةَ قلبه عن شاته   فأصبتَ حبةَ قلبها وطحالها

لان تكرير ـ القلب ـ عنده حشو لافائدة فيه وهذا تعسف من الحاتمي لأن قلبه غير قلبها

وعما كرر اللفظ دون المعنى ورأيت روايته فى أكثر النسخ حسنة قبله وطحالها وهو غلط ومن ههنا عابه فيما أظن ومن الناس من روى — فرمت غلة عينه عن شاته — وهي رواية مشهورة صحيحة وعابوا علي أبي العيال الهذلى قوله

دكرتُ أخي فعاودني صداعُ الرأسِ والوصبُ

لأن —الصداع— من أدواء الرأس خاصة فليس لذكر الرأس معه معنى وعلي جميل قوله

وما ذكرتكِ النفسُ يا بثنَ مرة من الدهرِ الاّ كادتِ النفس تتلف

فتكرير —النفس— ليس له وجه ههنا وللتكرير موضع يحسن فيه وسيرد ان شاء الله في بابه ومن الحشو نوع سماه قدامة التفصيل بالفاء وزعم قوم أنه بالعين كأنهم يجعلونه اعوجاجاً من قولهم باب أعضل وجعله آخرون بالعين وضاد معجمة كأنه عندهم من تعضيل الولد اذا عسر خروجه واعترض فى الرحم وظاهر البيت الذى أنشده قدامة يدل على أنه التفصيل بالفاء وهو قول دريد بن الصمة

وبلغ نميراً ان عرضت ابن عامر وأي أخ فى النائبات وطالب

ويجري هذا المجرى قول أبى الطيب بل هو أقبح منه

حملت اليه من لساني حديقةً سقاها الحجا سقي الرياضِ السحائبُ

لان التفرقة بين النعت والمنعوت أسهل من التفرقة بين المضاف والمضاف اليه وهما بمنزلة الشيء واحد واذا شئت أن تجعل بيت ابن الخطيم حين صورها الخالق من هذا النوع جاز لك فيكون التقدير قضى لها الله الخالق حين صورها

باب الاستدعاء

وهو أن لايكون للقافية فائدة الا كونها قافية فقط فتخلو حينئذ من المعنى كقول عدي القرشي أنشده قدامة

ووقيت الحتوف من وارث وا ل وأبقاك صالحاً رب هود

فانه لم يأت لهود النبي عليه السلام ههنا معنى الا كونه قافية وما أعجب السيد الحميري فى قوله

أقسم بالفجر وبالعشر والشفع والوتر وربّ عمان
فى منزل محكم ناطق سور آيات وبرهان
فالفجر فجر الصبح والعشر عشر النحر والشفع محمد
محمد وابن أبى طالب والوتر رب العزة الذى
بانى سموات بناها بلا تقدير إنس ولا جان

فانظر الى قوله ـ رب عمان ـ ما أكثر قلقه واشد ركاكته وأما قوله ـ الذي ـ فقد خرج فيه من حد اللين والبرد ويجاوز فيه الغاية في ثقل الروح والله حسيبه . . ومن أناشيد قدامة قول على بن محمد صاحب البصرة

وسابغة الاذيال زغف مفاضة تكنفها منى نجاد مخطط

فلا أدري معنى هذا الشاعر في مخطط النجاد وهذا أقل ما في تكلف القوافي الشاردة اذا ركبها غير فارسها وراضها غير سائسها

باب التكرار

وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها فأكثر ما يقع التكرار فى الالفاظ دون المعانى وهو فى المعاني دون الالفاظ وأقل فاذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً الا على جهة التشوق والاستعذاب اذا كان فى تغزل أو نسيب . . كقول امرئ القيس ولم يتخلص أحد تخلصه فيما ذكر عبدالكريم وغيره ولا سلم سلامته في هذا الباب

ديارٌ لسلمى عافياتٌ بذى الخال ألحّ عليها كلّ أسحمَ هطالِ

ونحسب سلمى لا تزال كعهدنا   بوادي الخزامى أو على رأس أوعال

ونحسب سلمى لا تزال ترى طلا   من الوحش أو بيضاً بميثاء محلال

ليالى سلمى إذ تريك منصباً   وجيداً كجيد الرئم ليس بمعطال

وكقول قيس بن ذريح

ألا ليت لبنى لم تكن لى خلة   ولم تلقني لبنى ولم أدر ما هيا

أو على سبيل التنويه به والاشارة اليه بذكر إن كان في مدح كقول أبى الاسد

ولائمة لامتك يا فيض في الندى   فقلت لها هل يقدح اللوم في البحر

أرادت لتثني الفيض عن عادة الندى   ومن ذا الذي يثني السحاب عن القطر

كأن وفود الفيض يوم تحملوا   الى الفيض لاقوا عنده ليلة القدر

مواقع جود الفيض في كل بلدة   مواقع ماء المزن في البلد القفر

فتكرير اسم الممدوح ههنا تنويه به واشارة بذكره وتفخيم له في القلوب والاسماع .. وكذلك قول الخنساء

وان صخرا لمولانا وسيدنا   وان صخرا اذا نشتو لنحار

وان صخرا لتأتم الهداة به   كأنه علم في رأسه نار

أو على سبيل التقرير والتوبيخ .. كقول بعضهم

الى كم وكم أشياء منكم تريبني   أغمض عنها لست عنها بذى عمي

فأما قول محمد بن مناذر الصبيري في معنى التكثير

كم وكم كم كم وكم كم كم وكم   قال لى الحر حر ما وعد

فقد زاد على الواجب وجاوز الحد .. ولما أنشدوا للصاحب أبى القاسم اسماعيل بن عباد قول أبى الطيب

عظمت فلما لم تكلم مهابة   تواضعت وهو العظم عظما عن العظم

قال ما أكثر عظام هذا البيت مع أنه من قول الطائي

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كما وصف فصلا [illegible]

[illegible]

أو على [illegible]

[illegible]

[illegible]

أو على وجه [illegible]

[illegible]

[illegible]

وأولى ماتكرر فيه الكلام باب [illegible] صحيحة [illegible] التي [illegible]

وهو كثير حيث التمس من الشعر وجد .. أو على سبيل الاستغاثة وهي في باب المديح

نحو قول [illegible]

[illegible]

ويقع التكرار في الهجاء [illegible] .. كقول ذي الرمة يهجو المرئي

تسمى امرأالقيس بن سعد اذا اعترت ... وتأبى [illegible] الصهب والآنف الحمر

ولكنما أصل امرئ القيس معشر ... يحل لهم لحم الخنازير والخمر

نصب ُ مرئ القيس العسد وأرضهم   ممر المساحي لا فلاةُ ولا مصر
تخلى الى الفقر مروٴ القيس انه   سواء على الصف امروٴ القيس والقفر
تحب امرو القيس القرى أن تناله   وتأبي مقاربها اذا طلع الفجر(١)
هل الناس ُ ألا يا امرأ القيس ِ عادر   ووافٍ وما فيكم وفاء ولا غدر

وكذلك صنع جرير في قصيدته الدماغة التي هجا بها راعي الابل فانه كرر بني نمير في كثير من أبياتها.. ويقع أيضاً على سبيل الازدراء والتهكم والتنقيص كقول حماد عجرد لابن نوح وكان يتعرب

يا بن نوح يا أخا الحـ   ـلس ويا ابن القتب
ومن نشا ولده   بين الزنا والكتب

* يا عربي يا عربي ياعربي ياعربي *

ومن المعيب في التكرار قول ابن الزيات

أتعرفْ أم تقيم على التصابى   فقد كثرتْ مناقلةُ العتاب
اذا ذكر السلوُّ عن التصابى   نفرت من اسمه نفر الصعاب
وكيف يلام مثلكَ في التصابى   وأنتَ فتى المجانةِ والشباب
سأعرف ان عزمت عن التصابى   اذا ما لاح شيب بالغراب
ألم ترني عدلتُ عن التصابى   فأغرتني الملامةُ بالتصابي

فملأ الدنيا بالتصابى على التصابي لعنة الله من أجله فقد برد به الشعر ولا سيما وقد جاء به كله على معنى واحد من الوزن لم تعدُ به عروض البيت وأين هذا من تكريره على جهة التفخيم في قوله للحسن بن سهل من قصيدة

الى الامير الحسن ِ استحدثُها   أى مرارٍ ومساحٍ ومحل
أى مرار ومساح ومحل   لخائف ومسترش ذى أمل

وهذا كقول أمرئ القيس

تقطعَ أسبابُ اللبانة والهوى   عشية جاوزنا حماة وشيزرا

(١) ن النسر

عشية جاورنا حماة وشيزرا ... أخو الجهد لا يلوي على من تعذرا

ومن تكرير المعاني قول امرئ القيس وما رأيت أحداً نبه عليه

فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا علقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صم جندل

فالبيت الأول مغنٍ عن الثاني والثاني يغني عن الأول ومعناهما واحد لأن النجوم تشتمل على الثريا كما أن يذبل تشتمل على صم الجندل وقوله - شدت بكل مغار الفتل - مثل قوله - علقت بأمراس كتان - ويقرب من ذلك وليس به قول كثير

واني وتهيامي بعزةَ بعد ما ... تخليت مما بيننا وتخلتِ

لكالمرتجي ظلَّ الغمامةِ كلما ... تبوأ منها للمقيلِ اضمحلت

كأني وإياها سحابة ممحلٍ ... رجاها فلما جاوزته استهلت

الا أن كثيراً تصرف فجعل رجاء الأول ظل الغمامة ليقيل تحتها من حرارة الشمس فاضمحلت وتركته ضاحياً وجعل الممحل في البيت الثاني يرجو سحابة ذات ماء فأمطر بعد ما جاوزته ٠٠ ومن مليح هذا الباب ما أنشدنيه شيخنا أبو عبد الله محمد بن جعفر لابن المعتز وهو قوله

لساني لسري كتومٌ كتوم ... ودمعي بحبي نمومٌ نموم

ولي مالك شفني حبه ... بديعُ الجمال وسيمٌ وسيم

له مقلتا شادنٍ أحورٍ ... ولفظٌ سحور رخيمٌ رخيم

فدمعي عليه سجومٌ سجوم ... وجسمي عليه سقيمٌ سقيم

باب منه

ذكر ابن المعتز أن الجاحظ سمي هذا النوع المذهب الكلامي ٠٠ قال ابن المعتز

وهذا ب م عمت في وحسه ب تران تعالى ر سم ان الحكاية تعالى الله عن ذلك عل كبيراً قال صاحب كتاب عير ان من مور لم مم مهد اسات أبوات مديع لخمسة التي جعلها مهد السمة وقد ان ى عيره وأنشد للفرزدق

ىكل مرئ عسان مس كرمه رحوى دهصه انقي وابط مها
وعسك من نفسيك تسمع للندى اذا نال من جوارهن شهعها

وأنشد الآخر ولا أصه الا ابراهيم بن العباس

وعلمتني كيف الهوى وجهلته وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي
وعلم مالي عسدكم فمعل بي هواي الى حبلي وأعرض عن علمي

وعاب عي أبي تمام قوله

فالمجد لا يرضى بأن ترضى بان يرضى امؤمل منك لا يرضى

وحكي أن اسحاق الموصلي سمع الطائي ينشد ويكثر من هذا الباب وأمثاله عند الحسن ابن وهب فقال يا هذا لقد شددت على نفسك وأنشد ابن مهر لنفسه

أسرفت في الكتمان وذاك مني دهاني
كتمت حبك حتى كتمته كتماني
فلم يكن لي بد من ذكره بلساني

وهذه الملاحة نفسها والظرف بعينه ومن هذا الباب نوع آخر هو اولى بهذه التسمية من كثير مما ذكره المؤلفون نحو قول ابراهيم بن المهدي يعتذر الى المأمون من وثوبه على الخلافة

البر منك وطاء العذر عندك لي فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم

وكذلك قول أبي عبد الرحمن العطوي

فوحق البيان يعضده البـ ـرهان في مأقط ألد الخصام

ما رأينا سوي الحبيبة شيئاً جمع الحسن كله في نظام
هي تجري مجري الاصابة في الرأ ي ومجرى الأرواح في الاجسام

وقد نقلت هذا الباب نقلا من كتاب عبد الله بن المعتز الا ما لا خفاء به عن أحد من أهل التمييز واضطرني الى ذلك قلة الشواهد فيه الا ما ناسب قول أبي نواس

سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار

فهذا مذهب كلامي فلسفي .. وقوله أيضاً

فيك خلاف لخلاف الذي فيه خلاف لخلاف الجميل

واشباه ذلك مما في هذا غنى عنه ودال عليه

باب نفي الشيء بايجابه

وهذا الباب من المبالغة وليس بها مختصاً الا أنه من محاسن الكلام فاذا تأملته وجدت باطنه نفياً وظاهره إيجاباً .. قال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره اذا سافه العود النباطي جرجرا

فقوله لا يهتدى بمناره لم يرد أن له مناراً لا يهتدى به ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار .. وكذلك قول زهير

بأرض خلاء لا يسد وصيدها عليّ ومعروفي بها غير منكر

فأثبت لها في اللفظ وصيداً وانما أراد ليس لها وصيد فيسد عليّ ويتصل بهذا قول الزبير بن عبد المطلب يذكر عميلة بن السباق بن عبد الدار وكان نديماً له وصاحباً

صبحت بهم طلقا يراح الى الندى اذا ما انتشى لم تحتضره مفاقره

صعيفاً بحثت الكأس قبض بنانه   كليلا على وجه النديم أظافره

وظاهر كلامه أنه يخمش وجه النديم الا أن أظفاره كليلة وانما أراد في الحقيقة أنه لا يظفر وجه النديم ولا يفعل شيئاً من ذلك وكذلك قوله ـ لم يحتصره مفاقره ـ أى ليس له مفاقر فتحتصره ٠٠ وقال أبو كبير الهذلى يصف هضبة

وعلوت مرتقباً على مرهوبة   حصاء ليس رقيبها فى مثمل

عيطاء معنقة يكون أنيسها   ورق الحمام جميمها لم يؤكل

يريد أنه ليس بها جميم فيؤكل يدل على ذلك قوله في البيت الاول ـ حصاء ـ وهي التي لا نبت فيها ٠٠ وقال أبو زبيد يصف فرساً

متعلق أنساؤها عن قانئ   كالقرط صاوٍ غبره لا يرضع

فلم يرد أن هناك بقية لبن لا يرضع لكن أراد أنها لا لبن لها فيرضع والشاهد على جميع ما قلته فى شرح هذه الاشياء ما جاء فى تفسير قول الله عز وجل ﴿ لا يسألون الناس إلحافاً ﴾ قالوا ليس يقع منهم سؤال فيقع الحافا أي هم لا يسألون البتة ٠٠ والمعيب من هذا الباب قول كثير يرثى عزة صاحبته

فهلا وقاك الموت من أنت زينه   ومن هو أسوا منك دلاً وأقبح

لانه قد أوهم السامع أن لها دلا سيئاً ولكن غيره أسوأ منه وأقبح فكيف ان كان القبح راجعاً عليها لا على دلها وليس هذا شيء فى من قوله تعالى ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا ﴾ لان هذا لا اشكال فيه

باب الاطراد

ومن حسن الصنعة أن تطرد الاسماء من غير كلفة ولا حشو فارغ فانها اذا اطردت دلت على قوة طبع الشاعر وقلة كلفته ومبالاته بالشعر ٠٠ وذلك نحو قول الأعشى

أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد   وأنت امرؤ ترجو شبابك وائل

فأتى كالماء الجارى اطراداً وقلة كلفة وبين النسب حتى أخرجه عن موضع اللبس والشبهة .. ولما سمع عبد الملك بن مروان قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته ذؤاب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال كالمتعجب لولا القافية لبلغ به آدم ورواه قوم أنت بعبد الله .. وقال أبو تمام

عبد الملك بن صالح بن علي بن قسيم النبي فى نسبه

فهذا سهل العنان خفيف على اللسان وان كانت الباء فى الملك ضرورة وتكلفاً .. وقال الحارث بن دوس الايادي

وشباب حسن أوجههم من إياد بن نزار بن معد

فاطردت ثلاثة أسماء لا كلفة فيها .. وقال أبو تمام فى قالب بيت الاعشى وان نقص عنه اسما واحداً

نصر بن منصور بن بسام اغري لاشتطت الايام عن عدة وعد

وأما من أتي بأكثر من هذا ومن الاول فقد قال بعضهم

من يكن رام حاجة بعدت عنه وأعيت عليه كل العياء

فلها احمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

فجاء كلامه نسقاً واحداً الا أنه قد شغل البيت وفصل بين الكلام بقوله ـ المرجى ـ غير أن مجانسة رجاء هونت خطيئته وغمرت ذنبه .. وقال الطائى

عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب

خاطب بذلك بني عمرو بن غنم التغلبيين وهم بنو عم مالك بن طوق وتطرله ما أراد من الاسماء الا أنه ظاهر التكلف وقال فأتى بستة

ماست بمحسن من صونها مسارلا للقمر الطالع

كالدلو والحوت واشراطه والبطن والنجم الى البالع

نوح بن عمرو بن حوى بن عمرو بن حوى بن العتى مانع

فأحكم التصنيع وقال ستة بستة لان الاشراط منزلة وان جمعها الا أن العتى ههنا عصة مع

يرد لفظ وركاكه ما أحسن هؤلا كلهم يقال له الحق وان كنا نعلم أنه لم يرد فتاء السن ولكن الفتوة ٠٠ وجاء أبو الطيب بذلك بالتعسف فى قوله لسيف الدولة

فأنت أبو الهيجا ابن حمدان يا ابنه ... تشابه مولودٌ كريم ووالدُ

وحمدان حمدونٌ وحمدونُ حارثٌ ... وحارث لقمانٌ ولقمان راشد

فبي هذا المعنى من التقصير أنه جاء به فى بيتين وأنه جعلهم أبناء الخلافة بقوله

أولئك أبناءُ الخلافةِ كلها ... وسائرُ أملاك البلاد الزوائدُ

وهم سبعة بالممدوح والابناء فى المتعارف أربعة الا أن تكون الخلافة تماسخ بيل أو كان يحرون أبناء كل واحد منهم ثمانية اللهم الا أن يريد أن كل واحد منهم نال الخلافة فى زمانه خاصة فانه يصح وفيه من الزيادة على ما قبله أنه زاد واحداً فى العدد فانه جعل كل ابن هو أبوه فى الخلافة الى أن بلغ راشداً فلم يقصد الى ذلك أحد من أصحابه وانما مقت شعره هذا تكريره كل اسم مرتين فى بيت واحد وهي أربعة أسماء

باب التضمين والاجازة

وهذا باب يخلط على كثير من الشعراء ممن ليس له ثقوب في العلم ولا حذق بالصناعة كجماعة ممن وسم فى الدنيا بالمعرفة وينسب اليها مكذوباً عليه فيها كاذباً فيما ادعاه منها ولتعرفهم فى لحن القول ٠٠ فأما التضمين فهو قصدك الى البيت من الشعر والقسم فتأتى به فى آخر شعرك أو في وسطه كالمتمثل نحو قول محمود بن الحسين كشاجم الكاتب

ياخاضبَ الشيبِ والأيامُ تظهره ... هـذا شبابٌ لعمرُ الله مصنوع

أذكرتنى قولَ ذي لبٍّ وتجربةٍ ... فى مثـله لك تأديبٌ وتقريع

أن الجديدَ اذا ما زيد فى خَلَقٍ ... تبين الناسُ أن الثوبَ مرقوعُ

فهذا جيد في بابه وأجود منه أن لو لم يكن في البيت الأول والآخر واسطة لأن الشاعر قد دل بذلك على أنه متهم بالسرق أو على أن هذا البيت غير مشهور وليس كذلك بل هو كالشمس اشتهاراً ولو أسقط البيت الأوسط لكان تضميناً عجباً لأن ذكر الذنب قد أخرج الثاني من باب الاول الا في المعنى وهذا عند الحذاق أفضل التضمين وبه احتذى كشاجم قول ابن المعتز في أبيات له

ولا سوءَ لي ان ساءَ ظنك بعد ما وفيتُ لكم ربي بذلك عالم
وها أنا ذا مستعتبٌ متنصلٌ كما قال عباسٌ وأنفيَ راغم
تحملْ عظيمَ الذنب ممن تحبه وان كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالم

وأبيات العباس بن الاحنف التي منها البيت المضمن هي قوله

وصبٍّ أصابَ الحبُّ سوداءَ قلبه وأنحله والحبُّ داءٌ ملازم
فقلتُ له اذ مات وجداً بحبه مقالة نصحٍ جانبها المآثم
تحمل عظيم الذنب ممن تحبه وان كنتَ مظلوما فقدأ نا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنبَ في الهوى يفارقك من تهوى وأنفك راغم

غير أن شيخنا أبا عبدالله روى هذه الابيات أيضا لابن المعتز فهذا النوع من التضمين جيد وهو الذي أردنا من قبل وأجود منه أن يصرف الشاعر المضمنُ وجهَ البيت المضمَّنِ عن معنى قائله الى معناه نحو قول بعض المحدثين ونسبه قوم الى ابن الرومي

ياسائلي عن خالد عهدي به رطبُ العجان وكفه كالجلمدِ
كالاقحوانِ غداةَ غبِّ سمائه جفت أعاليه وأسفله ندي

وروى عن جعفر فصرف الشاعر قول النابغة في صفة الثغر

تجلو بقادمتيْ حمامة أيكة بَرَدٌ أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوانِ غداة غب سمائه جفت أعاليه وأسفله ندِى

الى معناه الذي ..أراد ومن هذا المعنى أيضا قول ابن الرومي بلا محالة

وسائلة عن الحسن بن وهب　　وعما فيه من كرم وخير
فقلت هو المهذب غير أنى　　أراه كثير إرخاء الستور
وأكثر ما تعنيه فتاه　　حسين حين يخلو بالسرير
فلو الريح أسمع من بحجر　　صليل البيض تقرع بالذكور

فالبيت الآخر للمهلهل فجاء قرع البيض بالذكور ههنا عجيبا وإن كانت اللفظتان في المعنى غير اللفظتين .. ومن الشعراء من يضمن قسيما نحو قول بعضهم أظنه الصولي

حلفت على باب الامير كأنني　　قفا نبك من ذكري حبيب ومنزل
اذا جئت أشكو طول ضيق وفاقة　　يقولون لا تهلك أسى وتجمل
ففاضت دموع العين من سوء ردهم　　على النحر حتى بل دمعي محملي
لقد طال ترداذي وقصدي اليكم　　فهل عند رسم دارس من معول

ومنهم من يقلب البيت فيضمنه معكوسا نحو قول العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان لمسلمة بن عبد الملك

لقد أنكرتني انكار خوف　　يضم حشاك عن شتمي وذحلي
كقول المرء عمرو في القوافي　　لقيس حين خالف كل عدل
عذيرك من خليلك من مراد　　أريد حياته ويريد قتلي

والبيت المضمن لعمرو بن معدي كرب الزبيدي يقوله لابن أخته قيس بن زهير بن هبيرة بن مكشوح المرادي وكان بينهما بعد شديد وعداوة عظيمة وحقيقته في شعر عمرو

أريد حياته ويريد قتلي　　عذيرك من خليلك من مراد

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه اذا رأى ابن ملجم تمثل بهذا البيت .. ومن التضمين ما يجمع فيه الشاعر قسيمين من وزنين كقول علي بن الجهم يعرض بفضل الشاعرة جارية المتوكل وبنان المغني وكانا يتعاشقان فاذا غنى بنان

اسمعي أو خبرينا　　يا ديار الظاعنينا

غنت هي كالمجاوبة له عما يقول

ألاَ حييتِ عنا يا مدينا   وهل بأسٌ بقول مسلمينا

فقال عليٌّ منهما عليهما في ذلك

كلما غنّى بنان   اسمعى أو جريبا
أنشدت فصلُ ألاَ   حييتِ عنا يمدينا
عارضت معنى بمعنى   والندامى عقلوا
أحسنت اذ لم يحدا   وبهم ديار الطاعنينا
لو أجابهم لصيرنا   آية للسائلينا
واستعاد الصوتَ مولا   ها وحثَ الشاربينا
قلتُ للمولى وقد   دارت حميا الكاس فينا
رب صوتٍ حسنٍ   يبنت في الرأس قرونا

وأنشد ابن المعتز في باب التضمين الاخطل

ولقد سما للخرمى فلم يقل   يوم الوغى لكن تضايق مقدمي

إشارة الى قول عنترة العبسي

اذ يتقون بيَ الاسنةَ لم أخم   عنها ولكني تضايق مقدمي

وهذا تضمين أنت ترى كيف هو وأنشد‥ الآخر

عوذ لما بت ضيفاً له   أقراصه مني بياسين *
فبتُّ والارض فراشي وقد   غنت قفا نبك مصاريني

ومن التضمين ما يحيل الشاعر فيه احالة و يشير فيه اشارة فيأتى به كانه نظم الأخبار أو شابه به وذلك نحو قول بعضهم في معنى قول ابن المعتز كما قال عباس وأنفي راغم به لم يرد الأبيات المقدم ذكرها وانما أراد قوله لارتياد حين هجرته ماردة

لا بدَّ للعاشقِ من وقفةٍ   تكونُ بين الوصلِ والصرم
حتى اذا الهجرُ تمادى به   راجعَ من يهوى على رغم

فهذا النوع ُبعد التصمسات كلها وأقلها وحوداً ودلك بحو قول أبى تمام

لعمرٍو مع الرمصاء والنارُ تلتطى أرقُ وأحى منك فى ساعة الكرب

أراد البيت المصروب به المثل

المستجيرُ بعمرو عند كربته كالمستجيرِ من الرمصاء بالنار

وقد صنعت أنا في معنى الهجاء

عرسهُ من عير صيرٍ عرس ريد بن عمير

أبداً ترى فان حاصت تقد حا لاير

ولها رحلان من ناقة كعب بن رهير

هكذا تبني المعالى ليس الأ كل حير

ـريد بن عمير ـهو الدى يقول فى روحته

تقود اذا حاصت وان طهرت رنت فهي أبداً ترنى مها وتقود

ـوكعب بن رهير ـ يقول فى وصف ناقته

تهوى على يسرات وهي لاهية دوابل وقعهن الأرض تحليل

وكان هده المرأة فى حالها لاتقع رحلاها بالارض اما لكثرة ماصمة أو شدة مشى فى فساد ومن أنواع التصمين تعلق القافية بأول البيت الذى بعدها وقدتقدم دكره ٠٠ وأما الاحارة فانها بناء الشاعر بيتاً أو قسيما يريده على ماقبله وربما أحار بيتاً أوقسيما بأبيات كثيرة فأما ما أحير فيه قسيم بقسيم فقول بعصهم لأبى العتاهية أحر ـ برد الماء وطابا ـ فقال ـ حبذا الماء شراباـ وأما ماأُحيرَ فيه بيت ببيت ٠٠ فقول حسان بن ثابت وقد أرق دات ليلة فقال

متاريك أدناب الأمور اذا أعترت أخدنا الفروع واجتنبنا أصولها

وأحبل فقالت ابنته يا أبت ألاأحير عنك فقال أوعندك داك قالت بلى قال فافعلى فقالت

مقاويل للمعروف خرسٌ عن الخنا كرامٌ يعاطون العشيرة سولها

قال فحمي الشيخ عند ذاك فقال

وقافية مثل السنان رددتها تناولت من جو السماء نزولها

.. فقالت ابنته

يراها الذي لا ينطق الشعر عنده ويعجز عن أمثالها أن يقولها

وذكر أن العباس بن الأحنف دخل على الذلفاء فقال أجيزي على هذا البيت

أهدى له أحبابه أترجة فبكى وأشفق من عيافة زاجر

فقالت غير مفكرة

خاف التلون إذ أتته لأنها لونان باطنها خلاف الظاهر

فخاف لها بكل الايمان وكانت نعرة لئن طهر البيت ان دخلت منزلكم أبداً وأضافه

الى بيته .. وأما ما أجيز فيه قسيم بيت ونصف فقول الرشيد للشعراء أجيزوا

* الملكُ للهِ وحده *

.. فقال الجمار * وللخليفة بعدهْ *

وللمحب إذا ما حبيبه بات عنده

واستجار سيف الدولة أبا الطيب قول عباس بن الأحنف

أمسى يخاف استتار الحديث وحظي في ستره أوفرُ

فصنع القصيدة المشهورة

هواكَ هوايَ الذي أضمرُ وسرّك سري فما أظهر

إلا أنه خرج فيها عن المقصد .. والاجازة في هذا الموضع مشتقة المعنى من الاجازة في

السقي يقال أجاز فلان فلاناً اذا سقى له أوسقاه الشكمي وأما اللفظة فصحيحة فصيحة ..

وقال ابن السكيت يقال للذي يرد على أهل الماء فيستقي مستجير .. قال القطامي

وقالوا فُقيم قيّمُ الماء فاستجز عبادةَ أن المستجز على قتر

ويجوز أن يكون من أجزت عن فلان الكأس اذا تركته وسقيت غيره فجازت عنه

دون أن نشربها .. قال أبو نواس

وقلت لساقينا أجزها فلم أكن ليأبى أمير المؤمنين وأشربا

فجوزها عنى عقاراً ترى لها الى الشرف الأعلى شعاعا مطنبا

وقد تقدم ذكر الاجازة التى فيها عيوب القوافى وذكرت اشتقاقها .. ومن هذا الباب نوع يسمى التمليط وهو أن يتساجل الشاعران فيصنع هذا قسيما وهذا قسيما لينظر أيهما ينقطع قبل صاحبه وفى الحكاية أن امرأ القيس قال للتوءم اليشكري ان كنت شاعراً كما تقول فملط انصاف ما أقول فأجزها قال نعم .. قال امرؤ القيس

* أحار ترى بريقاً هب وهنا *

فقال التوءم * كنار مجوس تستعر استعارا *

فقال امرؤ القيس * أرقت له ونام أبو شريح *

فقال التوءم * اذا ما قلت قد هدأ استطارا *

ولم يزالا هكذا يصنع هذا قسيما وهذا قسيما الى آخر الأبيات .. وقد تقدم انشادها فى باب أدب الشاعر من هذا الكتاب .. وربما ملط الابيات شعراء جماعة كما يحكي أن أبا نواس والعباس بن الأحنف والحسين بن الضحاك الخليع ومسلم بن الوليد الصريع خرجوا فى متنزه لهم ومعهم يحيي بن المعلي فقام يصلي بهم فنسى الحمدُ وقرأ ﴿ قل هوَ اللهُ أحدٌ ﴾ فارتج عليه فى نصفها فقال أبو نواس أجيزوا

أكثر يحيي غلطاً في قل هو الله أحد

فقال عباس

قام طويلا ساهيا حتى اذا أعيى سجد

فقال مسلم بن الوليد

يزحر فى محرابه زحيرَ حبلى بولد

فقال الخليع

كأنما لسانه شد بحبل من مسدْ

وأنشدني بعض أصحابنا هذه الأبيات على طريق الاستملاح لها والاستطراف بها وقال هذا الذي بهر الناس عنه فقلت فما بال عباس وأبي نواس لم يقولا بعد البيت الأول

وسيَ الحمدَ بما مرت له على حابد

ولا سيما وقد كان ذلك حقيقة وكذلك جرت الحكاية فقال ومن أنت فقلت لا تسوقه

•• واشتقاق التمليط من أحد شيئين أولهما أن يكون من الملاطين وهما جانبا السنام في مرد الكتفين •• قال جرير

طلبن حوالى جدرِ أسماء وانتحى أسماءَ موار الملاطين أروَح

فكأن كل قسيم ملاط أي جانب من البيت وهما عند ابن السكيت العضدان •• والآخر وهو الأجود أن يكون اشتقاقه من الملاط وهو الطين يدخل في البناء يملط به الحائط ملطاً أي يدخل بين اللبن حتى يصيرشيئاً واحداً •• وأما الملط وهو الذي لا يبالي ما صنع والأملط الذي لا شعر عليه في جسده فليس لاشتقاقه منهما وجه

باب الاتساع

وذلك أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى •• من ذلك قول امرئ القيس

مكرٍّ مفر مقبلٍ مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من على

فإنما أراد أنه يصلح للكر والفر ويحسن مقبلا ومدبراً ثم قال معاً أي جميع ذلك فيه وشبهه في سرعته وشدة جريه بجلمود صخر حطه السيل من أعلى الجبل فإذا انحط من عال كان شديد السرعة فكيف إذا أعانته قوة السيل من ورائه •• وذهب قوم منهم عبد الكريم الى أن معنى قوله كجلمود صخر حطه السيل من على إنما هو الصلابة لأن الصخر عندهم كلما كان أظهر للشمس والريح كان أصلب •• وقال بعض من فسره من

المحدثين انما أراد الافراط وزعم أنه يرى مقبلا ومدبراً في حال واحدة عند الكر والفر لشدة سرعته واعترض على نفسه واحتج بما يوجد عياناً فمثله بالجلمود المنحدر من قنة الجبل وأنك ترى ظهره في الصفة على الحال التي ترى فيها بطنه وهو مقبل اليك ولعل هذا ما مر قط ببال امرئ القيس ولا خطر في وهمه ولا وقع في خلده ولا روعه ومثله قول أبي نواس

* ألا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر *

فزعم من فسره أنه انما قال — وقل لي هي الخمر — ليلتذ السمع بذكرها كما التذت العين برؤيتها والانف بشمها واليد بلمسها والفم بذوقها وأبونواس ماأظنه ذهب هذا المذهب ولا سلك هذا الشعب ولا أراه أراد الا الخلاعة والعبث الذي بنى عليه القصيدة ودليل ذلك أنه قال في تمام البيت * ولا تسقني سرا اذا أمكن الجهر *

ويروي — فقد أمكن الجهر — فذهب الى المجاهرة وقلة المبالاة بالناس والمداراة لهم في شرب الخمر بعينها التي لا اختلاف بين المسلمين فيها ، وقد ثبت أن المأمون ذم أخاه الأمين على المنابر وذكر في مذامه أنه صحب شاعراً من أمره ومن قصته أنه مجاهر بالمعاصي ويقول في قصيدة أولها كذا وأنشد البيت

فتنا يرانا الله شرّ عصابة ٍ   نجرر أذيال الفسوق ِ ولا فخرُ

ومثل ذلك قول المفضل الضبي بين يدي الرشيد والكسائي حاضر في معنى قول الفرزدق

أخذنا بآفاق ِ السماء عليكم   لنا قمراها والنجومُ الطوالع

وقد سأل الأمين والمأمون ما معناه فقالا معناه في قوله قمراها تغليب المستعمل عندهم لان القمر أكثر استعمالا عند العرب من الشمس وكذلك قولهم العمران لما كان عمر أطول أياماً وأكثر تأثيراً فقال الرشيد هكذا أخبرنا هذا الشيخ وأشار الى الكسائي فقال المفضل بل مراده بالقمرين خذاك ابراهيم ومحمد صلى الله عليهما وبالنجوم الطوالع أنت وآباؤك الطيبون فأعجب الرشيد بذلك ووصله والفرزدق ما قصد الى شيء من ذلك ولا أراده ولا علم أن الرشيد بعده يكون أمير المؤمنين وانما أراد أن كل مشهور فاضل فهو لنا عليكم وما لا منكم فنحن أشرف بيتاً وأظهر فضلا وأبعد صوتاً الا أن التي جاء بها المفضل ملحة

أفادت مالا ٠٠ ويتعلق بهذا قول أبي الطيب يذكر الروم

وقد بردت فوق اللقان دماؤهم   ونحن أناس نتبع البارد السخن

أراد أنا نتبع البارد من الدماء سخناً كأنه يتوعدهم بقتل آخر فيكون قد أخذه من قول سويد بن كراع وهي أمة تصف كلأً ونورا

فهر عليه الموت والموت دونه   على روقه منه مذاب وجامد

قال الأصمعي يعني بالمذاب الحار وبالجامد البارد ويجوز أن يكون أبو الطيب أراد ونحن أناس نتبع البارد من الطعام سخنا وكذلك أيضاً عادتنا في الدماء فيكون قد ٠٠٠ وزعم قوم في قوله يشفع لبني كلاب الى سيف الدولة

وتملك أنفس الثقلين طراً   فكيف تحوز أنفسها كلاب

أنه لم يرد القلة وإنما أراد أن يجعلهم كلاباً على باب التحقير لقدرهم والملطف جر كذ جعلهم في البيت الأول ذئاباً سراقاً ولا أظن ذلك بل لا أحققه لأنه في القصيدة

ولو غير الأمير غزا كلابا   ثناه عن شموسهم ضباب

ولاقى دون ثأيهم طعانا   يلاقي عنده الذئب الغراب

الا أن يحملوا على الشاعر الناقص ويسبوه الى قلة المحصل فذلك اليهم على أن هذه القصيدة قليلة النظير في شعره تناسباً وطبعاً وصنعة ومثلها الرائية في ورهم وذكر القصة بعينها

باب الاشتراك

وهو أنواع منها ما يكون في اللفظ ومنها ما يكون في المعنى ٠٠ والذي يكون في اللفظ ثلاثة أشياء فأحدها أن يكون اللفظان راجعين الى حد واحد ومأخوذين من حد واحد فذلك اشتراك محمود وهو التجنيس وقد تقدم القول فيه ٠٠ والنوع الثاني أن يكون

لهمعه محمل تأويلين أحدهما يلائم المعنى الذى أنت فيه والآخر لا يلائمه ولا دليل
فيه على مراد ٠٠ كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا أبو أمه حى أبوه يقاربه

فقوله حي يحمل القبيلة ويحتمل الواحد الحي وهذا الاشتراك مذموم قبيح والملح
كثير فى قوله يستب

عمرى لقد حببت كلَّ قصيرة الىَّ وما يدرى بذاكَ القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصارَ الخطا شرّ النساء البحاتر

فأنت ترى فطنته لما أحسّ الاشتراك كيف نفاه وأعرب عن معناه الذي نحا اليه ٠٠ ومن
نوع قول الفرزدق قول كثاجم يذكر المدان

عمـرنه فتية صـباح سمح باعراضهم شحاح

فنحن نعلم أنه أراد سمح شحاح باعراضهم ولكن فيه من اللبس ماهو أولى من التأويل
٠٠ والنوع الثالث ليس من هذا فى شئ وهو سائر الألفاظ المبتذلة للتكلم بها لا تسمى
تناولها سرقة ولا تداولها اتباعا لانها مشتركة لا أحد من الناس أولى بها من الآخر فهي
مباحة غير محظورة الاَّ أن تدخلها استعارة أو تصحبها قرينة تحدث فيها معنى أو تفيد
فائدة فهناك تمتز الناس ويسقط اسم الاشتراك الذى تقوم به العذر ولو غيرت اللفظة
وأتى بما يقوم مقامها كقول ابن أحمر

بمقلص دَرَكَ الطريدةَ متنه كصفا الخليقة بالعصاء الملبد

فقوله درك الطريدةَ وقول الاسود بن يعفر

بمقلص عتد جهير شده قيدِ الأوابدوالرهان جواد

جميعاً كقول امرئ القيس * بمنجردٍ قيد الأوابدِ هيكلِ *
وكذلك قول أبى الطيب * أجل الظلم وربقة السرحان *
وأما ما ناسب قول الآبيرد اليربوعى يرثى أخاه

وقد كنتُ أستعدي الالهَ اذا اشتكي من الاجرِ لىفيه وان عظم الاجرُ

وقول أبى نواس فى صفة الخمر

ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسر حتى ما تقل جفونها

فهو من المشترك الذى لا تعد سرقة .. وقد نص عليه القاضى الجرجانى أنه من المبذول المتداول المتبذل .. وأما الاشتراك في المعانى فنوعان .. أحدهما أن يشترك المعنى وتختلف العبارة عنهما فيتباعد اللفظان وذلك هو الجيد المستحسن نحو قول امرئ القيس

كبكر المقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

وقول غيلان ذى الرمة

كحلاء فى برج صفراء في نعج كأنها فضة قد مسها ذهب

فوصفها جميعاً لوناً بعينه فشبه الأول بلون بيضة النعام وشبه الثانى بلون الفضة قد خالطها الذهب يسيراً ولذلك قال قد مسها ونحو قول عبدة بن الطبيب يصف ثوراً وحشياً

مجتاب نصع جديد فوق نقبته وفى القوائم مثل الخال سراويل

وقال الطرماح يصف ظليما

مجتاب شملة برجد لسراته قدرا فأسلم ما سواه البرجد

فوصف الأول بياض الثور وسواد قوائمه وتخطيطها فشبه ظهره كأن عليه نصعا جديداً وهو الثوب الأبيض وشبه ما فى قوائمه من السواد والتخطيط بسراويل من الخال وهو ضرب من الوشى .. وقال الثانى انه مجتاب شملة برجد يريد ما على الظليم من قرونه والبرجد كساء اسود مخمل وجعل الشملة قدراً لسراته دون رجليه وعنقه فدل على بياضهن .. وقال عنترة

صعل يعود بذى العشيرة بيضه كالعبد ذى الفرو الطويل الأصلم

فشبهه بعبد طويل عليه فرو أصلم أى قصير الذيول وانما خص الفرو لانهم كانوا يلبسونه مقلوبا وجعله عبداً لبياض ساقيه وعنقه واشرابهما الحمرة يعنى صفات الروم ولم تكن العبيد في ذلك الوقت الا بيضاً فهذا اشتراك في وصف الظهر والقوائم واختلاف في اللفظ والعبارة .. والنوع الثانى على ضربين .. أحدهما ما يوجد فى الطباع من تشبيه الجاهل

بالنور والحجر و الحسن بالشمس والقمر والشجاع بالاسد وما شابهه والسخي بالغيث والبحر والعزيمة بالسيف والسيل ونحو ذلك لان الناس كلهم الفصيح والاعجم والناطق والابكم فيه سواء لانجده مركبا في الخليقة أولا .. والآخر ضرب كان مخترعا ثم كثر حتى استوى فيه الناس وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول نحو قولهم في صفة الخد كالورد وفي القد كالغصن وفي العين كعين المهاة من الوحش وفي العنق كعنق الظبي وكالابريق الفضة أو الذهب فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ثم ساوى الناس فيه الا أن يولد أحد منهم فيه زيادة أو يخصه بقرينة فيستوجب بها الانفراد من بينهم ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح والذكاء بشواظ النار وسيرد عليك من قوافي باب السرقات وما ناسبها كثير ان شاء الله تعالى

باب التغاير

وهو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما ثم يصحا جميعاً وذلك من افتنان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم .. من ذلك قول بعض العرب المتقدمين يذكر قوماً بأنهم لا يأخذون الا القود دون الدية

لا يشربون دماءهم بأكفهم   ان الدماء الشافيات تكال

وقال آخر وقد أخذ بثأره الا أنه فيما زعم قتل دون من قتل له ويروى لامرأة حارثية

فيقتل خير بامرئ لم يكن له   بواء ولكن لا تكايل بالدم

ويروي — في فتى لم يكن له بواء — فالأول يقول لا نأخذ بالدم لبناً لكن نأخذ دما بقدره فكان ذلك مكايلة والثاني يزعم أن قتيله قليل المثل والنظير فتى لم يقتل به الا نظيره بعد تقامه وعسر ادراكه الثأر فقال ان الدماء ليست مما يكايل به في الحقيقة وقيل انما يعني بذلك أن الاسلام لما جاء ازال المكايلة بالدم وكانوا لا يقتلون بالرئيس الا رئيساً مثله .. ومن هذا الباب قول أبي تمام في التكرم يفضله على الكرم المطبوع

قدْ بَلونا أبا سعيد حديثاً ... وَبَلونا أبا سعيد قديما
ووردناه سائحاً وقليباً ... ورعيناه بارضاً وجميما
فعلمنا أن ليس الاّ بشقّ النفس صارَ الكريمُ يدعي كريما

وقال أبو الطيب في خلافه

لو كفرَ العالمونَ نعمته ... لما عدت نفسه سجاياه
كالشمس لا تبتغي بما صنعت ... تكرمةً عندهم ولا جاها

والى هذا المذهب نحا السيد أبو الحسن في قوله

حبر الكبير اذا نهاضُ جناحُه ... لجأ المطرّد مستغاثُ المرهقِ
جمعَ المصائلَ والمحامدَ والعلى ... خُلُقٌ لعمرُ أبيكَ غيرُ مخلقِ

وأصل معنى قول أبي الطيب من قول بشار

ليسَ يعطيكَ للرجاءِ وللخو ... ف ولكن يَلذ طعمَ العطاءِ

وقال البحتري في نحو ذلك

لا يتعبُ النائلُ المبذولُ همته ... وكيف يتعبُ عينَ الناظرِ النظرُ

وكان أبو الطيب لقدرته واتساعه في المعاني كثيراً ما يخالف الشعراء ويغاير مذاهبهم ألاَ ترى الى قول علي بن العباس البوبحتي وهو في رواية الجرجاني لابن الرومي يصف القلم ويفضله على السيف وكتب بذلك الى علي بن مقلة في قصيدة

إنْ يخدمِ القلمُ السيفَ الذي خضعتْ ... له الرقابُ ودانتْ خوفه الأممُ
كذا قضى اللهُ للأقلامِ مذ بريت ... أنَّ السيوفَ لها مذ أرهفتْ خدَمُ
فالموتُ والموتُ لا شيء يعادله ... ما زال يتبع ما يجري به القلمُ

وهذا كلام متقن البنية صحيح المعنى لا مطعن فيه فجاء أبو الطيب فخالفه وذهب مذهباً آخر يشهد بصحته العيان ويصححه البرهان فقال

حتى رجعتَ وأقلامي قوائلُ لي ... المجدُ للسيفِ ليسَ المجدُ للقلمِ

يكتب بدا أبداً قبل الكتاب بها فانما نحن للأسياف كالخدم

ومن التغاير قول الفرزدق يصف إبله ويفخر

ألم تسمعا بالبي حكم حنينها الى السيف تستبكي اذا لم تعقر

جعلها اذا لم تعقر حنت الى السيف واستبكت لكثرة عادتها وهذا غلو مفرط وكان في مكان آخر يصفها بالجزع اذا رأت الضيف لعلمها أنها تنحر له

ترى النيب من ضيفي اذا ما رأينه ضموراً على جرّاتها ما تجرّها

فزعم أنها تخفي حسها حتى أنها لا تجتر خوفاً من النحر وهذا المعنى مأخوذ من بيتين مُدح بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما

وأبيكَ حقاً إنَّ آلَ محمدٍ عرلٌ نوائحُ أنْ تهبّ شمالُ

واذا رأين لدى الفناء غريبةً فدموعهن على الخدود سجالُ

يقول اذا هبت الشمال وهي من رياح الشتاء وعلامات المحل أيقنّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينحرهن للضيفان والجيران فهي نوائح لذلك وقوله — واذا رأينَ لدى الفناء غريبةً — أي يعرفن بذلك أنها ناقة ضيف فتذرى كل واحدة دمعها لاتدرى هل هي المنحورة وهذا من ملح الشعر ولطيف المدح وقلّ كل مديح لرسول الله صلى الله عليه وسلم •• ومن ملح التغاير قول أبي الشيص

أجدُ الملامةَ في هواكِ لذيذةً حباً لذكركِ فليلمني اللوّم

وقول أبي الطيب في عكس هذا

أأحبه وأحبّ فيه ملامةً ان الملامةَ فيه من أعدائه

وهذا عند الجرجاني هو النظر والملاحظة وهو يعده في باب السرقات قال وأصله من قول أبي نواس

اذا عاذلني نصوح عذلٍ ممزوحاً بتسمية الحبيبِ

ولأبي العلاء المعري مثله من غير التزام

لم يبق غيرُ العدلِ من أسامهم فأحبُّ من يدنو الى عدولُ
نعدو فلا مستخبرٌ عن حالهم غيري ولا مستخبرٌ مسؤلُ

باب في التصرف ونقد الشعر

يجب للشاعر أن يكون متصرفاً في أنواع الشعر من جد وهزل وحلو وجزل وأن لا يكون في النسيب أبرع منه في الرثاء ولا في المديح أنفذ منه في الهجاء ولا في الافتخار أبلغ منه في الاعتذار ولا في واحد مما ذكرت أبعد منه صوتاً في سائرها فانه متى كان كذلك حكم له بالتقدم وحاز قصب السبق كما حازها بشار بن برد وأبو نواس بعده ‥ حكي الصاحب بن عباد في صدر رسالة صنعها على أبي الطيب قال حدثني محمد بن يوسف الحمادي قال حضرت بمجلس عبد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحتري فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم ابو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف في كل طريق ويبرع في كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحداً لا يتعداه ويتحقق بمذهب لا يتخطاه فقال له عبد الله ان أحمد بن يحيي ثعلبا لا يوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله فانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال وريت بك زنادي يا أبا عبادة إن حكمك في عميك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عمه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريراً فقيل إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة فانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر وقد خالف البحتري أبا نواس في الحكم بين جرير والفرزدق فقدم الفرزدق قيل له كيف تقدمه وجرير أشبه طبعاً بك منه فقال انما يزعم هذا من لا علم له بالشعر جرير لا يعدو في هجائه الفرزدق ذكر القين وجعثن وقتل الزبير والفرزدق يرميه في كل قصيدة بآبدة حكي ذلك غير واحد من المؤلفين ‥ واذا كان هذا فقد حكم له بالتصرف وبهذا أقول أنا واياه أعتقد فيهما واذا لم يكن شعر الشاعر نمطا واحـداً لم يمله السامع

حتى أن حدنا ادعي ذلك لنفسه في القصيدة الواحدة فقال

الحمد والهزل في توشيع لحمتها والنبل والسخف والأشجان والطرب

وقد قال اسماعيل بن القاسم أبو العتاهية

لا يصلح النفس اذ كانت مصرفة الا التصرف من حال الى حال

وأنشد الصاحب لأبي احمد يحيي بن علي المنجم في نقد الشعر

رب شعر نقدته مثل ما ينقد رأس الصيارف الدينارا

ثم أرسلته فكانت معانيه وألفاظه معا ابكارا

لو تأتى لقالة الشعر ما أسقط منه حلوا به الأشعارا

ان خير الكلام ما يستعير النا س منه ولم يكن مستعارا

وقال الجاحظ طلبت علم الشعر عند الأصمعي فوجدته لا يحسن الا غريبه فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه فعطفت على أبي عبيدة فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالأخبار وتعلق بالأيام والانساب فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب ومحمد بن عبد الملك الزيات .. قال الصاحب على أثر هذه الحكاية ولله أبو عثمان فلقد غاص على سر الشعر واستخرج أرق من السحر وسأذكر بعد هذا الباب قطعة من أشعار الكتاب تظهر فيها مرماهم و يستدل بها على مغزاهم و يعرف حسن اختيار الجاحظ فيما ذهب اليه من تفضيلهم و يشهد لي بجودة المير وفرط التثبت والانصاف ان شاء الله تعالى

باب في أشعار الكتّاب

والكتاب أرق الناس في الشعر طبعاً وأملحهم تصنعاً وأحلاهم ألفاظاً وألطفهم معانى وأقدرهم على تصرف وأبعدهم من تكلف .. وقد قيل الكتاب دهاقين

الكلام وما يزيدك على قول ابراهيم بن العباس الصولي بين يدي المتوكل حين أحضر لمناظرته احمد بن المدبر فقال ارتجالا

صدّ عني وصدقَ الأقوالاَ وأطاع لوشاةَ والعذالاَ
أتراه يكونُ شهرَ صدود وعلى وجهه رأيت الهلالا

فطرب له المتوكل وامر بوصله وخلع عليه وحمله وجدد له ولاية .. وقل لي في التلطف والاستعطاف أكثر من هذا وأي مدح أبرع وأبدع من قوله في الفضل بن سهل

لفضل بن سهل يدُ تقاصرَ عنها المثلْ
فباطنها للندى وظاهرُها للقُبل
* وبائلها للغنى وسَطوتُها للأجل

أليس هذا الماء الزلال والسحر الحلال .. ولقد أحذ ابن الرومي في تناوله هذا المعنى حين قال

مُقَبّلُ ظهرِ الكفّ وهّابُ بطنها له رحمة فيها لحظّ ونرهُ
فظاهرُها للناس ركنٌ مقبّل وباطنها عين من الجود عيلم

إلاّ أن الأول أخف روحاً وأرشق لفظاً ومعنى وهذان البيتان وإن كانت فيهما زيادة فانما هما بإزاء البيت الاوسط من أبيات ابراهيم فقط .. ومن تغزل ابراهيم قوله

أراكَ فلا أردُّ الطرفَ كلاَ يكونَ حجابَ رؤيتكَ الجفونُ
ولو أني نظرتُ بكل عينٍ لما أستقصت محاسنَكَ العيونُ

فهذا وأبيك البيان والخبر الذي كأنه العيان .. وما أحد كل حلاوة وحسن طلاوة لا دون قوله

ابتداؤك بالجفى واقتصارك بالتجنّي
واشتغالك بحبيبك لأعدائك مني
بأبي قل لي لكي أعلمَ لِمْ أعرضتَ عني

قدتمي داكَ أعدا ئى فقدنا لوا النمى

وأما الهجاء فقد بلغ فيه أبعد الغايات بقوله فى محمد بن عبد الملك الزيات

بكى كيفَ شئتَ وقلْ ماتشا ، وارعد يميناً وأبرق شمالاَ

نجا لكَ لؤمكَ منجا الذباب حمته مقاديره أن ينالا

ومن شعر محمد بن عبد الملك الزيات قوله لاحمد بن أبي دؤاد وقد أمر الواثق أن يقوم جميع الناس لابن الزيات ولم يجعل فى ذلك رخصة لاحد وكان ابن أبي دؤاد يشتغل بصلاة الضحى اذا أحس بقدومه أنفة من القيام اليه فى دار السلطان وامتثالا للأمر فصنع ابن الزيات

صلى الضحى لما استفادَ عداوتي وأراه ينسكُ بعدَها ويصومُ

لا تعدمنَّ عداوة مسمومةً تركتكَ تقعدُ تارةً وتقومُ

ومن غزله قوله وهو فى غاية العذوبة

قامَ بقلـبي وقعـدْ لما انثنى غصن الخلد

ياصاحبَ القصر الذى أسهر عيني ورقد

واعطشتي الى فمٍ يمجُ خمراً من بَرَد

ان قسمَ الناسُ فحسبي لكَ من كلِّ أحد

وقال يرثي جاريته سلوانة وهي أم ولده عمر الاصغر

يقولُ لى الخلانُ لوزرتَ قبرها فقلتُ وهل غير الفؤاد لها قبرُ

على حينِ لمأحدث فاجهلَ قدرها ولم أبلغِ السنّ التى معها الصبرُ

وقال أيضاً وأحسن ماشاء

مالى اذا غبتُ لم أذكرْ بواحدةٍ وان مرضتُ فطالَ السقمْ لم أعدِ

ما أعجب الشيءَ ترجوه فتحرمهُ قد كنتُ أحسبُ أنى قدملأت يدِى

ومن شعره في هذا الباب مقطعات متفرقة تغني عن الاكثار منه ههنا •• وأما الحسن بن

وهب هى قوله

لم تنم مقلتي لطول بكاها ولما حال دونها من قذاها
فالقذى كحلها الى أن ترى وجه سلمى وكيف لي أن تراه
أسعدت مقلتي بأدمعها الدمع وهجرانها الكرى مقلتاها
فلعيني في كل حين دموع ليتها تستدرها عيناها

وقدم اليه كانون ومعه قينة كان يهواها فأمرت بابعاد الكانون فصنع

بأبي كرهت النار حتى أبعدت فعرفت ما معناك في ابعادها
هي ضرة لك بالتماع شعاعها وبحسن صورتها لدى ايقادها
وأرى صنيعك بالقلوب صنيعها بأزيزها وسناها وعرادها
شركتك في كل الجهات بحسنها وصفائها وصلاحها وفسادها

ومن مليح الشعر قوله يمدح محمد بن عبد الله بن طاهر عن مطر

هطلتنا السماء هطلاً دراكا حاورت المرزبان فيه السماكا
قلت للبرق اذ تألق فيه يا زناد السماء من أوراكا
أحبيباً أحببته فحماكا فعسى ذاك أن يعود كذاكا
أم تشبهت بالأمير أبي العباس في جوده فلست هناكا

وهذا هو الكلام الكتابي السهل المرسل الحسن الطلاوة والظاهر الحلاوة . ومن قوله يرثي حبيباً الطائي وكان صديقاً له جداً

سقى بالموصل القبر الغريبا سحائب ينتحبن به نحيبا
اذا أطللنه أطلقن فيه شعيب المزن ينعب شعيبا
ولطمت البروق له خدودا وشققت الرعود له جيوبا
فان تراب ذاك القبر يحوي حبيباً كان يدعى لي حبيبا

وهي قصيدة كاملة أثبت بهذا منها معرضاً . ومن شعراء الكتاب سعيد بن حميد الكاتب

وهو القائل في طول الليل

يالمـلُ ـل ما أ مـُ أدئمٌ عـلـكَ عـد
ياليلُ لو تلق الدي ألقى بها أوأحدُ
قصر من طولك أو أضعف منك الجلد

ورواه قوم ـ أنحل منك الحسد ـ والأول عندى أصوب وعلى كل حال ثمه أحد أبو الطيب قوله

ألم تر هذا الليل عنك رؤيتى فتظهرَ فـيه رقـة ونحولُ

وليس يلزم الكاتب أن يجارى الشاعر فى إحكام صنعة الشعر لرغبة الكتاب فى حلاوة الألفاظ وطيرانها وقلة الكلفة والاتيان بما يخف على النفس منهـا وأيضاً فان أكثر أشعارهم انما يأتى نطرفاً لا عن رغبة ولا رهبة فهم مطلقون محلون فى شهواتهم مسامحون في مذهبهم اذ كانوا انما يصنعون الشعر تخيراً واستطرافاً كما قال كشاجم الـكاتب

ولئن شعرت فما تعـمـدت الهجاءَ ولا المديحه
لـكنْ رأيتُ الشعر للآ داب ترجمةً فصيحهْ

وعلى هذا النمط يجرى الحكم فى أشعار الخلفاء والامراء والمعروفين من أهـل الاقدار لا يحاسبون فيها محاسبة الشاعر المبرز الذى الشعر صناعته والمديح بضاعته .. وقد أغرب أبو الفتح بن أبى الفتح بن العميد وأغرب فى قوله

فان كان مرضياً فقل شعر كاتبٍ وان كان مسخوطاً فقل شعر كاتبِ

ولو حاولت أن أذكر من علمت من شعراء الـكتاب سوى من ذكرت لبعـد الأمد وطالت الشقة واحتجت الى أن أقيم لهذا الفن ديواناً مفرداً لكنى عولت على ابن الزيات وابن وهب لاحالة الجاحظ في الفضل عليهما وآنستهما باثنين ليسا بدونهما ولو لم آت بهذا الباب الا بما بنيته عليه من ذكر أشعار السيد الرئيس أبى الحسن أيده الله لكان ذلك فوق الرضا والـكفاية فمن ذلك قوله

باكر الراح ودعْ عنك العذلْ واسع فى الصحة من قبل العلل

واغتنم لذة يوم زائل والمنايا ضاحكات بالأمل
ما ترى الساقي كشمس طلعت يحمل المريخ في برج الحمل
مائساً كالغصن في دعص نقي وترى المقلة زينت بالكحل

وقوله أيضا يتغزل

مرّ بنا يهتز في مشيه مثل اهتزاز الغصن الرطب
فقلبي يربع في حسنه ومقلتاه أحرقت قلبي

قوله — أحرقت — وهما مقلتان كقول بعضهم .. وأنشده أبو الجراح في طبقات الشعراء

أشركت عيناه ظالمةً في دمي بالعظم ما حدث

فقال — ظالمة — وقال — حدث — لأن التثنية جمع في الحقيقة والجماعة يخبر عنها كما يخبر عن الواحد لمكان التأنيث والشاهد من قول القدماء قول أحدهم

لمن زحلوقة زلّ بها العينان تنهل

فقال — تنهل — وكان حقه أن يقول تنهلان لكن العلة ما قدمت .. ومن الموعظة الحسنة البالغة قوله

أمن الزمان رماية العقل فاخش الاله وحل عن الجهل
واعلم بأنك في الحساب غداً تجزى بما قدمت من فعل

ومن تشكي أحوال الناس وقلة ثقتهم وانصافهم .. قوله

أيا رب إن الناس لا ينصفونني ولم يحسبوا قرضي على حسناتي
اذا ما رأوني في رخاء تردّدوا اليّ وأعدائي لدي الأزمات
ومهما أكن في نعمةٍ يحزنوا لها دوو أمسى في شدة حذلات
ثقاتيَ ما دامت صلاتي لديهم وان عنهم أخرتها فعداتي
سأمنع قلبي أن يحنّ اليهم وأصرف عنهم قلباً لحظاتي
والزم نفسي الصبر دأباً لعلي أعاين ما أملت قبل مماتي

ألا انما الدنيا كفافٌ وصحةٌ وأمنٌ ثلاثٌ هنّ طيب حياتى

قوله - ثلاث - يعنى ثلاث خصال أو ثلاث أحوال كما قال طرفة

فلولا ثلاثٌ هنّ من لذة الفتى * ثم فسرهن فقال - فمنهن سبق العاذلات بشربة - وكري اذا نادى المضاف محنباً - وتقصير يوم الدجن - والسبق والتقصير والكر كلها مذكرة لكن أراد ماقدمت ومن أحسن الاشعار قوله

خليليّ إن لم تسعدانى فاقصرا فليسَ يداوَى بالعتاب المتيم
تريدانِ منى النسكَ في غير حينهِ وغصنىَ ريانٌ ورأسى أسحم

وقوله في قصيدة طويلة

عراء واضحة يبوصُ بقرطها جيدٌ حكي جيدَ الغزال الأعنق
صدتْ فأغرتْ بالسجوم مدامعي والعينُ تذرفُ بالدموع السبَّق
تشكو البعادَ اذا بعدتُ تصبراً وان ارجحنتُ الى الزيارة تفرق
ولقـد يئستُ أخو المودة لائمي فى حبها لومَ الشفيق المشفق
حتى اذا طلعتْ فأبصرَ شخصَها أحرى جهالةَ لائمى المستحمق
كم قد قطعتُ بوصلها من ليلةٍ وشرب صافيةٍ كلون الزئبق
يسعى بها كالبدر ليلةَ تمه سحارُ ألحاظٍ رخيمُ المنطقِ
آليتُ أتركُ ذا وتلكَ وهذه حتى يفارقَنى سوادُ المفرقِ

ولله سلامة هذا الطبع واندفاعه وقرب هذا اللفظ وانساغه ولله رقة معانيـه وارهافها وظهورها مع ذلك وانكشافها ولطف مواقعها من القلوب وسرعة تأثيرها فى النفوس وسيرد من شعره فيما بعد مالائق بالمواضع التي يذكر فيها ان شاء الله تعالى

باب في عراض الشعر وصنوفه

وهو ابسط لما بعده من الابواب وقد فرط البسط له ووقع من مقدمته في باب حد الشعر وتبيينه وأنا ذاكرها مالا بد منه .. تكلم قوم في الشعر عند أبي الصقر اسماعيل بن بلبل من حيث لا يعلمون .. فكتب اليه أبو العباس الناشئ

لعن الله صنعة الشعر ماذا ... من صنوف الجهال فيها لقينا
يؤثرون الغريب منه على ما ... كان سهلاً للسامعين مبينا
ويرون المحال شيئاً صحيحاً ... وخسيس المقال شيئاً ثمينا
يجهلون الصواب منه ولا يد ... رون للجهل أنهم يجهلونا
فهم عند من سوانا يلامو ... ن وفي الحق عندنا يعذرونا
إنما الشعر ما تناسب في النظـ ... ـم وان كان في الصفات فنونا
فأتى بعضه يشاكل بعضا ... قد أقامت له الصدور المتونا
كل معنى أتاك منه على ما ... تتمنى لو لم يكن أن يكونا
فتناهى عن البيان الى ان ... كاد حسناً يبين للناظرينا
فكأن الألفاظ منه وجوه ... والمعاني ركبن فيه عيونا
فاتيا في المرام حسب الأماني ... يتحلى بحسنه المنشدينا
فاذا ما مدحت بالشعر حرا ... رمت فيه مذاهب المسهبينا
فجعلت النسيب سهلاً قريباً ... وجعلت المديح صدقاً مبينا
وتنكبت ما تهجن في السمـ ... ـع وان كان لفظه موزونا
واذا ما قرضته بهجاء ... عبت فيه مذاهب المرفثينا
فجعلت التصريح منه دواء ... وجعلت التعريض داء دفينا
واذا ما بكيت فيه على الغا ... دين يوما للبين والظاعنينا

حلت دون الأسى وذلت ما كا ن من الدمع في العيون مصونا
من كنت عانباً شئت في الوعـد وعـداً وبالصعوبة لينا
وتركت الذي عتبت عليه حـذراً آمنـا عزيزاً مهينا
وأصبح القريض مافات في النظـم وإن كان واضحاً مستبينا
وإذا قيل أطمع الناس طرا وإذا رم أعجز المعجزينا

قال أبو عبادة الوليد بن عبد البحتري كنت في حداثتي أروم الشعر وكنت أرجع فيه إلى طبع ولم أكن أقف على تسهيل مأخذه ووجوه اقتضائه حتى قصدت أبا تمام فانقطعت فيه إليه واتكلت في تعريفه عليه فكان أول ما قال لي يا أبا عبادة تخير الأوقات وأنت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم أن العادة في الأوقات أن يقصد الإنسان لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر وذلك أن النفس قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً والمعنى رشيقاً وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكآبة وقلق الأشواق ولوعة الفراق وإذا أخذت في مدح سيد ذي أياد فأشهر مناقبه وأظهر مناسبه وأبن معالمه وشرف مقامه وتقاض المعاني واحذر المجهول منها وإياك أن تشين شعرك بالألفاظ الرزية وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى حسن نظمه فإن الشهوة نعم المعين وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله تعالى .. قال صاحب الكتاب قد كنت أردت ذكر هذا الفصل فيما تقدم من باب عمل الشعر وشحذ القريحة له فلم أتق بحفظي فيه حتى صححته فأثبته بمكانه من هذا الباب. ومن قول الناشئ في معنى شعره الأول

الشعرُ ما قوَّمتَ زيغ صدوره وشددتَ بالتهذيب أسرَ متونه
ورأبت بالإطناب شعبَ صدوعه وفتحتَ بالإيجاز عورَ عيونه
وجمعتَ بين قريبه وبعيده ووصلتَ بين مجمه ومعينه

وإذا بكيت به الديار وأهلها ... أجريت للمحزون ماء شؤونه

وإذا مدحت به جواداً ماجداً ... وقضيته بالشكر حق ديونه

أصفيته بنفيسه ورصينه ... وخصصته بخطيره وثمينه

فيكون جزلاً في اتساق صنوفه ... ويكون سهلاً في اتفاق فنونه

وإذا أردت كناية عن ريبة ... باينت بين ظهوره وبطونه

فجعلت سامعه يشوب شكوكه ... بثنائه وظنونه بيقينه

وإذا عتبت على أخ في زلة ... أدمجت شدته له في لينه

فتركته مستأنساً بدماثة ... مستيئساً من وعره وحزونه

وإذا نبذت إلى التي علقتها ... إن صارمتك بفاتنات شؤونه

تيمتها بلطيفه ورقيقه ... وشفعتها بمحيله وكمينه

وإذا اعتذرت إلى أخ من زلة ... واشكت بين مخيله ومبينه

وهذا حين أبدأ بالكلام على هذه الأغراض والصنوف واحداً فواحداً إن شاء الله سبحانه وتعالى

باب النسيب

حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها قريب المعاني سهلها غير كز ولا غامض وأن يختار له من الكلام ما كان ظاهر المعنى لين الإيثار رطب المكسر شفاف الجوهر يطرب الحزين ويستخف الرصين. روى أبو علي إسماعيل بن القاسم عن ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي عن أبي عمرو بن العلاء عن رواته عن كثير قال كنت مع جرير وهو يريد الشام فطرب وقال أنشدني لأخي بني مليح يعني كثيراً فأنشدته حتى انتهيت إلى قوله

وأدنتني حتى اذا ما سبيتني بقول يحلُّ العصمَ سهل الاباطح
تجافيتِ عني حين لا لي حيلةٌ وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجوانح

فقال لولا أنه لا يحسن بشيخ مثلي النخير لنخرت حتى يسمع هشام على سريره .. وقال لأبي السائب المخزومي أترى أحداً لا يشتهي النسيب فقال أما من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا والنسيب والتغزل والتشبيب كله بمعنى واحد .. وأما الغزل فهو إلف النساء والتخلق بما يوافقهن وليس مما ذكرته في شيء فمن جعله بمعنى التغزل فقد أخطأ وقد نبه على ذلك قدامة وأوضحه في كتابه نقد الشعر .. وقال الحاتمي من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم متصلا به غير منفصل منه فان القصيدة مثلها مثل خلق الانسان في اتصال بعض أعضائه ببعض فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب غادر بالجسم عاهة تتخون محاسنه وتعفي معالم جماله ووجدت حذاق الشعراء وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون في مثل هذه الحال احتراساً يجنبهم من شوائب النقصان ويقف بهم على محجة الاحسان .. ومن مختار ما قيل في النسيب قول المرار العدوي

وهي هيفاء هضيمٌ كشحُها فخمةٌ حيث يشدُّ المؤتزر
صلتةُ الخدِّ طويلٌ جيدُها ضخمةُ الثدي ولما ينكسرْ
يضربُ السبعون في خلخالها فاذا ما أكرهته ينكسرْ
لا تمسُّ الأرضَ الاَّ دونها عن بلاط الأرض ثوب منعفر
تطأ الخزَّ ولا تكرمه وتطيلُ الذيلَ منه وتجر
ثم ينهدُّ على أنماطها مثل ما مال كثيب منقعر
عَبِقُ العنبرِ والمسكِ بها فهي صفراء كعرجون القمر
أملحُ الناسِ اذا جردتها غيرَ سمطين عليها وسوَرْ

قال عبد الكريم هذه أملح وأشرف ما وقع فيه الوصف وهي أشبه بنساء الملوك .. وأنشد لغيره

قليلة لحم الناظرين يزينها · شباب ومخفوض من العيش بارد

أرادت لتنتاش الرواق فلم تقم · اليه ولكن طأطأته الولائد

تناهى الى لهو الحديث كأنها · أخو سقطة قد أسلمته العوائد

وأنواع النسيب كثيرة وهذا الذي أنشدته أفضله في مذاهب المتقدمين . . وللمحدثين طرق غير هذه كثيرة الأنواع أيضاً فما اختار من ذلك من النسيب قول أبي نواس

حلت سعاد وأهلها سرفا · قوماً عدًى ومحلة قذفا

وكأن سعدى اذ تودعنا · وقد اشرأب الدمع أن يكفا

رشأ تواصين القيان به · حتى عقدن بأذنه شنفا

فان هذا في غاية الجودة ونهاية الاحسان وما ناسب قول مسلمة بن الوليد

أحب التي صدت وقالت لتربها · دعيه الثريا منه أقرب من وصلي

أماتت وأحيت مهجتي فهي عندها · معلقة بين المواعد والمطل

وما نلت منها نائلاً غير أنني · بشجو المحبين الالى سلفوا قبلي

بلى ربما وكلت عيني بنظرة · اليها تزيد القلب خبلاً على خبل

ومن الجيد قول الوليد بن عبيد البحتري

رددن ما خففت منه الخصور الى · ما في المآزر فاستثقلن أردافا

اذا نصبن تشغوف الرّبط آونة · قشرن عن لؤلؤ البحرين أصدافا

والبحتري أرق الناس نسيباً وأملحهم طريقة ألا تسمع قوله

انى وان جانبت بعض بطالتي · وتوهم الواشون أني مقصر

ليشوقني سحر العيون المجتلى · ويروقني ورد الخدود الاحمر

وشعره من هذا النمط لا سيما إن ذكر الطيف فانه الباب الذي شهر به ولم يكن لأبي تمام حلاوة توجب له حسن التغزل وانما يقع له من ذلك التافه اليسير في خلال القصائد مثل قوله

ت أرعى الخدود حتى اذا ما ... درقوى ة ت أرعى الحوما

وقوله أول قصيدة

أرامة كنت مألف كل ريم ... لو استمتعت بالأنس المقيم

أدار الؤس حسنك التصابى ... الىّ فصرت جنات النعيم

ومما ضرم البرحاء أنى ... شكوت فما شكوت الى رحيم

وأما أبو الطيب فمن مليح ما سمعت له قوله

كثيباً توقاني العوادل في الهوى ... كما يتوقى ريض الخيل حازمه

قفي تغرم الأولى من اللحظ مهجتي ... بثانية والمتلف الشيء غارمه

سقاك وحيانا بك الله انما ... على العيس نور والخدود كمائمه

فقد جاء بأملح شيء وأوفاه من الطرفة والغرابة .. وقوله يذكر ربع أحبابه

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلمّ به ركبا

نذمّ السحاب الغرّ في فعلها به ... ونعرض عنها كلما طلعت عتبا

وقال في ذكر الديار أيضاً

ودسنا بأخفاف المطيّ ترابها ... فلازلت أستشفي بلثم المناسم

ديارُ اللواتي دارهنّ عزيزةٌ ... بسمر القنا يحفظن لا بالتمائم

حسان التثني ينقش الوشيُ مثله ... اذا مس في أجسامهن النواعم

ويبسمن عن در تقلدن مثله ... كأنّ التراقي وشحت بالمباسم

ورد جماعة من الكتاب على العتابي وهو يحلب وفي يده رقعة وقد أطال فيها النظر والتأمل فقال أرأيتم الرقعة التي كانت في يدي قالوا نعم قال لقد سلك صاحبها وادياً ما سلكه غيره فلله دره وكان في الرقعة قول أبي نواس

رسمُ الكرى بين الجفون محيل ... عفى عليه بكا عليك طويل

* ياناظراً ما أقلعتْ لحظاته ... حتى تشحط بينهن قتيل

الاصمعي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال أغزل بيت قالته العرب قول عمر بن أبي ربيعة

فتضاحكن وقد قلن لها   حسن في كل عين من تود

وكان الاصمعي يقول أغزل بيت قالته العرب قول امرىء القيس

وما ذرفت عيناك الا لتضربي   بسهميك في اعشار قلب مقتل

وحكي عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أنه قال لم تقل العرب بيتاً أغزل من قول جميل بن معمر

لكل حديث بينهن بشاشة   وكل قتيل عندهن شهيد

وفضلته بهذا البيت سكينة بنت الحسين بن عليّ رضوان الله عليهم وأثابته به دون جماعة من حضر من الشعراء .. وقال بعضهم الأحوص من أغزل الناس بقوله

اذا قلت إني مشتف بلقائها   وحمّ التلاقي بيننا زادني سقما

وقال غيره بل جميل بقوله

يموت الهوى مني اذا ما لقيتها   ويحيى اذا فارقتها فيعود

وقال آخر بل جرير بقوله

فلما التقى الحيان ألقيت العصى   ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

والأحوص عندهم أغزلهم في هذه الابيات الثلاثة لزيادته سقماً اذا التقى بالمحبوب .. وقال الحاتمي أغزل ماقاله العرب قول أبي صخر

فيا حبها زدني جوىً كل ليلة   ويا سلوة الأيام موعدك الحشر

وقال أبو عبيدة ما حفظت شعراً لمحدث الا قول أبي نواس

كأن ثيابه أطلعن من أزراره قمرا

يزيدك وجهه حسناً   اذا ما زدته نظرا

بعين خالط التفتيرُ من أجفانها الحورا

وخدّ سابري لو   تصوب ماؤه قطرا

٠٠ وللشعراء أسماء تخف على ألسنتهم وتحلو في أفواههم فهم كثيراً ما يأتون بها زوراً نحو ليلى وهند وسلمى ودعد ولبنى وعفرى وأروى وريا وفاطمة ومية وعلوة وعائشة والرباب وجمل وزينب ونعم وأشباههن ٠٠ ولذلك قال مالك بن زرعة الباهلي أنشده الأصمعي

وما كان طي حبها غير أنه يقام بسلمي للقوافي صدورُها

وأما عزة وبثينة فقد حماهما كثير وجميل حتى كأنما حُرِّما على الشعراء ٠٠ وربما أتى الشعراء بالأسماء الكثيرة في القصيدة اقامة للوزن وتحلية للنسيب كما قال جرير

أحدَّ رواحُ القوم بل لات روِّحوا نعم كلَّ مَن يعنى بجمل ٍ مبرَّح

ثم قال بعد بيت واحد

اذا سايرتْ أسماء يوماً ظعائناً فأسماءُ من تلكَ الظعائنِ أملح

ظللن حوالىْ خدرِ أسماء فانتحي بأسماء موّارُ الملاطين أروح

صحا القلبُ عن أسماء قد برَّحتْ به وما كان بلقى من تماضرَ أبرحُ

وأما قول السيد الحميري

ولقد تكونُ بها أوانسُ كالدُّما هندٌ وعبدة والرباب وبوزع

فانه ثقيل من أجل بوزع ٠٠ وأنكر هذه اللفظة عبد الملك بن مروان على جرير فما ظنك بالسيد الحميري وكلما كانت اللفظة أحلى كان ذكرها في الشعر اشهى اللهم الا أن يكون الشاعر لم يزور الاسم وانما قصد الحقيقة لا اقامة الوزن فحينئذ لاملامة عليه مالم يجد في الكنية مندوحة ٠٠ وقال يزيد بن أم الحكم

أمسى بأسماء هذا القلبُ معمودا اذا أقولُ صحا يعتاده عيدا

كأن أحورَ من غزلانِ ذي بقرٍ أهدَى لعائشةَ العينين والجيدا

على أن بعضهم رواه أهدى لها شبه العينين وهو أجود لا محالة ومثل هذا كثير في أشعار القدماء ولست أرى مثله من عمل المحدثين صوابا ولا علمته وقع لاحد منهم الا ما ناسب قول السيد المتقدم آنفاً وقول أبي تمام الطائي

وان رحلتْ في ظعنهم وحدوجهم   ربابُ من أحبابنا وعواتكُ

ومن عيوب هذا الباب أن يكثر التغزل ويقل المدح كما يحكي عن شاعر أتى نصر بن سيار بأرجوزة فيها مائة بيت نسيباً وعشرة أبيات مديحاً فقال له نصر والله ما أبقيت كلمة عذبة ولا معنى لطيفاً الا وقد شغلته عن مديحي بنسيبك فان أردت مديحي فاقتصد في النسيب فغدا عليه فأنشده

هـل تعرفُ الدارَ لأمِّ عمرو   دعْ ذا وحبرْ مدحة في نصر

فقال نصر لا هذا ولا ذاك ولكن بين الأمرين ٠٠ فأما مذهبه الأول في طول النسيب وقصر المديح فان نصيباً اتبعه فيه ولكن ذاك منه انما كان على اقتراح في القصيدة التي مدح بها بني جعريل وأما المذهب الثاني فانتحله أبو الطيب في قوله

وأحرَّ قلباه ممن قلبه شبمُ   ومن بجسمي وحالي عنده سقمُ

ثم خرج الى المدح في البيت الثاني ٠٠ ويعاب على الشاعر أن يفجر أو يتعاطى قدرة كما أخذ على عباس قوله

فان تقتلوني لا تفوتوا بمهجتي   مصاليتَ قومي من حنيفةَ أوعجل

وعيب على الفرزدق وهو صميم بني تميم قوله

ياأختَ ناجيةَ بن سامـةَ إنني   أخشى عليكِ بنيّ ان طلبوا دمي

اللهم الاّ أن يكون النسيب الذي نصنع مجازاً كالذي في بسط القصائد فان ذلك لا بأس به ولا مكروه فيه ٠٠ وسمع ابن أبي عتيق قول ابن أبي ربيعة المخزومي

بينما يذكرنني أبصرنني   دون قيد الميل يعدو بي الأغر

قالتِ الكبرى أتعرفنَ الفتى   قالتِ الوسطى نعم هذا عمر

قالتِ الصغرى وقد تيمتها   قد عرفناهُ وهل يخفى القمر

فقالوا له أنت لم تنسب بهن وانما نسبت بنفسك وانما كان ينبغي لك أن تقول قالت لي فقلت لها فوضعت خدي فوطئت عليه وكذلك قال له كثير لما سمع قوله

قالتْ لها أختها تعاتبها ... لاتفسدنّ الطوافَ في عمر

قومي تصدي له لأبصره ... ثم اغمزيه يا أخت في خفر

قالت لها قد غمزته فأبى ... ثم اسبطرّتْ تشتدُّ في أثرى

أهكذا يقال للمرأة انما توصف بأنها مطلوبة ممتنعة ٠٠ قال بعضهم أظنه عند الكريم العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة وهذا دليل كرم النحيزة في العرب وغيرتها على الحرم ٠٠ وعاب كثير على نصيب قوله

أهيمُ بدعدٍ ما حييت فانْ أمت ... فياليت شعرى من يهيم بها بعدي

حتى أنه قال له كأنك اغتممت لمن يفعل بها بعدك وهولا يكني ٠٠ ومثل هذه الحكاية ما قاله بعض الكتاب وقد دخل على علي بن عبدالله بن جعفر بن ابراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو محبوس فقال أبن هذا الجعفرى الذي يتذيت في شعره قال عليّ فعلمت أنه يريدني لقولي

ولما تدانى أنها لا تحبني ... وأنّ هواها ليس عني بمنجلي

تمنيتُ أن تهوى سوايَ لعلها ... تذوق صباباتِ الهوى فترقّ لي

فما كان الاّ عن قليل وأشغفت ... بحبّ غزال أدعج الطرف أكحل

وعذبها حتى أذاب فؤادها ... وذوّقها طعم الهوى والتذلل

فقلت لها هذا بهذا فأطرقت ... حياءً وقالت كل من عايب ابتلى

فقلت أنا هو جعلت فداك وأنا الذي أقول في الغيرة

ربما سرني صدودكِ عني ... وطلابيكِ وامتناعكِ مني

حذراً أن أكونَ مفتاحَ غيري ... فاذا ما خلوتُ كنتِ التمني

ويعاب ما ناسب قول الآخر وهو جميل

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها ... ولكن طلابيها لما فات من عقلي

لان الصواب قول عباس أو مسلم

أبكي وقد ذهبَ الفؤادُ وإنما ... أبكي فقدتُ لا لفقدِ الذاهب

فأما طرد الخيال والمجاراة في المحبة فهو مذهب مشهور وقد تركه جماعة من الشعراء ورواه رواة منهم طرفة ولبيد ثم جرير ثم جميل فقال طرفة وهو أول من طرقه

فقل لخيالِ الحنظلية ينقلب ... إليها فإني واصلٌ حبلَ من وصل

وقال لبيد في مثل ذلك

فاقطع لبانةَ من تعرَّض وصلُه ... ولشرُّ واصل خلة صرّامها

يقول اقطع المرار ممن تعرض وصله للقطيعة ويقال تعرض الشيء اذا فسد حكاه الخليل فإن شر من وصالك من قطعك بلا ذنب يريد الذي تعرض وصله ومن الناس من رواه ولخير واصل خلة صرامها يقول إن خير من وصل الخلة من قطعها باستحقاق يعني نفسه .. وقال جرير

طرقتكَ صائدةُ القلوب وليس ذا ... وقتَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ

على أن قوما زعموا أنه كان محرما فلذلك طرد الخيال كأنه تحرج وليس طرد عتب .. وقال جميل

ولستُ وإن عزّتْ عليَّ بقائلٍ ... لها بعدَ صرمٍ يا بثينُ صلينى

وجرى على سنن هؤلاء جماعة من المولدين واعتقدوا هذا المذهب قولا وفعلا حتى تعداه بعضهم الى القتل مثل عبد السلام بن رغبان ونصر الخبزأرزي ومن شاكلهما من الشطار الا أن أصل هذا المذهب عند قدامة فاسد وعاب على نابغة بني ثعلب واسمه الحارث بن عدوان أحد بني زيد بن عمرو بن غنم بن ثعلب قوله

بخلنا لبخلكِ لو تعلمينَ ... وكيف تعيبُ بخيلٌ بخيلاَ

لان الواجب عنده في التغزل أن يكون على خلاف هذا وكل مالا يليق بالمحبوب فهو مكروه في باب النسيب .. قالت عزة لكثير يوماً ويقال بثينة ما أردت بنا حين قلت

وددتُ وبيتِ الله أنكِ بكرةٌ ... هجانٌ واني مصعبٌ ثم يهربُ

كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقلْ ... على حسنها جرباءُ تعدي وأجربُ

يكون لدى مال كثير مممل ... فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلاً صاح أهله ... علينا فلا ننفك نرمى ونضرب

لقد أردت ما التشقاء أما وجدت أمية أوطأ من هذه تخرج من عندها حجلاء .. وانما قتدى بالفرزدق حيث يقول وهذا من سوء الاتبع

ألا ليتنا كنا بعيرين لا نرد ... على حاضر الا نشل ونقذف
كلانا به عرّ يخاف قرافه ... على الناس مطلي الأشاعر أحشف
بأرض خلاء وحدنا وثيابنا ... من الريط والديباج درع وملحف
ولا زاد الا فضلتان سلافة ... وأبيض من ماء الغمامة قرقف
وأشلاء لحم من حباري نصيدها ... اذا نحن شئنا صاحب متألف
لنا ما تمنينا من العيش ما دعا ... هديلاً حمام في حمائم هتف

واذا كان بعيراً فما هذه الأمنية التى كأنها للحيوان الناطق لولا أنه ردها الى نفسه حقيقة والا فما أملح الجمل نشوان يصيد الحبارى بالبازى ومعايب هذا الباب كثيرة وفيما قدمت منها دليل على باقيها .. واشتقاق التشبيب يجوز أن يكون من ذكر الشبيبة وأصله الارتفاع كأن الشباب ارتفع عن حال الطفولية أو رفع صاحبه ويقال شب الفرس اذا رفع يديه وقام على رجليه .. قال الجاحظ يقال شبت النار شبوباً وشب الفرس بيديه فهو يشب شبيباً ويقال مالك عصاص ولاشباب انقضى كلامه .. ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الخمار وجه الجارية اذا جلاه ووصف ما تحته من محاسنه فكأن هذا الشاعر قد أبرز هذه الجارية فى صفته اياها وجلاها للعيون ومنه الشب الذى تجتلى به وجوه الدنانير و تستخرج غشها ومنه ما شبت النار اذا رفعت سناها وردتها ضياء .. وأنشد الأصمعى لعكاشة بن أبى مسعدة

* يدفع عنها كل مشبوب أغر *

وقال المشبوب الذى اذا رأيته فرعت لحسنه .. قال ابن دريد شبت فى الشعر شبيباً مثل نسبت نسيبا والنسيب أكثر ما يستعمل فى الشعر

باب في المديح

وسبيل الشاعر اذا مدح ملكا أن يسلك طريقة الايضاح والاشادة بذكره للممدوح وأن يجعل معانيه جزلة وألفاظه نقية غير مبتذلة سوقية ويجتنب مع ذلك التقصير والتجاوز والتطويل فان للملك سآمة وضجراً ربما عاب من أجلها مالا يعاب وحرم من لا يريد حرمانه ورأيت عمل البحترى اذا مدح الخليفة كيف يقل الأبيات ويبرز وجوه المعانى فاذا مدح الكتاب عمل طاقته وبلغ مراده ٠٠ وقد حكى عن عمارة أن جده جريراً قال يابني اذا مدحتم فلا تطيلوا الممادحة فانه ينسي أولها ولا يحفظ آخرها واذا هجوتم فخالفوا ٠٠ قال عبد الكريم وهذا ضد قول عقيل بن علفة المرادى وحكى غيره قال دخل الفرزدق على عبد الرحمن بن أم الحكم فقال له عبد الرحمن أبا فراس دعني من شعرك الذى ليس يأتي آخره حتى ينسى أوله وقال قل فى بيتين يعلقان بالرواة وأنا أعطيك عطية لم يعطكها أحد قط قبلي فعدا عليه وهو يقول

وأنت ابنُ بطحاوى قريشٍ وان تشأ تكن من ثقيفٍ سيل ذى حدر غمر

وأنت ابنُ سوّار المديىنِ الى العلى تكشفت بك الشمسُ المضيئةُ للبدرِ

فقال أحسنت وأمر له بعشرة آلاف درهم ٠٠ واذا كان الممدوح ملكا لم يبال الشاعر كيف قال فيه ولا كيف أطنب وذلك محمود وسواه المذموم وان كان سوقة فاياك والتجاوز به خطته فانه متى جاوز به خطته كان كمن نقصه منها وكذلك لايجب أن يقصر عما يستحق ولا أن يعطيه صفة غيره فيصف الكاتب بالشجاعة والقاضى بالحمية والمهابة وكثيراً ما يقع هذا للشعراء وقبيا وهو خطأ الاّ أن يصحبه قرينة تدل على صواب الرأى فيه وكذلك لا يجب أن يمدح الملك ببعض ما يتجه فى غيره من الرؤساء وان كان فضيلة وذلك مثل قول البحترى يمدح المعتز بالله

لا العذلُ يردعه ولا التعسيف عن كرم يصده

فانه مما أنكر عليه أبو العباس احمد بن عبد الله وقال من ذا يعنف الخليفة على الكرم أو

نصده هذا بالهجاء أولى منه بالمدح وعيب علي الأخطل قوله في عبد الملك بن مروان

وقد جعلَ اللهُ الخلافةَ منهم لابيض لاعاري الخوان ولاجدب

وقالوا لو مدح بها حرسيا لعبد الملك لكان قد قصر به قلت أنا وان كان فلا بد من ذكر الضيافة والقرى فقول ابن قيس الرقيات لمصعب بن الزبير

يلبسُ الجيشَ بالجيوش ويسقي لبنَ البخت في عساس الخلنج

لان هذا وان لم يعد به ممادحة العرب في سقي اللبن فقد زاده رتبة عرف بها أنه ملك ..وأجود منه في معناه قول حسان في آل جفنة

يسقونَ من وردَ البريصَ عليهم بردى يصفقُ بالرحيقِ السلسلِ

ويروى ـمسكاـ وعابوا علي الاحوص قوله للملك

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق الحديث يقول مالا يفعلُ

وقالوا ان الملوك لا تمدح بما يلزمها فعله كما تمدح العامة وانما تمدح بالاعراق والتفضيل بما لا يتسع غيرهم لبذله .. ومن هذا النوع قول كثير

رأيتُ ابن ليلى يعترى صلبَ ماله مسائلُ شتى من غنى ومصرم

مسائلُ ان توجد لديك تجد بها يداك وان تظلم بهـا تتظلم

لان هذا انما يقع لمن دون الخليفة والملك وانما أخذه من قول زهير في هرم بن سنان وليس بملك ولذلك حسن قوله

هو الجواد الذي يعطيك نائله عفـواً ويظلم أحيانا فيظلم

يريد أنه يسأل أحياناً ما ليس قبله فيحتمله هذا وقد قال الصولي في شرح قول حبيب

لو يفاخر ركنُ المدح كثيرٌ بمعانيهن خالهن نسيبا

طاب فيه المدح والتذ حتى فاقَ وصفَ الديارِ والتشبيبا

سألت عون بن محمد الكندي لم خص كثيراً فقال سمعته يقول أمدح الناس زهير والأعشي ثم الأخطل وكثير..وحكى غير الصولي أن مروان بن أبي حفصة كان يقدم كثيراً في المدح على جرير والفرزدق ومما قدم به زهير قوله

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ ... قومٌ بأولهم أو مجدهم قعدوا
قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطابَ من الأولاد ما ولدوا
انسٌ إذا أمنوا جنٌّ إذا فزعوا ... مرزَّؤون بهاليلُ إذا جهدوا
محسَّدون على ما كانَ من نعمٍ ... لا ينزعُ اللهُ منهم ماله حسدوا

ويروى- غرٌّ بهاليل في أعناقهم صيد .. وقدمه قدامة بن جعفر الكاتب فقال في كتابه نقد الشعر لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك إنما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيباً وبما سواها مخطئاً .. فقال زهير

أخي ثقةٍ لا تُهلكُ الخمرُ ماله ... ولكنه قد يهلك المال نائله

لأنه قد وصفه بالعفة لقلة إمعانه في اللذات وانه لا ينفذ فيها ماله وبالسخاء لإهلاكه ماله في النوال وانحرافه الى ذلك عن اللذات وذلك هو العقل ثم قال

تراه إذا ما جئته متهللا ... كأنكَ تُعطيه الذي أنتَ سائله

أراد أن فرحه بما يعطي أكثر من فرحه بما يأخذ فزاد في وصف السخاء منه بأن جعله يهش ولا يلحقه مضض ولا تكرّه لفعله .. ثم قال

فمن مثل حصنٍ في الحروبِ ومثله ... لإنكارِ ضيمٍ أو لخصمٍ يجادله

فأتى في هذا البيت بالوصف من جهة الشجاعة والعقل فاستوفى ضروب المدح الأربعة التي هي فضائل الإنسان على الحقيقة وزادها بما هو وإن كان داخلا في الأربعة فكثير من الناس لا يعرف وجه دخوله فيها حيث قال- أخي ثقة- فوصفه بالوفاء والوفاء داخل في هذه الفضائل التي قدمنا وقد تعن الشعراء فيعدون أنواع الفضائل الأربع وأقسامها وكل داخل في جملتها مثل أن يذكروا ثقابة المعرفة والحياء والبيان والسياسة والصدع بالحجة والعلم والحلم عن سفاهة الجهلة وغير ذلك مما يجرى هذا المجرى وهي من أقسام العقل .. وكذكرهم القناعة وقلة الشهوة وطهارة الإزار وغير ذلك وهي من أقسام العفة

وكذ كرهم الحماية والاخذ بالثأر والدفع عن الجار والنكاية في العدو وقتل الاقران والمهابة والسير فى المهامه والقفار الموحشة وما شاكل هذا وهو من أقسام الشجاعة وكذ كرهم السماحة والتعاش والانطلام والتبرع بالنائل والاجابة للسائل وقري الاضياف وما جانس هذه الاشياء وهي من أقسام العدل٠٠ وأما تركب بعضها من بعض فيحدث منها ستة أقسام تحدث من تركيب العقل مع الشجاعة الصبر علي الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالايعاد وعن تركب العقل مع السخاء البر وانجاز الوعد وما أشبه ذلك وعن تركيب العقل مع العفة النزه والرغبة عن المسئلة والاقتصار على أدنى معيشة وما أشبه ذلك٠٠ وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الاتلاف والاخلاف وما جانس ذلك وعن تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة علي الحرم وعن تركيب السخاء مع العفة الاسعاف بالقوت والايثار على النفس وما شاكل ذلك ٠٠ قال وكل واحدة من هذه الفضائل الاربع المتقدم ذكرها وسط بين طرفين مذمومين مدح أبو العتاهية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفاً وخلع عليه حتى لم يستطع أن يقوم فغار الشعراء لذلك فجمعهم ثم قال عجباً لكم معشر الشعراء ما أشد حسد بعضكم لبعض أن أحدكم يأتينا ليمدحنا فينسب في قصيدته بصديقته بخمسين بيتاً فما يبلغنا حتى تذهب لذاذة مدحه ورونق شعره وقد أتي أبو العتاهية فنسب فى أبيات يسيرة ٠٠ ثم قال

أني أمنتُ من الزمانِ وريبه	لما علقتُ من َ الاميرِ حبالا
لو يستطيعُ الناسُ من اجلاله	لحذوا له حرَّ الخدودِ نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها	قطعتْ اليك سباسباً ورمالا
فاذا وردنَ بنا وردنَ خفائفاً	واذا صدرنَ بنا صدرن ثقالا

ومن مليح ما لابى العتاهية فى المدح قوله

فتي ماا ستفاد المالَ الاَّ أفاده	سواه كانَّ الملكَ فى كفه حلم
اذا ابتسم المهدىّ نادتْ عينهُ	ألاَ من أتانا زائراً فله الحكم

وله أيضاً فى معنى بيتى الفرزدق اللذين صنعهما لعبد الرحمن بن أم الحكم

فما مثلُ بيتيه في العالمين أعزُّ بناءً ولا أرفعُ
فبيتٌ بناهُ له هاشمٌ وبيتٌ بناه له تبعُ
ولوحاولَ الدهرُ مافي يديه لعادَ وعرنينه أجدعُ

ومن المدح المنصوص عليه قول زهير

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوهها وأندية ٌ ينتابها القولُ والفعلُ
وان جئتهم ألفيتَ حولَ بيوتهم مجالسَ قدتشفى بأحلامها الجهلُ
على مكثريهم حقُّ من يعتريهم وعندَ المقلينَ السماحةُ والبذلُ
سعى بعدَهم قومٌ لكي يدركوهم فلم يفعلوا ولم يلوموا ولم يألوا
فما كان من خيرٍ أتوهُ فانما توارثهُ آباء آبائهم قبل
وهل ينبت الخطيَّ الا وشيجهُ وتغرسُ الاَّ في منابتها النخلُ

وكذلك أيضاً قوله

من يلقَ يوما على علاته هرماً يلقَ السماحةَ منه والندي خلقا
ليثٌ بعثرَ يصطادُ الرجالَ اذا ما كذّب الليثُ عن أقرانه صدقا
يطعنهم ماارتموا حتى اذا طعنوا ضاربَ حتى اذا ماضاربوا اعتنقا
فضلَ الجوادِ على الخيل البطاء فلا يعطى بذلك ممنوناً ولاَ نزقا
هذا وليس كمن يعيي بخطبته وسطَ الندىّ اذا ماناطقٌ نطقا
لو نالَ حيٌّ من الدنيا بمكرُمةٍ أفقَ السماء لنالت كفه الأفقا

وينبغى أن يكون قصد الشاعر فى مدح الكاتب والوزير مااختاره قدامة وغيره وكذلك ما ناسب حسن الروية وسرعة الخاطر بالصواب وشدة الحزم وقلة الغفلة وجودة النظر للخليفة والنيابة عنه فى المعضلات بالرأى أو بالذات كما قال أبو نواس

اذا نابه أمرٌ فاما كفيتهُ واما عليه بالكفيّ نشير

و بأنه محمود السيرة حسن السياسة لطيف الحس فان أضاف الى ذلك البلاغة والخط

والنفس فى العلم كان غاية ٠٠ وأفضل ما مدح به القائد الجود والشجاعة وما تفرع منهما نحو التخرق فى الهبات والافراط فى النجدة وسرعة البطش وما شاكل ذلك ٠٠ ويمدح القاضي بما ناسب العدل والانصاف وتقريب البعيد فى الحق وتبعيد القريب والاخذ للضعيف من القوي والمساواة بين الفقير والغنى وانبساط الوجه ولين الجانب وقلة المبالاة فى اقامة الحدود واستخراج الحقوق فان زاد الى ذلك ذكر الورع والتحرج وما شاكلهما فقد بلغ النهاية ٠٠ وصفات القاضي كلها لائقة بصاحب المظالم ومن كان دون هذه الثلاث الطبقات سوي طبقة الملك فلا أري لمدحه وجهاً وان دعت الى ذلك ضرورة مدح كل انسان بالفضل في صناعته والمعرفة بطريقته التي هو فيها وأكثر ما نعول على الفضائل النفسية التي ذكرها قدامة فان أضيف اليها فضائل عرضية أو جسمية كالجمال والابهة وبسطة الخلق وسعة الدنيا وكثرة العشير كان ذلك جيداً الاّ أن قدامة قد أبى منه وأنكره جملة وليس ذلك صوابا وانما الواجب عليه أن يقول ان المدح بالفضائل النفسية أشرف وأصح فأما انكار ماسواها كرة واحدة فما أظن أحداً ساعده فيه ولا وافقه عليه ٠٠ وقد كره الحذاق أن يمدح الملوك بما ناسب قول موسى شهوات وروى لغيره

ليسَ فيما بدا لنا منك عيبٌ ... عابه الناسُ غيرَ أنك فانى

أنتَ نعم المتاعُ لو كنتَ تبقي ... غيرَ ان لا بقاءَ للانسان

وذكر عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج من الحمام وهو الخليفة يريد الصلاة ونظر فى المرآة وأعجبه جماله وكان حسن الوجه فقال أنا الملك الشاب وروى الفتي فتلقته احدى حظاياه فقال لها كيف ترينى فتمثلت بالبيتين المتقدم ذكرهما فتطير منهما ورجع فحم فما بات الاميتاً تلك الليلة ٠٠ وروى عن بعض الملوك أنه قال ما لهؤلاء الشعراء قاتلهم الله ربما ذكروا شيئاً نحن أكثر ذكراً له منهم فينغصون به علينا أوقات لذتنا نعني بذلك الموت ومن أشنع ما فى ذلك قول أبى تمام

فليطل عمره فلو ماتَ فى طو ... سَ مقيما لماتَ فيها غريبا

فما الذى دعاه الى ذكر الموت ههنا الا النكد والمعاصة ٠٠ أجمع الناس على تقديم قول كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحمله الناقة الادماء معتجراً بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم

وفي عطافيه أو أثناء ريطته ما يعلم الله من دين ومن كرم

والجهال يروون البيت الأول لأبي دهبل الجمحي ويناسبه قول الحجاج

يحمل كل سؤدد وفخر يحمل ما يدري وما لا يدري

قال الأصمعي وأصله قول الحارث بن حلزة

ونعلم كما علم الله وما أن للحائنين دماء

قال ولم يقل قط شاعراً كما نعلم أحسن من هذه الثلاثة المعاني . قال أبو العباس المبرد من الشعراء من يحمل المدح فيكون ذلك وجهاً حسناً لبلوغه الارادة مع خلوه من الاطالة وبعده من الاكثار ودخوله في الاختصار .. وذلك نحو قول الحطيئة

يرور فتى يعطى على الحمد ماله ومن يعط أثمان المكارم يحمد

تزور فتى يعطى على الحمد ماله ويعلم أن المرء غير مخلد

يرى البخل لا يبقى على المرء ماله ويعلم أن المرء غير مخلد

ورواه غيره ـ أن المال غير مخلد ـ

كسوب ومتلاف اذا ما سألته تهلل واهتز اهتزاز المهند

متى تأته تعشو الى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

تصرف في أبياته هذه في أصناف المديح وأتى بجماع الوصف وحملة المدح على سبيل الاقتصار في البيت الأخير .. ومثله قول الشماخ

رأيت عرابة الاوسي يسمو الى العلياء منقطع القرين

اذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين *

انتهى كلامه ومن أفضل ما مدح به الملوك وأكثره اصابة للغرض ما يناسب قول ابن هرمة للمنصور

له لحظات عن حفا في سريره اذا كرها فيها عقاب ونائل

فأما الذي أمنت آمنه الردى وأما الذي أوعدت بالثكل ثاكل

وقول أبي العتاهية في مدح الهادي

تضطرب الخوف والرجاء إذا حرك موسى القضيب أو فكر

وكذلك قول الحزين الكناني في عبدالله بن عبد الملك بن مروان وقد وفد عليه بمصر وروي للفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وقيل بل قالها فيه العين المنقري وقيل بل الأبيات لداود بن مسلم في قثم بن العباس بن عبد الله ابن العباس

في كفه خيزران ريحه عبق من كف أروع في عرنينه شمم

يغضي حياء ويغضى من مهابته فما يكلم إلا حين يبتسم

اجتمع الشعراء بباب المعتصم فبعث إليهم من كان منكم يحسن أن يقول مثل قول منصور النميري في أمير المؤمنين الرشيد

إن المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع

إذا رفعت امرأ فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام متضع

من لم يكن بأمين الله معتصما فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن أخلف الغيث لم تخلف أنامله أو ضاق أمر ذكرناه فيتسع

فليدخل فقال محمد بن وهب فينا من يقول خيراً منه وأنشد

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتهم شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

تحكي أفاعيله في كل نائبة الغيث والليث والصمصامة الذكر

فأمر بادخاله وأحسن صلته .. قالوا لما حضرت الحطيئة الوفاة قال أبلغوا الأنصار أن أخاهم أمدح الناس حيث يقول

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قال ثعلب بل قول الأعشى

فتى لو يبارى الشمسَ ألقت قناعها أو القمرَ الساري لألقى المقالدا

أمدح منه .. وقال أبو عمرو بن العلاء بل بيت جرير

ألستم خيرَ من ركبَ المطايا وأندى العالمينَ بطونَ راح

أسير ما قيل فى المدح وأسهله .. وقال غيره بل قول الأخطل

شمسُ العداوة حتى يستقاد لهم وأعظمُ الناس أحلاماً اذا قدروا

وقال دعبل بل قول أبي الطمحان القيني

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

قال وقد تنازع فى هذا البيت يعنى بيت أبى الطمحان قوم وفى بيت حسان فى آل جفنة و بيت النابغة

فانكَ شمسٌ والملوك كواكبٌ اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

و بيت أبي الطمحان أشعرها .. قال الحاتمي بل بيت زهير

تراه اذا ماجئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائله

وحكي عليّ بن هارون عن أبيه انه قال أجمع أهل العلم على ان بيتى أبي نواس أجود ما للمولدين فى المدح وهما قوله

أنتَ الذي تأخذ الأيدي بحجزته اذا الزمان على أبنائه كلحا

وكنتَ بالدهر عيناً غيرَ غافلة من جودِ كفك تأسو كلما جرحا

الحاتمى عن محمد بن عبد الواحد عن أحمد بن يحيى قال سمعت ابن الاعرابى يقول أمدح بيت قاله مولد قول أبى نواس

تغطيتُ من دهرى بظل جناحه فعينى ترى دهرى وليس يرانى

فلو تسألُ الايامَ عنى مادرت وأين مكاني ما عرفن مكانى

قال صاحب الكتاب نحن الى الانصاف أحوج منا الى المكابرة والخلاف وأبو نواس ذهب مذهباً لطيفاً يخرج له فيه العذر والتأويل والا فما فى صفة الخمول أشد مما وصف

لاسيما علي رواية من روى — فلو تسأل الأيام عنى — ومن جيد ما سمعته لمحدث وأظنه لابن الرومى في عبد الله بن سليمان بن وهب ورأيت من يرويه لأبى الحسين أحمد بن محمد الكاتب

اذا أبو قاسم جادَت لنا يده ... لم يحمد الأجودانِ البحرُ والمطر

ولو أضاءت لنا أنوار غرته ... تضاءل النيران الشمسُ والقمر

وان مضى رأيه أو حدّ عزمته ... تأخر الماضيان السيفُ والقدر

من لم يبت حذراً من خوف سطوته ... لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذر

ينال بالظن ما يعيي العيان به ... والشاهدان عليه العين والأثر

كأنه ورمامُ الدهرِ فى يده ... يرى عواقبَ ما يأتى وما يذر

وقال خلف الأحمر أغلب المدح وأكثره ملقا قول زهير

تراه اذا ماجئته متهللاً ... كأنك تعطيه الذى أنت سائله

أخو ثقةٍ لا يهلك الخمر ماله ... ولكنه قد يهلك المالَ نائله

غدوتُ عليه غدوةً فوجدته ... قعوداً لديه بالصريم عواذله

يفديه طوراً وطوراً يلمنه ... وأعيى فما يدرين أين مخاتله

فأعرضن منه عن كريم مرزّءٍ ... عزوم على الأمر الذى هو فاعله

وقال طفيل الغنوى

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فزلت

أبوا أن يملونا ولو أن أمنا ... تلاقى الذى لاقوه منا لملت

وقال الاصمعي أجلب الشعر قول حمزة بن بيض

تقول لى والعيون هاجعة ... أقم علينا يوماً فلم أقم

أي الوجوه انتجعت قلت لها ... لا أي وجه إلا الى الحكم

متى يقل حاجبا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنتُ أسلمتُ فيك مقتبلا فهات إذ حلّ عطى سمي

وسأل الرشيد المفضل الضبي أي بيت قالته العرب أمدح فقال

أغرّ أبلجُ تأتمُّ الهداةُ به كأنه علمٌ في رأسه نار

هكذا روايته فيه قال شرحبيل بن معن بن زائدة كنت أسير تحت قبة يحيى بن خالد وقد حج مع الرشيد وعديله أبو يوسف القاضي اذ أتاه أعرابي من بني أسد كان يمدحه اذا حج فيمدحه فأنشده شعراً أنكر يحيى منه بيتاً فقال يا أخا بني أسد ألم أنهك عن مثل هذا الشعر ألاقلت كما قال الشاعر

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في غيل خفان أشبلُ

هم يمنعونَ الجارَ حتى كأنما لجارهمُ بين السماكين منزل

بهاليلُ في الاسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

هم القومُ ان قالوا أصابوا وان دعوا أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

ولا يستطيعُ الفاعلون فعالهم وان أحسنوا في النائبات وأجملوا

فقال أبو يوسف لمن هذا الشعر أصلحك الله فما سمعت أحسن منه فقال يحيي يقوله ابن أبي حفصة في أبي هذا الفتى وأومأ اليّ وكان قوله أعرابي من خليل العوائد ثم التفت اليّ وقال يا شرحبيل أنشدني أجود ماقاله ابن أبي حفصة في أبيك فأنشدته

نعمَ المناخُ لراغبٍ ولراهبٍ ممن تصيبُ جوائح الأزمان

معنُ بن زائدةَ الذي زيدت به شرفاً على شرفٍ بنو شيبان

ان عدّ أيام اللقاء فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان

يكسو الاسرةَ والمنابرَ بهجةً ويزينها بجهارةٍ وبيان

تمضي أسنتهُ ويسفر وجهه في الحرب عند تغير الألوان

نفسي فداؤك أنا الوليد اذا بدا رهجُ السنابك والرماحُ دواني

فقال يحيي أنت لا تدري جيد ما مدح به أبوك أجود من هذا قوله

بـ ه وره عد ـا وأشكلا فلانه ن ندرى أيّ نومه أوصل
أيوم لده نعمر أم يوم بأسه وما منهما الا أعزّ محجل

ومما أخذ على الكميت قوله يمدح النبي صلى الله عليه وسلم

فاعتدب القول من مؤادى والشعر الى من اليه معتب
الى السراج المنير أحمد لا يعدلنى رغبة ولا رهب
عنه الى غيره ولو رفع الناس الىّ العيونَ وارتقبوا
وقيل أفرطتَ بل قصدتُ ولو عنفنى القائلون أو ثلبوا
اليكَ يا خيرَ من تضمنت الأرضُ ولو عاب قوليَ العيب
لجّ بتفضيلك اللسانُ ولو أكثر فيك الضجاج واللجب

قالوا من هذا الذى يقول في مدح النبي صلى الله عليه وسلم أفرطت أو يعيبه أو يثلبه أو ينسبه حتى يكثر الضجاج واللجب وهذا كله خطأ منه وجهل بمواقع المدح وقال من احتج له لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم وانما أراد عليا رضي الله عنه فورى عنه بذكر النبي صلى الله عليه وسلم خوفا من بنى أمية .. ومن استعراء من ينقل المدح عن رجل الى رجل وكان ذلك دأب البحتري وفعله أبو تمام فى قصائد معدودة منها

* قدك اتّئب أربيت فى الغلواء *

نقلها عن يحيى بن ثابت الى محمد بن حسان فأما الذى قال هن بناتى أنكحهن من شئت فهو معذور ان لم يذنب فاما ان اذنب فذلك منه قلة وفاء وفرط خيانة

باب الافتخار

والافتخار هو المدح نفسه الا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه وكل ما حسن فى

المدح حسن في الافتخار وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار فمن ابيات الافتخار قول الفرزدق

أن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال احمد بن يحيى أجمعت الرواة على أن أفخر بيت قالته العرب قول صريع

ما يسكر الناس حين تسكرهم كادوا عبيداً وكانوا عبيدا

وقال دعبل بن علي أفخر اشعر قول كعب بن مالك

وسائر بدر اذ ترد وجوههم جبريل تحت لوائنا ومحمد

وقال الحاتمي قول الفرزدق

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

قال و يتلوه قول جرير

اذا غضبت عليك بنو تميم حسبت الناس كلهم غضابا

وقال آخرون بل بيت الفرزدق

ونحن اذا عدت معد قديمها مكان الرأس من جسد الانسان

وقال غيرهم بل قوله لجرير

واذا نظرت رأيت فوقك دارماً والشمس تحت فتقع لا نصر

وقيل بل قول ابن ميادة واسمه الرماح بن أبرد

ولو أن قيساً قيس عيلان أقسمت على الشمس لم تطلع عليك حجابها

وأفخر بيت صنعه محدث عندهم بشار

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس أو قطرت دما

اذا ما أعرنا سيداً من قبيلة ذرى منبر صلى علينا وسلما

ويروى * هتكنا سماء الله أو مطرت دما *

ومن جيد الافتخار قول بكر بن النطاح الحنفي

ومن يفتقر منا يعش بحسامه ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

ونحن وصفنا دون كل قبيلة بأس شديد في الكتاب المنزل

وانا لنلهو بالحروب كما لهت فتاة بعقد أو سخاب قرنفل

يعني قول الله عز وجل ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد ﴾ فدعوا في خلافة أبي بكر لى قتال أهل الردة من بني حنيفة و بسبب هذا الشعر وأشباهه طلبه الرشيد أشد طلب وقال كيف يفتخر على مضر ومنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير البشر فهذا افتخار بالشجاعة خاصة .. وممن افتخر بالكثرة أوس ابن مغراء .. قال

ما تطلع الشمس الا عند أولنا ولا تغيب الا عند أخرانا

وقد أنكر قدامة أن يمدح الانسان بآبائه دون أن يكون ممدوحاً بنفسه لان كثيراً من الناس لايكونون كآبائهم والذي ذهب اليه حسن وأنكر الجرجاني على أبي الطيب قوله

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي

وإنما أخذه من قول علي بن جبلة حيث يقول

وما سودت عجلا مآثر غيرهم ولكن بهم سادت على غيرهم عجل

قال وهذا معنى سوء يقصر بالممدوح وبغض من حسبه ويحقر من شأن سلفه وانما طريقة المدح أن يحمل الممدوح بشرف آبائه والآباء برداد شرفاً به فيحمل لكل واحد منهم حظاً في الفخر وفي المدح نصيبا واذا حصلت الحقائق كان النصيبان مقسومين بل كان الكل خالصا لكل فريق منهم لان شرف الوالد جزء من ميراثه ومنتقل الى ولده كانتقال ماله فان رعى وحرس ثبت وازداد وان أهمل وضيع هلك وباد وكذلك شرف الوالد نعم القبيلة والولد منه القسم الأوفر والحظ الاكبر .. قال صاحب الكتاب والذي يقع عليه الاختيار عندي ما ناسب قول المتوكل الليثي

انا وان احسابنا كرمت لسنا على الاحساب نتكل[1]

(١) ن لسنا وان احسابنا كرمت يوماً

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونفعل مثلَ ما فعلوا

وقول عامر بن الطفيل الجعفري

فاني وان كنت ابنَ سيد عامر وفارسها المشهور في كل موكب
فما سوّدتني عامر عن وراثةٍ أبى اللهُ ان أسمو بأم ولا أب

ومن أفخر ماقال المولدون قول ابراهيم الموصلي يفتخر بولائه من خزيمة بن خازم النهشلي

اذا مضرُ الحمراء كانت أرومتي وقامَ بمجدي خازمٌ وابن خازم
عطستُ بأنفٍ شامخاً وتناولت يداي الثريا قاعداً غير قائم

ومن قول السيد أبي الحسن يفخر بقومه بني شيبان

يا آل شيبانَ لاغارت نجومكمُ ولاخبت نارُكم من بعد توقيد
انتم دعائم هذا الملك مذ ركضت قبلُ الخيول بلا زمام وتوكيد
المنعمونَ اذا ما أزمة أزمت والواهبونَ عتيقات المزاويد
سيوفكم أفنت كسرى مرازبهُ في يوم ذي قارَ اذ حازوا الموعود

وهذا هو الفخر الحلال غير المدعى فيه ولا المنتحل ومما عابه الاصمعي وغيره قول عامر ابن معشر بن اسحم يصف أسيرا أسروه

فظل يجالس المذقات فينا يقاد كأنهُ جملٌ زنيقُ

وذلك بأنه وصف أسيرهم بأنه جائع يجالس القليل الممذوق من اللبن وانما ذلك من الجهد •• ومن أجود قصيدة افتخر بها شاعر قصيدة السموأل بن عاديا اليهودي فانها جمعت ضروب المادح وأنواع المفاخر وهي مشهورة •

باب الرثاء

وليس بين الرثاء والمدح فرق الا ان يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت مثل كان اوعدمنا به كيت وكيت او ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت •• وسبيل الرثاء أن

يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطاً بالتلهف والاسف والاستعظام ان كان الميت ملكا او رئيساً كبيراً كما قال النابغة في حصن بن حذيفة بن بدر

يقولون حصنٌ ثم تأبى نفوسهم ... وكيفَ بحصنٍ والجبالُ جنوحُ

ولم تلفظ الموتى القبورُ ولم تزل ... نجوم السماء والاديم صحيح

فعما قليلٍ ثم جاء نعيهُ ... فظلَّ ندىُّ الحي وهو ينوحُ

فهذا وما شاكله رثاء الملوك والرؤساء الجلة والى هذا المعنى ذهب أبو العتاهية حين قال

مات الخليفةُ أيها الثقلان

فرفع الناس رؤسهم وفتحوا عيونهم وقالوا نعاه الى الجن والانس ثم ادركه اللين والفترة فقال

فكأنني أفطرتُ في رمضان

يريد اني بجاهرتي بهذا القول كأنما جاهرت بالافطار في رمضان نهارا وكل أحد ينكر ذلك علي ويستعظمه من فعلي وهذا معنى جيد غريب في لفظ رديء غير معرب عما في النفس . ومن أفضل الرثاء قول حسين بن مطير يرثي معن بن زائدة ويروى لابن أبي حفصة

فياقبرَ معنٍ كنتَ أولَ حفرة ... من الارض خطتْ للسماحةِ مضجعا

ويا قبرَ معنٍ كيف واريتَ جوده ... وقد كانَ منه البر والبحر مترعاً

بلى قد وسعتَ الجودَ والجودُ ميت ... ولو كان حياً ضقتَ حتى تصدعا

فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا

وما قصر أبو تمام في رثائه محمد بن حميد بالقصيدة التي يقول فيها

الا في سبيل الله من عُطلت له ... فجاجُ سبيلِ الثغر واتغر الثغر

فتى كلما فاضتْ عيونُ قبيلة ... دما ضحكت عنه الاحاديثُ والذكر

وما مات حتى مات مضرب سيفه ... من الضربِ واعتلت عليه القنا السمر

فتى مات بين الطعن والضرب ميتة تقوم مقام النصر إذ فاته النصر
وقد كان فوت الموت سهلاً فرده إليه الحفاظ المر والخلق الوعر
ونفس تعاف العار حتى كأنما هو الكفر يوم الروع أو دونه الكفر
فأثبت في مستنقع الموت رجله وقال لها من تحت أخمصك الحشر

وقد أجاد أيضاً في القصيدة التي رثى بها إدريس بن بدر الشامي يقول فيها

ولم أنس سعي الجود خلف سريره بأكسف بال يستقل ويظلع
وتكبيره خمساً عليه معالناً وإن كان تكبير المصلين أربع
وما كنت أدري يعلم الله قبلها بأن الندى في أهله يتشيع

وليس في ابتداآت المراثي المولدة مثل قوله

أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وأصبح مغنى الجود بعدك بلقعا

رثى بها محمد بن حميد وجعل حاتم

فإن ترم عن عمر تداني به المدى فخانك حتى لم تجد فيه منزعا
فما كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فتقطعا

وأبو تمام من المعدودين في اجادة الرثاء ومثله عبد السلام بن رغبان ديك الجن وهو أشهر في هذا من حبيب وله فيه طريق انفرد بها وذلك أنه قتل جاريته ونهم بها أخاه .. ثم قال يرثيها

يا مهجة جثم الحمام عليها وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولربما روى الهوى شفتي من شفتيها
حكمت سيفي في مجال خناقها ومدامعي تجري على خديها
فوحق نعليها وما وطئ الحصى شيء أعز علي من نعليها
ما كان قتليها لأني لم أكن أبكي إذا سقط الغبار عليها
لكن بخلت على الأنام بحسنها وأنفت من نظر العيون إليها

وقال أيضاً فيها على بعض الروايات

أشفقت أن يردَ الزمان بغدرهِ أو أبتلى بعدَ الوصال بهجرهِ
فقتلته وله عليَّ كرامةٌ مِلءُ الحشى وله الفؤادُ بأسرهِ
قمرٌ أنا استخرجته من دجنهِ لبليتي وزففته من خدره
عهدي به ميتاً كأحسنِ نائم والحزنُ يسحرُ دمعتي في نحره

الذي أعرف يسحر مقلتي وهو أصح استعارة

لو كان يدري الميتُ ماذا بعده بالحيِّ منه بكى له في قبرهِ
غصصٌ تكاد تفيض منها نفسه ويكادُ يخرجُ قلبه من صدره

والرواية الأخرى أن المتهم بالجارية غلام كان يهواه فقتله أيضاً فصنع فيه هذه الأبيات فصنعت فيه أخت الغلام

يا ويحَ ديك الجن بل تبّاً له ماذا تضمنَ صدرُه من غدره
قتلَ الذي يهوى وعمر بعده يارب لا تمددْ له في عمره

ويكون الرثاء مجملا كالمدح المجمل فيقع موقعاً حسنا لطيفاً كقول ابن المعتز في المعتضد

قضوْا ماقضوْا من أمره ثم قدموا اماماً امام الخير بين يديهِ
وصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوفٌ قيامٌ للسلام عليه

وقال في عبيد الله بن سليمان بن وهب

قداستوى الناسُ وماتَ الكمالْ وصاحَ صرفُ الدهر أينَ الرجال
هـذا أبو العباس في نعشه قوموا انظروا كيفَ تسيرُ الجبال
يا ناصرَ الملك بآرائه بعدكَ للملك ليالٍ طوال

وذكر غير واحد أن أرثى بيت قيل

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر

ومن عادة القدماء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الاعزة والأمم السالفة والوعول

الممتنعة في قلل الجبال والاسود الخادرة في الغياض وحمر الوحش المتصرفة بين القفار والنسور والعقبان والحيات لبأسها وطول أعمارها وذلك في أشعارهم كثير موجود لا يكاد يخلو منه شعر .. قال أبو عليّ وأما المحدثون فهم الى غير هذه الطريقة أميل ومذهبهم في الرثاء أمثل في وقتنا هذا وقبله وربما جروا على سنن من قبلهم اقتداء بهم وأخذا بسنتهم كالذي صنع أبو أيوب في رثائه ابا البيداء الاعرابي وخلف بن حيان الأحمر ومن بسببه فيهما فائيتان وقافية مشهورات احداهن قوله

لاتئل العصم في الهضاب ولاَ شعواء تغدو فرخين في لجف

والثانية قوله * لو كان حيا وائلاً من التلف *

والثالثة قوله في أبي البيداء

هل مخطيءٌ يومه عفرٌ بشاهقةٍ ترعي بأحيافها شثاً وطباق

وكما صنع ابن المعتز يرثي أباه بالقصيدة اللامية المقيدة في الرمل

رب حتف بين اثناء الأمل وحياة المرء ظلٌ منتقل

وهي أيضاً معروفة ولولا اشتهار هـذه القصائد ووجودها وخيفة التطويل بها لأثبتها في هذا الموضع .. وليس من عادة الشعراء أن يقدموا قبل الرثاء نسيباً كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء وقال ابن الـكلبي وكان علامة لا أعـلم مرثية أولها نسيب الاّ قصيدة دريد بن الصمة

أرث جديدُ الحبل ِ من أم ِّ معبدِ بعاقبة وأخلفت كـل موعـد

وعن عليّ بن سليمان عن أبي العباس الأحول أن القصيدة التي لأبي خراشة أعشى باهلة انما هي لابنه المنتشر واسمها الدعجاء .. قال وقال عليّ بن سليمان حدثني أبي أن أولها

هاج الفؤادَ على عرفانه الذكرُ وذكر جودٍ على الأيام ِ ما يذر

فذكرت أذكرها والدار جامعةٌ والدهر فيه هلاكُ الناس ِ والشجر

هكذا أنشده النحاس والذي أعرف ـ وذكر ميت ـ وأعرف أيضاً ـ والدهر فيه هلاك الناس والعير ـ كذلك أنشديه الموصلي في الاغاني ثم عطف النحاس فقال هذان البيتان

لا يعرفان في أول هـده القصدة ٠٠ ومما يريد الاسمرابة مهما أن المعارف عند أهل الامة أنه ليس للعرب في الجاهلية مرثية اولها نشيب الا قصيدة دريد وانا اقول انه الواجب في الجاهلية والاسلام والى وقتنا هذا ومن بعده لأن الآخذ في الرثاء يجب أن يكون متعولا عن التشبيب بما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة وانما تغزل دريد بعد قتل أخيه بسنة وحين أخذ ثأره وأدرك طلبته ور ء قال الشاعر في مقدمـة الرثاء تركت كذا أو كبرت عن كذا وشغلت عن كذا وهو في ذلك كله يتغزل و يصف أحوال النساء وكان الـكميت ركانا لهذه الطريقة في أكثر شعره ٠٠ فأما ابن مقبل فمن جفا إعرابيته أنه رثى عثمان بن عفان رضي الله عنه بقصيدة حسـنة أتى فيها على ما في النفس ثم عطف وقال

فدعْ ذا ولكنْ علقتْ حبلَ عاشقٍ لاحدى شعاب الحين والقتل أريب

ولم تنسـى قتلي قريشٍ ظعائناً تحمل حتى كادتِ الشمسُ تغرب

يطفنَ بعريبٍ يعللُ ذا الصبا اذا رام اركوب الغـواية أركب

من الهيف مبـدان يرى بطناتُها مهلـكة احراصهنّ تذبذب

والنسيب في أول القصيدة على مذهب دريد خير مما جم به هذا الخلف على تقدمه في الصناعة الاّ أن تكون الرواية ظعائن بالرفع ٠٠ ومما عيب به الـكميت في الرثاء قوله في ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبورك قبرٌ أنت فيهِ وبوركتْ بهِ ولهُ أهلٌ بذلك يثربُ

لقد غيبوا براً وحزماً ونائلاً عشيةَ واراهُ الصفيحُ المنصبُ

حكاه الجاحظ وغيره وأظن ان المراد بما عيب الثاني من هذين البيتين فأما الاول فجيد

٠٠ ومن العجب ان يقول عبدة بن الطبيب في تأبين قيس بن عاصم

عليكَ سلامُ الله قيسَ بن عاصمٍ ورحمتهُ ماشـاء أنْ يترحما

تحيـة منْ البسته منك نعمةً اذا زارَ عن شحطٍ بلادكَ سلما

فما كان قيسٌ هلكه هلكَ واحدٍ ولـكنهُ بنيـان قوم تهدما

ويقول الكميت في تأبين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا القول فلا قل مثل قول فاطمة رضي الله عنها

اغبر آفاقُ السماءِ وكورت شمسُ النهار وأظلمَ العصرانِ
فالأرضُ من بعد النبيّ كئيبة أسفاً عليهِ كثيرة الرجفانِ
فليبكهِ شرقُ البلادِ وغربها ولتبكهِ مضر وكل يمانِ
وليبكهِ الطودُ المعظم جوّه والبيتُ ذو الأستارِ والأركانِ
ياخاتمَ الرسلِ المبارك صنوه صليَّ عليكَ منزل القرآنِ

صلى الله عليه وسلم ورحم وكرم وعظم٠٠والنساء أشجى الناس قلوباً عند المصيبة وأشدهم جزعاً على هالك لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور وضعف العزيمة٠٠وعلى شدة الجزع يبنى الرثاء كما قال ابو تمام

لولا التفجعُ لادعى هضبُ الحمى وصفا المشقر أنه محزون

فانظر الى قول جليلة بنت مرة ترثي زوجها كليبا حين قتله أخوها جساس ما أشجى لفظها وأظهر الفجيعة فيه وكيف يثير كوامن الأشجان ويقدح شرر النيران وذلك

يا ابنة الأقوام ان لمتِ فلا تعجلي باللوم حتى تسألي
فاذا أنتِ تبينتِ التي عندها اللوم فلومي واعذلي
ان تكن اخت امرئٍ ليمت على جزعٍ منها عليها فافعلي
فعلُ جساسٍ على ضني به قاطعٌ ظهري ومدنٍ أجلي
لو بعينٍ فديت عيني سوي اختها وانفقأتْ لم أحفلِ
تحملُ العينُ قذىَ العين كما تحملُ الأمُّ قذىَ ما تفتلي
أبني قاتلة مقتولة فلعل الله ان يرتاحَ لي
يا قتيلاً قوّض الدهرُ بهِ سقفَ بيتيَّ جميعاً من علِ
ورماني فقده من كثبٍ رميةَ المصمىَ بهِ المستأصلِ

هدمَ البيتَ الذى استحدثتهُ وسعى فى هدمِ بيتى الاولِ
مسىِ فقدُ كلبِ للطيً من ورائى ولطى مستقبلي
ليسَ من يبكي ليومين كمن انما يبكي ليوم يحلى
دركِ الثائرِ شافيهِ وفى دركي تأريَ ثكل المثكلِ
ليته كان دمي فاحتلوا دركاً منه دمى من اكحلي

ومن اشد الرثاء صعوبة على الشاعر ان يرثى طفلا أو امرأة لضيق الكلام عليه فيهما وقلة الصفات الاترى ما صنعوا بابى الطيب وهو فحل محود اذا ذكر المحدثون فى قوله يذكر أم سيف الدولة

صلاة الله خالقنا حنوط علي الوجه المكفن بالجمال

فقالوا ماله ولهذه العجوز يصف جمالها وقال الصاحب بن عباد استعارة حداد في عرس فان كان أرادالصاحب بالاستعارة الحنوط فقد والله ظلم وتعسف وان كان اراد استعارة الكفن بجمال العجوزفقد اعترض فيموضع اعتراض الى مواضع كثيرة فيهذه القصيدة على ان فيها ماىمحو كل زلة و يعفى على كل اساءة قال الصاحب بن عباد ولقد مررت على مرثية له فى أم سيف الدولة تدل مع فساد الحس على سوء ادب النفس وما ظنك بمن يخاطب ملكا في أمه بقوله

رواقُ العزِّ فوقك مسبطر وملك على ابنك في كمال

ولعل لفظة الاسبطرار فى مراثى النساء من الخذلان الصفيق الرقيق وأنا اقول ان اشد ما هجن هذا اللفظة وجعلها مقام قصيدةهجاء انه قرنها بفوقك فجاءعملاً تاماً لم يبق فيه الانصاء .. ومن صعب الرثاء أيضاً جمع تعزية وتهنئة فى موضع قالوا لما مات معاوية اجتمع الناس بباب يزيد فلم يقدر أحد عل الجمع بين التهنئة والتعزية حتى اتى عبد الله ابن همام السلولى فدخل فقال يا امير المؤمنين آجرك الله على الرزية وبارك لك فى العطية وأعانك على الرعية فقد رزئت عظيما واعطيت جسيما فاشكر الله على ما اعطيت واصبر علي ما رزئت فقد فقدت خليفة الله واعطيت خلافة الله ففارقت جليلا ووهبت جزيلا اذ قضى معاوية نحبه ووليت الرياسة واعطيت السياسة فاورده الله موارد السرور

ووفقك لصالح الامور

فاصبر يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقة　　واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا

لا رزء اصبح في الاقوام نعلمهُ　　كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

اصبحتَ والىَ امر الناس كلهم　　فانتَ ترعاهم والله يرعاكا

وفي معاوية الباقي لنا خلفٌ　　اذا نعيتَ ولا نسمع بمنعاكا

ففتح للناس باب القول . . وعلى هذا السنن جرى الشعراء بعده فقال أبو نواس يعزي الفضل

ابن الربيع عن الرشيد ويهنيه بالأمين

تعزّ ابا العباس عن خير هالك　　باكرم حي كان او هو كائن

حوادثُ ايام تدور صروفها　　لهن مساوٍ مرّة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى　　فلا الملك مغبون ولا الموت غابن

و يروى — فلا انت مغبون — وتبعه ابو تمام بالقصيدة التي أولها

ما للدموع تروم كل مرام

يقولها للواثق بعد موت المعتصم صرف الكلام فيها كيف شاء واطنب كما اراد و حتى فيها

فأسهب وتقدم فيها على كل من سلك هذه الناحية على الشعراء وأراد ابن الزيات مجاراته

فعلم من نفسه التقصير فاقتصر على قوله

قد قلتُ اذ غيبوكَ واصطفقت　　عليكَ أيدٍ بالترب والطين

اذهب فنعم المعينُ كنتَ على الد　　نيا ونعمَ الظهيرُ للدين

لن يجبرَ اللهُ أمةً فقدتْ　　مثلكَ الاّ بمثل هارون

ومن جيد ما رثى به النساء وأشجاه وأشده تأثيراً في القلب واثارة للحزن قول محمد بن

عبد الملك هذا في أم ولده

ألا من رأى الطفلَ المفارقَ أمه　　بعيدَ الكرى عيناه تنسكبان

رأي كلّ أمّ وابنها غير أمه　　يبيتان تحتَ الليل ينتجيان

وباتَ وحيداً في الفراش تحثه ... بلابلُ قلبٍ دائم الخفقان

يقول فيها بعد أبيات

ألا ان سجلا واحدا قد أرقته ... من الدمع أوسجلين قد شفيانى

فلا تلحيانى ان بكيت فانما ... أداوي بهذا الدمع ما برانى

وان مكاناً في الثرى خطّ لحده ... لمن كان في قلبى بكل مكان

أحقُّ مكانٍ بالزيارة والهوى ... فهل أنتما ان عجتُ منتظران

ومن أشجى الشعر رثاء قوله في هذه القصيدة

فهبنى عزمت الصبرَ عنها لانني ... جليدٌ فمنْ بالصبر لابن ثمان

ضعيفِ القوىلايعرفُ الاجرحسبة ... ولا يأتسى بالناسِ في الحدثان

الا من أمنيه المنى فأعدّه ... لعثرة أيامى وصَرف زمانى

الا منْ اذا ماجئتأكرم مجلسي ... وان غبت عنه حاطنى ورعانى

فلمأر كالاقدار كيف يصبنى ... ولامثلَ هذا الدهر كيف رمانى

فهذه الطريق هي الغاية التي يجرى حذاق الشعراء اليها و يعتمدون في الرثاء عليها ما لم تكن المرثية من نساء الملوك و بنات الأشراف وغير ذوات محارم الشاعر فانه يتجافى عن هذه الطريقة الى أرفع منها نحو قول أبى الطيب

ولو أنّ النساءَ كمن فقدنا ... لفضلتِ النساء على الرجال

وقوله في هذه القصيدة

مشي الأمراء حوليها حفاةً ... كأن المروَ من زفِّ الرئال

ونحو قوله لأخت سيف الدولة

يا أختَ خيرأخ يا بنت خير أب ... كنايةً بهما عن أشرف النسب

أجل قدركِ ان تدعي مؤبنة ... ومَن يصفك فقد سماكِ للعرب

ورثاء الاطفال أن يذكر مخايلهم وما كانت الفراسة تعطيه فيهم مع تحزن لمصابهم وتفجع بهم كالذي صنع أبو تمام في ابنى عبد الله بن طاهر

باب الاقتضاء والاستنجار

حسب الشاعر أن يكون مدحه تعريضاً واقتضاؤه تلطفاً وهجوه إن هجا عنيفاً فان الاقتضاء الخشن ربما كان سبب المنع والحرمان وداعية القطيعة والهجران وقوم يدرجون العتاب فى الاقتضاء والاقتضاء فى العتاب وأنا أرى غير هذا المذهب أصوب فالاقتضاء طلب حاجة وباب التلطف فيه أجود فان بلغ الامر العتاب فانما هو طلب الابقاء على المودة والمراعاة وفيه توبيخ ومعاصة لايجوز معها بعد الاقتضاء الا أن الناس خلطوا هذين البابين وساووا بينهما .. فمن أحسن الاقتضاء على ما تخيرته ونحوت اليه قول أمية بن أبى الصلت لعبد الله بن جدعان

أأذكر حاجتى ام قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياءُ

وعلمك بالحقوق وأنت فرعٌ لك الحسبُ المهذبُ والسناء

خليلٌ لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولامساء

فأرضك كلُّ مكرمةٍ بناها بنو تيم وأنتَ لها سماء

اذا أثنى عليكَ المرءُ يوماً كفاهُ من تعرضه الثناء

تباري الريح مكرُمةً وجوداً اذاماالكلبُ أحجره الشتاءُ

فأنت ترى هذا الاقتضاء كيف يلين الصخر ويستنزل القطر ويحط العصم الى السهل .. ومثله قول الآخر

لاشكر لكَ معروفاً هممتَ به انَّ اهتمامكَ بالمعروف معروفُ

ولا ألومكَ ان لم يمضه قدرٌ فالشيءُ بالقدَرِ المحتومِ مصروفُ

وأما ما ناسب قول محمد بن يزيد الأموى لعيسى بن فرخان شاه اذ يقول له مستبطئاً

أبا موسي سقى أرضَـ ـكَ ذان مسبلُ القطرِ

وزادَ اللهُ في قـدر كَ ماأخملت من قدرى

لقد كنت أرجوك َ لما أختشي من الدهر
وقد أصبحت َ من أو كد أسبابي الى الفقر
أترضي لي بأن أرضى تقصيرك في أمري
وقد أفنيت ُ ما أفنيت ُ في شكرك من عمري
مواعيد ُ كما أبصرت سراب ُ المهمهِ القفرِ
فمن يوم الى يوم ومن شهر الى شهر
فلم أحصل على قيمة ما قامت ُ من طهري
لعلّ َ الله َ أن يصنع لي من حيث لا أدرى
فألقاك َ بلا شكر وتلقانى بلا عذر
ولا أرجوك َ في الحالين لا العسر ولا اليسر

فهذا هو العتاب الممض والتوبيخ الذي دونه الجلد بالسوط بل بالسيف .. ومما صنعته في العتاب على هذا الشكل بعد اليأس المستحكم على ما شرطته

رجوتك للأمر المهم وفي يدي بقايا أمنى النفس َ فيها الأمانيا
فساوفت َ بى الأيام حتى اذا انقضت أواخر ُ ما عندى قطعت َ رجائيا
وكنت ُ كأنى نازف ُ البئر طالباً لأجمامها أو يرجع َ الماء صافيا
فلا هو أبقى ما أصاب َ لنفسه ولاهيَ أعطته الذى كان راجيا

ومن أملح ما رأيته في الاقتضاء والاستبطاء قول أبي العتاهية لعمرو بن العلاء وابن المعتز يسمى هذا النوع مزحاً يراد به الجد وهو

أصابت ْ علينا جودك َ العين ُ ياعمرْ فنحن لها نبغي التمائم َ والنشر
سنرقيك َ بالأشعار حتى تملها فان لم تفق ْ منها جرقيناك بالسور

وكنت أنا صنعت في استبطاء

أحسنت ْ في تأخيرها منةً لولم تؤخر لم تكن كاملهْ

وكيف لا يحسن تأخيرها ... بعد يقيني أنها حاصله
وجنة الفردوس يدعي بها ... آجلة للمرء لا عاجله
لكنما أضعف من همتي ... أيام عمر دونها زائله

والعتاب أوسع حداً من الاقتضاء لانه يكون مثله بسبب الحاجات وقد يكون بسبب غيرها كثيراً والاقتضاء لا يكون الا في حاجة

باب العتاب

العتاب وان كان حياة المودة وشاهد الوفاء فانه بعض من أبواب الخديعة يسرع الى الهجاء وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء فاذا قل كان داعية الالفة وقيد الصحبة واذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه . . وللعتاب طرق كثيرة وللناس فيه ضروب مختلفة فمنه ما يمازجه الاستعطاف والاستئلاف ومنه ما يدخله الاحتجاج والانتصاف وقد يعرض فيه المن والاجحاف مثل ما اشركه الاعتذار والاعتراف وأحسن الناس طريقاً في عتاب الاشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري الذي يقول

يريبني الشيء تأتي به ... وأكبر قدرك أن أستريبا
وأكره أن أتمادى على ... سبيل اغترار فألقى شعوبا
أكذب ظني بأن قد سخط ... ت وما كنت أعهد ظني كذوبا
ولولم تكن ساخطاً لم أكن ... أذم الزمان وأشكو الخطوبا
ولا بد من لومة أنتحي ... عليك بها مخطئاً أو مصيبا
أيصبح وردي في ساحتيـ ... ـك طرقاً ومرعاي محلاً جديبا
أبيع الأحبة بيع السوا ... م وآبى عليهم حبيباً حبيبا
ففي كل يوم لنا موقف ... يشقق فيه الوداع الجيوبا

سوي مطلب يعصى الرجاء بطوله ... ويخلقُ إخلاق الجفون الوسائلُ
وقد تألفُ العينُ الدجى وهو قيدها ... ويرجى شفاء السمّ والسمُّ قاتلُ
ولي عدةٌ يعصى المصورُ وامها ... كهيدك من أيام مصر لحائل
سنونَ قطعناهنّ عشراً كأنما ... قطعنا تقربِ العهدِ منها مراحلُ
وإن حريلات الصنائع لامرئ ... اذا ما الليالي ناكرته معاقلُ
وإنّ المعالي يُستَرمُّ بناؤها ... سراعاً كما قد تسترم المنازلْ
ولو حاردت شول عذرتُ لقاحها ... ولكن حرمتُ الدرّ والضرعُ حافلُ
مَسختكها نشوى الحوي وهو لا عج ... وتبعث اشجان الفتى وهو ذاهلُ
تردّ قوافيها اذا هي أرسلت ... هوامل مجد القوم وهي هواملُ
وكيف اذا حلّيتها بحليها ... تكون وهذا حسنها وهي عاطل
أ كابرنا عطفاً علينا فاننا ... بنا ظمأ برحٌ وأنتم مناهل

وقال ابن الرومي لابي الصقر اسماعيل بن بلبل يعاتبه في قصيدة جيدة مختارة

عقيلَ الذي اطلق مدحه جمة ... حواسي حسري قد أنت أن تسرّحا
وكنتَ متى تنشد مديحاً ظلمته ... يكن لك أهجى كل ما كان أمدحا
عذرتك لو كانت سماء تقشعت ... سحائبها أو كان روضٌ تصوحا
ولكنها سقيا حرمت رويها ... وعارضها ملقٍ كلا كلَ جحجحا
وأكلاءُ معروف حميت مريعها ... وقد عادمها الحزن والسهل مسرحا
فيالك بحراً لم أجد فيه مشربا ... وان كان غيري واجداً فيه مسبحا
مدبحي عصا موسى وذلك لانني ... ضربت به بحر الندى فتضحضحا
فياليت شعري إن ضربت به الصفا ... أيحدث لي فيه جداولَ سيحا
كتلك التي أبدت ثرى البحر يابسا ... وشقت عيونا في الحجارة سفحا
سامدح بعض الباخلين لعله ... اذا أطرد المقياس ان يتسمحا

فهذا هو الذي لا يبلغ جودة ولا يجاري سبقا على أن البحتري قد تقدم الى بعض المعنى في قوله للفتح بن خاقان

غمامٌ حطاني صوبهُ وهو مسبلٌ　　وبحر عدانى فيضهُ وهو مفعمُ

وبدرٌ أضاءَ الارض شرقا ومغربا　　وموضع رحلي منه أسودُ مظلمُ

وما بخل الفتحُ بن خاقان بالندى　　ولكنها الاقدار تعطي وتحرم

وأما أبو الطيب فكان في طبعه غلظة وفي عتابه شدة وكان كثير التحامل ظاهر الكبر والأنفة وما ظنك بمن يقول لسيف الدولة

يا أعدلَ الناسِ الا في معاملتي　　فيكَ الخصام وأنت الخصم والحكم

أعيذها نظراتٍ منكَ صادقةً　　ان تحسبَ الشحم فيمن شحمهُ ورم

وما انتفاع أخي الدنيا بناظرهِ　　اذا استوت عنده الانوار والظلم

انا الذي نظر الاعمى الي أدبي　　وأسمعتْ كلماتي من به صمم

أنام ملءَ جفوني عن شواردها　　ويسهر الناس جرَّاها ويختصم

وجاهل مدَّه في جهله ضحكي　　حتى أتتهُ يدٌ فرَّاسة وفم

اذا رأيتَ نيوبَ الليث بارزة　　فلا تظننَّ أن الليثَ مبتسم

فهذا الكلام في ذاته في نهاية الجودة غير أنه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة وانما عرض بقوم كانوا يتنقصونه عند سيف الدولة ويعارضونه في شعره والاشارة كلها الى سيف الدولة ثم قال بعد أبيات

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم　　وجداننا كلَّ شيء بعدكم عدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة　　لو أن أمركمُ من أمرنا أمم

ان كان سركمُ ما قال حاسدُنا　　فما لجرح اذا أرضاكمُ ألمُ

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة　　إن المعارف في أهل النهى ذمم

كم تطلبونَ لنا عيبا فيعجزكم　　ويكره الله ما تأتون والكرم

ماأبعدالعيبَ والنقصانَ من شرفي　　أناالثريا وذان الشيب والهرم
ليت الغمامَ الذي عندي صواعقه　　يزيلهنّ الى من عنده الديم
أرى النوى يقتضيني كلّ مرحلة　　لا تستقل بها الوخّادة الرسم
لئن تركن ضميراً عن ميامننا　　ليحدثن لمن ودعتهم ندم

وانما قال أولا ـ ليحدثن لسيف الدولة الندم ـ ثم بدله وليس هذا عتابا لكنه سباب وبسبب هذه القصيدة كاد يقتل عند انصرافه من مجلس انشادها وهذا العزر بعينه ..
فاما عتاب الأكفاء وأهل المودات والمتعسفين من الظرفاء فانه أحرى جارية على طرقاتها .. قال ابراهيم بن العباس الصولي يعاتب محمد بن عبد الملك الزيات وقد تغير عليه لما وزر

وكنتَ أخي باخاء الزما　　ن فلما نابصرت حربا عوانا
وكنت أذمّ اليك الزمانَ　　فأصبحت فيك أذمّ الزمانا
وكنتُ أعدك للنائبات　　فها أنا أطلب منك الأمانا

وهذا عندي من أشد العتاب وأوجعه .. ومن أكرم العتاب قول السيد أبي الحسن أدام الله سيادته وسعادته

وإني لاطوي كل حل صحبته　　وأنت ترى شتمي بغير حياء
ستعلم يوماً ما أسأت لصاحب　　تكرمَ أخلاقي وحسنَ وفائي

.. ومن مليح ماسمعت قول سعيد بن حميد يعاتب صديقاً له

اقللْ عتابك فالبقاء قليل　　والدهرُ يعدل تارةً ويميل
لم أبك من زمن ذممت صروفه　　الا بكيتُ عليه حين يزول
ولكل نائبة ألمت مدةٌ　　ولكل حال أقبلت تحويل
والمنتمون الى الاخاء عصابة　　ان حصلوا أفناهم التحصيل
ولعل احداثَ المنية والردى　　يوماً ستصدع بيننا وتحول

ولئن سبقتُ لتبكين بحسرةٍ وليكثرنّ عليّ منك عويل
ولتفجعن بمخلصٍ لك وامقٍ حبلُ الوفاء بحبله موصول
ولئن سبقتَ ولا سبقتَ ليمضين من لا تشاكله لديّ خليل
وليذهبن بهاءُ كل مروءة وليفقدنّ جمالها المأهول
وأراك تكلف بالعتاب وودّنا صافٍ عليه من الوفاء دليل
ودّ بدا لذوي الاخاء جماله وبدت عليه بهجة وقبول
ولعل أيامَ الحياةِ قصيرة فعلام يكثر عتبنا ويطول

الى ههنا أومأ أبو الطيب بقوله

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها فمفترق جاران دارهما العمر

وأشار اليه أيضا بقوله وأردت البيت الأخير

رويدا بحسن وجهك ماذا م يحسن لوجوه حال تحول
وصلينا نصلك في هذه الدنيا فانّ المقام فيها قليل

والجمع من قول الاول

ولقد علمتَ فلا تكن متجنيا أن الصدود هو الفراق الاول
حسبُ الاحبة أن يفرق بينهم ريب المنون فما لنا نستعجل

الا أن ابن حميد قد وهن وبين وشرح ما أجمل غيره بقوله ـ لئن سبقت أنا ـ ولئن سبقت أنت ـ ولا سبقت أنت ـ فله بذلك فضل بين ورجحان ظاهر .. وما أحسن ايجاز الذي قال

العمر أقصر مدة من أن يمحق بالعتاب

وقال أبو المحدثين بشار

اذا كنت في كل الامور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صل أخاك فانه مقارف ذنبٍ مرة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

باب الوعيد والانذار

كان العقلاء من الشعراء وذوو الحزم يتوعدون بالهجاء ويحذرون من سوء الاحدوثة ولا يمضون القول الا لضرورة لا يحسن السكوت معها .. قال ابن مقبل

بني عامر ما تأمرونَ بشاعرٍ تخيّر آيات الكتاب هجائيا
أأعفو كما يعفو الكريمُ فانني أرى الشعبَ فيما بيننا متدانيا
أم اغمض بين الجلد واللحم غمضة بمبرد روميّ يقطّ النواحيا
فأما سراقاتُ الهجاء فانها كلامٌ تهاداهُ اللئامُ تهاديا
أم احطُ خطَ الفيل هامةَ رأسه بمبرد فلا يبقى من العظم باقيا
وعندي الدهيمُ لو أحلُّ عقالها فتصبح لم تعدم من الجن حاديا

شبه لسانه بمبرد رومي لمضائه وشبه القصيدة التي لوشاء هجاهم بها بالدهيم وهي الداهية وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلي التي حملت رؤوس بنيه معلقة في عنقها فجاءت بها الحي فضرب بها المثل للداهية .. وقال جرير لبني حنيفة وكان ميلهم مع الفرزدق عليه

أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم اني أخاف عليكم أن أغضبا
أبني حنيفة إنني ان أهجكم أدع اليمامةَ لا تواري أرنبا

ـ أحكموا ـ كفوا من حكمة اللجام .. وقال أيضاً لتيم الرباب رهط عمر بن لجأ

يا تيم تيم عديٍّ لا أبا لكمُ لا يلقينّكمُ في سوءةٍ عمرُ

وكان عليّ بن سليم الأخفش في صباه يعبث بابن الرومي لما يعلم من طيرته فيجعل من يقرع الباب عليه بكرة ويتسمى له بأقبح الاسماء فيمنعه ذلك من التصرف فقال يتوعده

قولوا لنحويّنا أبي حسنٍ انّ حسامي متى ضربتُ مضي
وان نبلي متى هممتُ بأنْ أرمي نصلتها بجمر غضي

لا تحسبن الهجاء يحفل بالـرفع ولا خفض خافض خفضا
ولا تخل عودتي كنادتي سأسقط السم من عصي الحصا
أعرف في الاستقاء لي رجلاً لا ينتهي أو نصير لي عرضا
يلبح لي صفحة السلامة والسـلم ويخفي في قلبه المرضا
يصحي مغيظاً علي أن غضب الله عليه ولست منه رضا
وليس يحذي عليه موعظتي إن قدر الله حينه فقضي
كأنني بالشقي معتذراً إذا القوافي أذقنه مضضا
ينشدني العهد يوم ذلك والعهد حفاراً إذا له قبضا
لا يأمن السفيه بادرتي فإنني عارض لمن عرضا
عندي له السوط إن تلوم في السير وعندي اللجام إن ركضا
أسمعت أبناء صبيتي أبا حسن والنصح لا شك نصح من محضا
وهو معافى من السهاد فلا يجهل فيشري فراشه قضضا
أقسمت بالله لا غفرت له إن واحد من عروقه نبضا

وكذلك قد فعل وقد مزقه بالهجاء كل ممزق وجعله مثلة بين أصحابه على أن الأخفش كان يتجلد عليه و يظهر قلة المبالاة به وهيهات وقد وسمه سمة الدهر وسامه سوم الخسف والقهر .. ومما قاله في هذا الباب

يا موجعي شتماً على أنه لو حرك البرغوث ما أوجعه
كل له من نفسه آفة وآفة النحلة أن تلسعه

وقال من قصيدة خاطب بها بعض بني مالك

من يصحب الناس مطوياً على دخل لا يصحبوه بخلو كل مدخل
لا تستطيلوا على ضعفي بقوتكم إن البعوضة قد تعدو على الفيل
وجانبوا المزح إن الجد يتبعه ورب موجعة في إثر تقبيل

ومنها بعد أبيات لا تليق بالموضع خوف الحشو

ياقوم لا يلقمنى منكمُ أحــد   في المهلكات فانى غــير معلول

لا تدخلوا بالرضى منكم على غررٍ   فتخرجوا اللمت عصاباً من العمل

الأ تكن حملت خيراً ضمائركم   أكن تأبط شراً بالكحَ الغول

باب الهجاء

يروي عن أبى عمرو بن العلاء أنه قال خير الهجاء ما تنشده العذراء فى خدرها فلا يقبح بمثلها نحو قول أوس

اذا ناقةٌ شدَّت برحلٍ ونمرقٍ   الى حكم بعدى فضلَّ ضلالها

واختار أبو العباس قول جرير

لو أنَّ تغلبَ جمعت أحسابَها   يوم التفاخرِ لم يزِن مثقالا

.. ومثل قوله

فغضَّ الطرف انكَ من نميرٍ   فــلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

و بين الاختيارين تناسب فى عفة المذهب غير أن بيت جرير الثاني أشد هجاء لما فيه من التفضيل فقد حكي محمد بن سلام الجمحى عن يونس بن حبيب أنه قال أشد الهجاء الهجاء بالتفضيل وهو الاقذاع عندهم .. قال النبى صلى الله عليه وسلم من قال في الاسلام هجاء مقذعا فلسانه هدر ولما أطلق عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحطيئة من حبسه اياه بسبب هجائه الزبرقان بن بدر قال له اياك والهجاء المقذع قال وما المقذع ياأمير المؤمنين قال المقذع أن تقول هؤلاء أفضل من هؤلاء وأشرف وتبنى شعراً على مدح لقوم وذم لمن تعاديهم فقال أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم مني بمذاهب الشعر ولكنى حبانى هؤلاء فمدحتهم وحرمنى هؤلاء فذكرت حرمانهم ولم أنل من اعراضهم شيئاً وصرفت

مدحي الى من أراده ورغبت به عمن كرهه ورهد فيه يريد بذلك قصدته المهموزة التي يقول فيها

وآبيتُ العَتاء الى سهيل   أوالشعرى فطال بى لأ اء

وهى أحبث ماصنع .. وفيها أو من أجله قال خلف الأحمر أشد الهجاء أعفه وأصدقه وقال مرة أخرى ما عف لفظه وصدق معناه ومن كلام صاحب الوساطة فأما الهجو فأبلغه ما خرج مخرج الهزل والتهافت وما اعترض بين التصريح والتعريض وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ولصوقه بالنفس فأما القذف والافحاش فسباب محض وليس للشاعر فيه لا اقامة الوزن ومما يدل على صحة ماقاله صاحب الوساطة وحسن ما ذهب اليه اصحاب الحذاق من العلماء ورؤساء الكلام بقول زهير فى تشككه وتهزله وتجاهله فيما اعلم

وماأدري وسوفَ أخالُ أدري   أقومٌ آلُ حصن أم نساءُ

فان تكن النساءُ مخبّئات   فحقٌّ لكلِّ محصنة هداء

وان هذا عندهم من أشد الهجاء وأعفه .. ولما قدم النابغة بعد وقعة حسي سأل بنى ذبيان ما قام لعامر بن الطفيل وما قال لكم فأنشدوه فقال أجشتم على رجل وهو شريف لا يقال له مثل ذلك ولكني سأقول .. ثم قال

فان يكُ عامرٌ قد قال جهلاً   فانَّ مطيةَ الجهلِ الشبابُ

فكنْ كأبيكَ أو كأبى براء   تصادفكَ الحكومةُ والصوابُ

فلا يذهب بلبكَ طائشات   من الخيلاءِ ليس لهنَّ بابُ

فانكَ سوف تحكم أو تناهى   اذا ماشبت أوشاب الغرابُ

فان تكن الفوارسُ يوم حسي   أصابوا من لقائكَ ما أصابوا

فما ان كان من سبب بعيد   ولكن أدركوك وهم غضاب

فلما بلغ عامراً ما قال النابغة شق عليه وقال ماهجانى أحد حتى هجانى النابغة جعلنى القوم رئيساً وجعلني النابغة سفيهاً جاهلا وتهكم بى .. وروى أن شاعراً مدح الحسين بن علي

رضي الله عنهما وأحسن عطيته فعوتب على ذلك فقال أتروني خفت أن يقول لي لست ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ابن علي بن أبي طالب ولكن خفت أن يقول لست كرسول الله صلى الله عليه وسلم ولست كعلي فيصدق ويحمل عنه ويبقى مخلداً في الكتب ومحفوظاً على ألسنة الرواة فقال الشاعر أنت والله يا بن رسول الله أعلم بالمدح والذم مني وقد وقع الحسن بن زيد بن الحسين بن علي في بعض ما قال جده قال فيه ابن عاصم المديني واسمه محمد بن حمزة الاسلمي

له حق وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسن الجميل

وقد كان الرسولُ يرى حقوقا عليه لأهلها وهو الرسول

وجميع الشعراء يرون قصر الهجاء أجود وترك الفحش فيه أصوب لا جرم أن قال لبنيه إذا مدحتم ولا تطيلوا الممادحة وإذا هجوتم فخالفوا .. وقال أيضاً إذا هجوت فأضحك وسلك طريقته في الهجاء سواء علي بن العباس بن الرومي فإنه كان يطيل ويفحش وأنا أرى أن التعريض أهجى من التصريح لاتساع الظن في التعريض وشدة تعلق النفس به والبحث عن معرفته وطلب حقيقته فإذا كان الهجاء تصريحاً أحاطت به النفس علما وقبلته يقيناً في أول وهلة وكان كل يوم في نقصان لنسيان أو ملل يعرض هذا هو المذهب الصحيح على أن يكون المهجو ذا قدر في نفسه وحسبه فأما إن كان لا يوقظه التلويح ولا يؤلمه إلاَّ التصريح فذلك ولهذه العلة اختلف هجاء أبي نواس وكذلك هجاء أبي الطيب فيه اختلاف لاختلاف مراتب المهجوين فمن التفضيل في الهجاء قول ربيعة بن عبد الرحمن الرقي

لشتانَ ما بينَ اليزيدين في الندى يزيدُ سليمٍ والأغرُّ ابنُ حاتمِ

فهمُّ الفتى الأزديّ إتلافُ مالهِ وهمُّ الفتى القيسيّ جمعُ الدراهمِ

فلا يحسبِ التمتامُ أني هجوتهُ ولكنني فضلتُ أهلَ المكارمِ

ومن الاستحقار والاستخفاف قول زياد الأعجم

فقم صاغراً ياشيخ جرمٍ فإنما يقال لشيخ الصدق قم غير صاغرِ

فمَنْ أنتمُ إنا نسينا مَنَ انتمُ وريحكمُ من أي ريحِ الأعاصرِ

أأنتم أولى جئتم مع النمل والدبا ... فطارَ وهذا شخصكم غيرُ طائرِ

قضى الله خلقَ الناسِ ثم خلقتمُ ... بقيةَ خلقِ الله آخرَ آخرِ

فلم تسمعوا إلا بمن كان قبلكم ... ولم تدركوا إلا مدقَّ الحوافرِ

وأخذ الطرماح منه هذا المعنى فقال

وما خلقت تيمٌ وعبدُ مناتِها ... وضبة إلا بعدَ خلقِ القبائلِ

ومن الاحتقار أيضاً قول جرير في التيم

ويقضى الأمرُ حينَ تغيبُ تيمٌ ... ولا يستأذنونَ وهم شهودُ

فإنكَ لو رأيتَ عبيدَ تيمٍ ... وتيماً قلتَ أيُّهمُ العبيدُ

ومن مليح التهكم والاستخفاف قول أبي هفان

سليمان ميمونُ النقيبةِ حازمُ ... ولكنه وقفٌ عليه الهزائمُ

ألا قودوه من أولى فتوحه ... عسى أن يردّ الأمينَ عنه تمائمُ

وفيه يقول ابن الرومي

قرنُ سليمان قد أضرَّ به ... شوقٌ إلى وجهه سيتلفهُ

كم يعدُ القرنَ باللقاء وكم ... يكذب في وعده ويخلفه

لا يعرفُ القرنُ وجهَهُ ويرى ... قفاه من فرسخٍ فيعرفه

أخذ معنى البيت الأخير من قول الخرجي وقد قال له المنصور أي أصحابي كان أشد إقداماً في مبارزتكم فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف قفاءهم فقل لهم يدبروا لأعرف وأجود ما في الهجاء أن يسلب الإنسان الفضائل النفسية وما تركب من بعضها مع بعض فأما ما كان في الخلقة الجسمية من المعايب فالهجاء به دون ما تقدم وقدامة لا يراه هجوا ألبتة وكذلك ما جاء من قبل الآباء والأمهات من النقص والفساد لا يراه عيبا ولا يعد الهجو به صوابا والناس إلا من لا يعد قلة على خلاف رأيه وكذلك يوجد في الطبع ما أكد ذلك من أحكام الشريعة وقد جمع السيد أبو الحسن أنواع الفضائل وسلبها بعض من رأى ذلك فيه صوابا فقال

وحلٍ لا سبيلَ لصرم حبله — تعرضَ لي بحتفٍ ورطَ جهله
رديّ الطبّ لا تأوى لحاقٍ — ولا تؤوي اليه لسوءاسوء فعله
تصدقُ ها حساً تعرى وتعرى — تكذيب العيانِ لضعفِ عقله
وتشأ كلّ ذي دين وعلمٍ — واصل ثابت لفساد أصله

وكان السيد أبو الحسن فى هذا الباب الذى سلكه من الهجاء كما قال ولى احسانه

اذا لم تجدْ بدّاً من القولِ فانتصف — بحد لسان كالحسامِ المهندِ
فقد يدفعُ الانسانُ عن نفسهِ الاذي — بقولهِ ان لم يدافعهُ باليـدِ

ويقال ان أهجى بيت قاله شاعر قول الاخطل فى بنى يربوع رهط جرير

قوم اذا استنبحَ الاضيافَ كلبهمُ — قالوا لامهمُ بولى على النارِ

لانه قد جمع فيه ضروباً من الهجاء فنسبهم الى البخل بوقود النار لئلا يهتدى بها الضيفان ثم البخل بايقادها الى السائرين والسابلة ورماهم بالبخل بالحطب واخبر عن قلتها وان بولة تطفئها وجعلها بولة عجوز وهي أقل من بولة الشابة ووصفهم بامتهان امهم وابتذالها فى مثل هذا الحال يدل بذلك على العقوق والاستخفاف وعلى ان لا خادم لهم وأخبر في أضعاف ذلك ببخلهم بالماء وقال محمد بن الحسين بن عبد الله الانصارى انه رماهم فى هذا البيت بالمجوسية لأن المجوس لا ترى اطفاء النار بالماء ولا أدري أنا كيف هذا والبول ماء غير أنه ماء نجس قذر وقيل لبنى كليب ما اشدما هجيتم به قالوا قول البعيث

الستَ كليبياً اذا سيمَ خطةً — اقر كأقرارِ الحليلةِ للبعلِ
وكلّ كليبيٍ صحيفة وجههِ — ادل لاقدام الرجالِ من النعلِ

وكان النابغة الجعدى يقول انى واوسا لنبتدر باباً من الهجاء فمن سبق ما اليه غلب صاحبه فلما قال أوس بن مغراء

لعمركَ ما تبلى سرابيلُ عامرٍ — من اللؤمِ مادامت عليها جلودُها

قال النابغة هذا والله البيت الذى كنا نتبدره والذى أراه أنا على كل حال أن اشد الهجاء ما أصاب العرض ووقع على السكتة وهو الذى قال خلف الاحمر بعينه

باب الاعتذار

وينبغي للشاعر أن لا يقول شيئاً يحتاج أن يعتذر منه فإن اضطره الدهر إلى ذلك واوقعه فيه القضاء فليذهب مذهبا لطيفا وليقصد مقصداً عجيبا وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر اليه وكيف يمسح أعطافه ويستجلب رضاه فإن احتال المعتذر من ذنب لا احتجاج واقامة الدليل خطأ لا سيما مع الملوك وذوي السلطان وحقه أن يلطف برهانه متدمجا في التضرع والدخول تحت عفو الملك واعادة النظر في الكشف عن كذب الناقل ولا يعترف بما لم يجنه خوف تكذيب سلطانه أو رئيسه ويحيل الكذب على الناقل والحاسد فاما مع الاخوان فتلك طريقة أخرى وقد أحسن محمد بن علي الاصبهاني حيث يقول

العذرُ يلحقه التحريفُ والكذبُ ... وليسَ في غير ما يرضيكَ لي أربُ

وقد أسأتُ فبالنعمى التي سلفت ... الا منتَ بعفوٍ ماله سببُ

وقال ابراهيم بن المهدي للمأمون في أبيات يعتذر اليه

الله يعلمُ ما أقولُ فانها ... جهد الالية من مقرٍ خاضعِ

ما ان عصيتكَ والغواة تمدني ... أسبابها الا بنية طائعِ

وقد سلك أبو عليّ البصير مذهب الحجة واقامة الدليل بعد انكار الجناية .. فقال

لم أجنِ ذنباً فان زعمتَ بأنْ ... جنيت ذنباً فغيرُ معتمدِ

قد تطرفُ الكف عين صاحبها ... ولا يرى قطعها من الرشدِ

ونحوت انا هذا النحو فقلت

لا يبعدِ اللهُ أبا جعفرٍ ... دعابة بتّ على نارها

وان تأذيتُ فما ربما ... تأذت العينُ بأشفارها

وأجل ما وقع في الاعتذار من مشهورات العرب قصائد النابغة الثلاث احداهن

* يا دار مية بالعلياء فالسند *

يقول فيها

فلا لعمرُ الذي مسحتُ كعبتَهُ وما هريقَ على الأنصاب من جسد

والمؤمن العائذات الطير يمسحها ركبانُ مكة بين الغيل والسند

ما قلت من سيءٍ مما أتيتَ به اذا فلا رفعت سوطي اليَّ يدي

اذاً فعاقبني ربي معاقبة قرتْ بها عين من يأتيكَ بالحسد

الا مقالةَ أقوامٍ شقيتُ بها كانت مقالتهم قرعاً على الكبد

نبئتُ أن أبا قابوس أوعدني ولا قرار على زأرٍ من الأسدِ

والثانية * أرسما جديداً من سعاد تجنب *

يقول فيها معتذراً من مدح آل جفنة ومحتجا باحسانهم اليه

حلفتُ فلم أترك لنفسكَ ريبةً وليس وراء الله للمرء مذهب

لئن كنتَ قد بلغتَ عني خيانةً لمبلغكَ الواشي أغشُّ وأكذب

ولكنني كنت امرأ لي جانب من الأرض فيه مستراد ومذهب

ملوك وإخوان اذا ما لقيتهم أحكم في أموالهم وأقرب

كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا

فلا تتركني بالوعيد كأنني الى الناس مطليٌّ به القار أجرب

وذلك أن اللهَ أعطاكَ سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

وانك شمسٌ والملوكُ كواكبٌ اذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكب

والثالثة * عفا ذو حسى من فرتنا فالفوارع *

يقول فيها بعد قسم قدمه على عادته

أكلفتني ذنبَ امرئٍ وتركته كذي العر يكوى غيره وهو راتع

فان كنتَ لاذو الطعن عني مكذبا ولا حلفي على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بقول أقوله وأنت بأمرٍ لامحالةَ واقع

فانكَ كالليلِ الذى هو مدركي وان خلتُ ان المنتأى عنك واسع

وقد تعلق بهذا المعنى جماعة من الشعراء .. قال سلم الخاسر يعتذر الى المهدى

أنى أعوذُ بخيرِ الناسِ كلهم وأنتَ ذاك بما آتى ومحتسب

وأنتَ كالدهرِ مبثوثا حبائله والدهرُ لاملجأٌ منه ولا هرب

ولو ملكتُ عنانَ الريحِ أصرفهُ فى كل ناحيةٍ مافاتك الطلب

فليس الا انتظارى منكَ عارفةً فيها من الخوفِ منجاةٌ ومنقلب

وقال عبد الله بن عبد الله بن طاهر

وانى وان حدثتُ نفسي بأنني أفوتك ان الرأيَ منى لعازب

لانك لى مثلَ المكان المحيط بى من الأرضِ أنى استهضتني المذاهب

والى هذه الناحية أشار أبو الطيب بقوله

ولكنكَ الدنيا اليّ حبيبة فما عنكَ لى الاّ اليكَ ذهاب

الا أنه حرف الكلم عن مواضعه ..واختار العلماء لهذا الشأن قول علي بن جبله

ومالامريء حاولتهُ عنك مهربٌ ولو رفعته فى السماء المطالع

بلى هاربٌ لا يهتدى لمكانه ظلام ولاضوء من الصبح ساطع

لانه قد أجاد مع معارضته النابغة وزاد عليه ذكر الصبح وأظنه اقتدى بقول الاصمعي فى بيت النابغة ليس الليل أولى بهذا المثل من النهار وفي هذا الاعتراض كلام يأتى فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ..وأفضل من هذا كله قول الله تعالى ﴿ يا معشرَ الجنِّ والانسِ انِ استطعتم أن تنفذوا من أقطارِ السموتِ والارض فانفذوا لاتنفذونَ الاّ بسلطانٍ ﴾ ووجد الفضل بن يحيي على أبي الهول الحميري فدخل اليه فأنشده

كسانى وعيدُ الفضلِ ثوبا من البلى وأيقنت ان الموتُ الذي ماله رد

ومالى الى الفضلِ بنِ يحيي بن خالد من الجرم ما يخشى علي مثله الحقد

فجد بالرضى لا انتحى منك غيره ورأيك عما كنت عودتني بعد

فقال له الفضل على مذهب الكتاب في تحرير الخطاب لا أحمل والله قولك ورأيك فيما كنت عودتني فقال أبو الهول لا تنظر أعزك الله الى قصر باعي وقلة تمييزي وافعل بي ما أنت أهله فأمر له بمال جسيم ورضي عنه وقربه ٠٠ وفي اشتقاق الاعتذار ثلاثة أقوال. أحدها أن يكون من المحو كأنك محوت آثار الموجدة من قولهم اعتذرت المنازل اذا درست وأنشدوا قول ابن احمر

أو كنت تعرف آيات فقد جعلت اطلال إلفك بالود كاء تعتذر

والثاني أن يكون من الانقطاع كأنك قطعت الرجل عما أمسك في قلبه من الموجدة ويقولون اعتذرت المياه اذا انقطعت ٠٠وأنشدوا للبيد

شهور الصيف واعتذرت اليه نطاف الشيطين من السماك

والقول الثالث أن يكون من الحجز والمنع ٠٠ قال أبو جعفر يقال عذرت الدابة أي جعلت لها عذاراً يحجزها من الشراد فمعنى اعتذر الرجل احتجز وعذرته جعلت له تقول ذلك منه حاجزاً بينه وبين العقوبة والعتب عليه ومنه تعذر الأمر احتجز أن يقضي ومنه جارية عذراء

باب سيرورة الشعر والحظوة في المدح

كان الأعشى أسير الناس شعراً وأعظمهم فيه حظاً حتى كاد ينسى الناس أصحابه المذكورين معه . ومثله زهير والنابغة وامرؤ القيس وكان جرير نابغة الشعر مظفراً قال الأخطل للفرزدق أنا والله أشعر من جرير غير أنه رزق من سيرورة الشعر مالم أرزقه وقد قلت بيتاً لا أحسب أن أحداً قال أهجى منه وهو

قومٌ اذا استنبح الأضياف كلبهمُ قالوا لامهمُ بولي على النار

.. وقال هو

والتغلبيُّ اذا تنحنح للقرى حكَّ أستَهُ وتمثّلَ الامثالاَ

فلم يبق سقاء ولا أمة حتى روته .. قال الاصمعي يحكي له سيرورة الشعر قال الحسن ابن الضحاك الخليع أنشدت أبا نواس قولي

وشاطريِّ اللسان مختلق التـــكريه شابَ المجونَ بالنسكِ

الى أن بلغت الى قولي

كأنما نصب كأسه قمرٌ يكرعُ في بعض أنجم الفلكِ

فنعر نعرة منكرة فقلت مالك فقد أفزعتني فقال هذا معنى مليح وأنا أحقُّ به وسترى لمن يروى ثم أنشدني بعد أيام

اذا عبَّ فيها شاربُ القوم خلتَهُ يقبّل في داجٍ من الليل كوكبا

فقلت هذه مصالتة يا أبا علي فقال أتظن أنه يروى لك معنى مليح وأنا في الحياة وأنت ترى سيرورة بيت أبي نواس كيف نسي معها بيت الخليع على أن له فضل السبق وفيه زيادة ذكر القمر وقد أربى ابن الرومي عليهما جميعاً بقوله

أبصرتُه والكاس بين فمـــه وبين أنامـلٍ خمس

وكأنها وكانـــ شاربَها قمرٌ يقبلُ عارضَ الشمس

ولكن بيت أبي نواس أملأ للفم والسمع وأعظم هيبة في النفس والصدر ولذلك كان أسير .. وفي زماننا هذا قوم يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متمُّ نوره ولو كره الكافرون .. وليس في العرب قبيلة الا وقد نيل منها وهجيت وعيرت فحط الشعر بعضاً منهم بموافقة الحقيقة ومضى صفحاً عن الآخرين لما لم يوافق الحقيقة ولا صادف موضع الرمية فمن الذين لم يحك فيهم هجاء الا قليلا على كثرة ماقيل فيهم تميم بن مرة وبكر بن وائل وأسد بن خزيمة ونظراؤهم من قبائل اليمن .ومن الذين شقوا بالهجاء ومزقوا كل ممزق على تقدمهم في الشجاعة والفضل أحياء من قيس نحو غني وباهلة بني أعصر بن سعد بن قيس عيلان واسم غني عمرة وكانوا موالي عامر بن صعصعة يجمعون

عنهم الديات والنوائب ونحو محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان وحسي بن مخالف[1] حالفوا بني عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة على لوم الحلف ومن ولد طابخة بن الياس ابن مضر تيم وعكل بنا عبد مناة بن أدصادف التعرساء كان وقع عليهم في الجاهلية فاسهات العرب منهم وانطلع الهجاء فيهم وعدي بن عبدمناة كانوا قطنا لحاجب بن زرارة وأراد أن يستملكهم ملك رق فسحل من قبل المدر والحطات وهم ولد الحارث بن عمرو بن تميم وسمي الحارث الحبط لعظم بطنه شبهوه بالجمل الحبط وهو الذي انتفخ بطنه مما رعي الكلا • فأما سلول فقد قال فيهم أبو زياد الكلابي كرام من صعصعة لم يحالفوا ولم يدخلوا في صغار وانما كلمة عامر بن الطفيل التي حدثت هي التي شأمتهم يريد قوله أغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية فقلت أما عامر فقد قال هذه الكلمة حين دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فما نصنع بقول السموأل بن عاديا

وبحن أناسٌ لا نرى القتلَ سبةً ... اذا ما رأتهُ عامرٌ وسلول

والسموأل في زمان امرئ القيس وبين امرئ القيس ومبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة وأربع وخمسون سنة •• قال الجاحظ لم يمدح قبيلة قط في الجاهلية من قريش كما مدحت مخزوم قال وكان عبد العزيز بن مروان أحظى في الشعر من كثير من خلفائهم قال ولم يكن من أصحابنا وخلفائنا أحظى في الشعر من الرشيد وقد كان يزيد بن مزيد وعمه معن بن زائدة ممن أحظاه الشعر ولا أعلم في الارض نعمة بعد ولاية الله تعالى أعظم من أن يكون الرجل ممدوحاً قلت أنا أما هذه النعمة فقد أحلها الله مصاعبة عند السيد أبي الحسن وقرنها منه بالاستحقاق فقرت مقرها ونزلت منزلها المختار لها وأحيي الله لبني شيبان حمداً لم يشبه ذم وجوداً لم يعقبه ندم مما زاد علي يزيد ولم يدع لمعن معنى في الجود •• وقال غيره كان عمر بن العلاء ممدحاً وفيه يقول بشار بن برد

قل للخليفة ان جئته ... نصيحاً ولا خيرَ في المتهم
اذا أيقظتكَ حروبُ العدا ... فنبه لها عمراً ثم نم
فتى لايبيتُ على دمنةٍ ... ولا يشربُ الماء الاّ بدم

(١) بن حرب بن محارب

دعاني الى عمر جوده　　　وقول العشيرة بحر خضم

ولولا الذي زعموا لم أكن　　　لامدح ريحانة قبل شم

وله يقول أبو العتاهية

ان المطايا تشتكيك لأنها　　　قطعت اليك سباسباً ورمالا

وقد مرت الأبيات فيما مضى من هذا الكتاب ٠٠ قال أبو عبيدة ما مدح أحد قط

بني كليب غير الحطيئة بقوله

لعمرك ما المجاور في كليب　　　بمقصي في الجوار ولا مضاع

هم صنعوا لجارهم وليست　　　يد الخرقاء مثل يد الصناع

ويحرم سر جارهم عليهم　　　ويأكل جارهم أنف القصاع

كانت قيس تفتخر على تميم لان شعراءهم تضرب المثل بمآثر قيس ورجالها فاقامت

تميم دهراً لا ترفع رؤسها حتى قال لبيد

أبني كليب كيف تنفي جعفر　　　وبنو ضبينة حاضرو الاجباب

قتلوا ابن عروة ثم لطوا دونه　　　حتى نحاكمكم الى جواب

يرعون منخرق اللديد كأنهم　　　في العز أسرة حاجب وشهاب

متظاهري حلق الحديد عليهم　　　كبني زرارة أو بني عتاب

قوم لهم عرفت معد فضلها　　　والفضل تعرفه ذوو الالباب

وقال زبان بن منصور الفزاري

جاؤا بجمع محرثل كانهم　　　سود برم اذ كان في الناس ذرم

فتكلمت تميم وافتخرت لمكان هذين الشاعرين العظيمي القدر في قيس فدل هذا على

أن قيسا أحظى بالمدح من تميم ٠٠ والاوابد من الشعر الابيات السائرة كالامثال وأكثر

ما تستعمل الاوابد في الهجاء يقال رماها بآبدة فيكون لآبدة هنا الداهية قال الجاحظ

الاوابد الدواهي ومنه أوابد الشعر حكاه عن أبي زيد وحكى لاوابد الابل التي تتوحش

ولا يقدر عليها الا بالعقر والاوابد الطير التي تقيم صيفا وشتاء والاوابد الوحش فاذا جمات أبيات الشعر على ما قال الجاحظ كان المعاني السائرة كالابل الشاردة المتوحشة وان شئت المقسمة على من قيلت فيه لا تفارقه كاقامة الطير التي ليست بقواطع وان شئت قلت انها في بعدها من الشعراء وامتناعها عليهم كالوحش في نفارها من الناس وأما المحدودون في الكسب بالشعر والحظوة عند الملوك فمنهم سلم الخاسر مات عن مائة الف دينار ولم يترك وارثا وأبو العتاهية صنع

تعالى الله يا سلمَ بن عمرٍو ... اذلَّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ

وكان صديقه جدا فقال سلم ويلي من ابن الفاعلة جمع القناطير من الذهب ونسبني الى ما يرون من الحرص ولم يرد ذلك أبو العتاهية لكن دعاه نصحه كما يفعل الصديق مع صديقه ومروان بن أبي حفصة أعطى مائة الف دينار غير مرات وكان لا يقابل الا بالكثير وهو لعمري من ذوي السوتات والمعرقين في الكسب بالشعر وكان أبو نواس محظوظا لا يدرى ماوصل اليه لكنه كان متلافا سمحا وكان يتساجل في الانفاق هو وعباس بن الاحنف وصريع الغواني وكان البحتري مليّاً قد فاض كسبه من الشعر وكان يركب في موكب من عبيده واما أبو تمام فما وفي حقه مع كثرة ما صار اليه من الاموال لانه تبذل وجاب الارض وكذلك أبو الطيب

باب ما أشكل من المدح والهجاء

أنشدنا أبو عبدالله محمد بن جعفر النحوي عن أبي علي الحسين بن ابرهيم الآمدي لرجل من بني عبد شمس بن سعد بن تميم

تضمني وهناً فقلت أسابقي ... الى الزاد شلّت من يديّ الاصابع

ولم تلق للسعديّ ضيفاً بقفرةٍ ... من الارض الا وهو عريان جائع

لم يرد انه سبق ضيفه الى الزاد فيكون قد هجا نفسه ولكنه وصف ذئباً لقيه ليلا فقال

الس فى أت الى الا كل أى تأكلى تلت ادن صحبي ن لم رمك ونتنك و كل من لحمك ثم قال على جهة المثل لم تلق للسعدى مى عسه صما تقعرة لا مستعب وبها نعى الذئب الا وهو جائع يقول فيو لا يبقى عليّ لأنى نعته ومن أنشدهم

أبوك الذى دئت محس حمله عداة اسدى حتى محفتها القل

قالوا اذا احد مطر الصف الارض أنبتت قلا فى أصول نقل قد يبس فذلك لا حصر هو الدشر وهو العمير فأكله الابل فيأخذها السهام ولا سهام فى لحس فعده بالحيل بالحيل وقال الاصمعى هذا القول حطأ بل مدحه بمعرفه الحمل لأن الدشر مؤذ بكل من يأكله وان لم يكن ثم سهام .. وقال سليمان بن قتة فى رثاء الحسين بن على رضى الله عنهما وذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم ويروى للفرزدق

أولئك قومٌ لم تشيموا سيوفهم وقد تكثرِ القتلى بها حين سلتِ

اراد لم يغمدوا سيوفهم الا بعد ان كثرت بها القتلى كما تقول ما أضربك وقد نحن على الا بعد ان جنيت على وقال آخرون اراد لم سلو سيوفهم الا وقد كثرت بها القتلى كما تقول لم القك ولم أحسن اليك الا وقد أحسنت اليك والقولان جميعاً صحيحان لانه من الاضداد ويشدون قول الآخر

هجما عليهِ وهو يكعم كلبه دع الكلب ينبح انما الكلب نابح

ويروى

دفعتُ اليهِ وهو يخنق كلبهَ الا كلُّ كلبٍ لا أبا لك نابح

قالوا فالمدح أن يكون انما يكعمه لئلا نعقر الضيوف ومن الذم أن يكون ذلك لئلا ينبح فيدل عليه الضيف وأنا أعرف هذا البيت فى هجاء محض لراعى هجا به الحطيئة وهو

ألا قبحَ الله الحطيئةَ انهُ على كلِّ من وافي من الناس سالحُ

ويروى * على كل ضيف ضافه فهو سالح *

هجما عليهِ وهو يكعمُ كلبهُ دع الكلب ينبح انما الكلب نابحُ

بكيتَ على مذقٍ خبيث قريتهُ الا كلّ عبسيّ على الزاد شحيحُ

وأنشدنا أبو عبد الله

يمسكَ الخيوسُ أبا حبيبٍ وجاد على مباركك السحابُ

ويروى ـ أبا ربيب ـ قال ان دعا له فانما أراد ان تباقى من الخوس وأن يجوده السحاب فخصب أرضه وان دعا عليه قال لا بقي لك خير تطمع فيه الخوس فهي تخص ديارك لعلمهم بقلة الخير عندك ويدعو على محلته بان تدرسها الامطار وقال غيره معناه جاد على محلتك السحاب فاخصبت ولا ماشية لك فذلك أشد لهمك وغمك ويكون المعنى حينئذ كقول الآخر

وحيماء التي اامت فيها دراعة فسرّت وساءت كلّ ماش ومصرم

أي فسرت كل ماشية وساءت كل فقير وأنشد عبد الله أيضاً

اني على كل ايسار ومعسرةٍ ادعوا حبيشاً كما تدعى ابنةُ الجبلِ

وروي المبرد ـ أدعو حبيشاً ـ يريد أنه يجيب بسرعة كالصدى وهو ابنة الجبل وقيل ابنة الجبل الصخرة المنحدرة من أعلاه وزاد أبو زيد في روايته بيتا وهو

ان تدعهُ موهناً يعجل بحاجتهِ عاري الاشاجع يسعي غيرَ متتمل

فهذا مدح لا محالة ومنهم من حمله علي قول الآخر

كأنيَ اذ دعوتُ بني حنيفٍ دعوتُ بدعوتي لهمُ الجبالاَ

ورواه قوم ـ بني سليم ـ فمن مدح حمله كالاول في سرعة الاجابة ومن ذم نسبهم الى الثقل عن اجابته مثل الجبال ومن الدعاء الذي يدخل في هذا الباب قول الآخر

تفرقتْ غنمي يوماً فقلتُ لها يارب سلطْ عليها الذئبَ والضبعا

قيل انهما اذا اجتمعا لم يؤذيا وشغل كل واحد منهما الآخر واذا تفرقا آذيا وقيل ان معناه في الدعاء عليها قتل الذئب الاحياء عيثاً وأكلت الضبع الاموات فلم يبق منها بقية ومن لطيف ما وقع في هذا الباب قول النابغة الذبياني

يصدُّ الشاعر الثيان عني صدودَ البكرِ عن قرمٍ هجانِ

لم يرد أنه نعاب الشبان ولا نعاب المجل لكن أراد الصغير فالذي هاجاه جعله شيخاً وقال الآخر

ومن يفخر بمثل أبي وجدي يجيء قبل السوابق وهو ثاني

أراد وهو ثان من عنانه لأنه سبق متمهلا .. وقال ابن مقبل

اذا الرفاق أناخوا حول منزله حلوا بذي نخرات زنده وري

قال ابن السكيت ـ بذي نخرات ـ أي يتفجر بالسخاء والعطاء ويدل عليه قول ابن السكيت ان لصق هذا البيت

جم المخارج أخلاق الكريم له صلت الجبين كريم الخال مغوار

ومما يمدح به ويذم قولهم هو بيضة البلد فمن مدح أراد بها أصل الطائر ومن ذم أراد أنها لا أصل لها قالت أخت عمرو بن عبدود في علي بن أبي طالب رضي الله عنه حين قتل أخاها

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لقد بكيت عليه آخر الابد

لكن قاتله من لايعاب به وكان يدعي قديماً بيضة البلد

فهذا مدح كما تراه .. وقال الراعي النميري يهجو عدي بن الرقاع العاملي

لو كنت من أحد يهجى هجوتكم يابن الرقاع ولكن لست من أحد

تأبى قضاعة أن ترضي لكم نسباً وابنا نزار فأنتم بيضة البلد

وأنشد بعض العلماء

وانى لطلاّم لأشعث بائس عرانا ومقرور سرى مثله الدهر

وجار قريب الدار أودي جنابة غريب بعيد الدار ليس له وفر

يظنه السامع هجا نفسه بظلم هؤلاء الذين ذكروا انما مدحها بأنه ظلم الدقة فينحر ويصنع من غير علة ولا داء الا لضيافة هذا الأشعث والجار وأشباههما

باب في أصول النسب وبيوتات العرب

أول النسب بعد آدم صلى الله عليه وسلم من نوح عليه السلام لان جميع من كان قبله قد هلك وانما بقي من ولده سام وحام ويافث فولد يافث الصقالبة وبرجان والاشبان وكانت منازلهم أرض الروم من قبل أن تكون الروم ومن ولده الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وولد حام كوش وكنعان وقوط وأما قوط فنزل أرض الهند والسند فأهلها من ولده وأما كوش وكنعان فأجناس السودان والنوبة والزنج والزغاوة والحبشة والقبط والبربر من أولادهما وولد سام ارم وأرفخشد فولد عاد بن عوص بن ارم وطسم بن سام وجديس ابنا لاوذ بن ارم ومنهم العماليق ومنهم فراعنة مصر والجبابرة ومنهم ملوك فارس وأجناس الفرس كلها ولده وثمود بن عابر بن سام وماش بن ارم نزل بابل وولده نمرود الذي فرق الله الالسنة في زمانه وهو الذي بنى الصرح ببابل ويقال إن النبط من ولد ماش ويقال أيضا انهم من ولد تاروح بن فالغ بن أرفخشد والأنبياء كلها عربها وعجميها والعرب كلها يمنيها ونزارها من ولد سام بن نوح حكي جميع ذلك ابن قتيبة ومن ولد أرفخشد قحطان بن عابر بن شالخ بن أرفخشد وكان مسكن قحطان اليمن فكل يمان من ولده فهم من العرب العاربة ويقطن بن عابر وهو أبو جرهم وكانت مساكن جرهم اليمن ثم نزلوا مكة فسكنوها وتزوج اسماعيل صلى الله عليه وسلم امرأة منهم فهم اخوال العرب المستعربة ٠٠ قال الزبير بن بكار العرب ست طبقات شعب وقبيلة وعمارة وبطن وفخذ وفصيلة فمضر شعب وربيعة شعب ومذحج شعب وحمير شعب وأشباههم وانما سميت الشعوب لان القبائل تشعبت منها وسميت القبائل لان العمائر تقابلت عليها أسد قبيلة ودودان بن أسد عمارة والشعب يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطون تجمع الأفخاذ والافخاذ تجمع الفصائل ٠٠ كنانة قبيلة وقريش عمارة وقصي بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة ٠٠ وزعم أبو أسامة فيما رأيت بخطه وقد عاصرته وكان علامة باللغة أن تأليف هذه الطبقات على تأليف خلق الانسان الارفع فالارفع فالشعب أعظمها مشتق من شعب الرأس ثم القبيلة من قبيله ثم العمارة قال والعمارة الصدر ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة قال وهي الساق أو قال المفصل الشك مني أنا قال والحي أعظم من الجميع

لاشتمال هذا الاسم على جملة الانسان .. وأما أبو عبيدة فجعل بعد الفخذ العشيرة قال وهم رهط الرجل دنياً ثم الفصيلة قال دون ذلك بمنزلة المفصل من الجسد وهم أهل بيت الرجل فأما البيوتات فكل يدعي لنفسه سابقة وبيتاً عصبية بيد أن الصحيح ما اتفق عليه العلماء وتداوله الرواة .. قال ابن السكيت كان أبي يقول العدد من تميم في بني سعد والبيت في بني دارم والفرسان في بني يربوع والبيت من قيس في غطفان ثم في بني فزارة والعدد في بني عامر والفرسان في بني سليم والعدد في ربيعة والبيت والفرسان في شيبان .. قال ابن سلام الجمحي كان يقال اذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة وكاثر بسعد وحارب بعمرو واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان وكاثر بهوازن وحارب بسليم واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان وكاثر بشيبان وحارب بشيبان .. قال أبو عبيدة ليس في العرب أربعة اخوة أنجب ولا أعز ولا أكثر فرساناً من بني ثعلبة بن عكابة وكان يقال له الأغر والحصن وبنوه شيبان وذهل وقيس وتيم الله .. قال ففارس غطفان الربيع بن زياد العبسي وفاتكها الحرث بن ظالم وحكمها هرم بن قطبة وجوادها هرم ابن سنان المري وشاعرها النابغة الذبياني وفارس بني تميم عتبة[1] بن الحارث بن شهاب أحد بني يربوع وفارس عمرو بن تميم طريف بن تميم العنبري وفارس دارم عمرو ابن عمرو بن عدس وفارس سعد فدكي بن أعبد المنقري وفارس الرباب زيد الفوارس ابن حصين الضبي وفارس قيس عامر بن الطفيل وفارس ربيعة بسطام بن قيس .. قال أبو عبيدة بيوت العرب ثلاثة فبيت قيس في الجاهلية بنو فزارة ومركزه بنو بدر وبيت ربيعة بنو شيبان ومركزه ذو الجدين وبيت تميم بنو عبد الله بن دارم ومركزه بنو زرارة .. وقال أبو عمرو بن العلاء بيت بني سعد اليوم في الزبرقان بن بدر من بني بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد وبيت بني ضبة بنو ضرار بن عمرو الردم وبيت بني عدي ابن عبد مناة آل شهاب من بني ملكان وبيت التيم آل النعمان بن جساس قال وليس في العرب جساس غيره .. قال الجمحي فارس اليمن في بني زبيد عمرو بن معدي كرب وشاعرها امرؤ القيس وبيتها في كندة الاشعث بن قيس لا يختلف في هذا وبما

---

(١) هكذا في النسخ والمحفوظ عتيبة وشاهده قول الشاعر

ان يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

احتلف في برار فال وأما الشرف ما كان قبل النبي صلى الله عليه وسلم الى عهد النبي وبصل في الاسلام •• قال أبو اياس البصري كان بيت قيس في آل عمرو بن طرب العدواني ثم في عبس في آل عمرو بن يربوع ثم تحول الى بني بدر فجاء الاسلام وهو فيهم ••وقال الاخفش على بن سليمان فرعا قريش هاشم وعبدشمس وفرعا غطفان بدر بن عمرو بن لوذان وسيار بن عمرو بن جابر وفرعا حنظلة رياح وثعلبة ابنا يربوع وفرعا ربيعة بن عامر بن صعصعة جعفر وأبو بكر ابنا كلاب وفرعاقضاعة عذرة والحارث بن سعد

باب مما يتعلق بالانساب

قال أبو عبيدة قريش البطاح قبائل كعب بن لؤيّ بن عبد مناف وبنو عبد الدار وعبدالعزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنومخزوم بن يقظة وبنو تيم بن مرةوبنو جمح وسهم بنهصيص بن كعب وبعض بنيعامر بن لؤيّوقريشالظواهر بنومحارب والحارث بن فهر وبنو الادرم بنغالب بنفهر وعامة بني عامر بن لؤيّ وغيره•• كان يقال مازن غسان أرباب الملوك وحمير أرباب العربوكندة كندة الملك ومذحجمذحج الطعان وهمدان احلاس الخيل ولأزد أسد البأس والذهلان أحدهما ذهل بن شيبان ابن ثعلبة وبنيكر والآخر صبعة وذهل بن ثعلبة واللهزمتان احداهما عجل وتيم اللات والأخرى قيس بن ثعلبة وعنزةوكلهممن بكر بن وائل الا عنزة بن أسد بن ربيعة الاحابيش حلفاء قريش •• قال ابن قتيبة هم بنو المصطلق والحياء بن سعد بن عمرو وبنو الهون بن خزيمة اجتمعوا بذنب حبشي وهو جبل بأسفل مكه فتحالفوا بالله انا ليد على غيرنا ماسجا ليل وأوضح نهار وما أرسي حبشي مكانه •• وقال حماد الراوية انما سموا بذلك لاجتماعهم والتحابش هو التجمع في كلام العرب•• المطيبون عبدمناف وزهرة وأسد بن عبد العزيوتيم والحارث بن فهر وعبد قصي •• الأحلاف مخزوم وعدي وسهم

وجمح وعبد الدار سموا أولئك المطيبين [illegible] فغمسوا أيديهم فيه
وسموا الآخرين الأحلاف [illegible] في جفنة فغمسوا أيديهم [illegible] وسموا
الأحلاف ولعقة الدم ٠٠ [illegible] وحرب [illegible]
ابن حبيب بن عمرو بن [illegible] على [illegible]
٠٠ الجراجم خمسة بطون من بني حنظلة قيس وعبس وعمرو وكلفة [illegible] وهو [illegible]
على أخويهم يربوع وربيعة ومالك وكلهم بنو حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن
مرة ٠٠ المعلمات ثعلبة بن [illegible] سعد بن ذبيان [illegible] بن عدي [illegible]
وأضاف إليهم قوم ثعلبة بن يربوع [illegible] وعدي [illegible]
وهو عكل وثور طحل وعكل هو [illegible] لأحد [illegible]
قبائل من بني سعد وهم [illegible] لا عرج [illegible]
٠٠ والحرام بنو كعب بن سعد بن زيد مناة ٠٠ [illegible] أربعة بطون من بني كلاب
[illegible] وحسل وحسيل [illegible] بن كلاب [illegible] ٠٠ وقال
أبو زيد الكلابي وهو [illegible] وعمرو [illegible] بن كلاب [illegible] لا يسمى
فيهم صماً وحلالاً وحسلاً [illegible] هؤلاء لا
الضباب فسموا [illegible] عمرو بن معاوية بن كلاب [illegible]
وحسل وحسيل [illegible] ولا أعرف [illegible]
وحريم والوليد وزهير فهؤلاء أربعة [illegible] جميعاً ٠٠ لا [illegible]
شيبان وعامر وحليحة والحارث بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
٠٠ بنو أم البنين عامر والطفيل وربيعة وعبيدة ومعاوية [illegible] بن كلاب هكذا
عند أكثر الناس قالوا وإنما اضطرب [illegible] وهم خمسة ٠٠ وقال أبو
زيد الكلابي وهو أعلم بقومه إن بني أم البنين أربعة [illegible] ذكرت [illegible]
ملاعب الأسنة وثنت بالطفيل ثم تزوج عليها [illegible] ثلاثة [illegible]
وأسقطت له ثلاثة ذكوراً وجاءت [illegible] ثلاثة وهم سلمى وعبدة وعتبة [illegible]
الحيلة على أم البنين وأخيها زهير [illegible] حتى أجمعوا عليهم حكم أن لا تسقط
ولداً وكانت حاملاً فولدت معاوية [illegible] ثم [illegible]

شبوحه الذين أحد عمهم أنه سمي معود الحكماء من أجل أنه تولى حكما عن زهير بن عمرو على أحيه وروي أبيات معاوية التي من أجلها سمي معوذ الحكماء لم يذد الخيل عير أنه لم ينشد البيت وزعم أنه ناقص منها طفلا العموى • • قال وأم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء • • الكملة بنو زياد العبسيون وهم ابن الحماط ويقال له أيضاً ابن الفوارس وعمارة الوهاب وربيع الكامل وقيس الجواد هكذا رويناه عن النحاس • • قال المبرد وعيره ربيع الحماط وعمارة الوهاب وابن الفوارس أمهم فاطمة بنت الخرشب الانمارية • • الحمس هم قريش وكنانة ومن دان بدينهم من بنى عامر بن صعصعة • • قال أبو عمرو ابن العلاء الحمس من بنى عامر كلاب وكعب وعامر بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة وأمهم مجد بنت التيم الادرم بن غالب بن فهر بن مالك وكانوا في الجاهلية يتحمسون في أديانهم أى يتشددون لا يستظلون أيام منى ولا يدخلون البيوت من أبوابها وقيل سموا حمساً لشدة بأسهم ويعدون في الحمس خزاعة • • العنابس حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو بنو أمية بن عبد شمس • • والاعياص العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص وبنوه ايضا • • أم القبائل هند بنت تميم بن مرّ ولدت لعمرو بن قاسط تيم الله واوس الله وعائذ الله وولدت لوائل بن قاسط بكرا وتغلبا وأعنز وقيل هو عنز بن وائل وولدت لعبد القيس بن قصى اللبؤة عبد القيس وبعضهم يقول اللبؤ بالهمز وبضم الباء وفيه اختلاف بين العلماء • الجمرات جمرات العرب ضبة وعبس والحارث بن كعب سموا بذلك لأن أمهم الخنساء بنت برة فيما يقال رأت فى المنام كأن ثلاث جمرات خرجت منها قال أبو عبيدة فطفئت من الجمرات اثنتان الحارث ابن كعب حالفت فى غطفان وضبة حالفت الرباب وسعدا وبقيت عبس لم تطفأ لانها لم تحالف واما الجاحظ فجعلها عبساً وضبة ونميراً وأشار الى ان بنى تميم جماراً أيضا وصرح بذلك المفضل فقال هم بنو يربوع وزعم الفرزدق أنهم بنو العدوية نسبوا الى أمهم وهم زيد وصدى وحنيش بنو مالك بن حنظلة وزعم آخرون أنهم بنو مالك بن حريمة ابن تميم بن حل بن عبد مناة بن أدعير انهم جعلوا مكان حنيش يربوعا ومن الجمرات التي لم تطفأ عند بعضهم نمير بن عامر بن صعصعة لأنهم لم يحالفوا أحداً من العرب قال الجاحظ انما قيل لكل واحد منها جمرة لأنهم تجمعوا حتى قووا على عدوهم واشتدوا

قال ويجوز أن يكون اشتقاقه من تخمير المرأة شعرها اذا ضفرته قبل قد خمرته قال غيره ومنه جمل مجمر اذا كان مجتمعاً شديداً .. طبة بنت عبشمس بن سعد ولدت لمالك بن حنظلة عوفا وأبا سود وربيعة وآخر لم نعرفه بن الكلبي فعرف أولادهم بها .. والموالي ثلاثة موالي اليمين المحالف ومولى الدار المجاور ومولى النسب بن العم والقرابة .. قال الشاعر

ماشئت حياً على نعمانَ أوردهم مولى اليمين ومولى الدار والنسب

باب ذكر الوقائع والايام

قد أثبت في هذا الباب ما تأدى الي من أيام العرب ووقائعهم مستخرجة من النقائض وغيرها ولم أشترط استقصاءها ولا ترتيبها اذ كان في أقل مما جئت به غنى ومقنع ولان ابا عبيدة ونظراءه قد فرغوا مما ذكرت وانما هذه القطعة تذكرة للعالم ودربة للمتعلم وزينة لهذا الكتاب ووفاء بشرطه وزيادة لحسنه اذ كان الشاعر كثيراً ما يؤتى عليه في هذا الباب وأنا أذكر ما عثت في ذلك في أقرب ما أقدر عليه من الاختصار ان شاء الله تعالى بعد أن اقدم في صدره ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقائعه مع المشركين لانه أولى بالتقديم واحق بالتعظيم ولما ارجوه من بركة اسمه وافتتاح القصص بذكره .. غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة ودان على رأس الحول من الهجرة ثم غزا عيراً لقريش بعد شهر وثلاثة أيام ثم غزا في طلب كرز بن جحش حتى بلغ بدرا بعد عشرين يوما ووجهت القبلة الي الكعبة ثم غزا بدراً فكان يوم بدر لستة عشر يوما خلت من شهر رمضان من سنة اثنين وكان المشركون يومئذ تسعمائة وخمسين رجلا والمسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فقتل من المشركين خمسون رجلا وأسر اربعة وأربعون واستشهد من المسلمين أربعة عشر رجلا ﴿يوم أحد﴾ كان في شوال من سنة ثلاث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة وقريش في ثلاثة آلاف وفي هذه الغزوة استشهد حمزة رضي الله عنه ﴿يوم الخندق﴾ كان في سنة اربع يوم بني المصطلق وبني لحيان

فى شعبان سنة خمس ويوم خيبر فى سنة ست وكان يوم مؤتة فى سنة ثمان واستشهد فيه زيد بن حارثة أمير الجيش وجعفر بن أبى طالب أمير الجيش أيضاً بعده وعبد الله بن رواحة أمير الجيش بعدهما وقام بامر الناس خالد بن الوليد وكانوا فى ثلاثة آلاف وكان فتح مكة فى شهر رمضان سنة ثمان وبعده بخمس عشرة ليلة سار الى حنين فى شوال ولقى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع هوازن فى شوال للنصف منه فانهزم المسلمون وكان الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس بن عبد المطلب وأبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وابنه وأيمن ابن عبد الله وهو ابن أم أيمن واستشهد ذلك اليوم وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب وأسامة بن زيد بن حارثة وفى رواية أخرى ابو بكر وعمر وعلى والعباس وابنه وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث وأيمن وأسامة ثم رجع الناس من وقتهم وانهزم المشركون وكانت الكرة عليهم لله ولرسوله ثم سار بعد حنين الى الطائف فحاصرها شهراً ولم يفتتحها وغزا بلد الروم فى رجب من تسع فبلغ تبوك وبنى بها مسجداً هو بها الى اليوم وفتح الله عليه فى سفره ذلك دومة الجندل على يدى خالد بن الوليد وكل هذا مختصر من كتاب ابن قتيبة واياه قلدت فيما رأيت من هذه الطريقة والله المستعان وعليه توكلت ﴿ وهذه أيام العرب ﴾ يوم اراب اى ثعلبة بن بكر رئيسهم لهذيل بن حسان على بنى رياح بن يربوع وكان لهذيل سبى نساء بنى رياح والتقى بهم على اراب وقد سبقه بنو رياح اليه ليمنعوهم الماء حتى يرد السبى فأقسم الهذيل لئن رددتم الينا أبناء فارعا لأبيلكم فيه برأس انسان تعرفونه فاشتروا منه بعض السبى وأطلق البعض ..

﴿يوم نعف قشاوة﴾ لبسطام بن قيس رئيس بنى شيبان على بنى يربوع قتل فيه بجيراً وأسر أباه ابا مليل ثم من عليه من وثاقه وترك له مليلا ولده وكان أسيراً عنده بعد ان كساه وحمله ﴿يوم نجران﴾ للاقرع بن حابس فى قومه بنى تميم على اليمن هزمهم وكانوا اخلاطا وفيهم الاشعث بن قيس وأخوه وفيهم ابن باكور الكلاعى الذى أعتق فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه أربعة الاف اهل بيت فى الجاهلية أسروا .. ﴿يوم الصمد﴾ وهو يوم طلح ويوم الغبيط ويوم اود ويوم ذى طلوح كلها يوم واحد لبنى يربوع على بنى شيبان ورئيسهم الحوفزان ورئيس اللهازم ابجر بن بجير العجلى ﴿ يوم طخفة ﴾

وهو أيضا يوم ذات كهف ويوم حراز في قول بعضهم لبني يربوع والبراجم على المنذر ابن ماء السماء اسروا فيه اخاه حسان وابنه قابوس وجزت ناصية قابوس وكان ذلك سبب ازالة الردافة عن عوف بن عتاب الرياحي { يوم المروت } وهو يوم إرم الكلبة نقا قريب من الساج لبني حنظلة وبني عمرو بن تميم على بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وكان الذكر فيه لبني يربوع وإنما أغارت قشير على بني العنبر فاستنقذ بنو يربوع أموال بني العنبر وسبيهم من بني عامر { يوم مليحة } بني شيبان على بني يربوع رئيسهم بسطام بن قيس وقتل ذلك اليوم عصمة بن النجر فلما رآه بسطام قال ما قتل هذا الا لثكل رجلا أمه فقتل به يوم العظالى قتله هنش ابن المقعاس { يوم اللوى } لفزارة على هوازن وفيه قتل عبد الله بن الصمة ونجى أخوه دريد { يوم الصلماء } لهوازن على فزارة وعبس وأشجع وفيه قتل دريد بأخيه ذؤاب بن أسماء { يوم الهباءة } وهو يوم الجفر لعبس على ذبيان وفيه قتل حذيفة ابن بدر وأخوه حمل سيدا بني فزارة وكان يقال لحذيفة رب معد { يوم عراعر } لعبس على كلب وذبيان وفيه قتل مسعود بن مصاد الكلبي وكان شريفاً { يوم الفروق } بين عبس وبني سعد بن زيد مناة قاتلوهم فمنعت عبس أنفسها وحرمها وجاءت غارة بني سعد وقيل لقيس بن زهير ويقال عنترة كم كنتم يوم الفروق قال مائة فارس كالذهب لم نكثر فنفشل ولم نقل فنذل { يوم شعب جبلة } قال أبو عبيدة كانت عظام أيام العرب ثلاثة يوم كلاب ربيعة ويوم شعب جبلة ويوم ذي قار وكان يوم الشعب لبني عامر بن صعصعة وعبس حلفائهم على الحليفين أسد وذبيان ورئيسهم حصن بن حذيفة يطلب عبساً بدم أبيه ويطلب عبس بن بغيض بدم أبيهم ومعهم معاوية بن الجون الكندي في جمع من كندة وعلى بني حنظلة بن مالك والرباب رئيسهم لقيط بن زرارة يطلب بدم معبد أخيه ويثربي بن عدي ومعهم حسان بن الجون أخو معاوية وقتل بل عمرو بن الجون وحسان بن مرة الكلبي أخو النعمان بن المنذر لامه .. وقال غير أبي عبيدة كان مع أسد وذبيان معاوية بن شرحبيل بن حصن بن الجون بن آكل المرار ومع بني حنظلة والرباب حسان بن عمرو بن الجون في جموع من كندة وغيرهم فأقبلوا اليهم بوصائع كانت تكون مع الملوك بالحيرة وغيرها وهم المرابطة وجاءت بنو تميم فيهم

لقيط وحاجب وعمرو بن عمرو ولم يتخلف منهم الا بنو سعد لزعمهم أن صعصعة هو ابن سعد ولم يتخلف من بني عامر الاهلال بن عامر وعامر بن ربيعة بن عامر وشهدت غني وباهلة وناس من بني سعد بن بكر وقبائل بجيلة الا قشيراً وشهدت بنو عبس بن رفاعة بن مهثة بن سليم عليهم مرداس بن أبي عامر أبو العباس بن مرداس صاحب النبي صلى الله عليه وسلم وشهد معهم نفر من عكل فانتهى جميع أهل الشعب يومئذ ثلاثين ألفاً وجاء الآخرون في عدد لا يعلمه الا الله عز وجل ولم يجتمع قط في الجاهلية جمع مثله فانهزمت تميم وذبيان وأسد وكندة ومن لف لفهم وقتل لقيط بن زرارة طعنه شريح بن الاحوص فحمل مرتثاً فمات بعد يوم أو يومين وأسر حسان بن الجون أسره طفيل بن مالك وأسر معاوية بن الحارث بن الجون أسره عوف بن الأحوص وجز ناصيته وأطلقه على الثواب ولقيه قيس بن زهير فقتله وأسر حاجب بن زرارة أسره ذو الرقيبة مالك بن سلمة بن قشير وأسر عمرو بن عمرو بن عدس أسره قيس بن المنتفق فجز ناصيته وأطلقه على الثواب وكان يوم جبلة قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة وقبل مولد النبي صلي الله عليه وسلم بسبع عشرة سنة وفي يوم الشعب ولد عامر بن الطفيل هكذا روى محمد بن حبيب عن أبي عبيدة وروي عنه غيره خلاف ذلك ﴿ يوم أقرن ﴾ لبني عبس علي بني تميم وبخاصة بني مالك بن مالك بن حنظلة وفي هذا اليوم قتل عمرو بن عمرو بن عدس وابنه شريح وأخوه ربعي وكان عمرو بن عمرو خرج مراغماً للنعمان بن المنذر فسبي سبياً من عبس وغنم مالاً وابتني بجارية من السبي فأدركه عبس فكان من أمره ما كان ﴿ يوم زبالة ﴾ لبني بكر بن وائل وبخاصة بني شيبان وبني تيم الله رئيسهم بسطام علي بني تميم ورئيسهم الاقرع بن حابس أسر فيه الاقرع وأخوه فراس واستنقذهما بسطام بعد أن حكم عليه عمران بن مرة بمائة ناقة ﴿ يوم حدود ﴾ لبني سعد بن زيد مناة علي بني شيبان وكانت بنو شيبان أغارت مع الحوفزان علي سعد فأدركهم قيس بن عاصم المنقري فقتلهم واستنقذ ما كان في أيديهم وفاته الحوفزان لصلابة فرسه فلما يئس من أسره حفزه بالرمح في حرابة وركه فانتقضت عليه بعد حول فمات منها وسالمت في هذا اليوم بنو يربوع الجيش علي تمر أخذوه منهم وفصل ثياب فعيرتهم بذلك منقر ﴿ يوم الكلاب ﴾ الاول لسلمة بن الحارث بن عمرو المقصور ومعه بنو تغلب والنمر بن

قاسط وسعد بن زيد مناة والصنائع على أخيه شرحبيل بن الحارث بن عمرو ومعه بكر ابن وائل بن حنظلة بن مالك وبنو أسد وطوائف من بني عمرو بن تميم والرباب ولم يكونوا ذلك الوقت يدعون رباباً وانما سموا بعد ذلك حكاه أبو عبدة فقتل شرحبيل قتله أبو حنش عاصم بن النعمان الجشمي ويقال بل قتله ذو السنينة حبيب بن عتبة الجشمي وكانت له سن زائدة وهو أخو أبي حنش لأمه وهي سلمى بنت عدي بن ربيعة أخي مهلهل هكذا أثبتوا في هذا الموضع ان عدياً أخو مهلهل ويسمى الكلاب الأول أيضاً ﴿ يوم الشعسة ﴾ يوم الكلاب الثاني لبني تميم وبني سعد والرباب رئيسهم قيس ابن عاصم على قبائل مذحج في نحو اثني عشر ألفاً رئيسهم يزيد بن المأمور وهم مذحج وهمدان وكندة وفي هذا اليوم أسر عبد يغوث بن وقاص الحارثي وهتم فم سمي بن سنان بعد ان أسر رئيس كندة هتمه قيس بن عاصم بقوسه وانتزع عبد يغوث من يدي الأهتم بعد أن شرط المأمور لموصله اليه مائة ناقة من الابل نزعته التيم فقتلوه برئيسهم النعمان بن حساس وكان قد قتل ذلك اليوم وسمى الكلاب الثاني أيضاً ﴿ يوم جرّ الدوابر ﴾ قال أبو عبدة لم تشهد من تيم الا الرباب وسعد خاصة وكان العا من الرباب لتيم ومن سعد لمقاعس ﴿ يوم ذي بيض ﴾ أغار الحوفزان على بني يربوع فسبي نسوة منهم فأصرختهم بنو مالك بن حنظلة واستنقذوا النسوة وأسروا الحوفزان أسره حنظلة بن بشر بن عمرو وزعم قوم ان هذا اليوم يوم الصمد ﴿ يوم عاقل ﴾ لبني حنظلة على هوازن وفيه أسر الصمة بن الحارث بن جشم وهرم حيشه وكان الذي أسره الجعد بن الشماخ أحد بني عدي بن مالك بن حنظلة ثم أطلقه بعد سنة وجز ناصيته على أن يثيبه وأتاه على الثواب فصرب الصمة قه ثم غزا بني حنظلة ثانية فأسره الحارث بن بيبه المجاشعي وأسر رجلا من بني أسد وكان نزيلا عند ابن أخت له في بني يربوع بنا الصمة فافتدى الصمة نفسه ومضى مع بن بيبه في فداء ابنه الى الأسدي النازل في بني يربوع فطعنه أبو مرحب بالسيف فقتله لشيء كان بينهما عند حرب بن أمية فسبو مجاشع تعير بذلك ﴿ يوم عين ﴾ لبني نهشل على عبد القيس مروا فيه بني منقر وقد خرجوا ممتارين من البحرين فعرضت لهم عبد القيس واستعانوا بني نهشل فحموهم واستنقذوهم ﴿ يوم قلها ﴾ منعت بنو ثعلبة بن سعد بن ذبيان بني عبس الماء وغلبوهم عليه بعدا صلاح

فزارة ومرة حتى أخذوا دية عبد العزى يوم حذار ومالك بن سبيع ﴿ يوم براخة ﴾ لبني ضبة على محرّق الغساني وأخيه فارس مودود أغاروا على بني ضبة ببزاخة في طوائف من العرب من إياد وتغلب وغيرهما فأدركهم بنو ضبة فأسر زيد الفوارس محرقا وأسر أخاه حبيش بن الدلف ثم قتلاهما بعد أن هزم من كان معهما وقتل منهما عدة ﴿ يوم اضم ﴾ لبني عائذة بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة على الحارث بن مريقيا الملك الغساني وهو عمرو بن عامر وفيهم كان ملك غسان بالشام في آل جفنة علبة بن عمرو ابن عامر قتل بنو عائذة قتلا ذريعاً وفي ذلك اليوم قتل الردم وحمل رجل من بني عائذة بن قيس يدعى عامر بن صامر فقال والله لأطعن طعنة كنحر الثور العير ثم قصد ابن مريقيا فطعنه فقتله وانهزم أصحابه هزيمة فاحشة وزعم قوم أن هذا اليوم هو يوم براخة وقال آخرون بل كانت الواقعة مع عبد الحارث من ولد مريقيا وزعم غيرهم أيضاً أنها مع مريقيا نفسه لا مع ولده والله أعلم ﴿ يوم نقا الحسن ﴾ الحسن شجر سمى بذلك لحسنه وقيل هو جبل وهذا اليوم لبني ثعلبة بن سعد بن ضبة على بكر بن وائل وفيه قتل بسطام بن قيس قتله عاصم بن خليفة أخو بني صباح وكان رجلا أعسر فأصاب صدغه الأيسر حتى نجم السنان من الصدغ الأيمن ﴿ يوم اعيار ﴾ وهو أيضاً يوم النقيعة لبني ضبة على بني عبس وفيه قتل عمارة الوهاب قتله شرحاف بن المثلم بابن عم له يدعى معصالا كان عمارة قد قتله وانطوى حبره ثم سمعه شرحاف ذكره على شراب وكان حينئذ غلاما فحين شب أخذ بثار ابن عمه يوم النقيعة واستنقذت بنو ضبة ابلها من عبس وقد كانوا ادركوهم في المراعي ﴿ يوم رحرحان الاول ﴾ غزا يثربي بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بني عامر بن صعصعة وعلى بني عامر قريط بن عبيد بن أبي بكر وقتل يثربي ﴿ يوم رحرحان الثاني ﴾ لبني عامر بن صعصعة ورئيسهم الاحوص على بني دارم وفي ذلك اليوم اسر معبد بن زرارة اسره عامر بن مالك وأخوه طفيل وشاركهما في أسره رجل من غني يقال له أبو عميرة عصمة بن وهب وكان احاطميل من الرضاعة وفي أسرهم مات معبد شدوا عليه القد وبعثوا به الى الطائف خوفا من بني تميم أن يستنقذوه كان هذا كله بسبب قتل الحارث ابن ظالم المري من مرة بن سعد بن ذبيان خالد بن جعفر غدرا عند الاسود بن المنذر

وقيل عند النعمان والتحائه الى زرارة بن عدس فلما انقضت وقعة رحرحان جمع لقيط بن زرارة لبني عامر والتـعليهم وكان بين يوم رحرحان وعروة جبلة سنة واحدة ﴿يوم صرية﴾ احتلفت سعد والرباب على بني حنظلة وكان بنو عمرو بن تميم حالفوا بكر بن وائل وصاقت حنظلة بسعد والرباب فساروا الى عمرو بن تميم فردوهم وحالفوهم ثم جمعوا لسعد والرباب ورئيسهم يومئذ ناجية بن عقال ورئيس سعد والرباب قيس بن عاصم فقال ابن حفاف لسعد والرباب من لعيال عمرو وحنظلة ان قتلتم مقـاتلتهم قالوا نحن قال فمن لعيالـكم ان قتلوا مقاتلتكم قالوا هم قال ودعوهم لعيالهم وليدعوكم لعيالكم وتكلم الاهتم بمثل ذلك ورجال من أشراف سعد وساروا الى عمرو وحنظله الى الاسار من جماصرية فأجابهم ناجية بن عقال والقعقاع بن معبد بن زرارة وسنان بن علقمة بن زرارة الى الصلح وأبى ذلك مالك بن نويرة ﴿يوم النسار﴾ وذلك ان عامر بن صعصعة ومن معهم من هوازن انتجعوا بلاد سعد والرباب وهم يمتون اليهم برحم لأنهم يزعمون ان صعصعة ابا عامر هو ولد سعد بن زيد مناة بن تميم وقال آخرون انما غضبوا على سعد لما انهب العرا بعكاظ فلحق بني أمه ولد معاوية بن بكر وهوازن وكان سعد قد فارقها بعد أن ولدت له صعصعة وتزوجها معاوية بن بكر فضمن سعد والرباب الاهتم وسمه سنان بن سمي بن سنان وقيل سمي بن سنان وضمن هوازن مرة بن هبيرة فسرقت خيل لدى الرقمة ثم اعترفت بعد ذلك بيسير عند الحيف بن المنتحف اعترفها بعض القشيريين فضربه القشيري على سنده وضربه الحيف فقتله فأرادت هوازن القود من الرباب فطلبهم بذلك ضامن سعد فأبت الرباب الا الدية ففارقهم سعد وصافوت هوازن فاستمدت بنو ضبة أسدا وطيئا والتقوا بالنسار فعبيت أسد لسعد والرباب لهوازن فانهزمت هوازن وسعد وكان حامي أدبار بني عامر يومئذ قدامة بن عبد الله القشيري فرماه ربيعة بن أبي وكان أرمي الناس فقتله فلما رأت ذلك بنو عامر منه وسائر هوازن سألوا أن يؤخذ منهم شطور أموالهم وسلاحهم وقبل ذلك منهم وهذا يوم المشاطرة ويوم النسار وهو من مذكورات أيام العرب في الجاهلية وبنو ضبة يزعم أن هذا اليوم قبل يوم جبلة وأبو عبيدة لا شك أنه بعده ﴿يوم الصرائم﴾ وهو أيضاً يوم الحرف لبني رياح بن يربوع على بني عبس وفي هذا اليوم أسر الحكم ابن مروان بن زنباع العبسي أسره أسيد بن حياة السليطي وأسر بنو حميري بن رياح

رماء بقروة بني مروان ورماع وأسعدوا جميع ما أصابته عبس لربيعة بن مالك بن حنظلة وأسروا ذلك اليوم في قتل بني عبس ﴿ يوم الغبيط ﴾ لبني يربوع على بني شيبان ركاب التيجان قد عروهم مساندين على ثلاثة ألوية الحوفزان بن شريك والأسود أخوه وبسطام بن قيس وفي هذا اليوم أسر الاسود بن الحوفزان ويزيد بن الاسود ابن شريك وحمي بسطام آخر القوم حتى حسبوه قتل وأسر ورثاه بعضهم بمراث عدة وزعم سعد عن أبي عبيدة أن يوم الغبيط هو يوم الاياد ويوم العطالى سمي بذلك لان بسطام بن قيس وهانئ بن قبيصة ومفروق بن عمرو والحوفزان بن شريك تعاطلوا على الرياسة .. وقال مرة أخرى لم تشهد الحوفزان يوم العطالى قال وهو أيضاً يوم الافاقة ويوم اعشاش ويوم ملحة ﴿ يوم ذي نجب ﴾ لبني يربوع على بني عامر وفيه قتل حسان ابن معاوية بن آكل المرار الملك قتله حشيش بن نمران من بني رياح بن يربوع وقيل بل هو عمرو بن معاوية أخو المقتول وأما حسان فأسر أسره دريد بن المنذر وكانت بنو عامر أتت به بعروبني حنظلة بن مالك بعد يوم جبلة بعام فتنحى لهم بنو مالك بن أبي عمرو بن عمرو بن عدس وتركوا في صدورهم بني يربوع فهزمت بنو عامر هزيمة عظيمة وأسر يومئذ يزيد بن الصعق وقتلت بنو نهشل حليف بن عبد الله الحميري وأسر يزيد بن ثعلبة الهصان وهو عامر بن كعب بن أبي بكر بن كلاب وقتل خالد بن ربعي النهشلي عمرو بن الأحوص وكان رئيس بني عامر يومئذ ﴿ يوم خزازى ﴾ ويقال خزاز واختلف فيه فقال قوم كان رئيس نزار فيه كليب بن ربيعة .. وقال آخرون رئيسهم زرارة بن عدس وقال آخرون بل ربيعة الاحوص وقد انكر أبو عمرو بن العلاء جميع ذلك والذي ثبت عنده أنه قال هو يوم لنزار على ملك من ملوك اليمن قديم لا نعرف من هو منهم وأما ربيعة فيقول لا شك أنه يوم خزار لكليب بن ربيعة على مذحج وغيرهم من اليمن وكان بعقب يوم السلان لجمع كليب جموع ربيعة فاقتتلوا فانهزمت مذحج والذين معهم من اليمن ﴿ يوم ملزق ﴾ وهو أيضا يوم السوبان كان لبني تميم على عبس وعامر بعد ان قاتلت تميم جميع من أتى بلادها من القبائل وهم إياد وبلحارث بن كعب وكانت وطيئ وبكر وتغلب وأسد كانوا يأتونهم حيا حيًّا فتقتلهم تميم وتنفيهم عن البلد وآخر من أتاهم بنو عبس وبنو عامر ﴿ يوم الوقيط ﴾ وهي بالدهناء أغارت بنو هلال على نعم

بنى نهشل فأسرتهم بنو نهشل بالوبدة وهي بالدهناء فأفلت من بنى هلال الا رجل واحد يقال له فراس طواف وقتل أواب ﴿ يوم فيف الريح ﴾ ورأيته بخط السكري فيه مقصوراً فى مواضع من كتاب نوادر أبى زياد الكلابى ٠٠ وأنشد أبو زياد لعامر بن الطفيل

وبالفيفا من الغمس استثارت قبائل كان أكثرهم تجارو

ـ ألفيفا ـ جبل طويل من جبال خثعم يقال له فيفا الريح وكان الصبر فيه والشرف بنى عامر وقد اجتمعت كلها الى عامر بن الطفيل على قبائل مذحج وقد عزيهم مذحج فى عدد عظيم من بنى الحارث بن كعب وجعفى وزبيد وقبائل سعد العشيرة ومراد وصدي ونهد ورئيسهم الحصين بن يزيد الحارثي واستغاثوا بخثعم فجاءت شهران وناهس وأكلب عليهم أنس بن مدرك وأسرع القتل فى الفريقين فافترقوا ولم تغنم طائفة منهم طائفة وفى هذا اليوم أصيبت عين عامر وزعم عبد الكريم وغيره أن يوم فيفا الريح هو يوم طلح ﴿ يوم ذي نهدى ﴾ لبنى يربوع على تغلب أسروا فيه الهذيل ٠٠ قال جرير للاخطل يعيره بذلك

هل تعرفون بذى نهدى فوارسنا يوم الهذيل بأيدي القوم مقتسر

﴿ يوم النشر ﴾ لبنى كلاب على الاراقم ورئيس قيس يومئذ الجحاف بن حكيم الكلابى وكان سبب ذلك تعيير الاخطل اياه ﴿ يوم الرغام ﴾ لبني تغلب بن يربوع ورئيسهم عتيبة بن الحارث بن شهاب اغار فيه على بنى كلاب فاطرد إبلهم وقتل يومئذ أخوه حنظلة قتله الحوثرة وأسر الحوثرة ذلك اليوم فدفع الى عتيبة فقتله صبراً بأخيه وانهزم الكلابيون بعد ان أسرع فيهم القتل والأسر ﴿ يوم الهراميت ﴾ للضباب وهم معاوية بن كلاب على اخوته بنى جعفر بن كلاب وكان هذا اليوم فى زمن عبد الملك بن مروان وكذلك يوم النشر ﴿ يوم الوقيط ﴾ كان فى فتنة عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو للهازم رئيسهم ابجر بن بجير على بنى مالك بن حنظلة فاما بنو عمرو بن تميم فاندرهم عتيب بن نشامة العنبرى فدخلوا الدهناء فنجوا وفى هذا اليوم اسر ضرار بن القعقاع بن معبد اسره المرار الشيبانى ورجل من تيم اللات فجزت تيم اللات ناصيته وحلته تحت الليل مصارة للفرزو وسمى أيضاً هذا اليوم يوم الخو ﴿ يوم جرع طلال ﴾ لفزارة ورئيسهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر على التيم وعدى وعكل وثور أطحل بنى عبد مناة وأخذ يومئذ شريك بن مالك

اس حديمة من التم وعكل أر بعين امرأة ثم أطلقهن وأحد حارحة س حصن بعرا من التم فاطلقهم بعير فداء ثم اعارت فرارة بعد دلك علمهم ورئيسهم عيينة فقلوا التيم قتلا ذريعاً وأحذوا منهم مائة امرأة فقسمهن عيينة في بني بدر وجعلهن مع أزواجهن الاسارى يقلن الحرا هونا لهم ثم أطلق الجميع بعد دلك بعير فداء وأعارت علمهم بعد دلك بنو عيظ س مرة رئيسهم ريد س شيبان س أبي حارثة فقتلوا التيم وعدياً وسبوا سبياً كثيراً لم يردوا منه شيئاً فبعى هذا كله عليهم جرير ﴿يوم اوارة الاول﴾ لتغلب والنمر س قاسط مع المنذر س ماء السماء على بكر س وائل مع سلمة س الحارث واسم سلمة معدى كرب وهو أيضاً العلفا بعد قتل أخيه شرحبيل والذي قتله سلمة العلفا س عمرو س كلثوم عرفه فحمل عليه حتي قنعه السيف وكان سبب هزيمة بكر س وائل وحلف المنذر يومئذ ليقتلن بكراً على رأس أوارة حتي يلحق الدم بالحصيص فشفع لهم مالك س كعب العجلي وقال للمنذر انا أخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض و بر يمين المنذر فكف عن القتل وكان مالك هذا رضيع المنذر ﴿ يوم اوارة الاخير ﴾ كان لعمرو س هند على بني دارم وذلك ان اسا له كان مسترضعا عند زرارة س عدس اسمه أسعد وكان قد تناه فمرت ناقة لأحد بني دارم يقال له سويد فحرق ضرعها فشد عليه فقتله وأتى الخبر زرارة وهو عند عمرو وكان كالوزير له فلحق بقومه وادركه الموت على عقب ذلك فغزا عمرو بني دارم وحلف ليقتلن منهم مائة فقتل منهم تسعة وتسعين وأتم المائة برجل من البراجم وفي حكاية أخرى انه احرقهم وبذلك تشهد مقصورة اس دريد وشعر الطرماح وزعم أبو عبيدة ان من زعم انه احرقهم فقد أخطأ وذكر شعر الطرماح فقال لا علم له بهذا واستشهد بقول جرير

أينَ الذينَ بسيفِ عمروٍ قتلوا ام أين اسعدُ فيكمُ المسترضعُ

﴿ يوم زرود الاول﴾ لشيبان مع الحوفزان على بني عبس وأثخن ذلك اليوم عمارة الوهاب جراحا غير انه سلم فلم يمت منها ﴿ يوم زرود الآخر ﴾ أغار خزيمة س طارق التغلبي على بني يربوع فاستاق النعم فادركوه فاسره أسيد بن حناءة السليطي وانيف س جبلة الضبي وكان نقيلا في بني يربوع وردوا الغنيمة من ايدى التغلبيين ﴿يوم تثليث﴾ غزت سليم مع العباس بن مرداس مرادا فجمع لهم عمرو بن معدي كرب والتقوا بتثليث فصبر الفريقان

ولم تظهر طائفة منهم بالاخرى وفي ذلك اليوم صنع الشماس قصيدته السينية وهي احدى المنصفات ﴿ يوم ذى علق ﴾ كان بين بنى عامر و بني أسد وفي هذا اليوم قتل ربيعة أبو لبيد﴿ يوم العذيب ﴾ كان بين سعد بن زيد مناة وعمرة على مذحج وحمير وكان رأس تميم الاصهب الجعفي بعث اليه النعمان يكر عليه لاوجع سعد وعمرة العذيب فحشد لهم ومنهم فقتلوه قتله الاحمر بن جندل وانهزمت اليمانية هزيمة شديدة وأخذ منهم مال كثير وسبي ﴿يوم الصفقة﴾وهو أيضا يوم المشقر كان على بني تميم بسبب عير كسرى التي كان يخفرها هوذة بن على الحنفي فلما سارت ببلاد بنى حنظلة قطعوها برأى صعصعة وناجية جد الفرزدق فكتب كسرى الى المكعبر عامله على هجر فاغتالهم واراهم انه عرضهم للعطاء ويطعمهم وكان أحدهم يدخل من باب المشقر فينزع سلاحه ويخرج من الباب الآخر فيقتل الى ان فطنوا واصفق الباب على من حصل منهم فلذلك سميت الصفقة وشفع هوذة في مائة من اسارائهم فتركوا له فكساهم واطلقهم يوم الفصح وكان نصرانيا ﴿يوم ذى قار ﴾كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لبنى بكر بن وائل وقدمة بنى شيبان و بعدهم بنو عجل على الاعاجم جنود كسرى ومن معهم من العرب رئيسهم اياس بن قبيصة الطائي وكان مكان النعمان بن المنذر بعد قتل كسري اياه وتحت يديه طيء واياد وبهرا وقضاعة والعباد وتغلب والنمر بن قاسط قد رأس عليهم النعمان بن زرعة اخى النمر وتغلب وكان سبب يوم ذى قار طلب كسرى تركة النعمان بن المنذر وكان النعمان قد تركها وبرك ابنا له وبنتا عند هانئ بن قبيصة بن هانئ بن مسعود الشيباني فمنع رسول كسري من الوصول الى ما طلب وكتب كسرى الى قيس بن مسعود بن قيس بن خالد وكان عاملا له على الطف بان يعين اياسا فانفذ الى قومه ليلا وحرضهم على القتال وواطأت العرب على العجم فطارت اياد عن العجم حين تشاجرت الرماح كأنهم منهزمون وقتل الهامرز وحلا بزر عامل كسرى واسر النعمان بن زرعة التغلبي وسبب ماصنع قيس بن مسعود استدرجه كسرى حتى أتاه فقتله﴿يوم الفجار ﴾ الاول كان بين كنانة بن خزيمة و بين عجز هوازن بسوق عكاظ أول يوم من ذي القعدة و بذلك سمي فجارا لانهم فجروا في الشهر الحرام وكان سبب ذلك ان بدر بن معشر الكناني كان يستطيل على من ورد عكاظ فيمد رجله ويقول أنا أعز العرب فمن كان أعز منها

فانصرها بالسيف فصرمهـا الاحمر بن هوازن من بنى نصر بن معاوية وكان بين القبيلتين تشاجر دون أن يقع بينهما دماء وليس هذا الفجار عند ابن قتيبة وقد ذكره أبو عبيدة ﴿ يوم الفجار الثانى ﴾ كان سببه فتيان من عربية قريش وكنانة رأوا امرأة وضيئة من بني عامر بن صعصعة بسوق عكاظ فسألوها ان تسفر لهم فابت فحل أحدهم ذيلها الى ظهر درعها بشوكة فلما قامت انكشفت فقالوا منعتينا رؤية وجهك وأريتنا دبرك فصاحت يال عامر فتهـايجوا وجرت بين الفريقين دماء يسيرة حملها حارث بن امية وليس هذا الفجار أيضاً عند ابن قتيبة وقد ذكره ابو عبيدة ﴿ يوم الفجار الثالث ﴾ كان سببه دين كان لأحد بنى نصر على أحد كنانة فلى النصري بقرد فقال من يبيعنى مثل هذا بمالى على فلان فمر أحد بنى كنانة فقتل القرد فتصايح الفريقان ثم سكنوا وكان هذا سبب الامر العظيم من قتل البراض الكنانى عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب واتبعت هوازن قريشاً وكانوا قد ادركوهم بنخلة حتي دخلوا الحرم وجنهم الليل ثم التقوا بعد حول وكانت الوقعة أيضاً عليهم وهو يوم شمطه ثم التقوا أيضاً بعد حول وكانت الكرة على هوازن وفى ذلك اليوم سموا بنى أمية العنابس لما فعل حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان من تقييدهم أنفسهم حتى يظفروا أو يقتلوا هذه رواية أبى عبيدة وأما ابن قتيبة فجعل ماجرى بين النصرى والكنانى هو الفجار الأول وقال فى آخره ولم يكن بينهم قتال انما كان ذلك القتال فى الفجار الثانى وجعل سبب الفجار الثانى أن عيينـة بن حصن بن حذيفة أتى سوق عكاظ فرأى الناس يتبايعون فقال أرى هؤلاء مجتمعين بلا عهد ولا عقد ولئن بقيت الى قابل ليعلمن فغزاهم من قابل وأغار عليهم قال فهذا الفجار الثانى والحرب فيه بين كنانة وقيس والدائرة على قيس بن عيلان ﴿ يوم الجفار للأحاليف ﴾ فى ضبة واخوتها الرباب وأسد وطيئ على بنى تميم واستحر القتل يومئذ فى بنى عمرو بن تميم فقتلوا قتلا ذريعاً ﴿ يوم الصريف ﴾ كانت هذه الوقعة فى أيام الرشد وهي لبنى ضبة علي بني حنظلة وفى ذلك يقول شاعرهم وأظنه من ولد جرير

صَبرَتْ كليبٌ للطعانِ ومالكٌ يومَ الصريفِ وفرّت الأحمالُ

والاحمال بطون فى بنى حنظلة .. وقد أوفيت بما عقدت به فى صدر هذا الكتاب

من اثبات ما انتهى الى من أيام العرب مجتهداً فى اختصارها بريا مما وقع فيها من الاختلاف وانما عهدة ذلك على الرواة وسأذكر من مفاخر بنى شيبان لمعاً أختم بها هذا الباب كما بدأته لانى لو تقصيت ذلك لأفنيت العمر دون تقصي الجزء الذى لا يتجزأ منه قلة لكنى ذهبت فيهم وفى سيدهم أبى الحسن مذهب أبى الطيب فى اخوتهم بنى تغلب وفى سيدهم علىّ بن حمدان حيث يقول

ليتَ المدائحَ تستوفى مناقبَهُ فما كليبٌ وأهلُ الأعصرِ الأول
خذْ ما تراه ودَعْ شيئاً سمعتَ به فى طلعةِ الشمسِ ما يغنيك عن زحل

قال أبو عبيدة قدم على النعمان بن المنذر وفود ربيعة ومضر بن نزار وكان فيمن قدم عليه من وفود ربيعة بسطام بن قيس والحوفزان بن شريك الكريان وفيمن قدم عليه من وفد مضر من قيس بن عيلان عامر بن مالك وعامر بن الطفيل ومن تميم قيس بن عاصم والاقرع بن حابس فلما انتهوا الى النعمان أكرمهم وحباهم وكان يتخذ للوفود عند انصرافهم مجلساً يطعمون فيه معه ويشربون وكان اذا وضع الشراب سقى النعمان ثم يبدئ به على أثره وهو أفضل الوفد فلما شرب النعمان قامت القينة تنظر الى النعمان الذى يأمرها أن تسقيه وتفضله من الوفد فنظر فى وجوههم ساعة ثم أطرق ثم رفع رأسه وهو يقول

سقى وفودَكَ مما أنت ساقيه وابدى بكأسِ ابنِ ذى الجدينِ بسطام
أعزّ نمته من شيبانَ ذو أنفٍ حامي الذمارِ وعن أعراضها رامى
قد كان قيسُ بنُ مسعودٍ ووالده تبدا الملوك بهم أيام أيامى
فارضوا بما فعلَ النعمانُ فى مضرٍ وفى ربيعةَ فى تعظيم أقوام
همُ الجماجمُ والاذنابُ غيرهمُ فارضوا بذلك أو بوؤا برغم

فقال عامر بن الطفيل

كان التبابعُ فى دهرٍ لهم سلفٌ وابنُ المرارِ واملاكٌ على الشامِ
حتى انتهى الملكُ من لخمٍ الى ملك بادي السنانِ لمن لم يرمه رمي

أنحى علينا بأظفار فطوّقنا طوقَ الحمام بانفاس وارغام
ان عكر الله من دهر نسائه تركك وحدك تدعو رهط بسطام
فانظر الى الصيد لم يحمرك من مصر هل في ربيعة ان لم تدعها حامي

فأجابه بسطام بن قيس .. فقال

لعمري لئن ضجت تميم وعامرٌ لقد كنتُ يوماً في حلوقهم شجا
أروني كمسعودٍ وقيسٍ وخالدٍ وعمرو وعبدالله ذي الباع والندى
وكانوا على أفناء بكر بن وائل ربيعاً اذا ما سال سائلهم جدى
فسرتُ على آثارهم غير تارك وصنتهم حتى انتهيتُ الى مدى

قال وافتخر رجلان بباب معاوية بن أبي سفيان أحدهما من بني شيبان والآخر من بني عامر بن صعصعة فقال العامري اا أعد عليك عشرة من بني عامر فعد عليّ عشرة من بني شيبان فقال الشيباني هات اذا شئت فقال العامري خذ عامر بن مالك ملاعب الاسنة والطفيل بن مالك قائد هوازن وفارس قرزل ومعاوية بن مالك معود الحكماء وربيعة بن مالك فارس ذي علق وعامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة وعتبة بن سنان ويزيد بن الصعق وأربد بن قيس وهو أربد الحتوف فقال الشيباني خذ قيس بن مسعود رهبة بكر بن وائل وبسطام بن قيس سيد فتيان ربيعة والحوفزان بن شريك فارس بكر بن وائل وهانئ بن قبيصة أمين النعمان بن المنذر وقبيصة بن مسعود وافد المنذر ومفروق بن عمرو حاضن الأيتام وسنان بن مفروق ضامن الدمى والأصم عمرو ابن قيس صاحب رؤس بني تميم وعمران بن مرة الذي أسر يزيد بن الصعق مرتين وعمرو بن النعمان فتلاحيا فخرج حاجب معاوية فصادفهما على تلك الحال فدخل على معاوية فأخبره بالقصة فدعا بهما فلما دخلا عليه نسبهما فانتسباله فقال معاوية عامر أخو هوازن وشيبان أخو بكر بن وائل وقد كفاكما الله المؤنة هذان رجلان من غير قومكما عندي يحكمان بينكما عديّ بن حاتم وشريك بن الأعور الحارثي احكما بينهما ثم قال معاوية للشيباني من تعني لعامر بن مالك قال أصم بن أبي ربيعة الذي قتل من تميم مائة رجل على دم فقال معاوية للرجلين ما تقولان قالا رجح الأصم على عامر بن مالك قال

معاوية فمن يعني لعامر بن الطفيل قال الشيباني الحوفزان بن شريك قال الحكمان رجح الحوفزان قال فمن يعني لعلقمة بن علاثة قال الشيباني بسطام بن قيس فقالا رجح بسطام قال معاوية فمن يعني لعتبة بن سنان قال الشيباني مفروق بن عمرو فقالا رجح مفروق قال معاوية فمن يعني للطفيل بن مالك فقال الشيباني عمران بن مرة فقالا رجح عمران بن مرة فقال معاوية فمن يعني لمعاوية بن مالك قال الشيباني عوف بن النعمان فقالا رجح عوف بن النعمان قال معاوية فمن يعني لعوف بن الاحوص قال الشيباني قبيصة بن مسعود فقالا رجح قبيصة قال فمن يعني لربيعة بن مالك قال هانئ بن قبيصة فقالا رجح هانئ بن قبيصة قال معاوية فمن يعني لبريد بن الصعق قال سنان بن مفروق فقالا رجح سنان بن مفروق قال فمن يعني لاربد بن قيس قال الاسود بن شريك فقال معاوية للشيباني فأين نسيت قيس بن مسعود قال أصلحك الله قيس ليس من هذه الطبقة فانهم قيس مجداً طويلا

.. فقال العامري في ذلك

أعدُّ اذا عددتُ أبا براء ... فكانَ علا على الاقوام فضلا
وكان الجعفريُّ أبو عليّ ... اذا ما هاجتِ الهيجاءُ علا
ووالده الذى حدثتَ عنه ... طفيلٌ خيرنا يفعاً وطفلا
وكان معود الحكم المارِى ... رياحَ الصيف أعلى القومِ فعلا
وقد أورثَ رباده أبى لبيدٍ ... ربيعةَ يوم ذى عَلَقٍ فالى
وعلقمة بن احوص كان كهماً ... كلابيًّا رحيبَ الباعِ سهلا
وعتبةُ والاغرُّ يزيدُ ابي ... رأيتهما لكلِّ الفخرِ أهلاً
وعوفاً ثم أربد ذا المعالى ... كفى بهما عليكَ ندًى وبذلاً
أولئك من كلاب في ذراها ... وخير قرومها حسباً ونبلا

.. فقال الشيباني مجيباً له

أعدُّ اذا عددتُ أبا خفافٍ ... وعمرانَ بن مرةَ والاصماً
وهانئاً الذى حدثتَ عنه ... وكان قبيصةُ الانفَ الاشمّا

ومروقاً وذا المحداتِ عوفاً · وبسطاماً ووالدَه الحصما
واسود كان حير بنى شريك · ولم يكُ قربهُ كنتاً أحمّا
أولئك من عكابةَ حير بكر · وأكرم من يليكَ أباً وأماً
وأوصل من يصنْ الى المعالى · اذا ما حصّلوا حالاً وعما
وأكثر قومهم بالثمرّ طوقاً · وأبعد قومهمْ في الحيرِ هما

فقال معاوية للحكمين ما تقولان قالا شيبان أكرم الحيين فقال معاوية وذاك قولى وأكرمهما وحاهما واوصل الشيباني على العامري ٠٠ قال وكان من حديث ذى الحدين أن الملك النعمان قال لأعطين أوصل العرب مائة من الابل فلما أصبح الناس اجتمعوا لذلك فلم يكن قيس بن مسعود فيهم وأراده قومه على أن ينطلق قال لئن كان يريد بها غيرى لأشهد ذلك وان كان يريدنى بها لاعطينها فلما رأي النعمان احتماع الناس قال لهم ليس صاحبها شاهداً فلما كان من الغداة قال له قومه انطلق فانطلق فدفعها اليه الملك فقال حاجب بن زرارة أبيت اللعن ماهو أحق بها منى فقال قيس بن مسعود أنا افوه عن اكرمنا قعيدة وأحسننا أدب ناقة وأكرمنا لئيم قوم فبعث معهما النعمان من ينظر ذلك فلما انتهوا الى بادية حاجب بن زرارة مرّوا على رجل من قومه فقال حاجب هذا ألأم قومى وهو فلان بن فلان والرجل عند حوضه ومورد الله فأقبلوا اليه فقالوا ياعبد الله دعنا نستقي فانا قد هلكنا عطشاً وأهلكنا ظهورنا فتحهم وأبى عليهم فلما أعياهم قالوا لحاجب اسفر وسفر فقال أنا حاجب بن زرارة فدعنا فلنشرب قال أنت فلا مرحباً بك ولا أهلاً فأتوا بيته فقالوا لامرأته هل من منزل ياأمة الله قالت والله مارب المنزل شاهد وما عندنا من منزل وراودوها على ذلك فأبت ثم أتوا رجلا من بكر بن وائل على ماء يورد قال قيس هذا والله ألأم قومى فلما وقفوا عليه قالوا له مثل ما قالوا للآخر فأبى عليهم وهمّ أن ينصرهم فقال له قيس بن مسعود ويلك أنا قيس بن مسعود فقال له مرحباً وأهلاً أورد ثم أتوا بيته فوجدوا فيه امرأته وقدرها يغط فلما رأت الركب من بعد أنزلت القدر وبردت فلما أنتهوا اليها قالوا هل عندك ياأمة الله منزل قالت نعم أنزلوا فى الرحب والسعة فلما نزلوا طعموا وارتحلوا فاحدوا ناقتيهما فأناخوها على قريتين للنمل فأما ناقة قيس بن

مسعود فتصورت وتقلبت ثم لم تبر وأما ناقة حاجب فمكثت وتدنت حتي اذا قالوا قد اطمأنت طمقت هاربة فأتوا الملك فأخبروه بذلك فقال له قد كنت يا قس واحد فأنت اليوم ذو حدين فسمي بذلك ذا الحدين وقيل انما سمي بذلك لاسيرين أسرهما مرتين وقيل بل سقى سقيين هكذا جاءت الرواية والذي أعرف أنا أن ذا الحدين انما هو عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام سمي بذلك لانه اشترى كعب بن مامة من أيدي قوم من عنزة أسروه وحكم نفسه وعرفه عبد الله أنه لم يشتره عن معرفة فوهبه كلما لقي في طريقه من ابل أبيه بعدانها وكانت سوداً وحمراً وصماً وبلغ به الى أبيه فأجاز له ذلك وأعطاه قيمته مما فيها فلما أتى الحيرة قال بعض من رآه لصاحبه أنه لذو حد قال الآخر بل هو ذو حدين فسمي بذلك

باب في معرفة ملوك العرب

وأنا أذكر في هذا الباب من ملوك النواحي من أخذه حفظي وبلغته روايتي على شريطة الاختصار والتلخيص بحسب الطاقة والاجتهاد ان شاء الله تعالى ﴿ملوك اليمن﴾ قال ابن قتيبة وغيره أول من حيي بتحية الملوك أبيت اللعن وأنعم صباحاً يعرب بن قحطان فولد له يشجب وولد ليشجب سبأ وقيل انه اول من سبي السبي من ولد قحطان واسمه عبد شمس وقيل عامر وأول الملوك المتوجين من ولده حمير بن سبأ ملك حتى مات هرماً ولم يزل الملك في ولد حمير لا يعدو ملكهم اليمن حتى مضت قرون وصار الملك الى الحارث الرائش وبينه وبين حمير خمسة عشر أباً فخرج من اليمن وغزا وجلب الاموال فراش الناس وبذلك سمي الرائش وفي عصره مات لقمان صاحب النسور وهو لقمان الذي بعثته عاد ليستسقي لها بمكة وكان ملك الرائش مائة وخمسة وعشرين سنة وذكر نبينا صلى الله عليه وسلم وأنشد ابن قتيبة

وأحمدُ اسمهُ ياليتَ أني أعمرُ بعدَ مبعثه بعام

ثم أبرهة دو المنار بن الرائش وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة ثم أفريقس بن ابرهة وهو الذي بنى أفريقية وبه سميت وكان ملكه مائه وستين سنة ثم العبد بن ابرهة وهو دو الادعار سمي بذلك لانه سبى قوما مكرى الوجوه تزعم العرب انهم النسناس وكان ملكه خمساً وعشرين سنة ثم هدهاد بن شرحبيل بن عمرو بن الرائش وهو أبو بلقيس ملك سنة واحدة ثم بلقيس الى أن أسلمت على يدي سليمان صلى الله عليه وسلم ثم ناشر بن عمرو بن يعفر بن شرحبيل وكان ملكه خمسا وثمانين سنة ثم شمر بن أفريقس وهو الذى أخرب مدينة سمرقند وبه سميت سمركند ومعني كند اخربها وهو الذى سمي شمر يرعش لارتعاش كان به وكان ملكه مائة وسبعا وثلاثين سنة ثم ابنه الاقرن بن شمر يرعش وكان ملكه ثلاثا وخمسين سنة ثم تبع الاكبر بن الاقرن وكان ملكه مائه وثلاثا وستين سنة ثم ابنه كليكرب ولم يغز حتى مات وكان ملكه خمسا وثلاثين سنة ثم تبع بن كليكرب وهو ابو كرب تبع الاوسط وكان يغزو بالنجوم ويعمل اعماله كلها باحكامها ويقال انه آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل فيه

شهدتُ على أحمدَ أنهُ رسولٌ من الله بارى النسم
فلو مدّ عمري الى عمرهِ لكنت وزيراً لهُ وابنَ عمّ

ثم حسان بن تبع الاوسط وهو الذى غزا جديسا وقتل اليمامة التي سميت بها جو اليمامة ثم عمرو بن تبع أخو حسان وكان ملكه ثلاثا وستين سنة ثم عبد كلال بن مثوب وكان على دين عيسى يستر ايمانه وكان ملكه اربعا وسبعين سنة ثم تبع بن حسان وهو الاصغر وكان الحارث بن عمرو بن حجر جد امرئ القيس ابن أخيه وتبع هو الذى عقد الحلف بين ربيعة واليمن وهو الذى ادخل فى اليمن دين اليهود ثمانية وسبعين سنة ثم أخوه لامه مرثد بن عبد كلال وقيل مريد وكان ملكه احدى وأربعين سنة ثم ابنه ربيعة بن مرثد ملك سبعا وثلاثين سنة ثم ابرهة بن الصباح ملك ثلاثا وسبعين سنة وكان يكرم معداً ويعلم ان الملك كائن فى بنى النضر بن كنانة ثم حسان بن عمرو

ابن تبع بن كليكرب ملك سبعا وثلاثين سنة ومدحه خالد بن جعفر بن كلاب لما شفعه فى أساري من قومه ثم ذو الشناتر واسمه لخيعة ينوف ولم يكن من أهل بيت المملكة لكنه من ابناء المقاول قتله ذو نواس وكان غلاما من أبناء الملوك حسن الوجه له ذؤابتان اراده ذو الشناتر على نفسه فوجأه بخنجر كان قد اعده له فقتله ورضته حمير لنفسها لما اراحها من ذى الشناتر وذو نواس صاحب الاخدود الذى ذكره الله عز وجل وكان يهوديا فخد الاخدود لقوم من أهل نجران تنصروا على يد قيل من آل جفنة وعلى أيام ذى نواس دخلت الحبشة اليمن واقتحم البحر منهزما فغرق وكان ملكه ثمانيا وستين سنة وقام بعده ذو جدن فهزمته الحبشة فاقتحم البحر فهلك وملك اليمن ابرهة الاشرم وهو الذي رحف الى مكة بالفيل فهلك جيشه وابتلي بالاكلة فحمل الى اليمن فهلك بها وملك بعده ابنه يكسوم فساءت سيرته باليمن فاستجاش سيف بن ذى يزن كسرى فجيش له جيشا عظيما وقد مات يكسوم وولي بعده مسرق أخوه وهو أيضا أخوسف لامه فقتلته الحبشة وسبيت نساؤهم فقام سيف ملكا من قبل كسري حتي غدره خدامه من الحبشة ولم يجتمع ملك اليمن لأحد بعده ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكشفت به الظلمة واهتدت بهديه الأمة واستقر الملك فى نصابه بعد الخلفاء الاربعة من أصحابه ممن وجبت طاعته وصحت بيعته وأنا واقف عند الشبهة قائل فى هذا بما قالت به الجماعة فقد تنازع اسم أمير المومنين من لا يصلح له ولا يسلم اليه فلذلك أعرضت عن ذكر من لم اذكره ولولا ذلك لذكرت كل واحد وزمانه ومنتهى عمره الى وقتنا هذا وما توفيقى الا بالله ﴿ ملوك الشام ﴾ كانت بالشام سليح[1] وهم من غسان ويقال من قضاعة واول ملوكهم النعمان بن عمرو بن مالك ثم من بعده ابنه مالك ثم من بعد مالك ابنه عمرو الى خروج مزيقيا وهو عمرو بن عامر من اليمن في قومه من الأزد وسمي مزيقيا لانه كان يمزق كل يوم حلة لا يعود الى لباسها ثم يهبها و يسمي عامر ماء السماء لأنه كان يجيء فى المحل فينوب عن الغيث بالرفد والعطاء بن حارثة[2] العطريف بن امرئ القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول بن مازن قاتل الجوع من الازد بن الازرد ومعه رجل يقال له جذع بن سنان فنزلوا بلاد عك فقتل جذع ملك بلاد عك فافترقت الأزد والملك فيهم حينئذ

(١) بن سليح (٢) بن حارثة

ثعلبة بن عمرو بن عامر فانصرف عامله فحارب جرهم فاجلاهم عن مكة واستولوا عليها زمانا ثم أحدثوا الاحداث وجاء قصي بن كلاب فجمع معداً وبذلك سمي مجمعاً واستعان ملك الروم فاعانه وحارب الازد فغلبهم واستولى على مكة دونهم فلما رأت الأزد ضيق العيش بمكة ارتحلت وانخزعت خزاعة لولاية البيت وبذلك سميت فصار بعض الازد الى السواد فملكوا عليهم مالك بن فهم ابا جذيمة الابرش وصار قوم الى يثرب وهم الاوس والخزرج وصار قوم الى عمان وصار قوم الى الشام وفيهم جذع بن سنان فاتاه عامل الملك في خرج وجب عليه فدفع اليه سيفه رهنا فقال الرومي ادخله في كذا من أم الآخر فغضب جذع ووقعه فقتله فقيل خذ من جذع ما أعطاك وسارت مثلا وولوا الشام فكان أولهم الحارث بن عمرو محرق سمي بذلك لأنه اول من حرق العرب في ديارها وهو الحارث الاكبر ويكني أبا شمر ثم ابنه الحارث بن ابى شمر الغساني وهو الحارث الاعرج وأمه مارية ذات القرطين وهي مارية بنت ظالم بن وهب بن الحارث ابن معاوية الكندي واختها هند الهنود امرأة حجر آكل المرار الكندى والى الحارث الاعرج زحف المنذر الاكبر فانهزم جيشه وقتل ثم الحارث الاصغر بن الحارث الاكبر وهو ولد الحارث الاعرج عمرو بن الحارث وكان يقال له ابو شمر الاصغر وله يقول نابغة بني ذبيان

علىَّ لعمرٍو نعمةٌ بعدَ نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ

والنعمان بن الحارث هو أخو الحارث الاصغر وله يقول النابغة

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبلُ الخيرِ سريعُ التمام

وللنعمان هذا ثلاثة بنين عمرو وحجر والنعمان ومن ولد الاعرج أيضاً المنذر والأيهم أبو جبلة وجبلة آخر ملوك غسان كان طوله اثنى عشر شبراً وهو الذى تنصر فى أيام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ﴿ ملوك الحيرة ﴾ أولهم مالك بن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد ملك العرب بالعراق عشرين سنة ثم ابنه جذيمة بن مالك وهو الأبرش وهو الوضاح كان ملكه ستين سنة ثم عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة اللخمى ويقال ان نصراً هو الساطرون صاحب الحضر وهو جرمقاني من أهل الموصل وقيل بل هو من

أشلاق قصى بن معد بن عدنان وعمرو هذا هو ابن أخت جذيمة الأبرش وفيه قيل شب عمرو عن الطوق ثم امرؤ القيس بن عمرو بن عدي ويقال بل الحارث بن عمرو وابنه الذي يدعى محرقاً ثم النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الأكبر الذي بنى الخورنق ثم المنذر بن امرئ القيس وهو المنذر الأكبر بن ماء السماء أخو النعمان الأكبر ثم المنذر بن المنذر وهو الأصغر ثم أخوه عمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند وسمي محرقاً لأنه حرق بني تميم وقيل بل حرق نخل اليمامة ثم النعمان بن المنذر بن المنذر صاحب النابغة الذبياني وهو آخر ملوك لخم ثم ولي بعده إياس بن قبيصة الطائي ثم ابنه أشهر واضطرب ملك فارس وضعفوا وكانت ملوك الحيرة من تحت أيديهم وأتى الله عز وجل بالاسلام فعز أهله بالنبي صلى الله عليه وسلم

باب من النسبة

قال ابن دريد الابل الارحبية منسوبة الى أرحب بن همدان .. أسد جنبة وأسدجنان وهما أجمتان من العذيب على ليلة .. الرماح المرنية منسوبة الى ذي يزن الملك ويقال اليزانية .. قال ذو الرمة

أينَ الذي استودعت سوداءَ قلبهِ هوي مثل شكّ الازني النواجم

هكذا جاءت الرواية في هذا البيت .. الدروع تنسب الى فرعون .. قال رشد بن كثير

بكلّ فرعونيةٍ لونها مثلُ نصيض الغشة العاديهْ

وتنسب الى داود وسليمان وتبع ومحرق يريدون بذلك القدم وجودة الصنعة .. الكنائن الزغرية منسوبة الى زغر وهو موضع بالشام تعمل فيه كأن حمر مذهبة .. قال أبو دؤاد يصف فرساً

ككنانةِ الزّغريّ زيّـ نها من الذهبِ الدلاص

السمهري الرمح الشديد يقال اسمهرّ الامر اذا اشتد ٠٠ الأنحمية برود منسوبة الى أنحم بن ٠٠ القعضبية ضرب من الاسنة تنسب الى قعضب رجل قشيري كان يعملها وكذلك الشرعبية أيضاً ٠٠ قال الاعشى

ولدن من الخطيّ فيها أسنة ذخائر مما سنّ أبزى وشرعب

والشرعبية أيضاً من الثياب الجارية في قول امرئ القيس

وما دخلناها أضعها طهورنا الى كلّ حاريّ جديد مشطب

قال الاصمعي احتبوا بحمائل سيوفهم ٠٠ قال أبو عبيدة ما نسبت الى الحيرة سيوف قط وانما يريد الرحال كما قال الآخر

* مشدودة برحال الحيرة الجدد *

قال ابن الكلبي أول من اتخذ الرحال علاف وهو زبان بن جرم فلذلك قيل للرحال علافية وأول من عمل الحديد من العرب الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة فلذلك قيل لبني أسد القيون وقيل لكل حداد هالكي ٠٠ قال أبو عبيدة أجود السهام التي وضعتها العرب في الجاهلية سهام يلام وسهام يثرب وهما بلدان قريبان من حجر اليمامة ٠٠ وأنشد الاعشي * بسهام يثرب أم سهام يلام *

سلوق قرية باليمن واليها تنسب الكلاب والدروع ٠٠ سيف مشرفي منسوب الى مشرف وهي قرية باليمن كانت السيوف تعمل بها وليس قول من قال أنها منسوبة الى مشارف الشام أو مشارف الريف بشيء عند العلماء وان قاله بعضهم ٠٠ والسيوف الشريجية منسوبة الى شريح رجل من بني أسد ٠٠ قال محمد بن حبيب هو أحد بني معرض بن عمرو بن أسد بن خزيمة وكانوا قيونا ٠٠ الدروع الحطمية منسوبة الى حطمة بن محارب ابن عمرو بن وديعة بن لكيز بن عبد القيس بن أفصى ٠٠ وقال ابن الكلبي هي منسوبة الى حطم وهو أحد بني عمرو بن مرثد من بني قيس بن ثعلبة وقال الاصمعي لا أعلم ما تنسب اليه ٠٠ الخط جزيرة بالبحرين تنسب اليها الرماح قال الاصمعي ليست تنبت الرماح لكن سفن الرماح ترفأ الى هذا الموضع فقيل للرماح خطية ٠٠ والمسك الداري

منسوب الى دارين يعني عطاراً بالبحرين زعم ذلك أبو جعفر محمد بن حبيب البغدادي والاكثر المشهور عند العلماء أن دارين وغزة موضعان بالشام ٠٠ عصفور وداعر وشاعر وذا الكلتين فحول ابل النعمان بن المنذر ٠٠ عصافير النعمان أولاد عصفور الفحل وهو أكرم فحل للعرب فيما يزعمون ٠٠ والقسي العصفورية منسوبة الى رجل يسمى عصفوراً حكاه الجاحظ ٠٠ وأنشد لابن نشير

عطف السيات بوائع في بذلها   تعزى اذا نسبت الى عصفور

يعني قسي البندق دعا بها على حمام جاره ٠٠ ويقال للقسي أيضاً الماسخية منسوبة الى رجل من الازد واسمه ماسخة هو أول من عملها قال ٠٠ والابل العسجدية والعيدية والعمانية ابل ضربت فيها الوحوش ٠٠ والابل الشدقمية والجديلية عن غيره منسوبة الى شدقم وجديل وهما فحلان مشهوران ٠٠ الحمر الاخدرية منسوبة الى حمار يسمى أخدر وقيل هو فرس كان لبعض الملوك أطلقه أردشير بن بابك بوحش فضرب في عانة فنسبت أولاده اليه وهو أفره الحمر هكذا يزعم العرب والعادة أن يكون ما تناتج منه بغالا فأما الكداد فحمار معروف من الوحشية نتج ٠٠ قال الفرزدق

حمارهمْ من بناتِ الكدادِ   يدهمجُ بالوطبِ والمِرودِ

والبغال يزعمون أن قارون أول من أنتجها فهي تنسب اليه وقيل بل أنتجها قبله أفريدون

باب العتاق من الخيل ومذكوراتها

وأول ما اذكر منها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم مرا كه جريا على العادة في التبرك باسمه ٠٠ فمنها السكب وهو فرسه يوم أحد حكاه ابن قتيبة ومنها المرتجز وكان له فرس يقال له لزاز وفرس يقال له الضرب وفرس يقال له اللحيف وفرس يقال له الورد وزاد غير ابن قتيبة فرساً يقال له سبحة وكانت بغلته يقال لها دلدل وكان حماره يقال له يعفور وكانت ركائبه القصوى والجدعاء والعضباء وهذه خيل العرب ٠٠ قال بن قتيبة عن

أبي عبيدة الغراب والوجيه ولاحق ومذهب ومكتوم كانت كلها لغني ٠٠ وقال أحمد بن سعد الكاتب كان أعوج اولا لكندة ثم اخذته سليم ثم صار لبني عامر ثم لبني هلال قال ابن حبيب ركب رطبا فاعوجت قوائمه وكان من أجود خيل العرب وأمه سبل كانت لغني وام سبل الشامة كانت لجعدة ولهم أيضا الفياض قال ابن سعد والوجيه ولاحق لبني أسعد قبل وحلاب لبني تغلب الصريح لبني نهشل وزعم غيره انه كان لآل المنذر حلوى لبني ثعلب بن يربوع وذو العقال لبني رياح بن يربوع وهو أبو داحس وكان داحس والغبراء لبني زهير وهي خالة داحس وأخته من أبيه ذي العقال قرزل والخطار والحنفاء لحذيفة بن بدر وهي أخت داحس من أبيه وأمه قرزل آخر للطفيل ابن مالك حذفة لخالد بن جعفر بن كلاب وحذفة أيضا لصخر بن عمرو والشريد الشقراء لزهير بن جذيمة العبسي الزعفران لبسطام بن قيس الوديقة ونصاب وذو الخمار لمالك ابن نويرة الشقراء أخرى لأسد بن خاثة السابطي النتيط لأنيف بن جبلة الضبي الورد لعامر بن الطفيل الكلب والمزنوق والورد له أيضا الحنتي فرس لعمرو بن عمرو بن عدس الهداج فرس الريب بن شريق السعدي وجرة فرس يزيد بن سنان المري فارس غطفان والنعامة للحارث بن عباد ابن النعامة لعنترة النحام فرس السليك بن السلكة السعدي العصا فرس جذيمة بن مالك الازدي الهراوة لعبد القيس بن أفصى اليحموم فرس النعمان بن المنذر وكامل فرس زيد الخيل الورد فرس الحوفزان وهو أبو الزعفران فرس بسطام والحمالة فرس الكلحبة اليربوعي انتهى كلام أحمد بن سعد ٠٠ وعن ابن دريد القطيب فرس كان للعرب وكذلك البطين واللعاب والعصاة فرس جرى بن ضمرة النهشلي والمدعاس فرس النواس بن عامر المجاشعي صهباء فرس النمر بن تولب حافل فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار في قوله

كميت عصاة السراة نمى بها   الى نسب الخيل الصريح وحافل

المسحدي لبني أسد والشموس فرس زيد بن حذاق العبدي والصيعب لبني ثعلب هراوة الغراب فرس الريان بن حويص العنبري يقال انها جاءت سابقة طول أربع عشرة سنة فتصدق بها على الغراب يتكسبون عليها في السباق والغارات والحرون فرس تنسب اليه

الخمل وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلى والزلمفرسمشهور وهو من نسل الحرون وماهب فرس تنسب اليه الخيل أيضاً .. قال الشمردل

لأخــل ثـلاثة سمـا ماهبا والصف والحرونا

والعلهانفرس أبى مليك عبد الله بن الحارث اليربوعي .. ومن أقدم الخيل زاد الراكب وهبه سليمان عليه السلام لقوم من الازد كانوا أصهاره وكان اسماعيل عليه السلام أول من ذلل الخيل وركبها وكانت قبل من سائر الوحوش

باب من المعاني المحدثة

قال أبو الفتح عثمان بن جني المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ والذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لأن المعانى انما اتسعت لاتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام في أقطار الارض فمصروا الامصار وحضروا الحواضر وتأنقوا في المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان عاقبة ما دلتهم عليه بداهة العقول من فضل التشبيه وغيره وانما خصصت التشبيه لانه أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى وكل يصف الشيء بمقدار ما فى نفسه من ضعف أو قوة أو عجز أو قدرة وصفة الانسان ما رأى يكون لاشك أصوب من صفته مالم ير وتشبيهه ما عاين بما عاين أفضل من تشبيهه ما أبصر بما لم يبصر ومن هنا يحكي عن ابن الرومى أن لائماً لامه فقال لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت أشعر منه قال أنشدنى شيئاً من قوله الذى استعجزتنى فى مثله .. فأنشده في صفة الهلال

فانظر اليه كزورقٍ من فضةٍ قد أثقلتْهُ حمولة من عنبرِ

.. فقال زدنى فأنشده

كأنّ آذريونَها والشمسُ فيه كاليه

مداهنُ من ذهبٍ فيها بقايا غاليه

فصاح واغوثاه بالله لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ذلك انما نصف ماعون بيته لأنه ابن الخلفاء وأنا أى شئ أصف ولكن انظروا اذا وصفت ماأعرف أين يقع الناس كلهم مني هل قال أحد قط أملح من قولي في قوس الغمام

وقد نشرت أيدي السحاب مطارفاً على الارض دكنا وهي خضر على الارض
يطرزها قوس الغمام بأصفر على أحمرٍ في أخضر وسط أبيض
كأذيال خودٍ أقبلت في غلائلٍ مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقولي في قصيدة في صفة الرقاقة

ما أنسَ لا أنسَ خبازاً مررت به يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرةً وبين رؤيتها زهراء كالقمر
إلا بمقدار ما تنداح دائرةٌ في صفحة الماء يرمي فيه بالحجر

وهذا كلام ان صح عن ابن الرومي فلا أظن ذلك أمراً لزمه فيه الدرك لأن جميع ما أراه ابن المعتز أبوه وجده في ديارهم كما ذكر أن ذلك علة للاجادة وعذراً فقد رآه ابن الرومي هنالك أيضاً اللهم الا أن يريد ان ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالباً به الرزق أمدح هذا مرة وأهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة وأستعطف هذا طوراً ولا يمكن أن نقع أيضاً عندي تحت هذا وفي شعره أيضاً من مليح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تبلغ وان لم يكن التشبيه غالباً عليه كابن المعتز ولم أدل بهذا البسط كله على أن العرب خلت من المعاني جملة ولا انها أفسدتها لكن دللت على أنها قليلة في أشعارها تكاد تحصر لو حاول ذلك محاول وهي كثيرة في أشعار هؤلاء وان كان الاولون قد نهجوا الطريق ونصبوا الاعلام للمتأخرين وان قال قائل ما بالكم معشر المتأخرين كلما تمادى بكم الزمان قلَّت في أيديكم المعاني وضاق بكم المضطرب قلنا أما المعاني فما قلّت غير ان العلوم والآلات ضعفت وليس يدفع أحد أن الزمان كل يوم في نقص وأن الدنيا على آخرها

ولم يبق من العلم الاَّ رمقه معلقاً بالقدرة ما يمسكها الاَّ الذي يمسك السماء أن تقع على الارض الا باذنه واذا تأملت هذا تبين لك ما في أشعار الصدر الاول الاسلاميين من الزيادات على معاني القدماء والمخضرمين ثم ما في أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها للقدماء الا في الندرة القليلة والفلتة المفردة ثم اتى بشار بن برد وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا اسلامي والمعاني أبداً تتردد وتتولد والكلام يفتح بعضه بعضاً وكان ابن الرومي صيباً بالمعاني حريصاً عليها يأخذ المعنى الواحد ويولده فلا يزال يقلبه ظهراً لبطن ويصرفه في كل وجه والى كل ناحية حتى يميته ويعلم أنه لا مطمع فيه لاحد ثم نجد من بعده لا ينتهيه في الشعر بل لا يعشره قد أخذ المعنى بعينه فولد فيه زيادة ووجه له وجهة حسنة لا يشك المصير بالصناعة أن ابن الرومي مع شرهه لم يتركها عن قدرة ولكن لا انسان مبني على النقصان وسأورد عليك من معاني المتقدمين وأنظرها بأمثالها من أقوال المولدين لا أعدوها لتبيين البرهان هذا على أبي دممت الى المحدثين أنفسهم في أماكن من هذا الكتاب وكشفت لهم عوارهم وعبت لهم اشعارهم ليس هذا جهلا بالحق ولا ميلا في تنيات الطرق لكن غضبا من الجاهل المتعاطي والمتحامل الجافي الذي اذا أعطي حقه تعاطى فوقه وادعي على الناس الحسد وقال انا ولا أحد والى كم أعيش لكم وأي علم بين جنبي لو وجدت له مستودعاً فاذا عورض في شعره بسؤال عن معنى فاسد أو متهم أو طولب بحجة في لحنة أو شاذا وبوظر في كلمة من ألفاظ العرب مصحفة أو نادرة قال هكذا أعرف وكأنما أعطي جوامع الكلم حاشَ لله وأستغفرُ الله بلى هو العمي لا كبر والموت الاصغر وبأي امام يرضى أو الي أي كتاب يرجع وعنده أن الناس أجمعين نصفة منه بل فضلة عنه فهو كما قال حماد عجرد في يونس بن فروة

أما ابنُ فروةَ يونسٌ فكأنه ... من كبرهِ أيرُ الحمارِ القائمُ

ماالناس عندكَ غيرنفسكَ وحدها ... والناسُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ

وأين من ذكر من بشار بن برد حين قيل له بم فقت أهل عصرك وسبقت أبناء عصرك في حسن معاني الشعر وتهذيب ألفاظه قال لاني لم أقبل كلما تورده عليَّ قريحتي ويناجيني

به طبعي و بعث فكري ونظرت الى معارس الفطن ومعادن الحقائق ولطائف التشبيهات فسرت اليها بفكر حيد وعزيرة قوية فأحكمت سبرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها واحترزت عن متكلفها ولا والله ماملك قادي الاعجاب بشيء مما آتي به وكم في بلدنا هذا من الحمقات قد صاروا ثعالبين ومن هذا البغاث قد صاروا شواهين ـ إن البغاث بأرضنا يستنسر ـ ولولا أن يعرفوا بعد اليوم فتحاشد ذكرهم في هذا الكتاب ويدخلوا في جملة من بعد حظه ولحصى رالله لذكرت من لحن كل واحد منهم وتصحيفه وفساد معانيه وركاكة لفظه ما يدلك على مرتبته من هذه الصناعة التي ادعوها باطلا وانتسبوا اليها انتحالا وقد بلغني أن بعض من لايتورع عن كذب ولا يستحيي من فضيحة زعم أني أخذت عنه مسائل من هذا الكتاب لو سئل عنها الآن ما علمها والامتحان يقطع الدعوى .. كما قال بعض الشعراء

من يحلي بغير ما هو فيه فضحَ الامتحانُ ما يدعيه

وكنت عنياً عن تهجين هذا الكتاب بالاشارة الى من أشرت اليه أنفاً من ذكره وعزوفاً بهمتي عن الانحطاط الي مساواته ولكن رأيت السكوت عنه عجزاً وتقصيراً .. كما قال أبو تمام

تركُ اللئيمِ ولم يمزقْ عرضه نقصٌ على الرجلِ الكريمِ وعارُ

وكما قال أبو الطيب وقداستحق المعنى عليه

اذا أتتِ الاساءةُ من وضيعٍ ولم ألُمِ المسيءَ فمن ألومُ

ثم أعود الى التطير فأطرح عن المحدث المولد ما كان من حسن تشبيه النعامة للطرماح وصفة الثور الوحشي له أيضاً وصفة مغارز ريش النعامة اذا أمرط للشماخ ومثل بيت العنكبوت فيما يمتد من لغام الناقة تحت لحييها في شعر الحطيئة وتشبيه الذباب بالاجذم ولحيي الغراب بالجلم لعنترة واشباه هذا مما انفردت به الاعراب والبادية كمادتها كانفرادها بصفات البيران والفلوات الموحشة وورود مياهها الآجنة وتعسف طرقاتها المجهولة الى غير ذلك مما لايعرف عياناً اذ كان المحدث غير مأخوذ به ولا محمول عليه ألا ترى الي

أبى نواس وهو مقدم في المحدثين لما وصف الأسد وليس من معارفه ولعله ماشاهده قط الامره في العمر ان كان شاهده دخل عليه الوهم فجعل عينيه نادرة وشبههما بعيون المخنوق وقام عنده أن هذا أشنع وأشبه بشهامة وجه الاسد وذهب عنه من صفة أبى زبيد وغيره لعوذور عينيه لما هو أعلم به ممن أخذ عنه وأكثر طي والله أعلم أن أبا نواس انما رجع بالصفة الى الرجل المشبه بالاسد وجعل ازورار عينيه و بروز حمسه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب وكذلك لما تعاطى الاعرابى أبو حيلة[1] مالا يعرف قال

* ولم يذق من البقول الفستقا *

فجعله بقلا على مافي نفسه من لعاع البقل على ان المحدثين قد شاركوا القدماء في كل ما ذكرته أيضاً الا ان اولئك أولى به واحق بالتقدمة فيه كما خالطوهم في صفات النجوم ومواقعها والسحب وما فيها من البروق والرعود والغيث وما ينبت عنه وبكاء الحمام وكثير مما لا يتسع له هذا الباب ولكني افرد له كتابا قائما بنفسه أذكر فيه ما انفرد به المحدثون وما شاركهم فيه المقدمون وآتي هاهنا من هذين النوعين ما تدخله المفتقر الى سماعه من المحدثين .. قال النابغة يذكر طول ليله

كليني لهمٍ يا أميمةَ ناصبِ وليل اقاسيه بطيءِ الكواكب

تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ وليس الذى يرعى النجومَ بآيب

وقال أبو الطيب فى ورده وزوره

اعيدوا صباحي فهو عندَ الكواعبِ وردوا رقادي فهو لحظ الحبائب

فان نهاري ليلةٌ مدلهمةٌ على مقلةٍ من فقدكم في غياهب

فانت ترى مافيه من الزيادة وحسن المقصد على أن بيتي النابغة عندهم في غاية الجودة .. وقال يزيد بن الطثرية حين حلق أخوه ثور جمته

فاصبح رأسي كالصخيرة أشرفت عليها عقابٌ ثم طارت عقابها

وهذا البيت من أفضل الاوصاف وأحسنها بياناً عند قدامة وغيره وقال بعض المتأخرين

(١) ن ابو نخيله

وأحسن الريادي في غلام حلقت وفرته

حلقوا رأسهُ ليكسوهُ قبحاً عيرةً منهمُ عليهِ وشحا
كان صبحاً عليه ليلٌ بهيم فمحوا ليله وابقوهُ صبحا

وقال رؤبة بن العجاج

امستْ شواتي كالصفاة صمصما فصارَ رأسي جبهةً الى القفا

فقال ابن الرومي واحسن ماشاء

يحدُ بُ من نقرته طرةً الى مدى يقصر عن نيله
فوجههُ يأخذُ من رأسهِ اخذَ نهارِ الصيفِ من ليلهِ

ولو تتبعت هذا لاطلت في غيرموضع الاطالة ٠٠ فاما ما تفرد به المحدثون فمثل قول بشار

يا قوم اذني لبعض الحيِّ عاشقةٌ والاذنُ تعشقُ قبلَ العين أحياناً
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلتُ لهم الاذنُ كالعينِ توفي القلب ما كانا

وكرره فقال

قالت عقيلُ بن كعبٍ اذ تعلقها قلبي وأمسى بهِ من حبها أثرُ
أنيّ ولم ترها تهذي فقلتُ لهم انالفوادَ يرىمالا يرىَ البصرُ

وقوله أيضاً

وكيفَ تناسى من كأنّ حديثهُ باذني وانْ غيبتُ قرطٌ معلقُ

واختراعاته كثيرة واشتهاره بذلك يغني عن الانشاد له ٠٠ وكقول ابي نواس وقد ذكر المبرد أنه لم يسبق اليه وهو

أيها الرائحــانِ باللومِ لوما لا أذوقُ المدامَ الاشميما
نالني بالملامِ فيهــا إمامٌ لا أرى لي خلافهُ مستقيما
فاصرفاها الى سوايَ فانيّ لستُ الا على الحديث نديما
كبر حظي منها اذا هيَ دارتْ ان اراها او أن أشم النسيما

فكأني وما أزين منها قعدي يزين التحكيما

كل عن حمله السلاح الى الحرب فاوصي المطيق ان لا يقيما

- القعدة - فرقة من الخوارج ترى الخروج وتأمر به وتقعد عنه .. وقوله أيضا

ربيا على كسرى سماء مدامة مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردّ في كسرى بن ساسان روحه اذاً لاصطفاني دون كل نديم

وهذا المعنى أيضا لم يتناوله أحد قبله .. وكذلك قوله

قد قلتُ للعباس معتذراً من ضعف شكريه ومعترفا

أنت امرؤٌ حلّلتني نعماً اوهتْ قوى شكري فقد ضعفا

فاليكَ مني اليومَ تقدمةٌ تلقاكَ بالتصريح منكشفا

لا تسدين اليّ عارفةً حتى أقومَ بشكر ما سلفا

وقال أيضا في صفة النساء الحمرات ويروى لابن المعتز

وتحتَ زنابيرِ شددنَ عقودها زنابيرُ أعكانِ معاقدها السررْ

وهذا تشبيه ما علمت انه سبق اليه .. وقال أيضا

لستُ أدري أطال ليليَ أم لا كيف يدري بذاكَ من يتقلى

لو تفرغتُ لاستطالة ليلي ولرعي النجوم كنت مخلا

ومعاني أبي نواس واختراعاته كثيرة .. وأكثر المولدين معاني وتوليدا فيما ذكره العلماء أبو تمام غير ان القاسم بن مهرويه قد زعم ان جميع ما لابي تمام من المعاني ثلاثة أحدها قوله

واذا أراد الله نشرَ فضيلةٍ طويتْ اتاحَ لها لسانَ حسودِ

لولا اشتعالُ النار فيما جاورت ما كان يعرف طيبُ عرفِ العودِ

والثاني قوله

بني مالكٍ قد نبهت خاملَ الثرى قبور لكم مستشرفاتُ المعالم

عوامض قد الكمن من متناول ... وفيها علا لا يرتقي بالسلالم

والثالث قوله

يأبى على التصريد الا نائلاً ... ان لم يكن محضاً قراحاً يمذق

نزراً كما استكرهت عائر نفحة ... من فارة المسك التي لم تفتق

وأنا أقول ان اكثر الشعراء اخترعا ابن الرومي وسأتي برهان ذلك في الكتاب الذي شرطت تأليفه ان شاء الله سبحانه .. ولا ندفعها من بعد نسيرة أشغل بها الموضع

منها قوله

عينى لعينك حين تنظر مقتل ... لكن لحظك سهم حتف مرسل

ومن العجائب ان معنى واحداً ... هو منك سهم وهو منى مقتل

وقوله فى عتاب

تودّدت حتي لم أدع متودّدا ... وافنيت أقلامى عتاباً مرددا

كانى استدعي لك ابن حنية ... اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وقوله فى أبيات يتغزل فيها وان كان قد كرر المعنى

نظرت فاقصدت الفؤاد بلحظها ... ثم انثنت عنه فظلّ يهيم

فالموت إن نظرت وان هى أعرضت ... وقع السهام ونزعهن اليم

وقوله ولم أسمع أحسن منه في معناه

وما يعتريها آفة بشرية ... من النوم الا أنها تتحتر

وغير عجيب طيب أنفاس روضة ... منورة باتت تراح وتمطر

كذلك انفاس الرياض بسحرة ... تطيب وأنفاس الورى تتغير

باب في أغاليط الشعراء والرواة

ولا بد أن ننبه على الشاعر المفلق والعالم المتقن لما بني عليه الانسان من النقص والتقصير وخير ما في ذلك أن يرجع المرء الى الحق اذا سمعه ولا يتمادي على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ فان تماديه زيادة في الخطأ لذي أنف منه أخبرنا أبو عبد الله محمد بن جعفر النحوي عن أبي عليّ الآمدي عن عليّ بن سليمان الأخفش عن محمد ابن يزيد المبرد قال تلاحي مسلم بن الوليد وأبونواس فقال ماأعلم بيتاً لك يخلو عن سقط فقال أبو نواس اذ كر شيئاً من ذلك فقال بل أنشد أنت أي بيت شئت فأنشد أبونواس

ذكرَ الصبوحَ بسحرة فارتاحا وأملهُ ديكُ الصباح صياحا

فقال مسلم قف عند هذا لم أمله ديك الصباح وهو يبشره بالصبوح وهو الذي يرتاح اليه فقال أبو نواس فأنشدني أنت فأنشده

عاصي الشباب فراحَ غيرَ مفنَّدِ وأقامَ بين عزيمة وتجلدِ

فقال أبو نواس ناقضت ذكرت أنه راح والرواح لايكون الا بالانتقال من مكان الى مكان ثم قلت وأقام فجعلته منتقلاً مقيماً في حال وهذا متناقض .. قال أبوالعباس وكلا البيتين صحيح ولكن من طلب عيباً وجده ومن طلب له مخرجاً لم يفته .. قال الاصمعي وأخطأ زهير في قوله ـ كأحمر عاد ـ ولا أدري لم خطأه وقد سمع قول الله عزوجل ﴿وانه أهلك عاداً الأولى﴾ فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى وهي هلكت بالنمل من ولد قحطان .. قال قيس بن سعد بن عادة

* سراويل عادي نمته ثمود *

وكان يقال لثمود عاد الصغرى .. وخطأ الشماخ في وصف ناقته

* رخي خبورها كرحى الطحين *

ظنه نصفها بالكبر وهو عيب لا محالة وانما وصفها بالصلابة لاغيره .. وأخذ ابن بشر الآمدي على البحتري قوله

هجرتنا يقظى وكادتْ على مذهبها في الصدود تهجرونسا

قال هذا غلط لان حالها يتمثل له في كل أحوالها يقظى كانت أو وسنى أو ميتة والجيد قوله

أردُّ دونكِ يقظاناً ويأذنُ لي عليكِ سكرُ الكرى ان جئت وسنانا

وأنا أقول ان مراده انها لشدة هجرها له ونحوّها عليه لا تراه في المنام الا مهجوراً ولا تراه جملة فالمعنى حينئذ صحيح لا فساد فيه ولا غلط ولعل الرواية وكادت هذا موجود في كلام الناس اليوم ومثله يقولون فلان لا ترى لي مناماً صالحاً وليس بين بيتي البحتري تناسب من جهة المعنى جملة واحدة لانه أولا يحكي عنها وثانياً يحكي عن نفسه على إن في اللفظ اشتراكاً ظاهراً .. وفي كتاب عبد الكريم من المأخوذ على أبي تمام قوله

مها الوحشِ الاّ أنَّ هاتى أوانسٌ قنا الخطِّ الاّ أنَّ تلكَ ذوابلُ

قال فيه غلط من أجل أن نفي عن النساء لين القنا وانما قيل للرماح ذوابل للينها وتثنيها فنفى ذلك أبو تمام عن قدود النساء التي من أكمل أوصافها اللين والتثني والانعطاف قلت أنا أما أبو تمام فقوله الصواب لانهم يقولون رمح ذابل اذا كان شديد الكعوب صلباً وهو الذي تعرف العرب ومنه قولهم ذبلت شفتاه اذا يبستا من الكرب أو العطش أو نحوهما فأما كلام المعترض فغير معروف الا عند المولدين فانهم يقولون نورة ذابلة وليسوا بقدوة على أن كلامهم راجع الى ما قلناه انما ذلك لقلة المائية وابتداء اليبس وانما نقل عبد الكريم كلام ابن بشر الآمدى .. قال الاصمعي قرأت على أبي محرز خلف بن حيان الأحمر شعر جرير فلما بلغت الى قوله

وليلٍ كابهام الحبارى محبَّبٍ اليَّ هواه غالبٍ لى باطلهْ
رزقنا به الصيد الغريرَ ولم نكن كمنْ نبلهُ محرومةٌ وحبائلهْ
فيالكَ يوماً خيرهُ قبلَ شرِّه تغيبَ واشيهِ وأقصر عاذله

قال خلف ويحه ما ينفعه خير يؤول الى شر فقلت هكذا قرأته على أبي عمرو بن العلاء قال صدقت وكذا قال جرير وكان قليل التنقيح لألفاظه وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع قلت فكيف يجب أن يكون قال الأجود أن يكون خيره دون شره فاروه

كذلك وقد كانت الرواة قديماً تصلح أشعار الاوائل فقلت والله لا أرويه الا كذا .. قال أبا أما هذا الاصلاح فمليح الظاهر غير أنه خلاف الظاهر وذلك أن الشاعر أراد انه كان لله في وصال ثم فارق حبيبه نهاراً وذلك هو الشر الذي ذكر والراوية جعله لم يفارق فغير عليه المعنى الا أن تكون الرواية ـ ويوم كابهام الحبارى ـ فحينئذ .. على أن دون يحتمل ما قصد ويحتمل معنى قبل فهي لفظة مشتركة وتكون أيضاً بمعنى بعد لانها من الاضداد ولكن في غير هذا الموضع .. وخطأ الاصمعي شامة بن الغدير في قوله يصف راحلته

وصدرٍ لها مهيع كالخليف تخالُ بأنَّ عليه شليلا

لان من صفة النجائب قلة الوبر .. وخطأ أيضاً كعب بن زهير في قوله يصف راحلته

* فعمٌ مقيدُها ضخمٌ مقلدُها *

لان النجائب دقيقات المذابح .. ونبه أبو الفضل بن العميد على البحتري في بيت كسره .. وهو قوله

ولمـا ذا تتبع النفسُ شـيئاً جعلَ الله الفردوسَ منه جزاءْ

قال ينشده * جعلَ اللهُ الخلدَ منه جزاء * ليستقيم حكي ذلك الصاحب بن عباد .. وأنشد له أيضاً

أنا غالب بالجود تذكروا حـيي اذا ما عـيَّ الباخلين نسيبِهِ

وزعم أنه لحن ولست أرى به بأساً هذا الشاعر أسكن الياء لما يقتضيه بناء القافية وإذا أسكن الياء وما قبلها مكسور لم تكن الهاء الا مكسورة اتباعاً لما قبلها لاسيما وهي طرف وقد جاء مثل هذا في وسط الكلمة .. وقال رؤبة

* كأن أيديهنَّ بالقاع القرق *

ولم يقل أيديهنَّ بالضم استثقالاً وأيضا فكأنه أعيى البحتري نوى الوقوف ثم جر القافية كعادتهم في تحريك الساكن أبداً الى الجر .. وأنشد الصاحب بن عباد قال أنشدني عليّ بن المنجم قال أنشدني أبو الغوث لأبيه

وأحقُّ الأيام بالاسن أن يؤثر فيه يوم المهرجان الكبير

وأنا أقول إن أبا الغوث جاء من قبله الخذلان في هذه الرواية فويل للآباء من أبناء السوء ودع المثل القديم ولا أظن البحتري قال إلا

وأحقُّ الايامِ بالاسنِ أن يؤثره يومُ المهرجانِ الكبير

وأخذ الاحمر على المفضل روايته في قول امرئ القيس

* نمس باعراف الجياد أكفنا *

وما هو الا نمش أي نمسح والمشوش المنديل .. وكذلك قول المفضل

واذا ألمَّ خيالها طرقتْ عيني فماءُ شئونها سجمُ

وانما هو طرفت بالفاء .. وأخذ عليه الاصمعي في قول أوس

* نصبت بالماء تولبا جدعا *

وانما هو جدعا بدال مكسورة غير معجمة ولأمرٍ ما قال ذو الرمة لموسى بن عمرو أكتب شعري فالكتاب أعجب الي من الحفظ لان الاعرابي ينسي الكلمة قد تعب في طلبها ليله فيضع في موضعها كلمة في وزنها ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدِّل كلاما بكلام .. قال الاخطل أخطأ الفرزدق حيث قال

أبني غدانة انني حررتكم فوهبتكم لعطيــة بن جعال

لولا عطيةُ لاجتدعتُ أنوفكم من بين ألأمِ أوجه وسبالِ

كيف يكون وهب له وهو يهجوهم هذا الهجاء فانبرى له فتى من بني تميم فقال وأنت الذي قلت في سويد بن منجوف

فما جذع سوءٍ خرَّقَ السوسُ بطنه لمــا حملتــهُ وائــلٌ بمطيــقِ

أردت هجاءه فزعمت أن وائلا تعصب به الحاجات وقدر سويد لا يبلغ ذلك عندهم فأعطيته الكثير ومنعته القليل وأردت أن تهجو حاتم بن النعمان الباهلي وان تصغر شأنه وتضع من قدره فقلت

وسوَّد حاتماً أن ليس فيها اذا ما أوقدَ النيران نارُ

فأعطيته السؤدد من قيس الجريرة ومنعته مالا يصر منه وأردت أن نمدح سماكا الاسدي فقلت

نعمَ المجيرُ سماكٌ من بني أسد ... بالطف اذ قتلتْ جيرانها مضرُ
قد كنتُ أحسبهُ قينا فأنبؤه ... فالآن طير عن أثوابه الشررُ

فانصرف الاخطل خجلاء ٠ قال الحسن لعليّ بن زيد أرأيت قول الشاعر

لولا جريرٌ هلكتْ بجيله ... نعم الفتى وبئست القبيله

مدحه أم هجاه قال مدحه وهجا قومه فقال الحسن مامدح من هجي قومه ٠٠ وقال من اعتذر للنابغة في قوله

فانك كالليلِ الذي هو مدركي ... وان خلتُ أن المنتأى عنك واسع

انما قدم الليل في كلامه لانه أهول ولأنه أول ولان أكثر أعمالهم انما كانت فيه لشدة حر بلادهم فصار ذلك عندهم متعارفاً ٠٠ وكذلك اعتذروا لزهير بصف الضفادع

يخرجنَ من شربات ماؤها طَحلٌ ... على الجذوع يخفنَ الغمَّ والغرقا

فقال ولم يرد أنهـا تخاف الغرق على الحقيقة ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء فكأنه مبالغة في التشبيه كما قال الله عز وجل ﴿ وانْ كانَ مَكرُهمْ لتزولَ منه الجبال ﴾ وقال ﴿ وبلغتِ القلوبُ الحناجرَ ﴾ والقول فيهما محمول على كاد هكذا ذكر الحذاق من المفسرين مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا يقربهـا دابة خوفاً على نفسها من المهالك فكأنه أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات وانما اقتدى فيه بقول أوس بن حجر

فما كُنَّ حوبا للعلاجيمِ فوقهُ ... مجالسُ غرقى لا يحلأُ ناهله

وعد القاضي الجرجاني من غلط أبي نواس في الوزن قوله

رأيتُ كلَّ من كان أحمقاً معتـوها ... في ذا الزمانِ صار المقدّم الوجيها
ياربَّ نذلٍ وضيعٍ نوهته تنوهيا ... هجوتهُ لكيما أزيدَه تشويهـا

ولم يقل أبو نواس فيما علمت إلا رب وضيع نذل وهذا أفرط في التعصب والحمية على أبي

بواس وعيره لمن لا يجري في حلبهم ولا يشق غبارهم

باب ذكر منازل القمر

ولما رأيت العرب وهم أعلم الناس بهذه المنازل وأنوائها لانها سقف دونهم وسبب معايشهم وانتجاعهم غلطوا فيها فقال أحدهم من الانجم العزلُ والرامحة .. وقال امرؤ القيس * اذا ما الثريا في السماء تعرضت *
فأتى بتعرض الجوزاء ورأيت كل من عني بالنجوم من المحدثين واستوفى جميع المنازل مخطئاً لا شك في خلافه لانه انما يصف نجوم ليلة سهرها والنجوم كلها لا تظهر في ليلة واحدة ولذلك قلت انا احتياطاً في ذلك الليل من نسيب قصيدة مدحت بها السيد أبا الحسن أدام الله عزه

قد طال حتى خلتهُ من كل ناحيةٍ وسطْ
وتنكرت فيه المنا زلُ منه لا من الغلط

وجب أن أذكر هذه المنازل وانواءها واختلاف الناس فيها وعولت في ذلك على ما ذكره أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي مجتهداً فيما استطعت من البيان والاختصار ان شاء الله تعالى ﴿ السنة ﴾ أربعة أجزاء لكل جزء منها سبعة أنواء لكل نوء ثلاثة عشر يوماً الانوء الجبهة فانه أربعة عشر يوماً زيد فيه يوم لتكمل السنة ثلاثمائة وخمسة وستين يوما وهو المقدار الذي تقطع الشمس فيه بروج الفلك الاثنى عشر لكل برج منزلتان وثلث منزلة وكلما نزلت الشمس منزلة من هذه المنازل سترته لانها تستر ثلاثين درجة خمسة عشر من خلفها ومثلها من أمامها فاذا انتقلت عنها ظهرت .. هكذا قال الزجاجي واذا اتفق أن تطلع منزلة من هذه المنازل بالغداة وتغرب رقيبه فذلك النوء لا يتفق لكل منزلة الا مرة واحدة في السنة وهو مأخوذ من ناء ينوء اذا نهض متثاقلا والعرب تجعل النوء للغارب لانه ينهض للغروب متثاقلا وعلى ذلك أكثر أشعارها

وتفسير بعض العلماء في قوله تعالى ﴿ ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة ﴾ أي تميل بهم الى الارض وهذا التفسير أوجه من قول من جعل الكلمة من المقلوب قال وبعضهم يجعله للطالع وهذا هو مذهب المنجمين لان الطالع له التأثير والقوة والغارب ساقط لا قوة له ولا تأثير .. قال المبرد النوء على الحقيقة للطالع من الكوكبين لا الغارب وهذه المنازل كلها يطلع بها الفلك من المشرق ويغرب في المغرب كل يوم مائة وثلاث دورة من دوراته ﴿ الربع الاول ﴾ من السنة وابتداؤه من سبعة عشر يوما من آذار وبعضهم يجعله في عشرين يوما منه فيستوي حينئذ الليل والنهار منه ويطلع مع الغداة فرع الدلو الأسفل وهو المؤخر ويسقط العوّاء والنها ينسب النوء وهي تمد وتقصر وصفتها خمسة كواكب كأنها الف معطوفة الذنب الى اليسار وبذلك سميت وتقول العرب عويتُ الشيء اذا عطفته وقال آخرون بل هي كأنها خمسة كلب تعوي خلف الاسد قال ابن دريد هي دبر الاسد والعواء في كلامهم الدبر ﴿ النوء الثاني ﴾ السماك وهما سماكان أحدهما السماك الاعزل نجم وقد شبهوه بالاعزل من الرجال وهو الذي لا سلاح معه وهو منزل القمر والآخر كوكب تقدمه آخر شبهوه بالرمح وهما ساقا الاسد وسمى سماكا لعلوه ولا يقال لغيره اذا علا سماك هكذا قال سيبويه مما حكى الزجاجي عن أبي اسحاق الزجاج غير انه قال في الاعزل وقيل انما سمي أعزل لأن القمر لا ينزل به وأنا أقول القول الآخر خلاف ما عليه جميع الناس ورؤية العين تدركه على غيره نوء الرامح ﴿ النوء الثالث ﴾ الغفر وهو ثلاثة كواكب غير زهر وبذلك سميت من قولك غفرت الشيء اذا غطيته ومنه سميت الغفارة التي للنساء وقيل انما سمي غفراً من الغفرة وهي الشعر الذي في طرف ذنب الأسد وقال أبو عبيدة الغفر كل شعر صغير دون الكثير وكذلك هو في الريش وقال قوم هو من النكس في المرض يقال غفر المريض اذا نكس كان النكس غطاء العافية ﴿ النوء الرابع ﴾ الزبانان كوكبان مفترقان وهما قرنا العقرب وقيل يداها وسميا زبانين لبعد كل واحد منهما عن صاحبه من قولهم زبنت كذا اذا دفعته لتبعده عن نفسك ومنه اشتقاق الزبانية لأنهم يدفعون أهل النار اليها ﴿ النوء الخامس ﴾ الاكليل ثلاثة كواكب على رأس العقرب وبذلك سميت اكليلا ﴿ النوء السادس ﴾ القلب كوكب أحمر وقد جعلوه للعقرب قلبا على معنى التشبيه

﴿النوء السابع﴾ الشولة كوكبان أحدهما أخفى من الآخر وهما ذنب العقرب وذنب العقرب شائل أبداً فشبه به هذا قول بعضهم وبعضهم يحمل الشولة الإبرة التي في ذنب العقرب وهم أهل الحجاز وهو أصح على مذهب من زعم أنهما كوكبان فقط ﴿الربع الثاني﴾ الصيف أول أنوائه ﴿النعائم﴾ وهي ثمانية كواكب نيرة أربعة منها في المجرة تسمى الواردة وأربعة خارجة منها تسمى الصادرة وشبهت بالخشبات التي تكون على البئر يعلق بها البكرة والدلاء ﴿الثاني﴾ من الصيف البلدة وهي فرجة لطيفة لاشيء فيها لكن يحاورها كواكب تسمي القلادة وانما قيل لتلك الفرجة البلدة تشبيها بالفرجة التي بين الحاجبين اذا لم يكونا مقرونين يقال منه رجل أبلد ويقال بل شبهت بالبلدة وهي باطن الراحة كلها وقيل باطن ما بين السبابة والابهام ﴿الثالث﴾ منه سعد الذابح وهما نجمان صغيران أحدهما مرتفع في الشمال معه كوكب آخر يقال هو شاته التي تذبح والآخر هابط في الجنوب ﴿الرابع﴾ منه سعد بلع وهما كوكبان صغيران مستويان في المجرة شبها بفم مفتوح يريد أن يبتلع شيئاً وقيل انما قيل بلع كأنه بلع شاته وبلع غير مصروف لأنه معدول من بالع مثل زفر وقثم وسعد مضاف اليه ﴿الخامس﴾ منه سعد السعود وهما كوكبان احدهما أنور من الآخر سمي بذلك لأن وقت طلوعه ابتداء كمال الزرع وما يعيش به الحيوان من النبات ﴿السادس﴾ منه سعد الاخبية وهو كوكبان عن شمال الخباء والاخبية أربعة كواكب واحد منها في وسطها يسمى الخباء لأنها على صورة الخباء وزعم ابن قتيبة أنه سمي بذلك لطلوعه وقت انتشار الحيات والهوام وخروج ما كان مختبئا ﴿السابع﴾ فرغ الدلو الاعلى وهو المقدم وبعضهم يسميه العرقوة العليا تشبيها بعرقوة الدلو وهما كوكبان مفترقان نيران وقيل له دلو لأنه يأتي فيه الامطار المعظمة ويقال بل سميا بذلك لانهما مثل صليب الدلو الذي يفرغ منه الماء ﴿الربع الثالث﴾ الخريف اول انوائه ﴿فرغ الدلو﴾ الاسفل وصورته كوكبان مضيئان بينهما بعد صالح يتبعان العرقوة العليا ﴿ثم الحوت﴾ وهو كوكب أزهر نير في وسط السمكة ﴿ثم الشرطان﴾ وهما كوكبان مفترقان مع الشمال منهما كوكب دونه في القدر وسميا شرطين لان سقوطهما علامة ابتداء المطر واتصاله وكل من جعل لنفسه علامة فقد شرطها ومنه سمي الشرط لأن لهم علامة عرفوا بها ﴿ثم البطين﴾ وهو ثلاثة كواكب طمس خفيات وهو بطن الحمل

الا أنه قد صغر ﴿ ثم الثريا ﴾ وهو النجم وصورتها ستة كواكب متقاربة حتى كادت تتلاصق وأكثر الناس يجعلها سبعة وقد جاء الشعر بالقولين جميعا سميت بهذا لأن مطرها عنه تكون الثروة وكثرة العدد والغنى وهي تصغير ثروى ولم ينطق به الا مصغرة ﴿ ثم الدبران ﴾ كوكب وقاد على أثر نجوم تسمى القلاص وقيل له دبران لانه دبر الثريا أى جاء خلفها ويقال له أيضاً الراعى والتالي والتابع والحادى على التشبيه ﴿ ثم الهقعة ﴾ سميت بهذا تشبيها بالدائرة التي تكون عند عقب الفارس في جنب الفرس وصورتها ثلاثة أنجم صغار متقاربة كآثار رؤس أصابع ثلاث فى ثرى اذا جمعت الوسطى والسبابة والابهام وهي رأس الجوزاء ﴿ الرابع الشتاء ﴾ وهو آخر أرباع السنة اول أنوائه ﴿ الهنعة ﴾ سميت بذلك لأنها كوكبان مقترنان كل واحد منهما منعطف على صاحبه من قولك هنعه اذا عطف بعضه على بعض واقترانهما فى المجرة بين الجوزاء والذراع المقبوضة ﴿ ثم الذراعان ﴾ وهي ذراع الاسد المبسوطة والمقبوضة كوكبان نيران بينهما كواكب صغار تسمى الاظفار ﴿ثم النثرة﴾ وهي لطخة لطيفة بين كوكبين وهي عندهم ما بين فم الاسد وأنفه ومن الانسان فرجة ما بين الشاربين حيال وترة الانف وقيل انما سميت نثرة لأنها كقطعة سحاب نثرت ﴿ ثم الطرف ﴾ عينا الاسد وهما كوكبان صغيران بينهما نحو قامة فى مرأى العين ﴿ثم الجبهة﴾ أربعة كواكب معوجة في اليمانى منها بريق وهي جبهة الاسد عندهم ﴿ ثم الزبرة ﴾ نجمان يرى أحدهما أكثر من الآخر ويقال لها الخرتان كانهما نفذا الى جوف الاسد والعيان يبطل ذلك كما قال الزجاجى ﴿ ثم الصرفة ﴾ كوكب وقاد عنده كواكب طمس سمي بذلك لانصراف البرد لسقوطه فهذه عدة المنازل وصفاتها وانما أضيفت الى القمر دون الشمس وحظهما فيه واحد لظهورها معه وتسمى نجوم الاخذ كأن الارض تأخذ عنها بركات المطر وقيل لاخذ الشمس والقمر سمتهما فى سيرهم

باب في معرفة الأماكن والبلدان

قال أبو عبيدة الحجاز هو ما بين الجحفة وجبل طيئ وانما سمى حجازاً لانه حجز

ما بين نجد والغور وحكي ابن قتيبة عن الرياشي عن الاصمعي اذا خلفت حجراً مصعداً فقد أنجدت فلا تزال منجداً حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر فاذا عرضت لك الحرار وأنت منجد فتلك الحجاز واذا تصوبت من ثنايا العرج واستقبلك المرج والأراك فقد تهمت وسمي حجازاً لانه حجز ما بين نجد وتهامة فأما محمد بن عبد الله الاسدي فقال حد الحجاز الاول بطن نخلة وظهر حرة[1] والحد الثاني مما يلي الشام شغب وبدا والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ والحد الرابع ساية وداب ثم تنحدر الى الحد الاول بطن نخل ٠٠ وأما الجزيرة فانها ما بين دجلة والفرات والموصل والسوادان سواد البصرة والاهواز ودست ميسان وفارس وسواد الكوفة كسكر الى الزاب وحلوان الى القادسية ٠٠ وجزيرة العرب قال أبو عبيدة هي في الطول ما بين حفير أبي موسى الى أقصى اليمن وفي العرض ما بين يبرين الى السماوة ٠٠ وقال الاصمعي هي ما بين نجران والعذيب حكاه ابن قتيبة عن الرياشي قال وحكي عنه أبو عبيدة أنها في الطول من أقصى عدن الى ريف العراق وفي العرض من جدة وما والاها من طرار البحر الى طرار الشام وقيل سمي العراق تشبيهاً بعراق المزادة وهو موضع الخرز المستطيل في أسفلها ٠٠ وقال بعضهم هو جمع عرق لاشتباك عروق النخل والشجر في تلك الارض وقيل ان اسمه كان بالفارسية ايران شهر أي أسفل الارض فعربت وأما الشام واليمن فمن اليد اليمنى واليد الشؤمى وهي الشمال لان الذي يستقبل الشمس تكون اليمن عن يمينه والشام عن شماله ويقال شأم بالهمز والتخفيف ومنهم من جعل الشام جمع شامة وهي النكتة تكون في الجسم سوداء أو نحو ذلك وكذلك في الارض ٠ قال ذو الرمة

وان لم تكوني غير شام بقفرة تجر بها الاذيال صيفية كدرُ

(١) نسخة حرة ليلى



باب من الزجر والعيافة

ومنهما يكون الفأل والطيرة وبين الطيرة والفأل فرقان عند أهل النظر والمعرفة والحقائق وذلك أن الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على الهمة واطماع فى السنة والطيرة تكسر النية وتصد عن الوجهة وتثنى العزيمة وفى ذلك ما تعطل الاحالة على المقادير وقد تفاءل النبى صلى الله عليه وسلم ونهى عن الطيرة فى قوله لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر وقد تقدم ذكرها وقيل فى الهامة أنها هذه المعروفة ٠٠ والطيرة من احد شيئين مشتقة إما من الطيران كأن الذي يرى ما يكره أو يسمع تطير كما قال بعضهم

عوى الذئب فاستأنستُ للذئب إذ عوى وصوّت انسانٌ فكدتُ أطيرُ

وإما من الطير وهو الاصل والمختار من الوجهين هكذا ذكر الزجاجي ٠٠ وكانت العرب تزجر الطير والوحش فمن قال بالقول الاول احتج بأن الوحش تطير بها وزجرت مع الطير ومن قال بالقول الثانى قال انما كان الاصل فى الطير ثم صار فى الوحش وقد يجوز أن تغلب احد الشيئين على الآخر فيذكر دونه ويرادان جميعاً ٠٠ أنشد الجاحظ

ما يعيفُ اليومَ فى الطير الروَح من غراب البين أو تيس بَرَح

قال فجعل التيس من الطير اذ قدم ذكر الطير وحمله من الطير فى معنى التطير والعرب تتطير بأشياء كثيرة منها العطاس وسبب تطيرهم منه دابة يقال لها العاطوس يكرهونها والغراب أعظم ما يتطيرون به والقول فيه أكثر من أن يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتماً لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير بذلك اذ كان أصح الطير بصراً ويقال سمى أعور لقولهم عورت الرجل عن حاجته اذا رددته عنها ٠٠ وقد اعتذر أبو الشيص للغراب وتطير بالابل وان كان غيره سبقه الى المعنى فقال

النـاسُ يلحونَ غرا بَ البينِ لما جهلوا
وما عـلى ظهر غـرا بِ البينِ تطوى الرحلُ
ولا اذا صـاحَ غرا بٌ فى الديار احتملوا
ما فرّق الاحباب بعـد الله الاّ الابـلُ

وما غرابُ البين الا ناقةٌ أو جمل

هكذا رويته وبعضهم يحمل الشعر ماقرب الاجاب و بعده والناس يلحنون بواو مكان الهمزة بعطف بها ٠٠ وقال آخر فملح وطرف

زعموا بأنّ مطيّهم عون النوي والمؤدبات بفرقةِ الاحباب

لو أنها حتى لما أبعضها ولهاهم سبب من الاسباب

و يتطيرون بالصرد ومن أسمائه الاخيل والاخطب ويقال الاخيل الشقراق ويقال بل طائر يشبهه والواق أيضاً الصرد قال زبان بن منظور الفزاري في حديث له كان مع بعة بن ذيان وقد تطير من جرادة سقطت عليه فرجع من الغزو ومضي زبان فظفر وغنم

تعلّم أنهُ لا طيرَ إلاّ على متطيرٍ وهي الثبورُ

بلى شيءٌ يوافقُ بعض شيءٍ أحايينــاً وباطلهُ كثيرُ

يقولها في أبيات لا أقف على جملتها ٠ وقال شاعر قديم لزبان أيضاً

لا يمنعكَ من بغا ءالخيرِ تعقادُ التمائم

لا والتشاؤمُ بالعطا س ولا التيامنُ بالمقاسمْ

ولقدْ غدوتُ وكنتُ لا أغدوُ على واقٍ وحاتم

واذا الاشائمُ كالأيا منِ والأيامنُ كالاشائمْ

قد خطّ ذلك في الزبو ر الاوليات القدائم

ويتشاءمون بالثور الاعضب وهو المكسور القرن ٠٠وقال الكميت ينفي الطير ويدفعها عن نفسه

ولا أنا ممنْ يزجرُ الطيرَ همهُ أصاحَ غرابٌ أم تعرّض ثعلبُ

ولا السانحاتُ البارحاتُ عشيّةً أمرّ صحيحُ القرنِ أم مرّ أعضبُ

والبيت الاول من هذين يشبه بيت الاعشى الذي أنشده الجاحظ ٠٠ومن أمثال العرب فلان كبارح الاروى وفيه قولان أحدهما ان الاروى يتشاءم بها فاذا كانت بارحا فقد

علم الأمر والآخر أنها انما تكون في قرون الحال ولا تكاد تكون سانحة ولا بارحة ‥ وفي السانح والبارح اختلاف قال عمرو بن العلاء سأل يونس رؤبة عن السانح والبارح فقال السانح ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره قال ابن دريد السانح يتيمن به أهل نجد ويتشاءمون بالبارح ويخالفهم أهل العالية فيتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح ‥ قال الشاعر الهذلي يذكر امرأته

زجرتُ لها طيرَ السنيحِ فان يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

قال والسانح الذي يلقاك وميامنه عن مياسرك والبارح الذي يأتيك وشمائله عن شمائلك والجابه والناطح اللذان يستقبلانك والقعيد الذي يأتيك من ورائك ‥ قال صاحب الكتاب الكارس الذي ينزل عليك من الجبل حكاه الثعالبي قال أبو جعفر النحاس السنيح عند أهل الحجاز ما اتى عن اليمين الى اليسار والبارح عندهم ما أتى من اليسار الى اليمين وهم يتشاءمون بالسانح ويتيمنون بالبارح وأهل نجد بالضد من ذلك والسانح عندهم هو البارح عند أهل الحجاز ‥ وقال المبرد السانح ما أراك مياسره فأمكن الصائد والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكن الصائد الا أن ينحرف له ‥ وقد يتطيرون من البازى والغراب وأشياء كثيرة من جهة التسمية ويتيمنون بها ‥ آخرون ومن مليح ما رأيت في الزجر والعيافة قال الصولى كان لأبي نواس اخوان لا يفارقهما فاجتمعوا يوما في موضع أخفوه عنه ووجهوا اليه برسول معه ظهر قرطاس لم يكتبوا فيه شيئاً وحزموه بزئر وختموه بقار وتقدموا الى رسولهم أن يرمي بالكتاب من وراء الباب فرماه به فلما رآه استعلم خبرهم فعلم أنه من فعلهم وتعرف موضعهم وأتاهم فانشدهم

زجرتُ كتابكم لما أتاني كزجرِ سوانحِ الطيرِ الجواري
نظرتُ اليه مخزوماً بزئر على ظهرٍ ومختوماً بقارِ
فقلتُ الزئر ملهيةٌ وملهٍ وقلت القار من دنِّ العقارِ
وقلت الظهر أهيف ذو جمال تركب صدغه فوق العذارِ
فجئتُ اليكمُ طرباً وشوقاً فما أخطأتُ داركمُ بداري
فكيف ترونني وترونَ زجري ألستُ من العلاسفةِ الكبارِ

باب ذكر المعاظلة والتثبيج

المعاظلة فى القوافي التضمين حكاه الخليل بن احمد وزعم قدامة أن المعاظلة سوء الاستعارة وهو عندهم مشتق من التداخل والتراكب ومنه تعاظلت الجراد والكلاب وأنشد قدامة بيت أوس بن حجر

وذاتِ هدمٍ عارٍ نواشرها   تصمت بالماء تولباً جدعا

لانه قد أساء الاستعارة عنده لجعله الطفل تولباً وهو ولد الحمار ٠٠وأما التثبيج فهو طول الكلام واضطرابه ولا يقال كلام مثبج حتى يكون هكذا و يقال رحل مثبج الخلق اذا كان طويلا فى اضطراب والتثبيج عند الصولي فى الخط أن لايكون بيناً وكذلك هو فى الكلام ٠٠ وزعم قوم أن المعاظلة تداخل الحروف وتراكبها كما عيب على كعب بن زهير قوله

تجلو عوارضَ ذي ظلم اذا ابتسمت   كأنه منهلٌ بالراحِ معلولُ

وعاب ابن العميد حبيباً لقوله

كريمٌ متى أمدحهُ أمدحهُ والورى   معي ومتى مالمتهُ لمتهُ وحدِي

بالتكرير فى أمدحه أمدحه مع الجمع بين الحاء والهاء فى كلمة وهما معاً من حروف الحلق وقال هو خارج عن حد الاعتدال نافر كل النفار حكي ذلك عنه الصاحب بن عباد ٠٠

وزعم آخرون انها تركيب الشئ فى غير موضعه كقول الكميت بن زيد

وقد رأينا بها حوراً منعمةً   بيضاً تكملَ فيها الدل والشنب

وهذا البيت مما عابه عليه نصيب ٠٠ ومثله عندي قول أبي الطيب

يحمل المسك عن غدائرها الريـح ويفتر عن شنب برود

باب الوحشي المتكلف والركيك المستضعف

الوحشى من الكلام ما نفرعنه السمع والمتكلف ما بعد عن الطبع والركيك ما ضعفت بنيته وقلت فائدته واشتقاقه من الركة وهي المطر الضعيف وقيل من اركك وهو الماء القليل على وجه الأرض .. وأنشد النحاس

تهادي كعوم الرَّكِّ يقطعهُ الحيا   بأبطحَ سهلٍ حين عشى بأودا

وفلان ركيك أي ضعيف العقل ويقال للوحشي أيضاً حوشي كأنه منسوب الى الحوش وهي بقايا ابل وبار بارض قد غلبت عليها الجن فعمرتها ونفت عنها الانس لا يطؤها انسي الا خلوه .. قال رؤبة

جرَّت رجالاً من بلادِ الحوشِ

واذا كانت اللفظة حسنة مستغربة لا يعلمها الا العالم المبرز والاعرابي القح فتلك وحشية وكذلك ان وقعت غير موقعها وأتي بها مع ما ينافرها ولا يلائم شكلها .. وكان أبوتمام يأتي بالوحشي الحشن كثيراً ويتكلف .. وكذلك أبو الطيب كان يأتي بالمستغرب ليدل على معرفته نحو قوله

كل اخائه كرامُ بني الدنيا ولكنه كرم كرامِ

وهذا مع غرابته وتكلفه غير محمول على ضرورة يكون منها عذر لان قوله كل اخوانه يقوم مقامه بلا نقاصة ..ومن التكلف قول ابراهيم بن سيار للفضل بن الربيع ويروى أيضا لابراهيم بن شابة

هـي طالت وما طالتُ بلي طاله   ت أوقي كي يزداد طولك طولا

ان كان جرمي قد أحاطَ بحر متي   فاحطْ بحرمي عفوك المأمولا

فتبارك الله كانهما لم يخرجا من ينبوع واحد .. قال ابراهيم بن المهدي لعبدالله بن صاعد كاتبه اياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعا فى نيل البلاغة فان ذلك هو العى الاكبر عليك بما سهل مع تجنبك ألفاظ السفل .. وقال أبو تمام يمدح الحسن بن وهب بالبلاغة

لم يبع شيء الغايات ولا مشى رسف المقيد في طريق المطلق
يشق في ظلم المعاني ان دجت منه تباشير الكلام المغلق

وقال علي بن بسام

ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ولا في قبيح اللحن والقصد أزين

قال علي بن عيسي الرماني أسباب الاشكال ثلاثة التعبير عن الأغلب كالتقديم والتأخير وما أشبهه وسلوك الطريق الابعد وايقاع المشترك وكل ذلك اجتمع في بيت الفرزدق

وما مثله في الناس الا مملكاً أبو أمه حي أبوه يقاربه

فالتعبير عن الاغلب سوء الترتيب لأن التقدير وما مثله في الناس حي يقاربه الا مملكا أبو امه أبوه يريد بالمملك هشام بن عبد الملك والممدوح هو ابراهيم بن هشام خال هشام بن عبد الملك وأما سلوك الطريق الابعد فقوله أبو امه أبوه وكان بحرثه أن يقول خاله وأما المشترك فقوله حي يقاربه لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحي من سائر الحيوان بالحياة قال واذا تفقدت أبيات المعاني رأيتها لاتخرج عن هذه الاسباب الثلاثة

..وحكي الصولي قال انشدني بعض الكتاب عن أحمد بن يحي ثعلب قول البحتري للحسن بن وهب

واذا دجت أقلامه ثم انتحت برقت مصابيح الدجى في كتبه
فاللفظ يقرب فهمه من بعده منا ويبعد نيله في قربه
حكم سحائبها خلال بنانه هطالة وقليبها في قلبه
كالروض مؤتلفاً بحمرة نوره وبياض زهرته وخضرة عشبه
وكأنها والسمع معقود بها وجه الحبيب بدا لعين محبه

واستعادها أبو العباس حتي فهمها ثم قال لو سمع الأوائل هذا الشعر لما فضلوا عليه شعراً

باب الاحاله والتغيير

وهذه لمح أتيت بها تدل من عرفها على رداءتها وتدعو الى كراهتها واجتنابها وقد وقعت في أشعار الجلة من المتقدمين والتمس لهم منها العذر لأنهم أرباب اللغة واصحاب اللسان وليس المولد الحضري منهم فى شئ فمن الاحالة قول ابن مقبل

اما الاداةُ ففيها ضمرٌ صنع حوذٌ حواجر بالأبلاد والعجم

ونسجُ داود من نصٍ مضاعفة من عهد عادٍ وبعد الحيِّ من ارم

فكيف يكون نسج داود من عهد عاد اللهم الا أن يريد فيا ضمر صنع من عهد عاد فذلك له على سبيل المبالغة مع أن الا حالة لم تفارقه وكم بين قيس عيلان و بين عاد فضلا عن بنى العجلان .. وقال عبد الرحمن بن حسان

وان مالَ الضجيعُ بها فبعضٌ من الكثبان ملبد مهيل

قالوا وكيف يكون ملبداً مهيلاً هذا مستحيل متناقض والذي عندي فيه أنه صواب لانه انما أراد بالملبد صلابة ملمس العجيزة وانها غير مسترخية وجعله مهيلاً لارتجاجه واضطرابه من العظم .. كما قال ابن مقبل

يمشين هيلَ النقا سالتْ جوانبه ينهال طوراً وينهاهُ الثرى حينا

فقد جعله مرة ينهال ومرة ينهاه الثري والندى الذي فيه .. وقال جميل فى التغيير

لاحسنها حسنٌ ولا كدلالها دل ولا كوقارها توقيرُ

فحذف كاف التشبيه فصار المعنى كأنه ليس حسنها حسنا وقد يغيرون اللفظ .. كما قال النابغة * ونسج سليم كل قضاء ذائل *

وهذا أسهل من قول الآخر * من نسج داود أبى سلكان * وهذا كثير مخرج منه فى هذا الموضع ما ذكرت

باب الرخص في الشعر

وأد كر هيها مايحور للشاعر استعماله ادا اصطر اليه على أنه لاحير في الصرورة على أن بعصها أسهل من بعص ومبها ما يسمع عن العرب ولا يعمل به لانهم أتوا به على حلتهم والمولد المحدث قدعرف أنه عيب ودحوله في العيب يلرمه اياه ٠٠ فمن دلك قصر الممدود على مداهب أهل البصرة والكوفة حميعاً وله على ما أحار الكوفيون وصل ألف القطع وهو قبيح ٠٠ قال حاتم طيئ

أبوهُ أبي والامهاتُ أمهاتُنا   فأنعمْ فداكَ اليوم أهلي ومعشري

قال بعصهم انما الرواية والام من أمهاتنا وله بحعف المتشدد في القافية وأما في حشو البيت فمكروه حداً وحدف التنوين لالتقاء الساكنين وربما حدفوا النون الساكنة ٠٠ كما قال

فلستُ بآتيهِ ولا أستطيعهُ   ولاكِ اسقني ان كان ماؤك دافصل

وأن يحدف الألف واللام أو الاصافة وما بحدف التنوين مثل قول حماف

كنواحِ ريشِ حمامةٍ نجدية   ومسحت باللثتينِ عصفَ الاثمدِ

وأن يحدف حرفاً من الكلمة كقول العجاج

* قواطنا مكة من ورق الحمى *

وحرفين كقول علقمة بن عدة

* مقدم بسبا الكتان ملثوم *

يريد بسبائب الكتان وأن يحذف من المكني في الوصل ما يحدف منه في الوقف ٠٠ كقول الشاعر   * سأجعلُ عينيهِ لنفسهِ مقنعاً *

وأقبح منه أن يحدف من المكنى المنفصل كقول الآحر

فبيناه يشري رحلهُ قال قائل   لمنْ جمل رخو الملاط نجيب

وأقبح من ذلك أن يحذف الألف من صمير المؤنث ٠٠ أنشد قطرب

اما تقودُ به شاةً فتأكلها   أو تبيعه في بعضِ الاراكيبِ

أراد تدمها بحذف الالف قال ولا يجوز استعمال هذا المحدث لشذوذه وقبحه ويجوز له حذف الياء والواو من المضمر المذكر لكثرته واطراده وللشاعر أن يحذف اسم ليت اذا كان مضمراً .. أنشد المفضل لعدي بن زيد

فليتَ دفعتَ الهمَّ عنيَ ساعةً فبتنا على ما خيلتْ ناعمي بال

يريد ـليتكـ وله حذف الفاء من افتعلته من التقوي وما تصرف منها .. أنشد المفضل لخداش بن زهير

تقوهُ أيها الفتيانُ إني رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا

وأنشد أبو زيد الانصاري

انَّ المنيةَ بالفتيانِ ذاهبةٌ وإن تقوها بأرماحٍ وادراعِ

وحذف الفاء من جواب الجزاء كما قال

يا أقرعَ بن حابسٍ يا أقرعُ إنك ان تصرعْ أخاكَ تصرعُ

قال سيبويه تقديره انك ان تصرع أخاك فتصرع .. ومثله أيضاً

مَن يفعل الحسناتِ اللهُ يشكرها والشر بالشرّ عند الله مثلان

يريد فالله يشكرها وهذا أبين من الأول وحذف النون من تثنية الذي وجمعه .. قال الأخطل

ابني كليبٍ إنّ عميَّ اللذا قتلا الملوكَ وفككا الاغلالا

وأنشد سيبويه

وانَّ الذي حانتْ بفلجٍ دماؤهم همُ القومُ كلُّ القوم يا أمَّ خالد

أراد الذين .. وعلى هذا قال أبو الطيب

ألستَ من القوم الذي من رماحهم نداهمْ ومن قتلاهمُ مهجةُ البخل

ويجوز أن يكون حمل الذي للجماعة والواحد كما حمل من وقد حكي ذلك الزجاجي .. قال ابن قتيبة في قول الله عز وجل ﴿ كمثلِ الذي استوقدَ ناراً فلما أضاءَتْ

ما حوله ذهبَ اللهُ بنورهمْ وتركهمْ في ظلمات لا يبصرُون ﴾ أن الذى ههنا بمعنى الذين والله أعلم وحذف الياء من الذى فمنهم من يسكن الدال بعد الحذف ومنهم من يدعها مكسورة على لفظها أنشد البصريون والكوفيون جميعاً

فظلتُ في شرٍ من اللذْ كيدَا كالذْ تزبّى زُبيةً فاصطيدَا

ويروى ـ كالذ تزبى زبيةً فاصطيدا ـ فجمع بين اللغتين ‥ ونظير هذا حذف الياء من التي واسكان التاء وأنشدوا

فقلْ للتْ تلومكَ انَّ نفسي أراها لا تعوَّذُ بالتميم *

وحذف الياء والتاء من اللواتى ‥ أنشد الرجاجي

جمعتها من أينق غزار من اللوا شرفنَ بالصرارِ

وحذف الموصول وترك الصلة ‥ كما قال يزيد بن مفرغ

عدسْ مالعباد عليكِ امارةٌ نجوتِ وهذا تحملينَ طليقُ

أراد وهذا الذي تحملين فحذف وحذف اسم ان ولكن كما قال

ولكنَّ من لايلقَ أمراً ينوبهُ بعدته ينزلْ به وهو أعزلُ

فحذف الهاء من لكنه لانه قد جازى بمن ولو أعمل فيها لكن لم يجز أن يجازى بها ومثله قول الآخر

انَّ من يدخل الكنيسةَ يوماً يلق فيها جآذرا وظباء

أراد أنه ويبدلون من الحروف السالمة حروف المد واللين وأنشدوا

لها أشاريرُ من لحمٍ تتمره من الثعالى ووخز من أرانيها

أراد ـ من الثعالب ـ ومن ـ أرانبها ـ ويلينون الهمزة وذلك كثير جدا جائز في المنثور والفصيح وله حذف ألف الاستفهام كما قال الأخطل

كذبتكَ عينك أم رأيتَ بواسطٍ غلسَ الظلامِ من الرباب خيالا

وهذا رديء في المنثور جداً ونقصان الجموع عن أوزانها لضرورة القافية كما قال رؤبة

* حتى اذا بلتْ حلاقيمُ الحلُق *

يريد الحلوق . وترك صرف ما ينصرف لانه يحذف منه التنوين وهو يستحقه وهو غير جائز عند البصريين الا أنه قد جاء في الشعر .. قال عباس بن مرداس يخاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وما كان حصنٌ ولا حابسٌ يفوقان مرداسَ في مجمعِ

وعلى هذا المذهب قال أبو نواس

عباسُ عباسٌ اذا احتدمَ الوغا والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعُ

ويروى ـ اذا حضر الوغا ـ والفراء يرى ترك الصرف لعلة واحدة وهي التعريف والبصريون يخالفونه في ذلك ويأبونه .. ومن أقبح الحذف حذف حركة الاعراب للضرورة وأنشدوا لامرئ القيس

فاليوم اشربْ غير مستحقبٍ اثماً من الله ولا واغلِ

.. ومثله للفرزدق

رحتِ وفي رحليكِ ما فيهما وقد بدا هَنْكِ من المئزرِ

وزعم قوم أن الرواية الصحيحة في قول امرئ القيس ـ اليوم أسقي ـ وبذلك كان المبرد يقول وقال آخرون بل خاطب نفسه كما يخاطب غيره فقال فاليوم فاشرب وفي بيت الفرزدق ـ وقد بدا ذاك من المئزر ـ كناية عن الهن وهذا مما يسمع ويحكى ولا يقاس عليه البتة هذا صدر جيد مما علمته يجوز للشاعر من الحذف والنقصان .. والذي يجوز له من الزيادات أنا ذاكر منه أيضاً ما وسعته قدرتي ان شاء الله تعالى فمن ذلك صرف مالا ينصرف وأجراء المعتل مجرى الصحيح فيعرب في حال الرفع والخفض تقول هذا القاضي ومررت بالقاضي وزيد يقضي ويغزو ولا يجوز في المنثور من الكلام وعلى هذا قول قيس بن زهير

ألم يأتيكَ والأنباءُ تنمى بما لاقتْ لبونُ بني زيادِ

كأنه يقول في الرفع يأتيك بضم الياء فلما جزمها أسكنها .. ومنهم من يبدل من الياء همزة وهو القليل فيقول القاضئ والغازئ وأنشدوا

يادارَ سلمى بذكاديكِ البرقْ سقياً وان هيجتِ شوقَ المشتئق

همز الياء وليس أصلها الهمزة .. وله اظهار الضعيف كقوله

يشكو الوجي من أظلل وأظلل

وانما هو ـ الاظل ـ وهو باطن خف البعير .. وتثقيل المخفف في وصل الكلام على نية من يقف على التثقل وأنشدوا

ببازلٍ وجناء أو عيهلّ كأنّ مهواها على الكلكلّ

موقع كفي راهبٍ يصليّ

فثقل ـ العيهل ـ وهي السريعة ـ والكلكل ـ في صلة الشعر وهما مخففتان .. وله ادخال النون الخفيفة أو الثقيلة في الواجب وانما تدخل فيما ليس بواجب نحو الأَمر والنهى والاستفهام .. قال القطامي

وهمُ الرجالُ وكلّ ذلك منهمُ يجدنّ في رحبٍ وفي متضيقِ

وأنشدوا لآخر وهو جذيمة الابرش

ربما أوفيتُ في علمٍ ترفعنْ ثوبي شمالات

وله ادخال الفاء في جواب الواجب والنصب بها على اضمار ان .. قال طرفة

لنا هضبةٌ لا ينزلُ الذلُ وسطها ويأوى اليها المستجيرُ فيعصما

فنصب بالفاء على الجواب .. وقال آخر

سأتركُ منزلي لبنى تميمٍ والحقُ بالحجازِ فاستريحا

وقطع الف الوصل لأنه زيادة حركة .. والجزم بحرف وحرفين وأكثر من ذلك وقد مضى فيما تقدم من هذا الكتاب .. وزيادة حرف في المجموع نحو قول الشاعر

تنفى يداهاَ الحصا في كلّ هاجرةٍ نفيَ الدراهيمِ تنقادَ الصياريف

فزاد ياء في الدراهم وياء في الصيارف ان لم تكن الرواية تختلف على أن الدراهم لا يضطر فيها الى زيادة الياء اذ كان الوزن يقوم دونها وان قيل في بعض اللغات درهام

وله على مذاهب الكوفيين خاصة مد المقصور وقد الزم ابن ولاد البصريين مده على مذهب سيبويه في امتناع الحركة ويجوز له التقديم والتأخير كما قال الحجير السلولي

وما ذاكَ ان كانَ ابنُ عمي ولا أخي وـلكن متى ما أملكِ الضرَّ أنفعُ

بالرفع أراد ولكن أنفع متى ما أملك الضر ولا أدري ما الفرق بين هذا وبين إن يصرع أخوك تصرع حيث فرقوا بينهما غير انا نسلم لهم كما سلمنا هو أثبت ما حسنا وأذكي خاطرا وقال عمرو بن قميئة

لما رأت ساتيدما استعبرتْ لله درُّ اليوم من لامها

وهذه أشياء من القرآن وقعت فيه بلاغةً واحكاماً لا تصرفاً وضرورة واذا وقع مثلها في الشعر لم ينسب الى قائله عجز ولا تقصير كما يظن من لا علم له ولا تفتيش عنده من ذلك ان يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعا كما قال الله عز وجل ﴿واذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا اليها﴾ أو يحذف الفعل لأحدهما و يشرك الآخر معه أو يذكر شيئاً فيقرن به ما يقاربه و يناسبه ولم يذكره كقوله تعالى في أول سورة الرحمن ﴿فباي آلاء ربكما تكذبان﴾ وقد ذكر الانسان قبل هذه الآية دون الجان وذكر الجان بعدها . وقال المثقب العبدي

فما أدري اذا يممتُ أرضاً أريدُ الخيرَ أيهما يليني

أألخيرُ الذي انا أبتغيهِ أم الشرُّ الذي هوَ يبتغيني

فقال أيهما قبل ان يذكر الشر لأن كلامه يقتضي ذلك وان يحذف جواب القسم وغيره نحو قوله عز وجل ﴿ق والقرآنِ المجيدِ بل عجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم﴾ وقوله ﴿والنازعاتِ غرقاً﴾ الى قوله ﴿يوم ترجفُ الراجفةُ﴾ فلم يأت بجواب لدلالة الكلام عليه وقال جل وعز ﴿ولولاَ فضلُ الله عليكم ورحمتهُ وأن الله رؤفٌ رحيمٌ﴾ أراد لعذبكم أو نحوه ومن هذا قول امرئ القيس

ولو أنها نفسٌ تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقط أنفسا

وقد تقدم ذكره ومن ذلك اضمار ما لم يذكر كقوله جل اسمه ﴿حتى توارت بالحجاب﴾

يعني الشمس وقوله ﴿ فأثرن به نقعاً ﴾ ولم يجر للوادي ذكر وقال حاتم طيّ

اماويّ ما يغني الثراء عن الفتى اذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدرُ

يعني النفس .. وأنشد ابن قتيبة عن الفراء

اذا نهيَ السفيهُ جرى اليه وخالف والسفيهُ الى خلافِ

يعني جرى الى السفه .. وحذف لام الكلام وأنت تريدها كقوله تعالى ﴿ كجهر بعضكم لبعض أن تحبطَ أعمالكمْ ﴾ .. وزيادة لا في الكلام كقوله سبحانه ﴿وما يشعركم أنها اذا جاءت لا يؤمنون ﴾ فزاد لا لأنهم لا يؤمنون هذا قول ابن قتيبة وقال جل اسمهُ ﴿ ما منعكَ أن لاَ تسجدَ ﴾ أي ما منعك ان تسجدَ قال وانما زاد لا في الكلام لاباء أو جحد وقال ﴿ لئلاً يعلم أهلُ الكتابِ أن لا يقدرونَ على شيء من فضلِ الله ﴾ أي ليعلمَ .. وقال أبو النجم فما اللومُ البخمَ أن لا تسهرا

يريد ان تسهرا وحذف المنادى كقوله تعالى ﴿ ألاّ يسجدوا لله ﴾ كأنه قال الاَ ياهؤلاء اسجدوا لله .. وقال ذو الرمة في مثل ذلك

الا ياسلمي يا دارَ ميٍّ على البلى ولا زالَ منهلاًّ بجرعائكِ القطرُ

وان يخاطب الواحد بخطاب الاثنين والجماعة أو يخبر عنه كقوله تعالى ﴿إن الذين ينادونكَ من وراء الحجرات﴾ وانما كان رجلاً واحداً وقوله ﴿ ألقيا في جهنمَ ﴾ وانما يخاطب مالكاً خازن النار وقيل بل أراد ألق ألق فثنى الفعل وقوله ﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ فخاطب الاثنين بخطاب الواحد وقوله ﴿ فقد صغت قلوبكما ﴾ وقوله ﴿ وألقى الالواح﴾ وهما لوحان فيما زعم المفسرون حكاهُ ابن قتيبة وان يصف الجماعة بصفة الواحد كقوله ﴿وان كنتم جنبا ﴾ .. ومن غرائب هذا الباب ان يأتي المفعول بلفظ الفاعل كقوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله أي لا معصوم وكذلك قوله من ماء دافق أي مدفوق وقوله ﴿ في عيشة راضية ﴾ أي مرضي بها وقوله ﴿وجعلنا آية النهارِ مبصرةً ﴾ أي مبصر فيها وأن يأتي الفاعل بلفظ المفعول به كقوله تعالى ﴿إنهُ كان وعدهُ مأتيا﴾ أي آتيا .وقد جاء الخصوص في معنى العموم في قوله تعالى ﴿ يا أيها النبيُّ اذا طلقتم النساء﴾ وجاء العموم بمعنى الخصوص في قوله ﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيباتِ واعملوا صالحاً ﴾ .. ومن الحمل

على المعنى قوله تعالى ﴿ وكذلك زَيَّنَ لكثيرٍ من المشركين قتلَ أولادهم شركاؤهم ﴾ كأنه قيل من زينه فقيل شركاؤهم ٠٠ والحمل على المعنى في الشعر كثير ومن أنواعه التذكير والتأنيث ولا يجوز أن تؤنث مذكراً على الحقيقة من الحيوان ولا أن تذكر مؤنثاً ٠٠ قال ابن أبي ربيعة المخزومي

فكان مجنيَّ دونَ من كنتُ أتقي ثلاث شخوصٍ كاعبانِ ومعصرُ

فأنث الشخوص على المعنى وكل جمع مكسر جائز تأنيثه وإن كان واحده مذكراً حقيقياً ٠٠ ومما أنث من المذكر حملا على اللفظ قول الشاعر أنشده الكسائي

أبوكَ خليفةٌ ولدتهُ أخرى وأنت خليفةٌ ذاكَ الكمالُ

ومثل هذا في الشعر كثير موجود

باب السرقات وما شاكلها

وهذا باب متسع جداً لا يقدر أحد من الشعراء أن يدعي السلامة منه وفيه أشياء غامضة إلا عن البصير الحاذق بالصناعة وأخر فاضحة لا تخفى على الجاهل المغفل وقد أتى الحاتمي في حلية المحاضرة بألقاب محدثة تدبرتها ليس لها محصول إذا حققت كالاصطراف والاجتلاب والانتحال والاهتدام والاغارة والمرافدة والاستلحاق وكلها قريب من قريب قد استعمل بعضها في مكان بعض غير أني ذاكرها على ما خيلت فيما بعد ٠٠ وقال الجرجاني وهو أصح مذهباً وأكثر تحققاً من كثير ممن نظر في هذا الشأن ولست تعد من جهابذة الكلام ولا من نقاد الشعر حتى تميز بين أصنافه وأقسامه وتحيط علماً برتبه ومنازله فتفصل بين السرق والغصب وبين الاغارة والاختلاس وتعرف الالمام من الملاحظة وتفرق بين المشترك الذي لا يجوز ادعاء السرقة فيه والمبتذل الذي ليس واحد أحق به من الآخر وبين المختص الذي حازه المبتدئ فملكه واجتباه السابق فاقتطعه قال عبد الكريم قالوا السرق في الشعر ما نقل معناه دون لفظه وأبعد في أخذه على أن

من الناس من بعد دهمه الا عن مثل بيت امرئ القيس وطرفة حين لم يخلفا الا فى القافية فقال أحدهما وتحمل وقال الآخر وتجلد ومنهم من يحتاج الى دليل من اللفظ مع المعنى ويكون الغامض عندهم بمنزلة الظاهر وهم قليل . . والسرق أيضاً انما هو فى البديع المخترع الذي يختص به الشاعر لا فى المعانى المشتركة التي هى جارية فى عاداتهم ومستعملة فى أمثالهم ومحاوراتهم مما ترتفع الظنة فيه عن الذى يورده أن يقال إنه أخذه من غيره قال واتكال الشاعر على السرقة بلادة وعجز وتركه كل معنى سبق اليه جهل ولكن المختار له عندى أوسط الحالات . . وقال بعض الحذاق من المتأخرين من أخذ معنى بلفظه كما هو كان سارقاً فان غير بعض اللفظ كان سالخاً فان غير بعض المعنى ليخفيه أو قلبه عن وجهه كان ذلك دليل حذقه . . وأما ابن وكيع فقد قدم فى صدر كتابه على أبى الطيب مقدمة لا يصح لاحد معها شعر الا الصدر الأول ان سلم ذلك لهم وسماه كتاب المنصف مثل ما سمي اللديغ سليما وما أبعد الانصاف منه . . والاصطراف أن يعجب الشاعر ببيت من الشعر فيصرفه الى نفسه فان صرفه اليه على جهة المثل فهو اجتلاب واستلحاق وان ادعاه جملة فهو انتحال ولا يقال منتحل الا لمن ادعي شعراً لغيره وهو يقول الشعر وأما ان كان لا يقول الشعر فهو مدع غير منتحل وان كان الشعر لشاعر أخذ منه غلبة فتلك الاغارة والغصب وبينهما فرق أذكره فى موضعه ان شاء الله تعالى فان أخذه هبة فتلك المرافدة ويقال الاسترفاد فان كانت السرقة فيما دون البيت فذلك هو الاهتدام ويسمي أيضا النسخ فان تساوى المعنيان دون اللفظ وخفي الاخذ فذلك النظر والملاحظة وكذلك ان تضادا ودل أحدهما على الآخر ومنهم من يجعل هذا هو الالمام فان حول المعني من نسيب الى مديح فذلك الاختلاس ويسمى أيضا نقل المعنى فان أخذ بنية الكلام فقط فتلك الموازنة فان جعل مكان كل لفظة ضدها فذلك هو العكس فان صح أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا فى عصر واحد فتلك المواردة وان ألف البيت من أبيات قد ركب بعضها من بعض فذلك هو الالتقاط والتلفيق وبعضهم يسميه الاجتذاب والتركيب ومن هذا الباب كشف المعنى والمجدود من الشعر وسوء الاتباع وتقصير الآخذ عن المأخوذ منه وسأورد عليك ما رويته أو تأدى الى فهمه لكل واحد من هذه الالقاب مثالاً يعرفه العالم ويقتدى به المتعلم ان شاء الله تعالى . . وأما الاصطراف فيقع

من الشعر على نوعين أحدهما الاجتلاب وهو الاستلحاق أيضاً كما قدمت والآخر الانتحال .. فأما الاجتلاب فنحو قول النابغة الذبياني

وصهباءَ لا يخفي القذى وهو دونها ... تصفقُ في راووقها حين تقطبُ

تمززتها والديكُ يدعو صباحَهُ ... اذا ما بنو نعش دنوا فتصوّبوا

فاستلحق البيت الأخير فقال

وإجانةٍ ريا السرورِ كأنها ... اذا غمست فيها الزجاجةُ كوكبُ

تمززها والديك يدعو صباحه ... اذا مابنو نعشٍ دنوا فتصوّبوا

وربما اجتلب الشاعر البيتين على الشريطة التي قدمت فلا يكون في ذلك بأس كما قال عمرو ذو الطوق

صددتِ الكأسَ عنا أمَّ عمرو ... وكان الكأسُ مجراه اليمينا

وما شرّ الثلاثةِ أمّ عمرو ... بصاحبك الذي لا تصبحينا

فاستلحقهما عمرو بن كلثوم فهما في قصيدته وكان عمرو بن العلاء وغيره لا يرون ذلك عيباً وقد يصنع المحدثون مثل هذا .. قال زياد الأعجم

أشمّ اذا ما جئتَ للعرفِ طالبا ... حباك بما تحوى عليه أنامله

ولو لم يكن في كفه غير نفسه ... لجادَ بها فليتقِ اللهَ سائله

ويروي هذا لأخت يزيد بن الطثرية واستلحق البيت الأخير أبو تمام فهو في شعره وأما قول جرير للفرزدق وكان يرميه بانتحال شعر أخيه الأخطل بن غالب

ستعلمُ من يكونُ أبوهُ قيناً ... ومن كانت قصائدهُ اجتلاباً

فانما وضع الاجتلاب موضع السرق والانتحال لضرورة القافية هكذا ذكر العلماء من هؤلاء المحدثين وأما الجمحي فقال من السرقات ما يأتي على سبيل المثل ليس اجتلابا مثل قول أبي الصلت بن أبي ربيعة الثقفي

تلك المكارمُ لا قعبانِ من لبنٍ ... شيبا بماء فعادا بعدُ أبوالا

ثم قاله بعينه النابغة الجعدي لما أتى موضعه فبنو عامر يروونه للجعدي والرواة مجمعون أنه

لأبي الصلت فقد ذهب الجمحي في الاختلاف مذهب جرير أنه انتحال ولم أرى أحداً غيره يقول هذا القول والانتحال عندهم قول جرير

ان الذين غدوا بلبك غادروا وشلاً بعينك لا يزال معينا

غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

فان الرواة مجمعون على ان البيتين للمعلوط السعدي انتحلهما جرير وانتحل أيضاً قول طفيل الغنوي

ولما التقى الجمعان ألقيت العصا ومات الهوى لما أصيبت مقاتله

ولذلك قال الفرزدق

ان تذكروا كرمي بلؤم أبيكم وأوابدي تتنحلوا الاشعارا

وكانا يتقارضان الهجاء ويعكس كل واحد منهما المعنى على صاحبه وليس ذلك عيباً في المناقضات ولما قال الفرزدق في بني ربيع

بمت ربيع أن يجئ صغارها بخير وقد أعيى ربيعاً كبارها

أخذه البعيث بعينه في بني كليب رهط جرير فقال الفرزدق

اذا ما قلت قافية شروداً تنحلها ابن حمراء العجان

يعني البعيث وكان ابن سرية واما قول البحتري

ومني غواة الشعر من بين مفحم ومنتحل ما لم يقله ومدعي

فيشهد لك بما قدمت ذكره لأنه قسمهم ثلاثة أقسام مفحم قد عجز عن الكلام فضلا عن التحلي بالشعر غير أنه يتبع الشعراء والآخر منتحل لا جودة من شعره الثالث مدع جملة لايحسن شيئاً .. والاعارة أن يصنع الشاعر بيتاً ويخترع معنى مليحاً فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وأبعد صوتا فيروي له دون قائله كما فعل الفرزدق بجميل وقد سمعه ينشد

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا وأن نحن أومأنا الى الناس وقفوا

فقال متي كان الملك في بني عذرة انما هو في مضر وأنا شاعرها فغلب الفرزدق على البيت

ولم يتركه جميل ولا أسقطه من شعره ٠٠وقد زعم بعض الرواة أنه قال له تجاف لي عنه فتجافى جميل عنه والاول أصح فما كان هكذا فهو إعارة وقوم يرون ان الاعارة أخذ اللفظ بأسره والمعنى بأسره والسرق أخذ بعض اللفظ أو بعض المعنى كان ذلك لمعاصر أوقديم٠٠وأما الغصب فمثل صنيعه بالشمردل اليربوعي وقد أنشد في محفل

فما بينَ من لم يعطِ سمعاً وطاعةً وبين تميمٍ غيرُ حزّ الحلاقمِ

فقال الفرزدق والله لتدعنه او لتدعن عرضك فقال خذه لا بارك الله لك فيه وقال ذو الرمة بحضرته لقد قلت أبياتا ان لها لعروضا وان لها لمرادا ومعنى بعيدا قال وما قلت فقال قلت

أحينَ أعادت بى تميمٌ نساءَها وجردتُ تجريدَ اليماني من الغمدِ
ومدتْ بضبعيَّ الرباب ومالكٌ وعمروٌ وسالت من ورائي بنوسعدِ
ومن آلِ يربوع زُهاءٌ كأنهُ دجى الليلِ محمود النكايةِ والرفدِ

فقال له الفرزدق اياك واياها لا تعودن اليها وأنا أحق بها منك قال والله لا أعود فيها ولا أنشدها أبداً الا لك٠٠وسمعت بعض المشايخ يقول الاصطراف فى شعر الأموات كالاعارة على شعر الأحياء انما هو أن يرى الشاعر نفسه أولى بذلك الكلام من قائله وأما المرافدة فأن يعين الشاعر صاحبه بالابيات يهبها له كما قال جرير لذي الرمة انشدني ما قلت لهشام المرئى فانشده قصيدته

نبت عيناك عن طلل بحزوى محتهُ الريح وامتنح القطارا

فقال ألا أعينك قال بلي بأبى وأمي قال قل له

يعدُّ الناسبونَ الى تميم بيوتَ المجدِ اربعةً كبارا
يعدون الربابَ وآلَ سعدٍ وعمراً ثم حنظلةَ الخيارَا
ويهلك بينها المرئيُّ لغواً كما ألغيتَ فى الديةِ الحوارَا

فلقيه الفرزدق فاستنشده فلما بلغ هذه قال جيد أعده فأعاد فقال كلا والله لقد علكهن من هو أشد لحيين منك هذا شعر ابن المراغة٠٠واستر فد هشام المرئي جريرا على ذي

الرمة فقال فى أبيات

عاشي عدياً لؤمها ما تجنه من الناس ماماشت عدياً ظلالها

فقل لعدىّ تستعن بنسائها علىّ فقد أعيي عدياً رجالها

اذا الرمّ قد قلدت قومك رمةً نطتمّ بأيدي العاقدين انحلالها

ويروى بأيدى المطلقين. فقال ذو الرمة لما سمعها ياويلتا هذا والله شعر حنظلى وغلب هشام على ذى الرمة بعد ان كان ذو الرمة مستعلياً عليه وقد استرفد النابغة بنى ذبيان زهيراً فأمر ابنه كعبا فرفده والشاعر يستوهب البيت والبيتين والثلاثة وأكثر من ذلك اذا كانت شبيهة بطريقته ولا يعد ذلك عيبا لأنه يقدر على عمل مثلها ولا يجوز ذلك الا للحاذق المبرز . والاهتدام نحو قول النجاشى

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة ورجل رمت فيها يد الحدثانِ

فاخذ كثير القسم الاول واهتدم باقى البيت فجاء بالمعنى فى غير اللفظ فقال ورجل رمى فيها الزمان فشلت . وأما النظر والملاحظة فمثل قول مهلهل

أنصوا معحسَ القسيّ وأبرقوا ما كما توعد المحولُ المحولاَ

نظر اليه زهير بقوله

يطعنهم ما ارتموا حتى اذا اطعنوا ضارب حتى اذا ما ضاربوا اعتنقا

أو أبو ذؤيب بقوله

ضروبٌ لها مات الرجالِ بسيفهِ اذا حنَّ نبعٌ بينهم وشريحُ

والالمام ضرب من النظر وهو مثل قول أبى الشيص

* أجدُ الملامةَ فى هواكِ لذيذةً *

وقول أبى الطيب * أأحبه وأحب فيه ملامةً *

البيت وقد تقدم ذكرها فى التغاير . . وأما الاختلاس فهو قول أبى نواس

ملكٌ تصورَ فى القلوبِ مثاله فكأنه لم يخلُ منهُ مكانُ

احتلسه من قول كثير

أريدُ لأنسى ذكرها وكأنما ... تمثلُ لي ليلى بكلِّ سبيلِ

وقول عبد الله بن مصعب

كأنكَ كنتَ محتكماً عليهم ... تخيرُ في الأبوةِ ما تشاء

ويروى - كأنكَ جئتَ محتكماً عليهم - احتلسه من قول أبي نواس

خليت والحسن تأخذه ... تنتقي منه وتنتخبُ

فاكتست منه طرائفه ... ثم زادت فضل ما تهبُ

أردت البيت الأول ومن هذا النوع قول امرئ القيس

اذا ما ركبنا قال ولدانُ حيّنا ... تعالوا الى أن يأتنا الصيدُ نحطب

نقله ابن مقبل الى القدح فقال

اذا امتحنته من معدٍّ عصابةٌ ... غدا ربه[1] قبل الافاضةِ يقدح

نقله ابن المعتز الى البازي فقال

قد وثقَ القومُ له بما طلب ... فهو اذا جرى لصيدٍ واضطرب

* غروا سكاكينهم من القرب *

نقلته أنا الى قوس البندق فقلت

طيرٌ أنامل حاذقات فما برحت ... الا وأقواسنا الطير الأناسلُ

ترميهمُ بحصي طينٍ مسوّمةٍ ... كأنَّ معدنها للرمي سجيلُ

نغدو على ثقة مما نأطيها ... فالنارُ تقدحُ والطنجيرُ مغسول

والموازنة مثل قول كثير

تقولُ مرضنا فما عدتنا ... وكيفَ يعودُ مريضٌ مريضا

وازن في القسم الآخر قول نابغة بني تغلب

(١) ن غداربه

محلـا احالك قد تعلمين وكمـ نعيبُ بحيلُ محيلا

والعكس قول ابن أبي قيس ويروى لابي حفص البصري

ذهبَ الزمانُ برهطِ حسانَ الألى كانت مناقبهم حديثَ الغابرِ

وبقيتُ في خلفٍ يحلُّ ضيوفهم منهم بمنزلة اللئيم الغادر

سودِ الوجوه لئيمةٍ احسابهم فطسِ الانوف من الطراز الآخر

وقد عاب ابن وكيع هذا النوع نقلة عن مه أو عملة عطيمة .. وأما الموارده فقد ادعاها قوم في بيت امرئ القيس وطرفة ولا أظن هذا مما يصح لان طرفة في زمان عمرو بن هند شاب حول العشرين وكان امرؤ القيس في زمان المنذر الاكبر كهلا واسمه وشعره أشهر من الشمس وكيف يكون هذا موارده الا أنهم ذكروا أن طرفة لم يثبت له البيت حتى استحلف أنه لم يسمعه قط فحلف واذا صحّ هذا كان مواردة وان لم يكونا في عصر وسئل أبو عمرو بن العلاء أرأيت الشاعرين تتفقان في المعنى ويتواردان في اللفظ لم يلق واحد منهما صاحبه ولم يسمع شعره قال تلك عقول رجال توافت على ألسنها وسئل أبو الطيب عن مثل ذلك فقال الشعر جادة وربما وقع الحافر على موضع الحافر وأما الالتقاط والتلفيق فمثل قول يزيد بن الطثرية

اذا ما رآني مقبلا غضّ طرفه كأن شعاعَ الشمسِ دوني يقابله

فأوله من قول جميل

اذا ما رأوني طالعاً من ثنية يقولون من هذا وقد عرفوني

ووسطه من قول جرير

فغضّ الطرفَ انك من نمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

وعجزه من قول عنترة الطائي(١)

اذا أبصرتني أعرضتَ عني كأنّ الشمسَ من حولي تدورُ

(١) هو عنترة بن عكبرة الطائي وهي أمه وأبوه الاخرس بن ثعلبة فارس شاعر ذكره الآمدي في المؤتلف والمختلف اه كتبه مصححه

فاما كشف المعنى فنحو قول امرئ القيس

يمشّ باعراف الجياد أكفّنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب

وقال عبدة بن الطبيب بعده

ثمة قمنا الى جردٍ مسوّمة اعرافهن لأيدينا مناديلُ

فكشف المعنى وأبرزه ‥ وأما المحدود من الشعر فنحو قول عنترة العبسي

* وكما علمتِ شمائِلي وتكرمي *

فرزق حدّاً واشتهاراً على قول امرئ القيس

وشمائلي ما قد علمتِ وما نبحتْ كلابُك طارقاً مثلي

ومنه أخذ عنترة والمخترع معروف له فضله متروك له من درجته غير أن المتبع اذا تناول معنى فأجاده بأن يختصره ان كان طويلا أو يبسطه ان كان كزّاً أو يبينه ان كان غامضاً أو يختار له حسن الكلام ان كان سفسافاً أو رشيق الوزن ان كان جافياً فهو أولى به من مبتدعه وكذلك ان قلبه أوصرفه عن وجهه الى وجه آخر فأما ان ساوى المبتدع فله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فان قصر كان ذلك دليلا على سوء طبعه وسقوط همته وضعف قدرته فمما أجاد فيه المتبع على المبتدع قول الشماخ

اذا بلغتني وحملتِ رحلي عرابةَ فاشرقي بدم الوتين

فقال أبو نواس

أقولُ لناقتي اذْ بلغتني لقد أصبحتِ مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلا ولاقلتُ اشرقي بدم الوتين

وكرره فقال

واذا المطيّ بنا بلغنَ محمداً فظهورهن على الرحالِ حرام

قرّبننا من خير من وطئَ الحصى فلها علينا حرمةٌ وذمام

ومما يتساوى فيه السارق والمسروق منه قول امرئ القيس فلو أنها نفسٌ البيت

وقول عبدة بن الطيب له كان قيس البيت .. وسوء الاتباع أن يعمل الشاعر معنى رديًا ولفظًا رديًا مستهجنًا ثم يأتي من بعده فيتبعه فيه على رداءته نحو قول أبي تمام

باشرتُ أسبابَ الغنى بمدائحٍ ضربت بأبوابِ الملوك طبولا

فقال أبو الطيب

اذا كان بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بوقات لها وطبول

فسرق هذه اللفظة لئلا تفوته ومما قصر فيه الآخذ عن المأخوذ منه .. قول أبي دهبل الجمحي في معنى بيت الشماخ

ياناقُ سيري واشرقي بدمٍ اذا جئت المغيره

سيثيبني أخري سوا ك وتلك لي منه يسيره

فأنت ترى أين بلغت همته ..ومما يعد سرقا وليس بسرق اشتراك اللفظ المتعارف كقول عنترة

وخيل قد دلفتُ لها بخيل عليها الاسدُ تهتصرُ اهتصارا

وقول عمرو بن معدى كرب

وخيل قد دلفتُ لها بخيل تحية بينهم ضربٌ وجيع

وقول خنساء ترثي أخاها صخراً

وخيلٍ قد دلفتَ لها بخيل فدارت بين كبشيها رحاها

.. ومثله

وخيلٍ قد دلفت لها بخيل ترى فرسانها مثلَ الأُسود

وأمثال هذا كثير وكانوا يقضون في السرقات أن الشاعرين اذا ركبا معنى كان أولاهما به أقدمهما موتا وأعلاهما سنا فان جمعهما عصر واحد كان ملحقا باولاهما بالاحسان وإن كانا في مرتبة واحدة روي لهما جميعا وانما هذا فيما سوى المختص الذي حازه قائله واقتطعه صاحبه الا ترى ان الاعشى سبق الى قوله

وفي كل عامٍ أنت جاشمُ غزوةٍ تشدُّ لأقصاها عزيمَ عزائكا
مورثةٍ مجداً وفي الاصل رفعةً لما ضاع فيها من قروء نسائكا

فأخذه النابغة فقال

شعبُ العلافيات بين فروجهم والمحصنات عوازب الأطهارِ

وبيت النابغة خير من بيت الأعشى باختصاره وبما فيه من المناسبة بذكر الشعب بين الفروج وذكر النساء بعد ذلك وأخذه الناس من بعده فلم يعلمه على معناه ولا شاركه فيه بل جعل مقتدياً تابعاً وان كان مقدماً عليه في حياته وسابقاً له بمماته .. وقال أوس ابن حجر

كأنَّ هرا جنيباً عند غرضها والتف ديكٌ برجليها وخنزيرُ

فلم يقربه أحد وكذلك سائر المعاني المفردة والتشبيهات العقم تجري هذا المجرى .. وأجل السرقات نظم النثر وحل الشعر وهذه لمحة منه .. قال بادب الاسكندر حركته أبلغ سكونه فتناوله أبو العتاهية فقال

قد لعمري حكيت لي غصصَ المو تِ وحركتني لها وسكنت

وقال ارسطاطاليس بيدنهُ قد كان هذا الشخص واعظاً بليغاً وما وعظ بكلامه عظة قط أبلغ من موعظته بسكوته .. وقال أبو العتاهية في ذلك

وكانت في حياتك لي عظاتُ فأنتَ اليومَ أوعظ منك حيّا

وقال عيسى عليه السلام تعملون السيئات وترجون أن تجازوا عليها بمثل ما يجزى به أهل الحسنات أجل لا يجنى الشوك من العنب .. فقال ابن عبد القدوس

اذا وترت امرأ فاحذر عداوتَهُ من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا

وأخذ الكتاب قولهم ـ قدمت قبلك ـ من قول الاقرع بن حابس ويروى لخاتم

اذا ما أتى يومٌ يفرّق بيننا بموتٍ فكن انتَ الذي تتأخر

وقولهم ـ وأتم نعمته عليك ـ من قول عديّ بن الرقاع العاملي

صلى الإله على امرئٍ ودعتهُ وأتم نعمته عليه وزادها

فما جرى هذا المجرى لم يكن على سارقه جناح عند الحذاق وفي أقل ما جئت به منه كفاية

باب الوصف

الشعر الا أقله راجع الى باب الوصف ولا سبيل الى حصره واستقصائه وهو مناسب للتشبيه مشتمل عليه وليس به لانه كثيراً ما يأتي في اضعافه والفرق بين الوصف والتشبيه أن هذا اخبار عن حقيقة الشيء وأن ذلك مجاز وتمثيل .. وأحسن الوصف ما نعت به الشيء حتى يكاد يمثله عيانا للسامع كما قال النابغة الجعدي يصف ذئبا افترس جؤذراً

فبات يذكه بغير حديدة أخو قنص يمسي ويصبح مفطرا

اذا ما رأى منه كراعا تحركت أصاب مكان القلب منه وفرفرا

فأنت ترى كيف قام هذا الوصف بنفسه ومثل الموصوف في قلب سامعه .. قال قدامة الوصف انما هو ذكر الشيء بما فيه من الأحوال والهيئات ولما كان أكثر وصف الشعراء انما يقع على الاشياء المركبة من ضروب المعاني كان أحسنهم وصفاً من أتى في شعره أكثر المعاني التي الموصوف بها مركب فيها ثم بأظهرها فيه وأولاها به حتى يحكيه ويمثله للحس بنعته .. وقال بعض المتأخرين أبلغ الوصف ما قلب السمع بصراً .. وأصل الوصف الكشف والاظهار يقال قد وصف الثوب الجسم اذا نم عليه ولم يستره .. ومنه قول ابن الرومي

اذا وصفت ما فوق مجرى وشاحها غلائلها ردت شهادتها الأزر

الا أن من الشعراء والبلغاء من اذا وصف شيئاً بالغ في وصفه وطلب الغاية القصوى التي لا يعدوها شيء ان مدحا فمدحا وان ذما فذما .. والناس يتفاضلون في الاوصاف كما يتفاضلون في سائر الاصناف فمنهم من يجيد وصف شيء ولا يجيد وصف آخر ومنهم من يجيد الاوصاف كلها وان غلبت عليها الاجادة في بعضها كامرىء القيس قديما وأبي نواس في

عصره والبحتري وابن الرومي في وقتهما وابن المعتز وكشاجم فان هؤلاء كانوا متصرفين بجيد الاوصاف وليس بالمحدث من الحاجة الى أوصاف الابل ونعوتها والقفار ومياهها وحمر الوحش والبقر والظلمات والوعول مابالاعراب وأهل البادية لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات وعلمهم أن الشاعر انما يتكلفها تكلفا ليجري على سنن الشعراء قديما وقد صنع ابن المعتز وأبو نواس قبله ومن شاكلهما في تلك الطرائق ماهو مشهور في أشعارهم كرائية الحسن في الخصب وحمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من الكامل .. والأولى بنا في هذا الوقت صفات الخمر والقيان وماشاكلهما وما كان مناسبا لهما كالكؤوس والقناني والاباريق وتفاح التحيات وباقات الزهر الى مالابد منه من صفات الخدود والقدود والنهود والوجود والشعور والريق والثغور والارداف والخصور ثم صفات الرياض والبرك والقصور وما شاكل المولدين فان ارتفعت الصناعة فصفات الجيوش وما يتصل بها من ذكر الخيل والسيوف والرماح والدروع والقسي والنبل الى نحو ذلك من ذكر الطبول والبنود والمحرقات والمجنقات وليس يتسع لنا هذا الموضع لاستقصاء ما في النفس من هذه الاوصاف فحينئذ أدل على مظانها دلالة مجملة وأذكر مما قل شكله وعز نظيره شواهد وأمثلة نعرف بها المتعلم كيف العمل فيها ومن حيث المسلك اليها ان شاء الله تعالى .. أما نعات الخيل فامرؤ القيس وأبو دؤاد وطفيل الغنوي والنابغة الجعدي وأما نعات الابل فطرفة في معلقته من أفضلهم وأوس بن حجر وكعب بن زهير والشماخ وأكثر القدماء يجيد وصفها لانها مراكبهم ألا ترى رؤبة لما غلط في وصف الفرس كيف قال أدنى من ذنب البعير وكان عبيد بن حصين الراعي النميري أوصف الناس للابل ولذلك سمي راعيا وأما الحمر الوحشية والقسي فأوصف الناس لها الشماخ شهد له بذلك الحطيئة والفرزدق وهذان يجيدان صفات الخيل والقسي أيضا والنبل وأما الخمر فمن أوصاف الاعشى والاخطل وأبي نواس وابن المعتز ولأبي نواس أيضا وابن المعتز الصيد والطرد فما شئت من هذه الاوصاف فالتمسها حيث ذكرت ومن الأوصاف القليلة المثل .. قول رؤبة يصف الفيل

أحردُ الخصرِ طويـل النابين مشرفُ اللحى صغير العينين[1]

(١) نسخة أبيض كالحصن طويل النابين مشرف اللحي صغير العينين

* عليه أذنان كفصل الثوبين *

وقال آخر يصفه أنشده عبد الكريم

من يركب الفيل فهذا الفيلُ ... إن الذي يحمله محمولُ

على تهاويلَ لها تهويل ... كالطودِ الا أنه يحول

* وأذنٍ كأنها منديلُ *

هكذا أنشده وبين البيتين الأخيرين أبيات كثيرة أسقطها وقد أنشدها غلام ثعلب عنه عن ابن الاعرابى .. وقال عبد الكريم تجمع ما فرقاه وزاد عليها

وأصحمَ هنديّ النجارى تمده ... ملوكُ بني ساسان ان رامها أمرُ

من الورق لا من ضربه الورق يرتمي ... أصاح ولا من ضربه الحسنُ والعشر

يجيءُ كطود سائل فوق أربع ... مضبرة لمت كما لمت الصخرُ

له مجدان كالكثيبين لبدا ... وصدرٌ كما أرقى من الهضبة الصدر

[illegible] كراووق خمرة ... ينال به ما تدركُ الأنملُ العشرُ

[illegible] ... خمما وطرف يقبضُ العيب مرورُ

[illegible] لا يريك سواهما ... قناتين سمراوين طعنهما نثرُ

له لونُ ما بين الصباح وليله ... اذا نطق العصفور أو غلس الصقرُ

ووصفت أنا زرافة أتت فى الهدية من مصر الى مولانا خلد الله ملكه من قصيدة طويلة

وأتتك من كسب الملوكِ زرافةٌ ... شتى الصفات لكونها انشاء

جمعت محاسن ماحكت فتناسبت ... فى خلقها وتباينت الاعضاء

تحتثها بين الخوافق مشية ... نادٍ عليها الكبرُ والخيلاء

وتمدُّ جيداً فى الهواء يريبها ... فكأنهُ تحتَ اللواءِ لواء

حطت مآخرها وأشرف صدرها ... حتى كأنّ وقوفها إقعاء

وكأنّ فهر الطيب ما رحمتْ به ... وجهَ الثرى لو لمتِ الاجزاء

وتحيرت دون الملابس حلة عيت لصنعة مثلها صنعاء
لو أن كلون الرل الا أنه حلى وحرع نعمة الحلاء
او كالسحاب المكفهرة حيطت فيه البروق وميضا يمده
أو مثل ما صدئت صفائح حوشن وحري على حافاتهن حلاء
نعم التحاويف التي ادرعت به من حلدها لو كان فيه وقاء

وصفت أنا أيضاً

ومحوبة أبداً لم تكن مذللة الطهر للراكب
قدا نصل الحيد من طهرها بمثل السام بلا عارب
ململمة مثل ما لمعت بحماء وشي يد الكاعب
كأن الحواري كمعها لحالح من كل جانب

وقال كشاجم يصف اصطرلابا

ومستدير كحرم البدر مسطوح عن كل رائعة الاشكال مصفوح
صلب يدار على قطب يليه عثال طرف نشكم الحدق مشموح
مثل السان وقد أوفت صفائحه على الأقالم فى أقطارها الفيح
كأنما السبعة الافلاك محدقة بالماء والنار والارضين والريح
تنبيك عن طالع الابراج هيئته بالشمس طوراً وطورا بالمصابيح
وان مضت ساعة أو بعض ثانية عرفت ذاك بعلم منه مشروح
وان تعرض في وقت يقدره لك التشكك حلاه تصحيح
ممرٌّ فى قاسات النجوم لما بين المشائم منها والمناجيح
له على الطهر عسا حكمة بهما يحوي الضياء ويحبه من اللوح
وفى الدوائر من أشكاله حكم بلقح الفهم ما أى تلقيح
لا يستقل لما فيها بمعرفة الا الحصيف اللطيف الحس والروح

حتى ترى العيب عنهُ وهو مغلق الا أبواب عمن سواه جد مفتوح
نتيجة الدهر والتفكير صوره ذوو العقول الصحيحات المراجيح

وقال أيضاً يصف تخت حساب الهندسة

وقلم مداده تراب في صحف سطورها حساب
يكثر فيه المحو والاضراب من غير أن يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب وليس إعجام ولا إعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

وقال يستهدي بركارا

جدلي بركارك الذي صنعت فيه يداقينة اعاجيبا
ملأم الشعرتين معتدل ماشين من جانب ولا عيبا
شخصان في شكل واحد قدرا وركبا في العقول تركيبا
أشبه شيئين في اشتباههما بصاحب لا يزل مصحوبا
أوثق مسماره وغيب عن نواظر الناقدين تغييبا
فبين من يجتليه بحسبه في قالب الاعتدال مصبوبا
وضم شطريه محكم لهما ضم محب اليه محبوبا
يزداد حرصا عليه مبصره مارادده باللسان تقليبا
فقوله كل ما تأمله طوبى لمن كان ذاله طوبى
ذو مقلة بصرته مذهبة لم يأله ريبة وتذهيبا
ينظر منه الى الصواب به فلا يزال الصواب مطلوبا
لولاه ما صح شكل دائرة ولا وجدنا الحساب محسوبا
الحق فيه فان عدلت الى سواه كان الحساب تقريبا
لوعين اقليدس به بصرت خر له بالسجود مكبوبا

فانه واحسه لي بمسطرة | تلق الهوى بالثناء محبوبا
لا زلت تحذى وتحذي حكما | مستوهبا للصديق موهوبا

وقال في صفة السكام

روح من الماء في جسم من الصفر | مؤتلف بلطيف الحس والنظر
مستعمر لم يعب عن أهله سكن | ولم يبت قط من طعن على حذر
له على الظهر أجفان محجرة | ومقلة دمعها يجري على قدر
تنشا له حركات في أسافله | كأنها حركات الماء في النحر
وفي أعاليه حسبان يفصله | للناظرين بلا ذهن ولا فكر
اذا بكي دار في أحشائه فلك | خافي المسير وان لم يبك لم يدر
مترجم عن مواقيت تخبرنا | عنها فيوجد فيها صادق الخبر
تقضي به الحس في وقت الوجوب وان | عطى على الشمس ستر الغيم والمطر
وان سهرت لأسباب تؤرقني | عرفت مقدار ما ألقى من السهر
محرر كل ميقات تحيره | دون التحير للاسمار والحصر
ومخرج لك بالاجراء ألطفها | من النهار وقوس الليل والسحر
نتيجة العلم والافكار صوره | ياحبذا بدع الافكار في الصور

وقال يصف دراريج آبنوس

نعم المعين على الآداب والحكم | صحائف حلك الألوان كالظلم
لا تستمد مداداً غير صبغها | فسر ذي الله منها غير مكتتم
خفت وجفت فلم تدنس لحاملها | ثوبا ولم يحش منها سوة القلم
وأمكن المحو فيها الكف فاتسعت | لما تضمن من نثر ومنتظم
حليتها بلجين واتخذت لها | وقاية من ذكي العود لا الأدم
فالكم يعبق منها حين تودعه | عرفاً تنسم منها أطيب النسم

لو كن الواح موسى حين نعصه هارون لم يلمها خوفا من الندم

وله من قصيدة ذكر فيها طاوسا مات له

رزئته روضة يروق ولم يسمع بروض يمشي على قدم

حثل الدنانى كان سندسة ررت عليه موشية العلم

متوجاً حلقة حباه بها دو الفطر المعجزات والحكم

كأنه بردجرد منتصباً يبني فيعلى مآثر العجم

يطرق أجفانه ويحسر عن فصين ستصبحان في الظلم

ادل بالحسن فاستذال له ذيلا من الكبر غير محتشم

ثم مشي مشية العروس فمن مستطرف معجب ومبتسم

فهذا طرف مما شرطته كاف يرى به المتعلم نهج هذه الطريقة ان شاء الله تعالى

باب الشطور وبقية الزحاف

القول في الشطور على أحد وجهين اما أن يراد بالشطر نصف البيت واما أن يراد به القصد وذلك انهم اذا ذكروا الشطور فربما أنشدوا أبياتاً كاملة وليست أقسمة فيكون هذا من قوله تعالى ﴿ فولِّ وجهكَ شطرَ المسجد الحرام ﴾ وكذلك القسم أيضا يجوز أن يكون نصف البيت ويجوز أن يكون بمعنى الحظ من الوزن لان الحظ يقال له قسيم وقسم .. قال جرير

أتاركة أكلَ الحرير مجاشع وقد حسَّ الاقى الحريرِ قسيمها

يريد حظها .. وقالت ابنة [1] المنذر بن ماء السماء

نعين أباعَ قاسمنا المنايا فكان قسيمها خيرَ القسيم

(١) نسخه ابى المنذر

وهذا حين أبدأ بذكر الشطور على مذهب الجوهري لقلة حشوه ﴿ الطويل ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فعولن مفاعيلن ثماني مرات وزحافه القبض الثلم الثرم الكف الحذف ومسدسه ان يحذف منه مفاعيلن الآخرة من كل قسيم ﴿ المديد ﴾ مثمن محدث مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن فاعلن ثماني مرات وعلى ذلك أبي محدثه وبيت مربعه السالم

بؤس للحرب التي غادرت قومي سدا

قال وهذا شعر قديم الا أن الخليل لم يذكره زحافه الخبن الكف الشكل القصر الحذف الصلم ﴿ البسيط ﴾ مثمن قديم مسدس قديم مربع محدث أجزاؤه مستفعلن فاعلن ثماني مرات ومسدسه مستفعلن فاعلن مستفعلن مكررة قال وله مسدس آخر يسميه الخليل السريع وقد نقص منه فاعلن الأول والثالثة وبيته المربع المحدث

دارٌ عفاها القدمْ بين البلى والعدمْ

زحافه الخبن الطي الخبل القطع الازالة التخليع ومعنى التخليع قطع مستفعلن في العروض والضرب جميعاً ﴿ الوافر ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه مفاعلتن ست مرات ولم يجيء عن العرب في مسدسه بيت صحيح زحافه العصب القطف النقص العقل العصب القصم العقص الجم ﴿ الكامل ﴾ مسدس قديم مربع قديم أجزاؤه متفاعلن ست مرات زحافه الاضمار الوقص الخزل القطع الحذذ الترفيل الاذالة ﴿ الهزج ﴾ مسدس محدث مربع قديم أجزاؤه مفاعيلن أربع مرات بيته المسدس المحدث

ألا هلْ هاجكَ الاظعانُ اذ بانوا واذ صاحتْ بشطِّ البينِ غربانُ

زحافه الخرم الكف القبض الخرب الشتر الحذف ﴿ الرجز ﴾ مسدس مربع مثلث مثنى كله قديم موحد محدث أجزاؤه مستفعلن ست مرات زحافه الخبن الطي الخبل القطع الفرق الوقف ومعنى قوله الفرق أن يفرق الوتد المجموع في حشو مسدسه فيعود مستفعلن مستفعل بتقديم النون فيكون وزنه مفعولات .. قال وهو الذي يسميه الخليل المنسرح ولم يجيء ضربه الا مطوياً وفي صدر مربعه قال وهو الذي يسميه الخليل المقتضب وفي ضرب مثناه ومثلثه الا أنه ساكن اللام لان آخر البيت لا يكون الا

متحركاً وذلك هو الوقف ﴿ الرمل ﴾ مسدس قدم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن ست مرات زحافه الخبن الكف التشكل الحذف القصر الاسباغ ﴿ الخفيف ﴾ مسدس قدم مربع قديم أجزاؤه فاعلاتن مستفعلن فاعلاتن مكرر ومربعه فاعلاتن مستفعلن ومثله قال وقد ركب منه مربع آخر وهوالذي يسميه الخليل مجتثاً وقد نقص منه فاعلاتن الأولى والرابعة زحافه الخبن الكف التشكل الحذف القطع التشعيث الاسباغ الطي ﴿ المضارع ﴾ مربع قدم لاغير أجزاؤه مفاعلن فاعلاتن مكرر ولم يجئ عن العرب فيه بيت صحيح زحافه القبض الكف الخرب الشتر الخبن ﴿ المتقارب ﴾ مثمن قدم مسدس مربع محدث أجزاؤه فعولن ثماني مرات زحافه القبض الثلم الثرم القصر الحذف البتر وبيت مربعه المحذوف

وقفا هيئةً بالطلال منه

﴿ المتدارك ﴾ مثمن قديم مسدس محدث أجزاؤه فاعلن ثماني مرات وبيته السالم من مثمنه

لم يدعْ من مضى للذي قد غبرْ فضلَ علم سوى أخذه بالأثر

وشعر عمرو الجني مخبون زحافه الخبن القطع الاذالة الترفيل .. وهذا شرح الالقاب عن أبي زهرة النحوي وغيره كل ما حذف ثانيه الساكن فهو مخبون وكل ما حذف رابعه الساكن منه فهو مطوي وما حذف خامسه الساكن فهو مقبوض وما حذف سابعه الساكن فهو مكفوف وما حذف ثانيه ورابعه الساكنان فهو مخبول وما حذف ثانيه وسابعه الساكنان فهو مشكول وما حذف ثانيه المتحرك فهو موقوص وما حذف خامسه المتحرك فهو معقول وما حذف سابعه المتحرك فهو مكشوف عند الخليل ولم تعتد به الجوهري وما حذف رابعه الساكن وأسكن ثانيه المتحرك فهو مخزول وما أسكن ثانيه المتحرك فهو مضمر وما أسكن خامسه المتحرك فهو معصوب وما أسكن سابعه المتحرك فهو موقوف وما حذف ساكن سببه وأسكن متحركه فهو مقصور وان كان هذا العمل في وتد فهو مقطوع وكل سبب زيد عليه حرف ساكن ليس من الجزء الذي هو فيه فهومسبغ وان كان ذلك في وتد فهو مذيل فان زيد على الوتد حرفان فهو مرفل وكل

ما حذف منه وتد مجموع فهو أحذ فان حذف وتد مفروق فهو أصلم واذا حذف من الجزء سبب وأسكن المتحرك الذى يليه فهو مقطوف وكل وتد مجموع كان فى مبتدأ البيت فحذف أول الوتد فهو مخروم وان كان ذلك فى فعولن فهو أثلم فان كان فيه مع الخرم قبض فهو أثرم وان كان الخرم فى مفاعلتن فهو أعضب وان كان مع ذلك عصب فهو أقصم وان كان فيه مع الخرم قبض فهو أعقص وان كان فيه مع الخرم عقل فهو أجم واذا خرمت مفاعيلن فهو أخرم واذا كففته مع ذلك فهو أخرب واذا خرمته وقبضته فهو أشتر وما ذهب منه جزآن من العروض والضرب فهو مجزو وما يذهب منه شطره فهو مشطور وما ذهب ثلثاه فهو منهوك وما سلم من الزحاف وهو يجوز فيه فهو سالم وما سلم من الخرم فهو موفور وما استوفى دائرته فهو تام وما استوفى أجزاء دائرته وكان فى بعض الاجزاء نقص فهو واف ٠٠ وكل جزء كان فى ضرب أو عروض فكان بمنزلة الحشو فهو صحيح وان خالف الحشو فهو معتل ومخالفة الحشو أن يدخل فيه من النقص والزيادة مالا يدخل الحشو أو يمتنع من النقص الذي يدخل الحشو والمعتل على أربعة أوجه ابتداء وفصل وغاية واعتماد وقد شرحناها فيما تقدم

بيوتات الشعر والمعرفون فيه

منها فى الجاهلية بيت أبى سلمى كان شاعراً واسمه ربيعة وابنه زهير كان شاعراً وله خؤلة فى الشعر خاله بشامة بن الغدير وكان كعب وبجير ابنا زهير شاعرين وجماعة من أبنائهما ٠٠ ومن المخضرمين حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام هو وأبوه وجده وأبو جده شعراء وابنه عبدالرحمن شاعر وسعيد بن عبدالرحمن شاعر ذكر ذلك المبرد ٠٠ وبعد هذين بيت النعمان بن بشير وبنوه أبان وبشير وشبيب وابنته حميدة ومن بنى بنيه عبد الخالق بن عبد الواحد وعبد القدوس بن عبد الواحد بن النعمان وأم النعمان عمرة بنت رواحة شاعرة وخاله عبد الله بن رواحة أحد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم ٠٠ ومن

المعرقين في الشعر عن عبد الكريم مهشل بن حرى بن صمرة بن حابر بن قطن ستة لبس يتوالى في بني تميم مثلهم شعراً وشرفاً وفعالا ٠٠ وعن ابن قتيبة القاسم بن أمية بن أبي الصلت وهو القائل

قوم اداول العـريب بدارهم ترکوه رب صواهل وقيان

وربيعة بن أمية عن غير ابن قتيبة ٠٠ ومن بيوتات الشعر في الاسلام بيت جرير كان هو وأبوه عطية وجده الخطفى شعراء وكان بنوه وبنو بنيه شعراء ٠٠ قال أبو زياد الكلابي رأيت باليمامة نوحاً وبلالا بني جرير وهما يتسايران ولهما جمال وهيئة وقدر عظيم وأشعر من باليمامة يومئذ جحاء بن نوح بن جرير وكان عقيل بن بلال شاعراً وعمارة ابنه شاعراً أدرك الطائى حيناً ولقيه المبرد ٠٠ ومن المعرقين عقبة بن رؤبة بن العجاج ٠٠ ومن البيوتات بيت أبي حفصة كان مروان شاعراً وجماعة بيته شعراء يضربون بألسنتهم أبوهم حكاه الجاحظ وكان يحيى جد مروان شاعراً يهاجي اللعين المنقرى ٠٠ وجريراً وأكثر أهل بيته شعراء رجالا ونساء ٠٠ وبنو أبي عيينة بيت شعر منهم محمد وبنوه أبو عيينة وعبد الله وداود وعباد بن داود لقبه المحرق لقوله

انا المحرق أعراض اللئام كما كان المعرق أعراض اللئام أبى

وبيت الرقاشيين منهم عبد الصمد بن الفضل وأباه الفضل والعباس وأكثرهم شعراء ٠٠ وبيت اللاحقيين كان حمدان شاعراً وابنه وأبوه أبان شاعراً وجده عبد الحميد شاعراً ولاحق أبو عبد الحميد شاعراً واليه نسبوا وهو مولى الرقاشيين وأكثر أهل هذا البيت شعراء ٠٠ وبيت أمية الكاتب ذكرهم دعبل وهم أمية واخوته على ومحمد والعباس وسعيد ومن أولاد هؤلاء أبو العباس بن أمية وأخواه على وعبد الله وابن عمهم محمد بن على بن أبي أمية ٠٠ وبنو رزين بيت شعر منهم عبد الله شاعر وابنه أبو الشيص شاعر واسمه محمد ومنهم على شاعر وابناه دعبل وعلى شاعران ٠٠ وبيت حميد بن عبد الحميد كان حميد شاعرا وبنوه أصرم وأبو عبد الله وأبو نصر وأبو نهشل شعراء ذكرهم دعبل ٠٠ والفرق بين المعرق وبين ذى البيت أن المعرق من تكرر الأمر فيه وفي أبيه وفي جده فصاعدا ولا يكون معرقا حتى يكون الثالث فما فوقه وعلى هذا فسر قول أبي الطيب

العارضُ الهتنُ بنُ العارضِ الهتنِ ابنِ العارضِ الهتنِ بنِ العارضِ الهتنِ

قالوا انما أراد أنه معرق وباد واحداً على الشرط المعارف وانما أخذه أبو الطيب من قول محمد بن عبد الملك الزيات

ما كان يبدنا ويؤمنُ سربنا ويجيرُنا من شر كل مخيفة

الا مقامُ خليفةٍ لخليفةٍ لخليفةٍ لخليفةٍ لخليفة

يعني الواثق بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور فصدق وحسن في معناه ونقص المتنبي بواحد بعد سرقته ٠٠وذو البيت من عم الأمر جميع أهل بيته أو أكثرهم فهذا فرق بينهما ٠٠ومن الاخوة ومن لم يعرق لبيد وأخوه لامه أربد والشماخ وأخوه جزء ويزيد وهو مزرد وبنو ابن مقبل وهم عشرة اخوة تميم وفضالة وحيان وربيعة ووبرة والمصاء وأعقد وعبد الله وحذاف وأبو الشمال وأم عمر بنة أمية بن أبي الصلت وفي أولاد اخوته المذكورين آنفاً شعر وقيس بن عمرو والنجاشي وأخوه خديج وعمرو بن أحمر وأخواه سنان وسيار وغيلان ذوالرمة واخوته أوفى ومسعود وهشام وحرقاس شعراء خمستهم ومسلم بن الوليد وأخوه سليمان الكميت وأشجع السلمي وأخوه احمد ٠٠ وأما الشاعر ابن الشاعر فقط فيقال له الثنيان حكاه عبد الكريم عن غيره وهو كثير لوأخذنا في ذكرهم لطالت مسافة الباب

باب حكم البسملة قبل الشعر

قال أبو جعفر النحاس اختلف العلماء في كتب بسم الله الرحمن الرحيم أمام الشعر وكره ذلك سعيد بن المسيب والزهري وأجازه النخعي وكذا يروى عن ابن عباس قال أكتب بسم الله الرحمن الرحيم امام الشعر وغيره قال أبوجعفر ورأيت علي بن سليمان يميل الى هذا وقال ينبغي أن يكتب أمام الشعر بسم الله الرحمن الرحيم لانه يجيء بعده قال فلان وما أشبه ذلك .قلت أنا انما هذا في الشعر اذا دون فأما قصيدة رفعها الشاعر

الى ممدوحه فلا يكتب قبلها اسم قائلها لكن بعدها واذا كان الأمر هكذا فلا سبيل الى كتاب البسملة لان العذر حينئذ ساقط

باب أحكام القوافي في الخط

اذا صارت الواو الأصلية والياء الاصلية وصلا للقافية سقطت في الخط كما تسقط واو الوصل وياؤه مثل واو يغزو للواحد ولم يغز للجماعة اذا كانت القافية على الراي ألا ترى انهم أسقطوها في اللفظ فصلا عن الخط .. قال الراجز

* كريمةٌ قدرُهم اذا قدر *

يريد اذا قدروا .. قال أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن السمين وقد سألته عن هذا لا يجوز حذف هذه الواو الا في أشد ضرورة للعرب لا للمولدين لأنها علامة جمع واضمار لحذفها يلتبس بالواحد قال وهذا مذهب سيبويه والبصريين ومثل واو يغزو وياء يقضي الغائب وتقضي للمؤنثة الغائبة والمذكر المخاطب وكذلك ياء القاضي والغازى اذا كانا معرفين بالألف واللام هذا هو الوجه فان كتب باثبات الواو والياء فعلى باب المسامحة والأجود أن تكون الواو والياء خارجاً في العرض وكذلك ياء الضمير نحو غلامي اذا كانت القافية الميم فالوجه سقوط الياء فان كتبت مسامحة في العرض كما قدمت وقد أسقطها بعضهم في اللفظ .. أنشدني أبو عبد الله للأعشى

ومن شانئ كاسف وجهُهُ اذا ما انتسبت له أنكرن

قال يريد أنكرني فحذف الياء فأما ما يكون منوناً نحو قاض وغاز أو مجروماً نحو لم يقض ولم يغز فلا يجوز أن يثبت فيهما الياء والواو على المسامحة لانهما سقطا بالتنوين والعامل .. ومن العرب من يقول هذا الغاز ومررت بالقاض بغير ياء وهذا تقوية لمذهب من حذفها في الخط اذا كانت وصلا للقافية وان كان في قوافي قصيدة ما يكتب بالياء وما يكتب بالألف كتبا جميعاً بالالف لتستوي القوافي وتشتبه صورتها في الخط

باب النسبة الى الروى

اذا قلت قصيدة ونسبتها الى ما على حرفين قلت هذه قصيدة يائية وحائية وكذلك أخواتها وان شئت جعلت الهمزة واواً فقلت ياوية وكان أبو جعفر الرقاشي ينسب الى ما كان على حرفين يقول هذا يويٌّ يتويٌّ وكذلك أخواتهما الا اولا فانه يقول مويٌّ ولوَوِيٌّ على فعليّ وتقول على هذا القول قصيدة موويّة ولوويّة قال ثعلب ما كان على ثلاثة أحرف الأوسط ياء فليس فيه الا وجه واحد تقول سيّيت سيناً وعيّيت عيناً اذا كتبت سيناً وعيناً فيقول على هذا قصيدة سينية وعينية وسيبية وعيبية وكذلك قصيدة ميمية ولا تقول موّمة فانه خطأ وتقول في الواو وهي على ثلاثة أحرف الاوسط الف بالياء لا غير لكثرة الواوات فتقول وَوّيت واواً حسنة و بعضهم يجعل الواو الاولى همزة لاجتماع الواوين فيقول أوّيت و'واحسنة فالقصيدة على هذا وأوية ومؤوّاة ومِوواة وقال بعضهم في ما ولا من بين أخواتهما موّيت ماء حسنة ولوّيت لاءً حسنة بالمد لكان الفتحة من ما ولا

باب الانشاد وما ناسبه

ليس بين العرب اختلاف اذا أرادوا الترنم ومد الصوت في الغناء والحداء في اتباع القافية المطلقة ومثلها من حروف المد واللين في حال الرفع والنصب والخفض كانت مما ينون أو مما لا ينون فاذا لم يقصدوا ذلك اختلفوا فمنهم من يصنع كما يصنع في حال الغناء والترنم ليفصل بين الشعر والكلام المنثور وهم أهل الحجاز ومنهم من ينون ماينون وما لا ينون اذا وصل الانشاد أتى بنون خفيفة مكان الوصل فجعل ذلك فصلا بين كل بيتين فينشد قول النابغة

يادار مية بالعلياء فالسند

منونا الى آخر القصيدة لا يبالي بما فيه الف ولام ولا مضاف ولا فعل ماض ولا مستقبل

وهم ناس كثير من بني تميم •• ومنهم من يجري القوافي مجراها ولو لم تكن قوافي فيقف على المرفوع والمكسور موقوفين ويعوض المنصوب الفا على كل حال وهم ناس كثير من قيس وأسد فينشدون

لا يبعدِ الله جيراناً لنا ظعنوا لم أدرِ بعدَ غداةِ البين ما صنع

يريد ما صنعوا ••وكذلك ينشدون

فاضت دموعُ العينِ من صبابةً على الحرحتى بل دمعي محمل

فاذا وصلوا جعلوه كالكلام وتركوا المدة لعلمهم أنها في أصل البناء ••قال سيبويه سمعناهم ينشدون أقلي اللوم عاذل والعتاب

اذا كان منونا اثبتوا تنوينه ووصلوه كما يفعلون بالكلام المنثور••ومن العرب من في لغته ان يقف على اشباع الحركة فتجر الضمة واوا والكسرة ياء والفتحة الفا فينشد هذا كله موصولا من غير قصد غناء ولا ترنم ••ومنهم من في لغته ان لا تعرض شيئاً من النصب فهو ينشد هذا كله موقوفا من غير اعتقاد تعسد واذا كان الشعر مقيداً كان تنوينه بازاء اطلاقه فهو غير جائز لأن الشعر المقيد يكسر تنوينه كما يكسر باطلاقه ما خلا الاوزان التي قدمنا القول فيها أنها من بين ضروب الشعر يجوز اطلاقها وتقييدها ويحكي عن رؤبة انه أنشد قصيدته القافية المقيدة منونة فرد ذلك الزجاجي وأنكر وذكر انه وهم من السامع وان الوجه فيه ان من العرب من يريد بعد كل قافية ان الخفيفة المكسورة اعلاما بانقضاء البيت فينشد

وقاتم الاعماق خاوي المخترق ان مشتبه الاعلام لماع الخفق ان

* يكلُّ وفد الريح من حيث انخرق ان *

واذا كان ما قبل حرف الروي ساكنا وكانت لغة منشده الوقوف على المضموم والمكسور ينقل الحركة كما أنشد اعرابي من بني سدوس قول ذي الرمة

* ولا زالَ منهلاً بجرعائك القطرُ *

بضم الطاء واسكان الراء لما وقف حكي ذلك عبد الكريم وعلى هذا قال الآخر

* اما ابن ماوية اذا جد النفر *

اراد بالنفر بالحمل ٠٠ وأنشد ابو العباس ثعلب

ارتنى حجلاً على ساقها　　فهش الفؤاد لذاك الحجل
فقلت ولم أخف من صاحبى　　الا بأبي أصل تلك الرجل

وقال نقل لاضطرار القافية ٠٠ ومما يدخل في شناعة هذا الباب الغناء والحداء والتعبير قال الشاعر

تغن بالشعر إما كنت قائله　　ان الغناء لهذا الشعر مضمار

ويقولون فلان يتغنى بفلان أو بفلانة اذا صنع فيه شعراً ٠٠قال ذو الرمة

أحب المكان القفر من أجل أنني　　به أتغنى باسمها غير معجم

وكذلك يقولون حدا به اذا عمل فيه شعرا ٠٠ قال المرار الاسدى

ولو أني حدوت به ارفأنت　　نعامته وأبصر ما يقول

وغناء العرب قديما على ثلاثة أوجه النصب والسناد والهزج ٠٠فأما النصب فغناء الركبان والقينات قال اسحاق بن ابراهيم الموصلي وهو الذي يقال له المرائي وهو الغناء الجنابي اشتقه رجل من كلب يقال له جناب بن عبد الله بن هبل فنسب اليه ومنه كان أصل الحداء كله وكله يخرج من أصل الطويل في العروض ٠٠وأما السناد فالثقيل ذو الترجيع الكثير النغمات والنبرات وهو على ست طرائق الثقيل الاول وخفيفه والثقيل الثاني وخفيفه والرمل وخفيفه ٠٠وأما الهزج فالخفيف الذي يرقص عليه ويمشي بالدف والمزمار فيطرب و يستخف الحليم قال اسحاق هذا كان غناء العرب حتى جاء الله بالاسلام وفتحت العراق وجلب الغناء الرقيق من فارس والروم فغنوا الغناء المجزأ المؤلف بالفارسية والرومية وغنوا جميعا بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير٠٠قال بعض العرب تقطع الالحان الموزونة على الاشعار الموزونة والعجم تمطط الالفاظ فتقبض وتبسط حتى تدخل في وزن اللحن فتضع موزونا على غير موزون ٠٠ ويقال ان أول من أخذ في ترجيعه الحداء مضر بن نزار فانه سقط عن جمل فانكسرت يده فحملوه وهو يقول وايداه وايداه وكان

أحسن خلق الله جرما وصوتا فاصغت الابل اليه وجدت في السير فجعلت العرب مثالا لقوله ها يداها يدا يحدون به الابل حكي ذلك عبد الكريم في كتابه .. وزعم ناس من مضر أن اول من حدا رجل منهم كان في ابله ايام الربيع فأمر غلاما له ببعض أمر فاستبطأه فضربه بالعصا فجعل ينشد في الابل ويقول يا يداه يا يداه فقال له الزم الزم واستفتح الناس الحداء من ذلك الوقت ..وذكر ابن قتيبة أنهم قالوا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وحكي الزبير بن بكار في حديث يرفعه الي النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم من بني غفار سمع حاديهم بطريق مكة ليلا فقال انهم ان أبا كم مضر خرج الى بعض رعائه فوجدها قد تفرقت فأخذ عصا فضرب بها كف غلامه فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه وايداه فسمعت الابل ذلك فعطفت فقال مضر لو اشتق مثل هذا لانتفعت به الابل واجتمعت فاشتق الحداء ..وأما التغبير فهو تهليل أو ترديد صوت بقراءة أو غيرها حكي ذلك ابن دريد وحكى أبو اسحق الزجاجي قال سألني بعض الرؤساء لم سمي التغبير تغبيراً قلت لأنه وضع على أنه يرغب في الغابر أي الباقي أي يرغب في نعيم الجنة وفيما يعمل للآخرة وقال غيره انما قيل له تغبير لانه جعل مايخرج من الفم بمنزلة الغبار فعرض الجوابان على أحمد بن يحيى فاستجاد جوابي يقال للمراسل في الغناء المتالي حكاه غلام ثعلب

باب الجوائز والصلات

قال أبو جعفر النحاس أصل الجائزة أن يعطي الرجل ما يجيزه ليذهب الى وجهه وكان الرجل اذا ورد ماء قال لقيمه اجزني أي اعطني ماء حتى اذهب لوجهتي واجوز عنك وكثر حتى جعلت الجائزة عطية .. قال الراجز

يا قيم المـاء فدتك نفسي أحسن جوازي وأقلّ حبسي

قال ابن قتيبة أصل الجائزة والجوائز ان عبد عوف بن اصرم من بني هلال بن عامر بن صعصعة ولي فارس لعبد الله بن عامر فمر به الاحنف بن قيس في جيشه غازيا الي

خراسان فوقف لهم على قنطرة الكر فجعل ينسب الرجل فيعطيه على قدر حسبه فكان يعطيهم مائة مائة فلما كثروا عليه قال أجيزوهم فأجيزوا فهو أول من سن الجوائز ٠٠ قال الشاعر

فدىً للأكرمين بني هلال ... على علاتهم عمي وخالي
هم سنوا الجوائز في معدٍّ ... فصارت سنةً أخرى الليالي

٠٠ والبدرة عشرة آلاف درهم سميت بذلك لوفورها. قال بعضهم ومنه سمي القمر ليلة أربع عشرة بدراً لتمامه وامتلائه من النور ويقال لم تدركه الشمس وقيل بل البدرة جلدة السخلة اذا فطمت والجذع بن المعز يملأ مالا فسمي المال بدرة باسم نوعه مجازاً ٠٠ والصلة ما أخذه الرجل من السلطان أول ما تتصل به ثم كثر ذلك حتى قيل لكل عطية صلة وهذه أبيات كنت صنعتها للسيد أبي الحسن أدام الله عزه ختمت بها الكتاب اذ جاء موضعها

ان الذي صاغت يدي وفمي ... وجرى لساني فيه أو قلمي
مما عنيتُ لسبك خالصهِ ... وجعلته من جوهر الكلم
لم أهده الا لتكسوه ... ذكراً تجدده على القدم
لسنا نريدك فضل معرفةٍ ... لكنهن مصائدُ الكرم
فاقبل هديةَ من أشدت به ... ومسحتَ عنه آية العدم
لا تحسبِ الدنيا أبا حسنٍ ... تأتي بمثلكَ وأتقَ لهمم

تم كتاب العمده في محاسن الشعر وآدابه لأبي على الحسن بن رشيق الأزدي والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه وسلم